لزوم ما لا يلزم

لأبي العلاء المعري

أحمد بن عبد الله بن سليمان

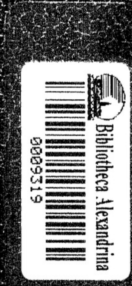
٣٦٣هـ - ٤٤٩هـ

٩٧٣م - ١٠٥٧م

الجزء الأول

شرح وتحقيق

إبراهيم الأبياري

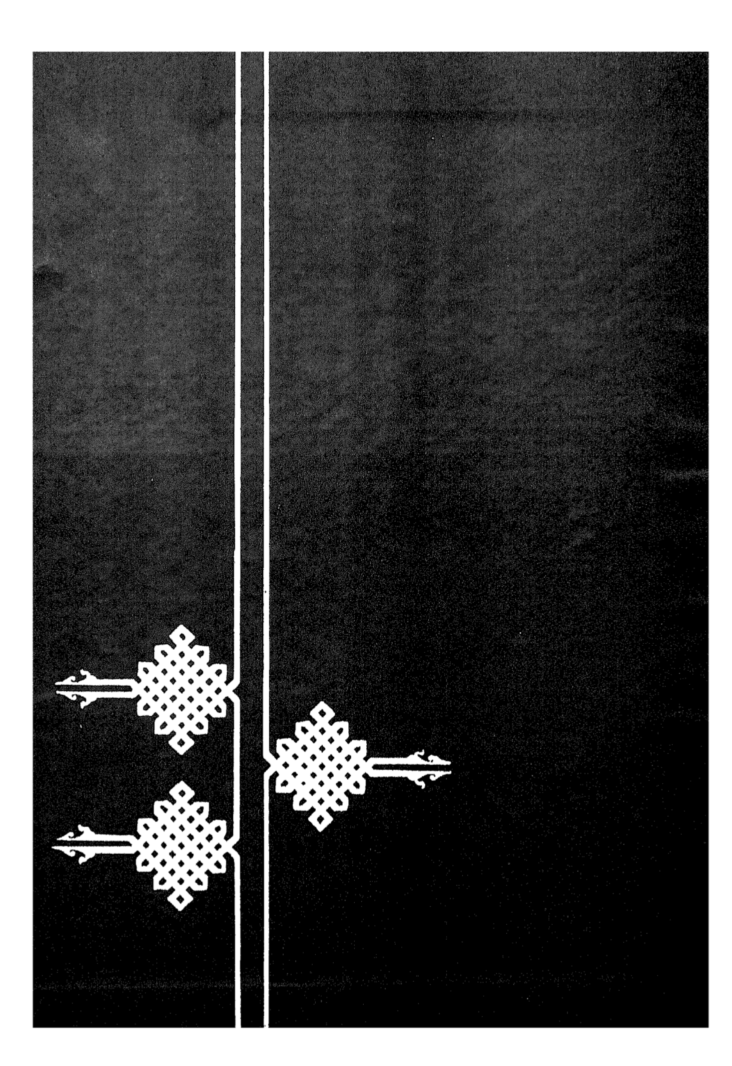


الناشرون:

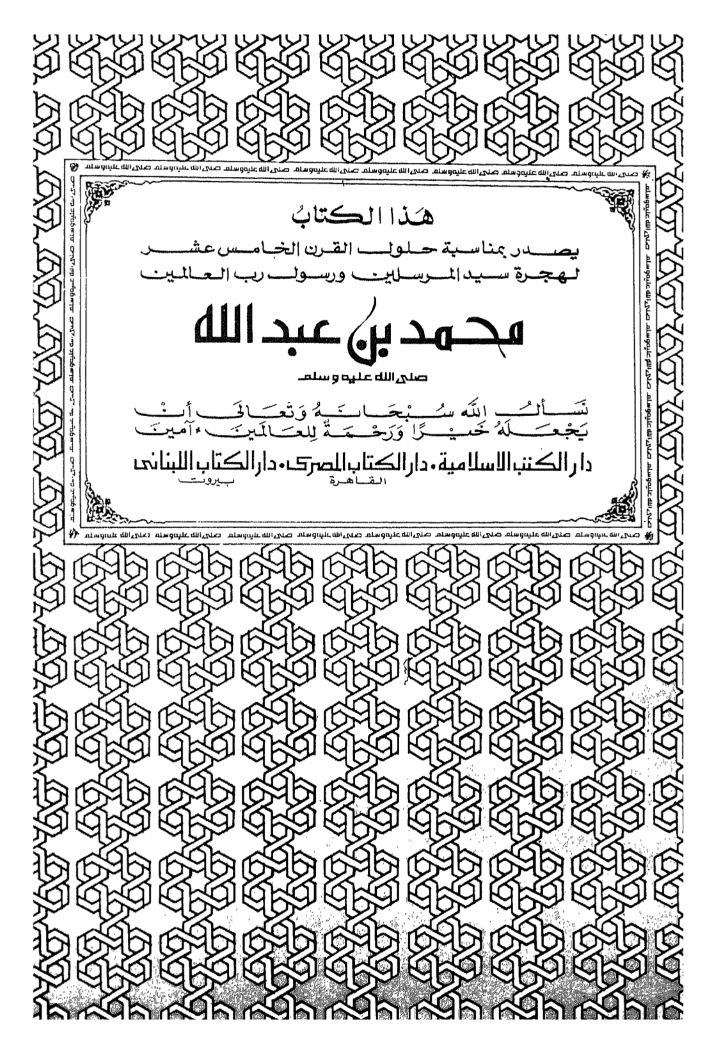
دار الكتب الإسلامية

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت




لزوم ما لا يلزم



هذا الكتاب
يصدر بمناسبة حلول القرن الخامس عشر
لهجرة سيد المرسلين ورسول رب العالمين
محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم
نَسألُ اللهَ سُبْحانَهُ وَتعالَى أنْ
يَجْعَلَهُ خَيْرًا وَرَحْمَةً لِلعالَمينَ • آمين
دار الكتب الاسلامية • دار الكتاب المصرى • دار الكتاب اللبنانى
القاهرة
بيروت



لأبي العلاء المعري
أحمد بن عبد الله بن سليمان

٣٦٣ هـ - ٤٤٩ هـ
٩٧٣ م - ١٠٥٧ م

الجزء الأول

شرح وتحقيق
ابراهيم الأبياري

الناشرون:
دار الكتب الاسلامية
دار الكتاب المصري - القاهرة
دار الكتاب اللبناني - بيروت

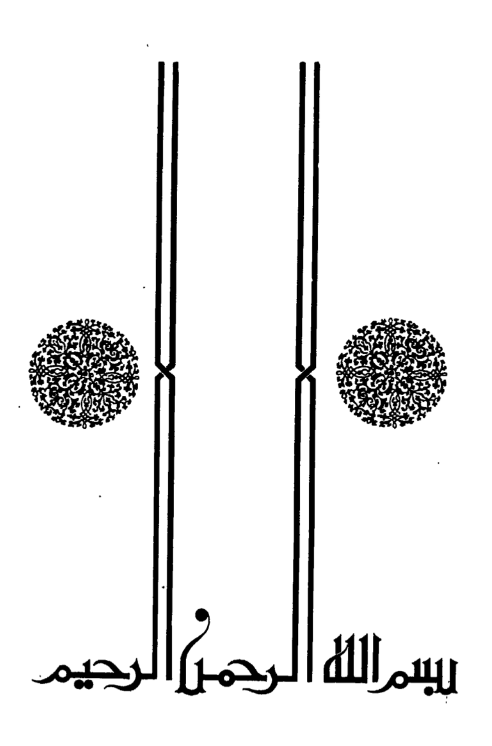


جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر :

دار الكتاب المصري
القاهرة ج.م.ع
٣٣ شارع قصر النيل — ص.ب ١٥٦
ت ٧٤٢١٦٨/٧٥٤٣٠١ - برقيا : (كتامصر)
TELEX : 92336
ATT : 134 K.T.M. CAIRO

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ — برقيا : كتالبان
تليفونات : ٢٥١٢٩٤ / ٢٣٧٥٣٧
TELEX : K.T.L 22865 LE
BEIRUT

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الطبعة الثانية

كنت قد أخذت فى شرح اللزوميات شرحا مستوفيا منذ ما يقرب من عشرين عاما تزيد قليلا ، وقدمت للقراء الجزء الأول من هذا الشرح . وينتظم نحوا من مائة لزومية ، ثم حالت دون طبع سائره أحوال ، والآن وقد تهيأت لإتمام ما وقفنا دون إتمامه ، فها أنذا أقدم هذا الشرح فى طبعته الكاملة بادئا بالجزء الذى كنت قد أخرجته من قبل حتى تتوفر بين يدى القارئ الأجزاء متكاملة .

وسوف يخرج هذا الشرح فى أجزاء ستة ، هذا عدا جزء يضم الفهارس بأنواعها المختلفة التى سوف تهيئ للباحث الرجوع الى ما يجب من الكتاب ، هذا عدا دراسة سوف تتناول شيئين :

١ — اللزوميات .

٢ — أبا العلاء

وأنا إذ أقدم الجزء الأول من هذا الشرح فى طبعته الثانية ، أرجو من الله تعالى العون والتوفيق ليخرج الكتاب كاملا كما أحب وأريد فى وقت قريب ؟

ذو الحجة ١٤٠٢ هـ

سبتمبر ١٩٨٢م

إبراهيم الأبيارى

لزوم ما لا يلزم

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

منذ أربعة عشر عاما — أى فى سنة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م — شاركت مصر فى إحياء ذكرى الشاعر الفيلسوف أبى العلاء المعرى ، فى دمشق والمعرة وحلب ، وذلك لمرور ألف عام على مولده .

وكان نصيب مصر فى هذا المهرجان نصيبا موصولا بتراث أبى العلاء كله نظمه ونثره ، بدأت بشىء يمهد له . جعلته كتابا ينتظم تعريف القدماء بأبى العلاء ؛ حملت عبئه لجنة مختارة من رجال وزارة التربية ، كانوا أربعة غيرى ، وهم :

١ — الأستاذ عبد الرحيم محمود .

٢ — الأستاذ مصطفى السقا .

٣ — الأستاذ عبد السلام هارون .

٤ — الدكتور حامد عبد المجيد .

يُشرف عليهم و يوجِّههم من كان إليه اختيارهم ، ورَسْم المنهج لهم ، الأستاذ الدكتور طه حسين ، وكان إذ ذاك المستشار الفنى للوزارة .

وأتمت اللجنة هذا الجزء الخاص بالتعريف ، والذى شاءت — كما قالت — أن تجعله المدخل إلى تراث أبى العلاء ، لما اجتمع فيه من دراسات يحبها المُقدِم على قراءة هذا التراث ، وتحبب له .

أتمته اللجنة فى وقت لم يطل ، بعد عمل متصل ، لم يعرف الرَّيث ولا الهوادة ، لتدرك به وقتا حُدد ، هو وقت المهرجان . وكان هذا الكتاب هو سفرها الأول .

ثم مضت اللجنة تعد لسفرها الثانى ، وخصت به شروح سقط الزند ، جعلته أجزاء بلغت خمسة ، انتهى بها السقط بشروحه الثلاثة : البطليوسى ، والتبريزى ، والخوارزمى .

وتستأثر المنون بالزميل الأول — الأستاذ عبد الرحيم محمود — فيمضى إلى رحمة الله غير معوَّض ، وتفتر اللجنة حينا تتوزعها أعمال ، ولا يجمعها ذلك التوجيه الذى كانت تأنس به وتحمى .

ويأبى السيد الدكتور طه حسين أن تقطع الأيام عليه ما أراده موصولا ، وتُرخى فى عمل شاءه عجلا ، فإذا هو يدعونى إليه لنصل ما انقطع ، ونحمل عبء هذا السفر الثالث بأجزائه ، بالغة ما بلغت .

وكان السقط شعرا يخدمه شارحون ثلاثة :

أحدهم — وهو أبو زكريا يحيى بن على التبريزى (٤٢١ هـ — ٥١٢ هـ) — كان تلميذا لأبى العلاء ، قرأ عليه ونقل عنه وأفاد منه .

وثانيهم — وهو أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى (٤٤٤هـ — ٥٢١هـ) — كان من أهل العلم باللغة والنحو ، ثقة ضابطا .

وثالثهم — وهو قاسم بن الحسين بن محمد الخوارزمى (٥٥٥ هـ — ٦١٧ هـ) — كان شاعرا أديبا ، أخذ عن أبيه ، عن الأبهرى ، عن أبى العلاء .

ويخدمه — غير هؤلاء الثلاثة — أبو العلاء نفسه بهذا الشرح الذى وضعه لتلميذه أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهانى ، وهو وإن لم يَعْدُ التفسيرَ يوضح المبهم ، ولكنه ضوء على كل حال ، ينير جانبا من جوانب الظلمة .

ثم يخدمه عالم من علماء القرن السادس الهجرى ، هو أبو يعقوب يوسف ابن طاهر الخويى ، وهو وإن كان ملخصا لشرح التبريزى ، يقرب معه فى الكثير ويبعد عنه فى القليل ، إلا أنه محاولة فى تذليل شعر السقط والكشف عن غامضه .

واللزوم غير السقط ، لم يعنَ به شارحٌ نفسَه ، ولم يجد حوله كثرة أو قلة من العلماء ، يُلمون به إلمامهم بالسقط ، أو إلماما قريبا منه ، اللهم إلا ما كان من تقييدات حملتها خطيات ثلاث ، وحملها عن الخطيات المطبوعات ، تزيد أو تنقص . وكانت أوفى هذه النسخ كلها تقييدا تلك النسخة التى طبعت بمدينة بمباى بالهند سنة ١٣٠٣ هـ .

ولا يخرج هذا التقييد فى جملته عن شرح لبعض الكلمات شرحا لا يخضع لنهج ، ولا يدل على واضعه دلالة كاشفة ، فهو يصعب حينا ويهون حينا آخر ، يمعن إمعان المدقق ، ويخف خفة العارض ، وهو فى لونيه لا ينفذ إلى الأبيات

يربط بينها بعد جلاء معانى مفرداتها ، ولا يعرض لما فى الشعر من نكتة أو ملحة أو إشارة أو رمز ، ولا يكشف عما تحوى الأبيات من عقد نحوية ، ولا عما تضمنته من ضرورات إن وجدت ، ولا يلم بجوانب الرأى ، وما أكثرها فى اللزوم وأقلها فى السقط .

وهكذا كان حظ السقط على يسره جليلا ، وحظ اللزوم على عسره ضئيلا . كان السقط يسيرا أضفت عليه الشروح يسرا آخر . وكان اللزوم عسيرا ضمت إليه الشروح العابرة عسرا آخر ، حين حاولت أن تشرح فباعدت وغمضت وجانبت الصواب .

هذا على خطر اللزوم وقلة خطر السقط ، فثانيهما شعر الشباب أملته الحياة العابرة ، كثير منه للناس ، يعرفهم أبو العلاء ويعرفون هم أبا العلاء ، وقليل منه للرأى يحرك أبا العلاء إليه ويحرك أبو العلاء له ، وإن كان أبو العلاء لم يتقرب به إلى أحد ، ولم يمدح فيه سلطانا ، ولم يبغ به إلا الفن وحده ؛ على حين جرى أولهما للرأى وللرأى وحده ، فجاء ثمرة لهذا الفكر الواعى ينطلق عن إحساس صاحبه ، وفهمه ووعيه ووجدانه وفلسفته ، شعرا خالصا لهذا كله لا يشوبه غرض من تلك الأغراض التى أملت الكثير من شعر الشعراء ، فصرفت القائلين عن مهمتهم إلى ألوان من الزلفى وأخرى من القطيعة ، وإلى ضروب من التبجيل وأخرى من التهوين ، فضاع على الشعر غرضه ، وفات على الشعراء هدفهم .

* * *

وماعرف القارئون لشعر أبى العلاء شارحا عنى نفسه باللزوم يبسطها بسطين : بسطا يجلو ألفاظها ، وبسطا يسلك معانيها فى سلك .

بل لقد وجدوا من يبسط هذا البسط الأول ، وإن كان فى غير دقة ، وفى غير تفصيل ، ولكنهم لم يجدوا أثرا لهذا البسط الثانى إلا حين قرؤوه للأستاذ الدكتور طه حسين ، فى سفر خرج صغيرا — هو كتابه صوت أبى العلاء — ، لأنه لم يعرض إلا لقصائد مائة ؛ بسط فيه معانى الأبيات بسطا أذاب جمودها فانسابت أسطرا منسقة ، تنتظم المعانى وحدات ، وتسلك تلك الوحدات جملا ، وتجمع تلك الجمل فكرا ، وتضم هذه الفكر حديثا ، هو حديث أبو العلاء الذى أراد أن يضمنه شعره ، فالتوى به يبهم ويلغز ، ورده الأستاذ الدكتور طه حسين نثرا سهلا مستقيما يفصح ويبين .

وهو وإن لم يقصد فيه قصد الألفاظ فإنه لم يهمل الألفاظ ، فجاءت مجلوة على لسان حديثه وفى ثناياه، لم يُفردها بالشرح فتنفصل عنه وتبدو شيئا غيره، ومن أجل هذا الطابع المقصود لم يبن ذلك الطابع غير المقصود .

ولقد كان عملى حين دعانى إليه، لنخرج اللزوم كما خرج السقط، هو أن أُمهد لشرحه بشرح المفردات، أستخلصها من بيانه أكثر مما أستخلصها من المعاجم، فلقد كان يخص الكلمة بمعناها ، وهى فى المعاجم يتنازعها معنى ومعنى ، وما عند سَرْد المعانى تنتهى مُهمة الشارح ، وإنما مع الاختيار يبلغ القصد، وإن هان الاختيار مع غير أبى العلاء فما أعسره مع أبى العلاء .

وعلى هذا النحو خرج الجزء الأول من اللزوم ، يضم شرح الكلمات الذى استخلصتُه من بيانه أولا قبل أن أستخلصه من المعاجم ، ثم يضم هذا الشرح الذى هو له ، المحدث عن الأبيات، الجالى لها ، المعبر عن فكرتها ، المفصح عن رأيها .

كان ذلك منذ أعوام أربعة حين أخرجنا الجزء الأول فى دار المعارف يضم خمسا وسبعين لزومية من لزوميات أبى العلاء .

ثم تهيأ للجنة أبى العلاء أن تعود ، وتهيأ لهذا الجزء الذى خرج — لا تعدو قصائده خمسا وسبعين — أن ينضم إليه قدر آخر من القصائد، ليخرج وقصائده مائة، وأن يكون على حاله هذه : الجزء الأول من السفر الثالث من آثار أبى العلاء .

ولكن اللجنة التى أتاحت لها حياتها الأولى أن تخرج السفر الأول ثم السفر الثانى مجتمعة، أبت عليها حياتها الثانية إلا أن تخرج السفر الثالث متفرقة، يَلى كلَّ واحد منها جُزء .

وكان من نصيبى هذا الجزء الذى شاركت فيه من قبلُ على النحو الذى بسطته، أعود فأخرجه على هذا النحو الذى شرحته .

وإلى هذه المائة انتهى الأستاذ الدكتور طه حسين فى شرحه ، وإلى هذه المائة انتهيت أنا فى هذا الجزء الذى فرغتُ له .

غير أنى هنا قد عدت لما كان منى أولا فزدت كثيرا ، وجلوت كثيرا ، وبيّنت كثيرا .

وأنا فى ظاهر أمرى لم أضم إليه هنا ما انضم إليه هناك، من هذا الشرح الذى كان لأستاذى الدكتور طه حسين، ولكنى فى باطن أمرى قد ضممت إليه هذا الشرح، حين اهتديت به، أُعبِّر عنه، وأُفصح بإفصاحه، وأبين ببيانه .

فما أهون عِبئى فى هذى هذا العون، وما أشقه على من لا عون لهم مثله .

* * *

ولى بعد هذا حديث عن أصول اللزوم ، فلقد كان بين يدىّ منها :

(١) نسخة فى مجلدين، بقلم نسخ جلى، مضبوطة بالحركات، وبهامشها تقييدات كثيرة، بالقلم نفسه .

فرغ من كتابتها الشيخ أحمد الفحماوى فى الخامس والعشرين من شوّال سنة ١٢٩٩ هـ .

وقد رمزنا إليها بالحرف (ا) .

وهى من مخطوطات دار الكتب المصرية — ورقمها ٤٩١ — أدب .

(٢) نسخة فى مجلدين، دون الأولى تجويدا، وتكاد تحمل التقييدات عينها، تحمل اسم الناسخ الذى عرّف باسمه «محمد أمين» ولكنه لم يذكر تاريخ فراغه من كتابتها .

ولعل تلك القصيدة التى فى ختامها، والتى هى من نظم المرحوم «محمد قدرى» وزير ديوان المعارف حينذاك، يمدح الناسخ على إهدائه، مما يعين على تعرف زمن كتابتها .

فلقد كان مولد «محمد قدرى» سنة ١٢٣٦ هـ . وكانت وفاته سنة ١٣٠٤ هـ . وكان يوما مستشارا فى المحاكم المختلطة ، ثم ناظرا للحقانية ، ثم وزيرا للمعارف ، ثم وزيرا للحقانية مرة ثانية . وكان هذا آخر ما تولاه .

والعبارة تحمل مع اسم «محمد قدرى» منصبه الذى كان فيه، وهو وزارة المعارف، فهى تقصر الفترة — أعنى فترة نسخ الكتاب — على تلك المدّة التى لن تبعد كثيرا عن آخر القرن الثالث عشر .

وإن صدق ظنّى فهى صورة من المخطوطة الأولى، تنقص شيئا وتزيد شيئا . فالناسخ هنا لا شك كان من غير طبقة الناسخين ، وإلا ما عنّى «محمد قدرى» نفسه بأن يوجه إليه شعرا .

وقد رمزنا لهذه بالحرف (ب) .

وهى من مخطوطات دار الكتب المصرية — ورقمها ١٠١٥ — أدب .

(٣) مخطوطة ثالثة بخط الفحماوى أيضا . فرغ منها سنة ١٢٩٩ هـ .

وهى لا شك صورة من مخطوطته الأولى .

وقد رمزنا إلى هذه بالحرف (ج) .

وهى من مخطوطات مكتبة الأزهر — ورقمها ٤٦٨ — أدب .

(٤) مخطوطة رابعة تقع فى مجلدين . بخط محمد أمين أيضا ، كاتب النسخة السابقة ، غير أنه هنا أشار إلى فراغه من كتابتها فذكر أن ذلك كان فى ذى القعدة من سنة ١٢٩٤ هـ .

وقد يكون فرغ من هذه أولا ثم هيأ السابقة ثانيا . فهو هنا مجوِّد فى خطه ، متأنق فى التراويق التى جاءت بمداد ذهبى ، ولم يفعل شيئا من هذا فى النسخة السابقة .

وقد رمزنا إليها بالحرف (د) .

وهى من مخطوطات دار الكتب المصرية — ورقمها ١٢٧٦ — أدب .

(٥) مخطوطة قديمة بقلم معتاد ، كتبها عبد الواحد بن عبد الرفيع ، وفرغ من كتابتها فى شهر صفر سنة ٦٣٩ هـ .

ولا شك أن هذه هى النسخة الأولى التى نسخ عنها الفحماوى نسختيه ، ونقل عنها أيضا محمد أمين .

غير أن ما بها من ترقيع ، وأثر عرق طمس بعض كلماتها ، هو الذى جعل الذين نسخوا عنها يضطربون هذا الاضطراب فى بعض الأمكنة .

ولقد كانت هى معتمدنا إذ هى الأصل وكل ما عداها منقول عنها .

وقد رمزنا لهذه النسخة بالحرف (هـ) .

وهى من مخطوطات دار الكتب المصرية — ورقمها ٢٣٤٦ — أدب .

***

وتأتى بعد هذه المخطوطات نسخ أخرى مطبوعة . أصحها وأدقها تلك النسخة التى طبعت فى الهند سنة ١٣٠٣ هـ .

وتأتى بعدها النسخة التى طبعت بمطبعة الجمالية سنة ١٨٨٥ م ، ثم النسخة التى طبعت بمطبعة المحروسة سنة ١٨٩١ م .

وأخيرا تلك النسخة التى صدرت فى بيروت فى طبعة جديدة لم تزد كثيرا عما طبع فى مصر . وإن كانت قد وضعت للقصائد عناوين، فيها لون من ألوان الابتكار .

ويجىء فى إثر هذا جهد المختارين، فقد انفرد بهذا الديوان أديبان — هما أحمد نسيم، وعبد الله المغيرة — فاختارا منه شيئا رتّباه على حروف الهجاء وسمّياه : الألزم من لزوم مالا يلزم .

⁂

هذه هى الجهود التى تعاورت الديوان نسخا وطبعا واختيارا ، لبث الديوان فيما بينها على جنب واحد ، لم تختلف مخطوطاته إلا فيما يختلف فيه الناسخون، وهذا هيّن من اليسير استدراكه ؛ ولم تفعل نسخه المطبوعة جديدا يُخرج الديوان فى صورة دقيقة مشروحة ، ولم يُسدِ إليه الاختيار شيئا فيعرض لهذا القدر الصغير المختار بجهد كبير .

⁂

غير أننا لا ننسى بعض قصائد منه قليلة ، أوردها البطليوسى مع قصائد السقط ، وتناولها هناك بالتفسير ، على النحو الذى تناول به قصائد السقط .

إلا أنها للأسف قلة ، ونصيب هذا الجزء الذى يطالعك اليوم قلة من هذه القلة ، لا يعدو فى جملته القصيدتين .

⁂

ويذكر حاجى خليفة أن أبا العلاء كان له شرح على اللزوم سماه : راحة اللزوم ، وأنه كان يقع فى مائة كراسة ، على حين كانت اللزوم تقع فى مائة وعشرين كراسة . ولكن هذا الشرح ضل مع الزمن .

⁂

كان هذا نصيب اللزوم ، وقد عرفت نصيب السقط ، على ما للزوم من سبق شعرى .

ولقد كان هو أولى بالبدء وأن يقــدم فى الإخراج على السقط ، غير أن الأمر التزم فيه الزمن ، والسقط أول شعر أبى العلاء .

ولعل الأيام التى اتسعت للسقط نسع للزوم ، ونتسع من بعد اللزوم لشعر آخر لأبى العلاء لم يضمه ديوان .

ثم نتسع للنثر بعد الشعر لتؤدى هذه اللجنة — لجنة إحياء آثار أبى العلاء — أمانة حملتهـا ، فترضى الأدب العربى فى رجل من رجالاته المعــدودين ، وترضى الأدب العربى فى تراث له يعز على القائلين ، وترضى الأدب العربى عنها بما حملت من جهد مع الحاملين ، كما أرضت اللزوم من السقط بما استدركت فيه على الأولين .

وما أطمعنا فى أن يكون جهــدنا فيما بعد هــذا الجزء موصولا بجهد أسـتاذنا الدكتور طه حســين ، يمضى فى صــوت أبى العلاء لنمضى نحن فى شرح اللزوم ، مُعانين على مُغلقه ، مبصّرين بمبهمه ، آمنين العثرات ، مجانبين الزلات .

و إنه للشكر الخالص نسجله له هنا مبتدئين وسوف نسجله له منتهين .

والله أسأل أن يعين على سائر هذا العمل كما أعان على فارطه ، وأن يكتب لنـا التوفيق ويسدِّد الخُطا ، فما أعسر السبيل وأصعب المُرتقى .

رجب ١٣٧٨ هـ
يناير ١٩٥٩ م

ابراهيم الأبيــارى

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدّمة أبى العلاء]

قال أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سُليمان الضَّرير ، رَهْن المَحْبِسين ، وإنما قال بقضاءٍ لا يشعُر كيف هو :

كان من سَوالف الأَقضية أنّى أنشأتُ أبنيةَ أوراق ، توخَّيتُ فيها صِدق الكلمة ، ونزّهتُها عن الكذب والمَيط[1] ، ولا أزعُمها كالسِّمط المُتخذ وأرجو ألا تُحسَب من السُّمَيط[2] ، فمنها ما هو تمجيد لله الذى شَرُف عن التَّمجيد ، ووَضع المِنَن فى كُلّ جِيد ، وبعضُها تذكير للنَّاسين ، وتنبيه للرَّقدة الغافلين ، وتحذير من الدُّنيا الكُبرى التى عَبِثت بالأوّل ، وآستُجيبت فيها دعوة جَرْوَل[3] ؛ إذ قال لأُمّه :

جَزاكِ الله شَرًّا مِن عَجُوزٍ ولقَّاكِ العُقُوق من البَنِينَا

فهى لا تَسمح لهم بالحُقوق ، وهم بَنُوها كرونها بالعُقوق .

وإنما وَصفتُ أشياء من العِظة وأَفانين ، على حَسب ما تسمح به الغَرِيزةُ ؛ فإن جاوزتُ المُشتَرط إلى سواه ، فإنّ الذى جاوزتُ إليه قولٌ عَرِى من المَين[4] .

(١) الميط : الجور والحنف والبعد عن القصد .

(٢) السميط ، بفتح فكسر ، أو بضم ففتح ، على صورة التصغير ، وهذه عن كراع : الآجر القائم بعضه فوق بعض .

(٣) الجرول : الحجارة ؛ واحدتها : جرولة . وبه لقب الحطيئة ؛ أبو مليكة بن أوس بن مالك العبسى ؛ شاعر مخضرم من المجانين . توفى حوالى سنة ثلاثين من الهجرة .

(٤) المين : الكذب . والجمع : ميون . والفعل منه : مان يمين ، فهو مائن .

وجمعتُ ذلك كُلّه فى كِتاب لقّبته « لزُوم ما لا يَلزم » . ومَعنى هـذا اللّقب : أنّ القافية تَلزم لهـا لوازمُ لا يَفتقر إليهـا حَشْو البيْت ، ولهـا أسْماء تُعرف ، وسأذكر منها شيئًا مخافةَ أن يَقع هذا الكتابُ إلى قليل المَعرفة بتلك الأسماء .

والذى سمّاه المُتقدّمون من لوازم القافية(1) خمسةُ أحرف وستُّ حركات :

فالأحرف : الرَّوىّ ، والرِّدْف ، والتّأسيس ، والوَصل ، والخُروج(2) .

فأمّا الرّوىّ(3) فأثْبتُ حُروف البيت ، وعليـه تُبنى المَنظومات ، وهو يكون من أى حروف المُعجم وقع ، إلّا حروفًا تَضعُف ولَا تثبُت ، كألف التّرنُّم وواوه ويائه ،

(١) القافية ، تكون من آخر البيت إلى أوّل متحرك قبل ساكن بينهما .
وقد تكون بعض كلمة ، وشاهده قول امرئ القيس :

وقوفا بهـا صحبى على مطيهم   يقولون لا تهلك أسى وتجمل

فالقافية من الحاء فى « تجمل » — على رواية — إلى آخر البيت .
وقد تكون كلمة ، كقوله :

ففاضت دموع العين منى صـبابة   على النحـر حتى بل دمعى محـمل

فالقافية « محمل » .
وقد تكون كلمة وبعض أخرى ، كقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها   هطـل أجش وبارح ترب

فالقافية من الحاء فى « بارح » إلى آخر البيت .
وقد تكون كلمتين ، كقول امرئ القيس :

مكر مفـر مقبـل مدبر معـا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالقافية من قوله « من » إلى آخر البيت :
وقد تكون كلمتين وبعض أخرى ، كقول الشاعر :

* قد جبر الدين الإله فجـبر *

فالقافية من اللام الثانية فى « الإله » . فهذا بعض كلمة ، ثم « الفاء » ثم « جبر » .

(٢) وهكذا هى عند الخليل ، إلا أنه جعل مكان « الروى » القافية . ومكان « الوصل » الصلة . وكان الخليل يسمى الكلمة التى فيهـا القافية : الضرب ، والروى . (انظر كتاب تلقيب القوافى والحركات لأبى الحسن محمد بن أحمد بن كيسان . ص ٤٨ و ٥٤ طبعة ليدن ١٨٥٩) .

(٣) قيل : إنه من الروى ، وهى الفكرة ؛ لأن الشاعر يتفكر فيه ، فهو فعيل بمعنى مفعول . كما قيل إنه من الرواء ، بالكسر والمد ، وهو الحبل الذى يضم به شىء إلى شىء ، إذ هو يضم أجزاء البيت ويصل بعضها ببعض ، فهو فعيل بمعنى فاعل .

وهاء الوقف، وهاآت التأنيث، إذا كان ما قبلها مُتحرّكا، والألف التى تلحق للتّثنية، فى مثل: «ضربا» و «ذهبا»، والواو التى تدُل على الجمع إذا كان مَضموماً ما قبلها فى مثال : «ضربوا» و «قتلوا»، وغير ذلك من الحروف ؛ فإن آتفق غيرُ ما ذكرتُ فهو شاذّ مرْفوض[1] .

⁂

والرويُّ له ثلاث مَنازل :

---

(١) جميع حروف المعجم يصح أن تكون رويا ، إلا سبعة أحرف فى مواضع :

(أ) الحرف الأول : الألف ، فى خمسة مواضع :

أولها : أن تكون ضمير التثنية نحو ... قاما ، واضربا ، فهى وصــل لا روى ، والروى ما قبلها . وجوّز بعضهم أن تكون ألف التثنية رويا . قال ابن جنى : وهو شاذ فى الاستعمال .

وثانيها : أن تكون لبيان حركة الكلمة ، كما فى قول الشاعر :

فقــالت صدقت ولكننى أردت أعرّفهــا مَنْ أنا

وثالثها : أن تكون للإطلاق ، وتسمى ألف الترنم وألف الإشباع ، كقول جرير :

أقلى اللــوم عاذل والعتــابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

على روايته بالألف لا بالنون :

ورابعها : المبدلة من تنوين المنصوب وقفا ، ومن نون التوكيد الخفيفة ، نحو : رأيت زيدا . ونحو :

* ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا *

وخامسها : أن تكون لاحقة لضمير الغائب ، كقول أمية بن أبى الصلت :

يوشك من فــرّ من منيته فى بعض غراته يوافقها

فالألف هنا خروج ، والهاء وصل .

وأما الألف الأصلية ؛ وتسمى المقصورة ، كألف : إذا ، ومتى ، والعصا ، والرضى ، ورمى ؛ والألف الزائدة للتأنيث ، نحو : ذكرى ، أو للإلحــاق نحو : أرطى ؛ فإن شئت جعلتها وصــلا ولزمت الحرف الذى قبلها رويا ، وإن شئت جعلتها رويا .

(ب) وثانى الحروف : الياء ، ولها ثلاثة مواضع :

أولها : أن تكون للإطلاق ، وتسمى ياء الترنم والإشباع ، وحينئذ لا يكون ما قبلها إلا مكسورا ، كقول امرئ القيس : * كما زلت الصــفواء بالمتنزل *

وثانيها : أن تكون ضمير المتكلم ، أو ياء المخاطبة مكسورا ما قبلها ، نحو : غلامى ، واضربى .

وثالثها : أن تكون لاحقــة للضمير وهو مكسور ، نحو : مررت بهى . وهى هنا خروج ، والضمير قبلها وصل .

(١) يكون آخر حرف فى الشعر المقيد ، ولا ينكسر هـذا القياس فى رأى المتقدمين (١) .

- وأما ياء النسب فإن كانت ثقيلة لم تكن إلا رويا ، وتكون بمنزلة حرف واحد ، وإن كانت خفيفة تخيرت فيها بين جعلها وصلا ولزمت ما قبلها ، وبين جعلها رويا .

(حـ) وثالث الحروف : الواو ، ولا يصح أن تكون رويا فى ثلاثة مواضع :

أولها : أن تكون للإطلاق ، وتسمى واو الترنم ، وواو الإشباع . ولا يكون ما قبلها حينئذ إلا مضموما ، كما فى قول جرير : * سقيت الغيث أيتهـا الخيامو *

فهذه الواو وصل .

وثانيها : أن تكون ضمير جمع مضموما ما قبلها ، كما فى نحو : ضربوا ، واضربوا ، فهى وصل .

وقال ابن السراج : قد تجعـل « واو » نحو : « اضربوا » رويا . واستدل على ذلك بقول مروان ابن الحكم :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنـا ... نموت كما ماتوا ونحيـا كما حيوا

وينقص منـا كل يوم وليـلة ... ولا بد أن نلق من الأمر ما لقوا

وثالثها : أن تكون لاحقة للضمير ، نحو : ضربتهمو ، وكلهمو . فهى وصل لا روى .

(ى) ورابع الحروف وخامسها : التنوين ، ونون التوكيد الخفيفة ، فهذان لا يكونان رويين ، بل ولا وصلين .

(هـ) الحرف السادس : الهاء ، ولها ثلاثة مواضع :

أحدها : أن تكون للسكت ، وهى التى تتبين بها الحركة ، نحو : ارمه ، واغزه ، وفيمه ؟ ولمه ؟ كقول الشاعر :

بالفاضـلين أولى النهى ... فى كل أمر فاقتـــده

فهذه الهاء وصل .

الثانى : أن تكون ضميرا متحركا ما قبلها ، مخففا كان أو مثقلا ، سواء تحركت أو سكنت ، كقول زهير :

صحـا القلب عن سلمى وأقصر باطله ... وعرى أفـراس الصـبا ورواحله

فهذه الهاء وصل .

والثالث : أن تكون منقلبة عن تاء التأنيث محركا ما قبلها ، ويقال لها : هاء التأنيث ، كقول الشاعر :

ثلاثة ليس لهـا رابع ... المـاء والبستان والخمره

فالهاء ، هنا وصل .

(و) وسابع الحروف : همز الوقف ، أى الهمز الذى يبدل فى لغة من الألف وقفا ، نحو : رأيت رجلأ ، فهى ليست رويا ولا وصلا .

(١) ومنه قول طرفة :

أصحوت اليوم أم شاقتـك هر ... ومن الحب جنون مستعر

(٣،٢) ويكون بينه وبين آنقضاء البيت حرف، أو حرفان، وذلك فى الشعر المطلق .

والذى بين رويّه وبين آنقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجىء بعد رويّه الصلة لا غير ؛ وهى تكون أحد أربعة أحرف : الألف ، والواو ، والياء ، والهاء[1] ؛ و [لا تكون من الأحرف الأخرى] .

وأما الذى يقع بعد رويّه حرفان ، فهو ما تحرّكت هاء وصله فلزمها الخروج ، كقوله :

فى ليلة لا نرى بها أحدًا ... يَحكى علينا إلّا كواكبُها

فالباء هى الروىّ ، والهاء وصل ، والألف خروج .

***

وأما التأسيس فألف بينها وبين حرف الروىّ حرف يسمى الدّخيل ، ولا تلزم إعادته[2] كما تلزم إعادة الروىّ . والتأسيس كقول القائل :

= فما صلته الواو قول زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا ... وزودوك اشتياقا أية سلكوا

فالروى الكاف والواو صلة .

ومما صلته الألف قول زهير أيضا :

إن الخليط أجدّ البين فانفرقا ... وعلق القلب من أسماء ما علقا

فالروى القاف والألف صلة .

ومما صلته الياء قول عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمى ... وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

فالروى الميم والياء صلة .

(١) ومما صلته الهاء قول لبيد :

نحن بنو أم البنين الأربعه ... الضاربون الهام تحت الخيضعه

فالعين روى والهاء صلة .

(٢) يعنى أنه لا يكون حرفا واحدا كالروى .

ألا يا ديارَ الحيِّ بالأَخضرِ آسْـلمِى وليس على الأَيام والدَّهـــرِ سالِمُ

فألف « سالم » تأسيس، واللام دخيل، والميم روىّ .

وألف التأسيس على ضربين :

(١) أحدهما : أن تكون هي والروىّ من نفس الكلمة ، كألف « عالم » و « مالك » .

أو يكون الروىّ ضميرا مُتصلا فيجرى مجرى حرف الكلمة الأصيلة، كالكاف فى « دارك » و « غلامك » .

(٢) والآخر : أن تكون الألف من كلمة والروىّ من كلمة أخرى .

⁂

فإذا إختلف الروىّ والتأسيس وكانا من كلمتين ، فإن الثانية التى فيها الروىّ لا تخلو من أحد أمرين :

(١) إما أن تكون مُضمرا مُنفصلا، مثل : هما، وهو، وهى .

(٢) وإما أن تكون مبنيّة من ضمير متصل وحرف .

ا ـــ فالأول كقول زُهير :

فأين الذين يحضُرون جِفانَه إذا وُضِعت ألقَوْا عليها المراسِيَا

ثم قال :

رأيتهمُ لم يَدفعوا[(١)] بنُفوسهم منيّته لمّا رأَوا أنها هِيَا

فألف « أنها » تأسيس، والهاء من « هى » دخيل، « والياء » روىّ .

(١) فى الديوان : « لم يشركوا » .

ب — والثانى كقول زهير أيضا :

بدا لِىَ أنَّ الله حقٌّ فزادنى ... إلى الحَق تَقوى الله ما قد بدا لِيَا

وفى القصيدة : « جائيا » و « ناجيا » .

و إذا كان التأسيس مُنفصلا جاز أن تُجعل لغوا . فلو بَنَيت قصيدة قوافيها « معطيا » و « موليا » . ثم جاء فيها « بدا ليا » لكان ذلك عند أهل العلم جائزا، وذلك قليل فى الاستعمال . وكذلك لو بنيت أخرى قوافيها « منعما » و « مكرما » لجاز أن يجىء فيها « كما هما » على أن تجعل الألف فى « كما » لغوا . فإذا كانت الألف فى كلمة و بعدها كلمة، ليست كما تقدّم ذكره، فإنها لا تجعل تأسيسا ، كما قال العَجّاج :

فهنّ يعكُفْن به إذا حَجَا ... عَكْفَ النَّبِيط يَلعبون الفَنْزَجَا(١)

فألف « إذا » ليست ألف تأسيس ، لأنّ « حَجا » ليست كلمةً مضمرة ولا فيها حرف إضمار .

فهذا رأى المتقدّمين . ولا يَمتنع فى حُكم الغَريزة أن تكون الألف تأسيسا ، و بعدها كلمة ليس فيها إضمار ، مثل : « شِم » و « طر » .

ومن الأبيات الموضوعات للمعانى :

أقول لعبد الله لمّا سِقاؤنا ... ونحن بوادِى عبدَ شمس وهاشِمِ

فهذا ألغز قوله « وهْى شِمِ » ، و « وهى » ، من الوَهْى؛ و « شِم » من شَيْم البرق ، عن قوله « وهاشم » إذا كان « هاشم » اسم رجل . فلو جاءت بعد ذلك

---

(١) الفنزج : الزوان . قال ابن منظور : وقيل : هو اللعب الذى يقال له : الدستبند ، يعنى به رقص المجوس . وقال الجوهرى : هو رقص العجم إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون ، وعن ابن الأعرابى ، أن الفنزج هو لعب النبيط إذا بطروا .

« الخضارم » و « الأكارم » و « دائم » ونحوها لكان عندي غيرَ قبيح، ويقوّيه أن شين « شم » مكسورة .

والغالب على ألفات التأسيس أن يكون ما بعدها مكسورا ، فقد أُلِف فيها هذا النوع حتى صار كأنه لازم، وقلّما تُوجد قصيدة مؤسَّسة يكون مابعد تأسيسها مضموما أو مفتوحا ، إلا أن تكون قد بُنيت على المُضمر، مثل قولك « رآهما » و « أتاهما » كما قال :

ألم تَرَ أنِّى وابنَ أسودَ ليلةً لَنَسْرِى إلى نارَيْن يبدُو سَناهُمَا

ومن عاداتهم إذا بنَوْا القصيدة على هذا القَرِى[1] أن يلزموا فيها المُضمر، إلا أن يشذّ شيء فيجيء على غير الإضمار، أو تكونَ القصيدة المؤسَّسة التى بعد تأسيسها فتحة مبنيّة على كاف إضمار ، مثلَ أن تُبنى على « أصابك » و « أشابك » ونحو ذلك .

والتأسيس له ثلاث منازل :

فالأولى : أن يكون بينه وبين انقضاء البيت حرفان، وذلك فى الشعر المقيَّد ، كقوله :

نَهْنِهْ دُموعَك إنّ مَنْ يَبكى من الحَدَثانِ عاجِزْ

والثانية : أن يكون بين التأسيس وبين انقضاء البيت ثلاثةُ أحرف ، وذلك فى الشعر المُطلق الذى لا يلزمه خُروج، كقوله :

يُديروننى عن سَالِمٍ وأُديرهم وجِلدة بين العَينِ والأنفِ سالِمُ[2]

---

(١) القرى : السنن والنهج . قال ابن الأعرابى : تنح عن سنن الطريق وقريه وقرقه ، بمعنى واحد .

(٢) البيت لعبد الله بن عمر فى ابنه سالم . ويروى : « وأريغهم » مكان « وأديرهم » . ويقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » . جعل ابنه لمحبته إياه بمنزلة هذه الجلدة .

فألف « سالم » تأسيس، واللام دَخيل ، والميم روىّ ، والواو التى بعد الميم وصل .

والثالثة : أن يكون بين حرف التأسيس و بين آنقضاء البيت أربعة أحرف، وذلك فى الشعر الذى يلزمه الخُروج، كقوله :

يُوشك مَنْ فَرّ مِن مَنِيّته ... فى بَعض غِرّاته يُوافقها (١)

* * *

وأما الرِّدف فألف، أو واو، أو ياء، ساكنتان تكونان قبل الروىّ، ولا حاجز بينهنّ و بينه .

فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا مفتوحا .

وأمّا الواو والياء فيجوز أن تختلف حركاتُ ما قبلهما، وهما فى ذلك رِدفان .

وللرِّدف ثلاثُ منازل :

(١) إما أن يكون بينه و بين آنقضاء البيت حرفٌ واحد ، وذلك فى الشعر المقيّد، كقول طَرَفة :

وجاملٍ خَوّع مِن نِيبِه ... زَجْرُ المُعَلِّى أُصُلًا والمَنِيحْ (٢)

فاليـاء فى « المنيح » رِدف .

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت .

(٢) الجامل : الجمال . وقيل : هى قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها ؛ كالبقر، والباقر . قال الحطيئة :

فإن تك ذا مال كثير فإنهم ... لهم جامل ما يهدأ الليل سامره

أراد بالسامر : الرعاة لكثرتهم لا ينامون . وقيل : الجامل : جماعة من الإبل ، تقع على الذكور والإناث ، فإذا قلت : الجمال والجمالة ، فهى الذكور خاصة . وروى أبو الهيثم عن أعرابى أن الجامل الحى العظيم ، وأنكر أن يكون الجامل الجمال ، وأنشد :

* وجامل حوم يروخ عكره * =

وكذلك الواو فى قول الراجز (١) :

هَل تعرفُ الدارَ بأعلَى ذى القُور　　قد دَرَستْ غيرَ رَمادٍ مَكْفُورْ (٢)

فالواو فى « قـور » و « مكفور » ردف ، وليس بعدهما من بناء البيت إلّا حرف واحد .

وكذلك يجوز أن تقع ما قبلى اليـاء والواو الفتحة فى الشعر المقيّـد . فالواو كقول الراجز :

مالكَ لا تَنْبــح يا كَلْبَ الدَّومْ (٣)　　بعد هُدوء الحىّ أصواتَ القَوْمْ

* قد كنتَ نبّاحا فمـا لك اليَوْمْ *

= ثم قال : ولم يصنع الأعرابى شيئا فى إنكاره أن الجامل : الجمال . وقال الأزهرى : وأما قـول طرفة :

وجامل ... (البيت)

فإنه دل على أن الجامل يجمع الجمال والروق ، لأن النيب إناث ، واحدتها ناب .

وخوع : نقص ، لازم ومتعد ، والمراد هنا على الثانى . ويروى : « وخوف » والمعنى واحد ، كما يروى « من بته » مكان « من نيبه » أى من نسله . . المعلى ، بفتح اللام : القدح السابع فى الميسر ، وهو أفضلها ، إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور . والمنيح : القدح المستعار ؛ وقيل : هو الثامن من قداح الميسر . وقال اللحيانى : هو الثالث من القداح الغفل التى ليست لها فرض ولا أنصباء ولا عليها غرم ، وإنما تثقل بها القداح كراهية التهمة ، وهى أربعة : المصدر ، ثم المضعف ، ثم المنيح ، ثم السفيح .

ويروى بيت طرفة أيضا « بالسفيح » مكان « والمنيح » . يعنى ما يجر فى الميسر منها .

(١) هو منظور بن مرثد الأسدى .

(٢) كذا فى اللسان « قور » . والقور : جمع قارة ، وتجمع أيضا على قار وقيران . وهى الصخرة السوداء ، وقيل : العظيمة أصغر من الجبل . كما قيل : هى الجبيل الصغير الأسود المنفرد شبه الأكمة . وقـوله : بأعلى ذى القور ، أى بأعلى المكان الذى بالقور . « ودرست ... الخ » أى قد درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفره .

(٣) الدوم : شجر المقل ، وهو من ضخام الشجر ، الواحدة دومة . وقال أبو حنيفة : الدومة تعبل وتسمو ، ولها خوص كخوص النخل وتخـرج أقناء كأقناء النخلة . وقال أبو زياد الأعرابى : إن من العرب من يسمى النبق دوما . وقال ابن الأعرابى : الدوم : ضخام الشجر ما كان ، ومنه قول الشاعر :

زجرنا الهم تحت ظـلال دوم　　ونقسبن العوارض بالعيون

والياء ، كقول الآخر :

يَمنعها شيخٌ بخدّيه الشَّيْبْ لا يَحذر الرَّيب إذا خِيف الرَّيْبْ

والألف فى المقيد ، كقوله :

ما هاج حسّانَ رسومُ المَقامْ ومَظعن الحىّ ومَبنى الخِيامْ

(٢) وإما أن يكون بين الرِّدف وبين انقضاء البيت حرفان ، وذلك فى الشعر المُطلق الذى لا خروج له ، كقوله :

تَقُوه أيّها الفِتيان إنّى رأيتُ الله قد غَلب الجُدودا (١)

وكقوله فى الواو المفتوح ما قبلها :

ومَشْيهنّ بالخَبِيب مَوْرُ كما تَهادى الفتياتُ الزُّوْرُ (٢)

وكقوله فى الألف :

* أقِلِّى اللومَ عاذِلَ والعِتابا (٣) *

وكقوله فى الياء المكسور ما قبلها :

* يَبْصبصْن بالأذناب إذ حُدِينا (٤) *

---

(١) تقاه يتقيه ، مثل اتقاه يتقيه . وتقول فى الأمر : تق ، وللمرأة تقى . قال عبد الله ابن همام السلولى :

زيادتنا نعمان لا تنسينها تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

(٢) الخبيب : جمع خبيبة ، ومن الرمل كهيئة الفالق والطريقة ، غير أنها أوسع وأشد انتشارا وليست لها جرفة . وقيل : الخبيب والخبيبة ، واحد : بطن الوادى والخد فى الأرض . والمور : الذهاب والمجىء فى تردّد . والزور : الذى يزورك ، رجل زور ، وقوم زور ، وامرأة زور ، ونساء زور ، يكون للواحد والجميع ، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ؛ لأنه مصدر . وروى ابن منظور البيت مادة زور .

« ومشيهن بالكثيب ... »

(٣) البيت لجرير — وعجزه : « وقولى إن أصبت لقد أصابا » .

(٤) البصبصة : تحريك الذنب . قال الأصمعى : ومن أمثالهم : فى فرار الجبان وخضوعه :

* بصبصن إذ حدين بالأذناب *

وكقوله فى اليـاء المفتوح ما قبلها :

* أيا سَحاب طَرِّقى بخَـيْر (١) *

(٣) و إما أن يكون بينه و بين انقضاء البيت ثلاثة أحرف، وذلك فى الشعر الذى له خُروج ، ولا بُدّ قبل خروجه من الهـاء المتحركة ، كقول كُثيِّر :

فلم تُبْدِ لى يأسًا ففى اليأس راحةٌ ولم تُبـدِ لى جُودًا فينفعَ جُودُها

* * *

ويجوز أن يكون الرِّدف والروىّ من كلمة واحدة ، و يجوز أن يكونا من كلمتين ، لا اختلاف فى ذلك بين المتكلمين فى هذه الأشياء .

فكونهما من كلمة واحدة ، كقول الراجز :

إنّ القُبور تُنْكِح الأَيامى (٢) يُثْكِل الأَصاغِرْ اليَتامى

* والمـرء لا يبقى له سُلامى (٣) *

فالألف الأولى فى « الأيامى » و « اليتامى » و « السـلامى » ردف ، والميم روىّ ، والألف الثانية ، التى هى فى اللفظ ألف ــ و بعض الكُتّاب يصوّرها ياء ــ تكون فى هذا الشعر وصلا ، و يجوز أن تجىء معها بمثل قولك : «إذا ما» و «على ما» فيكون الرِّدف والروىّ من كلمتين ، ولا يمتنع أن يكون معها « سـلاما »

(١) سحاب : مرخم « سحابة » اسم امرأة . وتطريق المرأة وكل حامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب ، فيقال : طرقت ثم خلصت ، ومنه فى الداهية :

* قد طرقت ببكرها أم طبق *

(٢) الإنكاح : التزويج .

(٣) السلامى : جمع سلامية ، وهى الأنملة من الأصابع ، وقيل : واحده و جمعه سواء ، وقيل : السلامى : كل عظم مجوف .

و«غلاما» فتكون ألف الوصل بدلا من التنوين، والتنوين ليس من نفس البِنية . قال بِشْر بن أبى خازم :

فسَعدًا فسائلْهم والرِّبابَ وسائلْ هَوازِنَ عنّا إذامَا
لقِيناهُمُ كيف نُعليهمُ بَواتِرَ يَفْرِين بيضًا وهاما

وكذلك يجوز فى المرفوعات أن تجىء بقافية على قولك « يادو » أى يختل ، وتكون الهمزة مخففة لتكون رِدفا ، ثم تقول : « ألاَ دُوا » ، تريد : « دُوا » من الدية . ثم يجوز مع ذلك « يعاد » من العيادة ، على أن تُلحقه واوَ الترنم .

* * *

والوصل يكون واوا أو ياء أو ألفا أو هاء .

فالياء والواو والألف لهنّ منزلة واحدة : يكنّ فى آخر البيت ، وطالما حُذفن فى الوقف .

فالواو كقول الشاعر[1] :

أرى كُلّ قوم قاربُوا قَيْدَ فَحْلِهم ونحنُ خَلعنا قَيدَه فهو سارِبُ[2]

والياء ، كقوله :

إذا قلتُ يا قد حَلّ دَيْنى قَضَيْتَنى أمانىَّ عند الزّاهِرات العَواتِمِ[3]

(١) هو الأخنس بن شهاب التغلبى .

(٢) السارب : الذى اتجه للرعى . وقال الأصمعى فى هذا البيت : هذا مثل ، يريد أن الناس أقاموا فى موضع واحد لا يجترئون على النقلة إلى غيره . وقاربوا قيد فحلهم ، أى حبسوا فحلهم عن أن يتقدم ، فتتبعه إبلهم ، خوفا أن يغار عليها . ونحن أعزاء نقترى الأرض نذهب فيها حيث شئنا ، فنحن قد خلعنا قيد فحلنا ليذهب حيث شاء، فحيثما نزع إلى غيث تبعناه .

(٣) الزاهرات العواتم ، هى نجوم الشتاء ، التى تظلم من الغبرة التى فى السماء ، وذلك فى الجدب . أى إنه غير موفى دينه إذ كان الجدب أجله .

والألف ، كقول لَبيد :

لعِبتُ على أكتافهــم وحُجورهم ... وَليــدًا وسَمَّونى مُفِيدًا وعاصِما

والهاء، إذا كانت ساكنة فمنزلتها كمنزلة هذه الحروف؛ وذلك كقول جرير :

لنــا كُلُّ مَشبوبٍ يُروِّى بكَفِّهِ ... غِرارًا سِــنانٍ ذَيْلَمِىٍّ وعامِــلُهْ (١)

فالهــاء وَصل .

* * *

وإذا كان الوصل متحرِّكا فبينه وبين انقضاء البيت حرفٌ ساكن، وهو الذى يسمَّى الخُروج ، يكون : واوا ، أو ياء ، أو ألفا .

فالواو : كقول الشاعر :

يَــنْزُو عليهــا بَحْــزَجٌ لَقِحتْ ... مِنــه وشرُّ الخَــلق بَحْزَجُهْ (٢)

والياء ، كقول أبى النَّجم :

فَانقضَّ مثلَ النَّجم من سَمائِهِ ... رَجْــمَ به الشيطان فى ظَلمــائه

والألف ، كقول عَدِىّ :

لم أرَ مِثْــل الفِتْيان فى غِــيَرِ الـ ... ـأيَّام يَدْرُون ما عَواقِبُهــا

ولا يكون الخروج آخر حرف فى البيت .

* * *

فهذه خمسة أحرف لهن آثنتا عشرة منزلة : للروىّ ثلاث، وللتأسيس ثلاث، وللردف ثلاث ، وللوصل آثنتان ، وللخروج واحدة .

---

(١) رجل مشبوب : جميل حسن الوجه . وقيل : هو الذكى الفؤاد الشهم . وغرار السنان : حده . وفى الديوان : « جناحا سنان » . وعوامل السنان : صدره .

(٢) البحزج ، من الناس : القصير العظيم البطن .

فإذا جاء بيت مؤسّس و بيت غير مؤسّس فذلكَ عيب ، يزعمون أنه يُسمى « السناد » ، وهو قليل . وقد زعموا أن العجاج قال :

يا دار سَلْمى يا آسلمى ثم آسلمِى بِسَمْسَمٍ أو عَن يمين سَمْسَمِ (١)

وقال فيها :

* نخِندف هامةُ هذا العالم *

ورَوَوْا أن رُؤْبةَ كان يَعيب هذا من كلام أبيه . وحَكى يونس أن العجاج كان يهمز « العالم » ، فإن صَحّ هذا فلا سِنَادَ فى البيت .

و يحسُن مِن السّناد، الذى يجىء فى المُطلق المؤسّس، أن تكون حركةُ الدّخيل فتحةً ، لأنه يقرُب بذلك من المُجرّد .

والمجرّد : الذى لا يلزمه إلا الرّوِيّ والوَصل ، إذا كان مُطلقا ، والرّوِىّ وحدَه ، إذا كان مقيّدا .

وفى مجىء الفَتحة بعد التأسيس ما يُخرج السامعَ عن العادة، لأنّ أكثر ما أُسّس من أشعار العرب إنما يكون بعد ألفه كسرة، كـ « حامل » و « راسم » .

وفى قصيدة العجّاج :

* مُكرّمٍ للأنبياء خاتَمِ *

فإن رُوِى بكسر التاء فهو أشنع ، و إن رُوِى بفتحها فهو أسهل ، و إن هُمز فقد خرج من عِلّة السّناد .

(١) سمسم : اسم موضع . وخندف : امرأة إلياس بن مضر بن نزار . واسمها : ليلى . و إليها نسب ولد إلياس .

وإذا جاء بيتٌ بردْفٍ وبيتٌ لا ردْفَ فيه، فذلك سِناد أيضا، مثلَ أن يجىء «الصَّرف» مع «الطَّوف»، و«القَيل» مع «القَول».

وقد رُوى أنّ الحُطيئة قال:

إلى الرُّوم والأُحبوش حتى تَناوَلا ... بأيديهما مالَ المَـرازِبةِ الغُلْفِ (١)
وبالطَّوف نالا خيرَ ما ناله الفتى ... وما المَـرءُ إلا بالتقلُّب والطَّوفِ (٢)

فجاء بـ«الطَّوف» مع «الغُلف». وإنما يَستعملون هذا في الواو التي قبلها فتحة، أو الياء التي ما قبلها مَفتوح أيضا. فإذا آنضمّ ما قبل الواو وآنكسر ما قبل الياء كَمَل فيهما اللِّين. وآستقبحوا أن يَجيئوا بهما مع الحُروف المُصمتة، مثلَ أن يَجيئوا بـ«عُود» مع «جُند» و«زند»، أو بـ«عِير» مع «سِتر» و«فِتر».

فأمّا الأبيات التي تُنسب إلى الكاهنة التي لها حَديث مع عبد الله بن عبد المطلب، أعني قولها:

إني رأيتُ غَمـامةً بَرقتْ ... بيضاءَ بين حَنـاتم القَطْرِ (٣)
وظَننتُـه شَرَفًا لصـاحِبِه ... ما كُلُّ قادِحِ زَنْدِه يُورِى (٤)

فإن «الواو» قَويت لأنّ بعد «الراء» ياء أصليّة يجوز أن تُجعل رويّا، ولا يمتنع أن تكون لغـةُ الكاهنة الهمز، على لُغـة من قال «مُؤسى» فهمز الواو لمجاورة الضمة، كما يهمزها إذا كانت الضمة فيها موجودة.

(١) الأحبوش: كأنه واحد الأحابيش، ذلك الجنس المعروف. والمرازبة: جمع مرزبان، بضم الزاى، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك. وفى الحديث: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم. والغلف: جمع أغلف، وهو الذى لم تقطع غرلته، أى لم يختتن.

(٢) الطوف: المصدر من طاف يطوف، إذا جال وسعى.

(٣) الحناتم: سحائب سود، الواحدة: حنتمة.

(٤) يورى: يوقد.

وقد يجوز أن تكون من باب السِّناد، فإن صحّ فهو أشنعُ ما يكون .

* * *

وإذا اختلف الروىّ فكان مرةً دالًا، ومرةً ذالًا، أو سينا، أو شينا، أو نحو ذلك من الحروف المُتقاربة، فهو الذى يُسمى الإكفاء . قال الراجز :

قد عَلِمتْ بِيضٌ يَمِسْنَ مَيْسَا   ألّا أزالَ قُفّــةً وريشا[1]

* حـتى قتلتُ بالكريم جَيْشا *

* * *

وأما الوَصل فإذا اختَلف، فكان مرةً واوا، ومرةً ياء، فذلك الإقواء .

وأمّا هاء الوصــل إذا كانت ساكنة فإنها لا تَحتمل أن تُغــيَّر، وإذا كانت مُتحرِّكة فقلّمَا يلحقها التّغيير .

وزعم أبو عُمر الجَرمىّ[2] أنه لم يَسمعه، وإن جاء فهو نَحو الإقواء .

* * *

وأما الخُروج فتغيُّره متعلّق بتغيُّر هاء الوصل، لأنه لا يُوجد إلا وهى متحركة، فإن جاء فهو نحو الإقواء .

---

(١) القفة : الشيخ الكبير القصير القليل اللحم .

(٢) هو أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمى البصرى . مولى جرم بن زبان . كان فقيها عالما بالنحو واللغة . وله من الكتب : التنبيه، والسير العجيب، والأبنية، وكتاب العروض، وغيرها . مات سنة ٢٢٥ھ . (إنباه الرواة ٨٠ — ٨٣، بغية الوعاة ٢٦٨) .

* * *

وأمّا الحركات فمنها : « الرَّس » . وهى فَتحة ما قبل التأسيس . وقد ذكرها الخليل[١]، وابن مسعدة[٢] .

وكان الجَرمىُّ يقول : لا حاجة إلى ذكر الرَّس، لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مَفتوحا . وهذا قول حَسن، إذ كانوا إنما أوقعوا التَّسمية على ماتلزم إعادتُه، فإذا فُقِد أَخلّ . وهذه حركة لا يجوز عندهم أن تكون غيرَ الفتحة ، ولا حاجة إلى ذكرها فيما يلزم .

* * *

ومن الحركات : « الإشباع » . وهو حَركة الحَرف الذى بين ألف التأسيس وحرف الروىّ فى الشعر المُطلق، وذلك الحرف يسمى « الدَّخيل » .

ويقال : إن الخليل لم يذكر الإشباع، وإن سعيد بن مَسعدة ذكره ، فيجوز أن يكون آسما وَضعه ، ويجوز أن يكون تلقّاه عمّن قبله من أهل العلم .

وقد رُئِى فى القوافى كتابٌ للفرّاء[٣]، وكتاب لخَلَف بن حيّان[٤]، فإن لم يَخلُوا من ذكر الإشباع فهذا يدُل على أن سعيد بن مَسعدة أخذ هذا الآسم عن غيره، إذ كان

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدى الأزدى . من أئمة اللغة والأدب . وهو واضع علم العروض . ومن كتبه : العين : ومعانى الحروف ، والعروض . مات سنة ١٧٠ هـ (وفيات الأعيان ١ : ٣٠٧) .

(٢) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى ، الأخفش الأوسط . نحوى لغوىّ أديب . ومن كتبه : معانى القرآن ، معانى الشعر ، كتاب الملوك . وهو الذى زاد فى العروض بحر الخبب . مات سنة ٢١٥ هـ (وفيات الأعيان ١ : ٣٧١) .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمى الفراء ؛ إمام العربية . مات سنة ٢٠٧ هـ (بغية الوعاة ٤١١ — ٤١٢ ، وفيات الأعيان ٣ : ١٩٤ — ١٩٨) .

(٤) هو أبو محرز خلف الأحمر بن حيان البصرى . مولى بلال بن أبى بردة . كان عالما بالشعر . مات فى حدود الثمانين ومائة . (بغية الوعاة ٢٤٢ ، وإنباه الرواة ١ : ٣٤٨ — ٣٥٠) .

هذان الرجلان فى القِدَم نظيرَه . ويجب أن يكون « خلف » مات قبله بمدة طويلة ، فأمّا موته وموت « الفرّاء » فمتقاربان . وهذه الأسماء الموضوعة لا يَعقِل مثلَها سُكّانُ العَمَد . فإن كانت تُلُقِّيت عن العَرب فيجب أن يكون من أُخِذ عنه يَعرف حُروف المُعجم ، و يقرأ الصُّحف . وقد كان فيهم رجال يقرءون و يكتبون ، و يَعرفون مواقع الحروف .

وقد ذكر أبو عُبيد القاسمُ بن سَلّام[(1)] فى « المُصنَّف[(2)] » بابا للقوافى ، وأسند بعضَ ألقابها عن الشيوخ . فهذا يدُل على أنه كانَ يعتقد أنها مأخوذة عن العرب كما تُؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمرُ على ما ذهب إليه فَيحقّ أن يكون المأخوذ عنه مُتميزا من الطَّغام[(3)] ، لا يَجهل منزلةَ الميم من النُّون ، ولا الباء من الفاء .

وقد توسّع الذين وضعوا كُتب القوافى فى الإشباع حتى جعلوه حركةَ ما قبل الروىّ فى الشعر المُطلق ، و إن كان غير مؤسَّس ، فقالوا فى قَول الأَخطل :

عَفا واسطٌ من آل رَضوى فَنَبْتَلُ ... فمُجْتَمع الحُرَّين فالصَّبرُ أَجْمَلُ[(4)]

فتحة التاء فى « نَبْتل » ، والميم فى « أجمل » إشباع . ولا يحسن أن يكون الأمر كذلك ، لأن هذه الحركة ليست لازمة ، ولا يُنكر تغيُّرَها السَّمعُ ، و إنما تنكر الغريزة تغيُّرَ حركة الدَّخيل ، و إذا أصابها التغيُّر فهو سِناد .

(١) كان أبو عبيد القاسم بن سلام من أئمة اللغة . ومن كتبه : الغريب المصنف ، غريب القرآن ، غريب الحديث ، وغيرها . مات بمكة سنة ٢٢٤ هـ . (بغية الوعاة ٣٧٦ — ٣٧٧ ، إنباه الرواه ٣ : ١٢ — ٢٣) .

(٢) يريد كتابه « الغريب المصنف » فى اللغة . ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية . وقد ذكره ابن فارس فى مقدمته على كتابه « مقاييس اللغة » باسم « مصنف الغريب » .

(٣) الطغام : أرذال الناس وأوغادهم .

(٤) واسط : قرية بالخابور . ورضوى ونبتل : موضعان بالشام . والحران : واديان .

وأكثر ما جاءت حركة الدّخيل كسرة، فإذا جاءت الضـــمة أو الفتحة فذلك هو المكروه ، والضمةُ مع الكَسرة أيسر؛ لأنهما أُختان ، والفتحة معهما أشنع . ويدلُّك على ذلك أنّ مَجيئهم بالضمة مع الكسرة أكثرُ من مجيئهم بالفتحة مع إحدى الحركتين . وقد جاء النابغةُ بالضمة مع الكسرة، فى غير موضع من شعره ، فقال فى العَينية :

* يُرِدْنَ أَلالًا(١) سيرُهن تَدَافُعُ *

فضمّ الفـاء ، وحركة الدّخيل مكسورة فى كُل أبيات القَصيدة ، سوى هـذا البيت . وقال فى اللامية التى أوّلها :

« دَعاكَ الهَوى وٱستجهلتْك المَنـازِلُ ... وكيف تَصابِى المَرءِ والشيبُ شامِلُ » :
سُجودًا له غَسّانُ يَرْجون فَضْـلَه ... وتُرْكٌ ورَهْـط الأَعْجمِيـن وكابُلُ

وقال أيضا فى أخرى :

لقد قلتُ للنُّعمان لمّـا رأيتُـه ... يُريد بنى حُنٍّ بِبُرْقـةِ صادرِ(٢)
تجنَّب بنى حُنٍّ فإنّ لقاءَهم ... كَرِيه وإنْ لم تَلقَ إلّا بصَابرِ

ثم قال فيها :

هُمُ منعوها من قَضاعَة كُلِّها ... ومن مُضَرَ الحمْراءِ عند التَّغاوُرِ(٣)

---

(١) ألال ، بفتح الهمزة وكسرها : جبـل بعرفات . وقيل : هـو جبل عرفة نفسه . والرواية فى معجم البلدان فى رسم « ألال » واللسان « أل » : « يزرن ألالا » .

(٢) بنوحن : بطن من بنى عذرة . وصادر : من قرى اليمـن . والرواية فى معجم ما اسـتعجم : « ببرقة صادر » . قال البكرى : وصادر : موضع تنسب إليه برقة .

(٣) قيل لمضر : الحمراء، كما قيل لربيعة : الفرس؛ لأنهما لما اقتسما الميراث أعطى مضر الذهب، وهو يؤنث؛ وأعطى ربيعة الخيل . وقيل : لأن شعار مضر فى الحرب كان العمائم والرايات الحمر .

وقال الهذلى :

لَعَمْرُ أبى عَمرٍو لقد ساقَه المَنَى ... إلى جَدَث يُوزَى له بالأَهاضِبِ (١)

وقال فيها :

فلم يَرَها الفَرْخانِ بعد مَسائِها ... ولَم يَهدآ فى عُشِّها من تَجاوُبِ

وهو كثير . والفتحة فى مثل هذا النحو أقلّ .

وقد زعموا أن وَرقاء بن زُهير قال :

دَعانى زُهيرٌ تحت كَلْكلِ خالدٍ ... فجئتُ إليه كالعَجُولِ أُبادِرُ (٢)

إلى بَطَلَيْنِ يَنهضانِ كِلَاهُما ... يُحاوِل نَصْلَ السَّيفِ والنَّصلُ نادِر (٣)

فشَلَّت يَمينى يومَ أضرِب خالدًا ... ويَمنعه منّى الحَديدُ المُظاهَر (٤)

وقد جاءت أشياء من هذا النّحو ، إلا أنها أقلُّ من النّوع الأوّل .

ومن الحركات : « الحَذْو » ، وهو حركة ما قبل الرِّدف .

***

فإذا كان ألفا ، فالألف لا يكون ما قبلها إلّا مفتوحا . ويلزم أبا عُمر الجَرْمى ألّا يجعل [حركة ما قبل] الألف حذْوا ، كما لم يجعل [حركة ما قبل] التأسيس رسًّا .

وإذا كان الرِّدف واوًا فأكثر ما استُعمل ما قبله [مَضموما . وإذا كان ياء فأكثر ما استُعمل ما قبله] مكسورا .

(١) المنى : القدر . ويوزى : ينصب . تقول : أوزيت الشىء ، إذا أشخصته ونصبته . والرواية فى بعض الأصول : « الى قدر يوزى » .

(٢) الكلكل : الصدر ، وخالد ، هو ابن جعفر ، الذى قتل زهيرا ، سيد بنى عبس .

(٣) نادر : ساقط .

(٤) عنى بالحديد هنا : الدرع ، فسمى النوع الذى هو الدرع ، باسم الجنس الذى هو الحديد . والمظاهر ، من التظاهر . وهو أن يلبس الرجل إحدى الدرعين فوق الأخرى .

ويجوز أن تجىء الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها، ولا يَجتنب ذلك أحدٌ منهم؛ قال عَمرو بن كُلثوم :

أَلا هُبِّى بِصَحْنِـكِ فَٱصبَحِينا   ولا تُبقِى خُمـورَ الأَنْدرِينـا (١)

ثم قال فيها :

ذِرَاعَىْ عَيْطَـلٍ أَدْماءَ بِـكْرٍ   تَـربَّعت الأَجَارِع والمُتونا (٢)

وجاء بالواو فى غير مَوضـع من القَصيدة، والياءُ عليها أغلب. وقال الجُمَيح الأَسدىّ :

أمّا إذَا حَردتْ حَردى فُمجَـرِيةٌ   ضَبطاءُ تَمنع غِيـلًا غيرَ مَقْـروبِ (٣)

---

(١) الصحن : القدح، لا بالكبير ولا بالصغير. والجمع أصحن، وصحان. وقال ابن الأعرابى : أوّل الأقداح الغمر، وهو الذى لا يروى الواحد؛ ثم القعب، يروى الرجل؛ ثم العس، يروى الرفد؛ ثم الصحن، ثم التبن. واصبحينا : اسقينا الصبوح، وهو ما يشرب بالغداة مما دون القائلة. وأندرين : قرية فى جنوبى حلب، بينهما مسيرة يوم للراكب فى طرف البرية ليس بعدها عمارة. قال ياقوت : وهى الآن خراب ليس بها إلا بقية الجدران، وإياها عنى عمرو بن كلثوم بقوله، ثم ذكر البيت، وقال : وهذا مما لا شك فيه. وقـد سألت عنه أهل المعرفة من أهل حلب فكل وافق عليه. وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية، وألجأتهم الحيرة إلى أن شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضروب من الشرح.

(٢) ذراعى : مفعول للفعـل « تريك » فى بيت سابق. والعيطل : الطويلة، يريد ظبيـة. وقيل هى الطويلة العنق. والأدماء : البيضاء. والبكر : التى لم تلد : وقيل : التى ولدت ولدا واحدا. وتربعت : رعت نبت الربيع. والأجارع : جمع أجرع وجرعاء، وهو من الرمل ما لم يبلغ أن يكون جبلا. والمتون : جمع متن، وهو ما غلظ من الأرض.

(٣) حردت حردى : قصدت قصدى. والمجرية : ذات الجراء، وهو جمع جرو. وضبطاء : مؤنث أضـبط، وهو الذى يعمـل بيساره كما يعمـل بيمينه. والرواية فى المفضليات : « جرداء ». والجرداء : المتساقطة الشعر. والغيل : الأجمة والشجر الملتف. شبه امرأته إذا رابته باللبؤة التى تمنع غيلها وفيه جراؤها فلا يقربه أحد، وهى حين تكون ذات جراء أشرس وأقوى.

وإن يَكُن حادثٌ يُخْشَى فذو عِلَقٍ تَظَلُّ تَزْبُرُه من خَشْيةِ الذِّيبِ[1]

فضمة راء « مَقْروب » حَذْو ، وكذلك كسرة ذال « ذِيب » ، ومثل هـذا كثيرٌ موجود لا يُهجر ولا يُعاب .

وإذا انفتح ما قبل «الواو» حسُن عندهم أن تجيء مع الياء المفتوح ما قبلها ، ولم يَرَوا ذلك عَيبا ، كما قال بعضُ اللُّصوص :

أفلْى علىَّ اللَّـومَ ساحِبـةَ الذَّيلِ فلا بُدَّ أن تُسْتَطرد الخيلُ بالخَيلِ

ثم قال فيها :

أُصدِّق وَعدِى والوعيـدَ كليهما ولا خيرَ فيمن لايُرى صادقَ القَولِ

ولم يُفَرِّقوا بين المقيّد والمُطَلق فى مجيء الواو المَضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها ، واليـاء التى قبلها فتحة مع الواو التى ما قبلها مفتوح .

وأنا أفرِّق بين المُطلق والمُقيَّد ، وأعدُّه فى المُقيَّد أشـدّ ؛ لأنّ الرَّوىّ لا يكون بعده ما يُعتمد عليه .

قال الراجز فى الواو المضموم ما قبلها مع اليـاء التى قبلها كَسرة :

إنْ تَشْربى اليومَ بحوضٍ مَكْسُورْ فرُبَّ حَوْضٍ لكِ ملآنَ السُّـورْ

مُـدوَّرٍ تدوَّى يَرعشُّ العصْفُور خَـيرِ حِياضِ الإبـلِ الدعاثِيرْ[2]

فهذا عندى أقبحُ منه إذا استُعمل فى الشعر المُطلق .

---

(١) علق : جمع علقة ، بالكسر ، وهو قميص لا كمين له يتخذ للصغير ، وتزبره : تنتهره وتنهاه وتغلظ له فى القول وتزجره ، جعلها عند الفزع كهذا الصبي تخوفه الذيب فينكمش و يزدجر .

(٢) الدعاثير : ما تهدم من الحياض والجوابى والمراكى ؛ الواحد : دعثور . وقيل : الدعثور : يحفر حفرا ولا يبنى إنما يحفره صاحبه الأوّل يوم وروده .

وقال الراجز فى الفتحة مع الواو والياء، والقافية مقيدة ، فى صفة الحرباء :

مَلْعُونَةٍ تَسْـلَخ عن لَوْنٍ لَوْن كأنّها مُلتفَّــة فى بُرْدَيْنْ

و إذا جاءوا بالضمة والكسرة مع الفتحة فذلك عنــدهم عَيب ، وهو من السِّناد ، ويجب أن يكون فى المُقيّد أشنع . قال عمرو بن مَعدى كَرِب :

تقــولُ ظَعِينتى لمّا رأتْه شَرِيجًا بين مُبيضٍّ وجَـوْنِ(١)

تَراه كالثَّغـام يُعَــلُّ مِسْــكا يَسُــوء الفاليات إذا فَلَيْــنِى(٢)

فهذا لا يُكره ، لأنّ ما قبل الياء والواو فتحة . وقال أيضا فيها :

لصَلْصلةُ اللّجـامِ بَرأس مُهْــرٍ أَحبُّ إلىّ من أنْ تَنْكِحِينى(٣)

فكَسْرة الحاء فى « تنكحينى » سِناد .

وأما الألف فلا يشركها غيرها فى المطلق ولا المقيد .

* * *

ومن الحركات « التّوجيه » ، وهو حركة ما قَبــل الروىّ فى الشــعر المُقيَّد . وكان الخليلُ يرى الضمة مع الكسرة جائزة ، ويُنكر معهما الفتحة ، وزعموا أنه كان

(١) الظعينة : المرأة تكون فى هودجها . ثم كثر ذلك حتى سمــوا زوجة الرجل ظعينة . وقيل : أكثر ما يقال « الظعينة » للمرأة الراكبة . والهــاء فى « رأته » لشعره . وشريجا ، أى قد قسم قسمين . والجون : الأسود .

(٢) الثغام : نبت على شكل الحلى ، من مراتع أهل البادية إلا أنه أشأط منه وأجل عودا ، يكون فى الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس . وقال الأزهرى : هو نبات ذو ساق ، جماحته مثــل هامة الشيخ . وقال أبو عبيد : هو نبت أبيض الثمر والزهر ، يشبه بياض الشيب به . ويعل ، أى يطيب مرة بعــد مرة ، والفاليات : النساء يجــثن الرأس عن القمل . أى إذا بحثت الفاليات رأسى تكشف لهن هــذا الشعر الأبيض الذى ستره المسك بسواده ، فساءهن ذلك . وفلينى ، أراد « فلينى » بنونين ، فحذف إحداهن استثقالا للجمع بينهما . وقال الأخفش : حذفت النون الأخيرة لأن هذه النون وقاية للفعل وليست باسم .

(٣) أى من أن تتزوجينى .

يَجعله من السِّناد . وكان سعيد بن مسعدة (١) لا يرى ذلك عَيبا ، لكثرة ما آستعمله الفُصحاء . قال أبو ذُؤيب :

عَرفتُ الدِّيارَ لأُمِّ الرَّهيـ ـنِ بينَ الظُّباءِ فوادِى العُشَرْ (٢)
أقامتْ به وآبتَنتْ خَيْمةً على قَصَبٍ وفُراتِ النَّهَرْ (٣)

ثم قال فيها :

بِجاءِ وقد قَصَّلته الجَنُو بُ عَذْبَ المَذاقة بُسْرًا خَصِرْ (٤)

ومثلُ هذا كَثير .

ولم يُفَرِّقوا بين المُقيَّد المُجرَّد والمُقيَّد المُؤسَّس ، وهو عندى فى المُؤسَّس أَقبح ، لأنه يَختلف الحرفُ بالحركات بين حَرفين لازمَين . وإذا كان المُقيَّد مُجردًا لم يكن قبل التَّوجيه حرفٌ لازم .

ومن المؤسَّس المُقيَّد الذى آختلفت فيه الحركةُ قولُ الحُطيئة :

هاجتْكَ أظعانٌ لِلَيْـ ـلَى يومَ ناظرةٍ بَواكِرْ (٥)

---

(١) هو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعى البلخى . وقد مرت ترجمته (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٢٢) .

(٢) قال ابن منظور : « رهين والرهين : اسمان » ثم أورد بيت أبى ذؤيب هذا . والظباء ، بالضم : واد بتهامة . وعشر : شعب لهذيل يصب من داءة ، وهو جبل يحجز بين نخلتين .

(٣) الفرات : أشد الماء عذوبة . وهو يعنى به حيث الماء جار كثير فيصفو و يعذب لا راكد قليل فيتغير و يأسن .

(٤) البسر ، بالضم والفتح : الماء الطرى الحديث العهد بالمطر ساعة ينزل من المزن ، والجمع بسار . والخصر : البارد من كل شىء .

(٥) ناظرة : جبل من أعلى الشقيق . وقال ابن دريد : موضع أو جبل . وبواكر : مبكرات .

ثم قال فيها :

الـواهبُ المـائةَ الصَّـفا يا فوقَهـا وَبَرٌ مُظاهرْ[1]

⁂

ومن الحركات «المجرى» وهى حركة حرف الروىّ، فإذا آختلفت فهو الإقواء، وأكثر ما يجىء فى المرفوع والمخفوض . ويقال : إنهم آجترءوا على ذلك ، لأنهم يقفون على الروىّ بالسكون . وإنمـا أجازوا ذلك فى المرفوع والمخفوض، وكرهوا الفتحةَ أن تجىء مع الكسرة أو الضمة . فأمّا الخليلُ وآبنُ مَسعدة فلم يذكراه .

وقـد جاءت أشـياء فى الشعر القـديم بعضُها منصـوب وبعضُها مرفوع أو مخفوض ، وإنمـا يُحمل ذلك على الوَقف ، لأنه يَبعُد أن يقولَ عربىٌّ فصيح له عِلْم بالشعر :

ألم تغتمض عيناك ليـلةَ أَرْمَدَا وبِتَّ كما باتَ السَّـليم مُسَهَّدَا[2]

فيجىء بالألف ثم يجىء ببيت مَرفوع أو مخفوض ، إذ كانت الألف مُنافية للواو واليـاء .

وإذا حُكم بالوقف على القافية فلا فرقَ بين الحركات الثلاث، على أنّ تعاقُب الحركتين : الكسرةِ والضمة، أكثرُ من مُعاقبة الفتحة لإحدى هاتين . وإنمـا يكثُر الإقـواء إذا كان الوصـلُ غيرَ هاء، فأمّا إذا كانت الهـاء بعـد الروىّ ، وكانت مُتحركةً أو ساكنة ، فإنهـم يَلزمون فى الروىّ حالًا واحدة . وقد جاءت أشـياء

---

(١) الصفايا : النوق الكثيرة اللبن ؛ الواحدة : صفى . قال سيبويه : ولا يجمع بالألف والتاء ، لأن الهاء لم تدخله فى حد الإفراد . والوبر المظاهر : الكث ، كأنه طبقة فوق طبقة .

(٢) السليم : اللديغ ، فعيل من السلم ، وهو لدغ الحية . والجمع سلمى ؛ وقيل : هو من السلامة ، وإنمـا ذلك على التفاؤل له بها ، خلافا لما يحذر عليه منه .

فى شعر الإسلاميين على آختلاف الروىّ فى الحركة وبعده الهاء، كقول عِمرانَ الخارجىّ :

الحمــدُ لله الّــذى يعفُو ويَشـتدّ آنتقامُهْ .

وقال فيها :

فهُنـاك مَجـزأة بن ثَـو ر كان أشجعَ من اسَامه[1]

وأشياء نحو هذا كثيرة .

ورُوِى أن أبا عمرو بن العلاء كان يُنشد قول الأعشى :

هذا النهارُ بدا لَهـا مِن همّها ما بالُهـا بالّليل زالَ زوالُهـا[2]

فيرفع اللام من «زوالها» والقصيدة معروفة، و «اللام» فيها كلّها مفتوحة .

*
* *

ومن الحركات : النَّفاذ، وهى حركة الوصل، كقول لَبيد :

* عَفَت الدِّيار محلُّهـا فمُقامها[3] *

وقلّمـا يُغيرون هاء الوصـل، وإن جاء من تغييرها شىء فهو نحو الإقواء .

---

(١) هو مجزأة بن ثور بن زهير بن كعب . ذكر ابن الأثير أن البخارى ذكره فى الصحابة، قال : ولم يثبت . وقال المبرد فى الكامل : جعل له عمر رئاسة بكر، فلما أسن فعل عثمان بن عفان ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة . وقتل رحمه الله على تستر هو والبراء بن مالك، وكانا من أبطال المسلمين . وأسامة : الأسد . وحدث المبرد أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر؟ فقال لها : أو كان ذاك؟ قالت : نعم، قلت — ثم ذكرت البيت — وقالت : أيكون رجل أشجع من أسد؟ فقال لها : ما رأيت أسدا فتح مدينة قط، ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة .

(٢) البيت من قصيدة فى مدح قيس بن معد يكرب، مطلعها :

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبى عليك فما تقول بدالها

(٣) عجـزه : * بمنى تأبد غولها فرجامها *

* * *

وَمنازل الحركات ٱثنتا عشرةَ منزلةً : للرّسّ ثلاث :

إحداها : أن يكون بينهـا و بين ٱنقضاء البيت ثلاثة أَحرف : التأسيس ، والدّخيل، والرّوىّ؛ وذلك فى الشِّعر المُقيّد .

والثانيــة : أن يكون بينهـا و بين ٱنقضاء البيت أربعة أحرف : التأسيس ، والدّخيــل ، والروىّ، والوَصــل ؛ وذلك فى الشعر المُطلق الذى لا تُحرّك فيــه هاءُ الصلة .

والثالثــة : أن يكون بينهـا و بين ٱنقضاء البيت خمسة أحرف : التأسيس ، والدّخيل، والروىّ، وهاء الوصل، والخُروج .

* * *

وللحَذْو ثلاثُ منازل :

إحداها : أن يكون بينها وبين ٱنقضاء البيت حرفان : الرِّدف ، والرّوىّ ؛ وذلك فى الشِّعر المُقيد .

والثانية : أن يكون بينها و بين ٱنقضائه ثلاثةُ أحرف : الرِّدف ، والرّوىّ ، والوصل؛ وذلك فى الشعر المُطلق الذى ليست فيه هاء وَصل متحرّكة .

والثالثــة : أن يكون بينها وبين ٱنقضائه أربعة أحرف : الرِّدف، والروىّ، وهاء الوصل ، والخُروج؛ وذلك فى الشعر الذى تُحرّك هاءُ وصله .

* * *

وللإشباع منزلتان :

إحداهما : أن يكون بينها و بين ٱنقضاء البيت حرفان : الرّوىّ ، والوَصل ؛ وذلك فى الشعر الذى ليس فيه وَصل مُتحرّك .

والثانيــة : أن يكون بينهــا و بين آنقضاء البيت ثلاثة أحرف : الروىّ ، والوَصل ، والخُروج .

والحركة عنــد النحويين بعد الحرف ، فلذلك لم أذكر أنّ الدَّخيل فيهــا يَحْجز بينها و بين آنقضاء البيت .

***

والتوجيــه ، له منزلة واحدة : وهى أن تكون قبــل آنقضاء البيت بحرف ؛ لأنها لا تكون إلا فى المُقيد .

***

والمَجرى ، لها منزلتان :

إحداهما : أن تكون قبل آنقضاء البيت بحرف ؛ وذلك فى الشّعر الذى ليس فيه هاء وَصل متحرِّكة .

والثانية : أن يكون بينها و بين آنقضائه حرفان ، وهما : هاء الوصل ، والخروج ؛ وذلك فى الشعر الذى ليس تتحرّك هاءُ صلته .

***

والنَّفاذ ، لها منزلة واحدة ، لأنها لا يكون بعدها إلا خُروج .

***

فذلك اثنتا عشرةَ منزلة . فإذا جاء فى الشعر شىء قد آتفق أن يَلزم قائلُه شيئا غير هذه اللوازم فهو مُتبرع بذلك ، كقول كُثيِّر :

خَليلىّ هــذا رَبعُ عَزّةَ فآعقِلا قَلُوصَيْكما[1] ثم آبكيا حيثُ حَلَّتِ

فلزم اللام المشدّدة قبل التاء ، إلى آخر القصيدة .

(١) القلوص : الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . وقيل : هى الثنية . وقيــل : هى آبنة المخاض . وقيل : هى كل أنثى من الإبل حين تركب ، و إن كانت بنت لبون أو حقة ، إلى أن تصير بكرة أو تبزل . والرواية فى الديوان : « ثم انظرا » مكان « ثم ابكيا » .

وقال كُثيِّر أيضا :

أدارًا لسَلْمى بالنيــاع فحِمــةٍ سألتُ فلما آستعجمتْ ثم صُمَّتِ[١]

فلزم الميم كما فعــل باللام . وقد اختلفوا فى بيت من القصيدة الأولى ، فروى باللام و بالنون ، وهو قوله :

* جُنَّ اللــواتى قلن عَزَّةُ جُنَّتِ *

ويروى : « جلت » .

وقد فعل الأعشى مثل ذلك فى « اللام » فقال :

فدًى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى وراكبها يوم اللقــاء وقَلَّتِ[٢]
هُمُ ضربوا بالحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ مُقــدِّمة الهــامُرْزِ حتّى تولّتِ[٣]

وهذا إنمــا يَفعله الشاعر لقُوّته ، ولو تَركه لم يدخُل عليه ضَعف .

قال الشَّنْفرى الأَزدىّ[٤] :

---

(١) النياع : موضــع . ويروى « النباع » بالباء . لم يزد على ذلك ياقوت ، وقال : وحمــة : موضــع أيضا . والرواية فى الديوان : « أطلال دار بالنبــاع » . وهى كذلك فى معجم البــلدان ، واستعجمت : سكتت .

صـــدره : * أصاب الردى من كان يهوى لك الردى *

ورواه الديوان بيتا مفردا ولم يلحقه بالقصيدة الملتزم فيها اللام . ورواه الأغانى بينهما .

(٢) راكبها ، يعنى نفسه . وقلت : علت وسمت ، دعاء لبنى ذهل .

(٣) الحنو : كل منعرج . وحنو قراقر : قرب الكوفة حيث كانت الوقعة بين الفرس وبكر بن وائل . والهامرز : من قادة الفرس .

(٤) الشنفرى : شاعر جاهلى من بنى الحارث بن ربيعة . والشنفرى ، اسمه ، وقيل : لقب له . ومعناه : عظيم الشــفة . وهو ابن أخت تأبط شرا . وكان أحد الثلاثة المدّائين ، هو ، وتأبط شرا ، وعمرو بن براق .

* أرى أُم عَمرو أَزمعت فآستقلّتِ[١] *

وجاء فى قَوافيها : بـ « سُمْرِيتى » و « آقشعرّت » وغير ذلك .

وأكثر ما آتفق للعرب أنْ يلزموا حرفًا لا يلزم مع التاء التى للتأنيث، أو الكاف التى للإضمار، لأنهما ضَعيفتان، وكلتاهما من حروف الهَمس . فأما «الهاء» نخفيت وشابهت حروف اللين، وأما «التاء» و«الكاف» فحسوبتان من الحروف الشديدة . وهما قويتان، إلا أنهما ضارَعتا « الهـاء »، وكذلك ضارعتا « الواو » التى تكون علامة الجمع فى قولك : «ضربوا» والألف فى : «ضربا» . قال عمرو بن معد يكرب :

لمـا رأيتُ الخيل زُورًا كأنها جداولُ زَرْعٍ أرسِلت فآسْبطرّتِ[٢]

فلزم الراء المشدّدة قبـل التاء ، ولو جاء فيهـا بـ « شلّت » . و « جَمّت » لم يُعَب عليه .

والمُحْدَثون أشدّ تحفظا فى هذه الأشياء من المُتقدِّمين، وقلّما يَلزمون مثل هذه الحُروف . وقد عَمِل الطائِى على فَرِىِّ[٣] كلمة الشّنفرى وكلمـةِ الأعشى فلم يلزم شيئا قبل التـاء .

ولو بُنيت قَوافى على « ضربت » و « كتبت » ثم جىء فيها بـ « وزنت » ، لكان ذلك جائزًا بلا آختلاف ، إلا أنّ القائل إذا قَوّاها بلُزوم الباء كان أحسن .

---

(١) الرواية فى المفضليات : « ألا أم عمرو أجمعت » . وأجمعت وأزمعت ، بمعنى . واستقلت : ارتحلت . وعجز البيت :

* وما ودّعت جيرانها إذ تولت *

(٢) زور : جمع أزور ، من الزور ، وهو الميل . واسبطرت : استقامت .

(٣) يقال : عمل على فريه ، إذا عمل عمله .

ومَن تدبّر ما ذُكر ممّن له أيسرُ غريزةٍ علم أن « وزنت » مع « ضربت » فى القوافى أضعف من « خبت » مع « سمت » ، لأن هـذه التاء من السِّنخ[1] . وربما لزموا «اللام» أو غيرها من الحروف فى مثل « فعالك » . و « جمالك » مع تذكير الكاف أو التأنيث ، كقول أبى الأسود :

زُهَـيرُ بن مَسعود أحقُّ بمـا أتى ... وأنتَ بمـا تأتى حَقيقٌ بذالـكا
وخَبَّرنى من كُنتُ أرسلتُ أنّمـا ... أخذتَ كتابى مُعـرِضا بِشمالِـكا
نظـرتَ إلى عُنـوانِه ونَبَـذْتَه ... كنَبْذِك نَعلًا أخلقتْ مِن نِعالكا

فلزم « اللام » . وقد يجيئون بها على غير لزوم ، كما قال طَرَفة :

قِفِى قَبْل وَشْكِ البَيْنِ يا ابنةَ مالكِ ... وعُوجى علينا مِن صُدورِ جِمالكِ

وقال فيهـا :

ظَلِلْتُ بذاتِ الطَّلح عندَ مُثقَّبٍ[2] ... بكِينَةِ سَـوْءٍ هالكًا أو كهالكِ
تَلُفّ علىَّ الريحُ ثَوبىَ قاعـدًا ... لدى صَـدَفِىٍّ[3] كالحَنِيّـةِ بارِكِ

وقد يَلزمون التشديد فى الروىّ كما قال النابغة :

عَرفتُ منـازلًا بعُـرَيْتِنات ... فأعلى الجِـزْعِ للحَىِّ المُبِنِّ[4]

فلزم التشديد إلى آخر القصيدة . وكذلك قولُ الآخر :

(١) السنخ : الأصل من كل شىء . وسنخ الكلمة : أصل بنائها .

(٢) ذات الطلح : موضع . ومثقب ، بتشديد القاف وفتحها : أربعـة مواضع ذكرها ياقوت . ثم قال : ولا أدرى أأحد هـذه أراد طرفة أم موضعا آخر . وكِينة : فعلة ، التى للهيئة ، من الكون .

(٣) الصدفى : ضرب من الإبل . قال ابن سـيده : أراه نسبة إلى الصدف ، قبيـلة من عرب اليمن . وقال ابن برى : الصدف : بطن من كندة . والنسبة إليه صدفى . والحنية : القوس .

(٤) عريتنات : واد . والجزع : منعطفه . والمبن : المقيم ، فعله : أبن .

إنّ بالشِّعْب الذى دُونَ سَلْع   لقتيــلًا دمُــه ما يُطَــلُّ (١)

شدد الروىّ فى كل الأبيات ، والأكثر ألّا يلزموه ، كما قال الحُطيئة :

أولئك قومٌ إن بنَوْا أحسنُوا البِنَى   وإن وَعدوا أوفَوْا وإن عقدُوا شَدُّوا

فشدّد فى أبياتٍ وتركه فى غيرها . وأوّلُ القصيدة :

ألَا طَرَقتنا بعــد ما هَجعُوا هِنْــدُ   وقد سِرْنَ خَمْسًا واتلأبَّ بنا نَجْدُ (٢)

وقال المُقنَّع الكِنْدىّ ، فجمع بين التَّشديد وغيره :

وإنّ الذى بَينى وبين بنى أَبِى   وبين بَنى عَمِّى لَمُختلفٌ جِــدًّا

إذا أكلُوا لَحمى وفَرْتُ لُحُــومَهم   وإن هَدَموا مَجدِى بَنَيْتُ لهمْ مَجدا

وقد كان بعضُ المتأخرين من أهل العلم يجعل « تاء التأنيث » وصلا ، وكذلك كاف الإضمار ، لِمَا وجده من لزوم الشعراء إيّاهما فى بعض الأشعار ، وذلك يَنْتقِض عند العُلماء بأحكام القوافى . وأصحابُ هذا القَولِ يَعتقدون فى قول الراجز :

شَــلَّت يَــدَا فارِيَةٍ فَرَتْهــا (٣)   وسَخِنت عينُ (٤) التى آزَتْها (٥)

مَسْــكَ شَبُوبٍ ثم وفَّرتهــا   لو خافت النَّزْع لأَصْــغَرَتها (٦)

(١) سلع : جبل بسوق المدينة . وقيل : موضع بقرب المدينة . وطل دمه : أهدر . وهو ألا يثأر به ولا تقبل ديته .   (٢) اتلأبّ : امتد واستوى :   (٣) الفارية : القاطعة للإصلاح . فريت الشىء أفريه ، أى قطعته لأصلحه . يصف مزادة .

(٤) الرواية فى الصاغانى (صغر) : « وعميت » مكان « وسخنت » .

(٥) آزتها ، أى ضمت أطرافها بعضها إلى بعض . وبعده فى الصاغانى :

أساءت الخــرز وأنجلتهــا   أعارت الإشــفى وقدرتها

(٦) المسك : الجلد . والشبوب : الشاب من الثيران . وقيل : الشبوب : المسن من ثيران الوحش الذى انتهى شبابا . ورواية البيت فى اللسان :

* لو كانت الساق أصغرتها *

وفى رواية أخرى :   * لو كانت النازع ... ... *

يصف إشفى تخرز بها .

أن الروىّ التاء، وهى ساكنة؛ والهاء وصل، وهى متحركة . ولو جاء على مَذهبهم فى هذه القوافى « خذها » أو « منها » لكان عَيبا، والغريزة تشهد بمـا زعموه .

وقياس أقوال المُتقدّمين يُوجب أن الروىّ الهـاء، وأن الراجز لوجاء فى مثل هذه القوافى بـ « ـعنها » و « منها » ونحو ذلك لكان ما فعله غير مَعيب .

*
* *

وقد بنيتُ هذا الكتاب على بِنية حروفِ المُعجم المعروفة ما بين العامة، لا التى رتّبها العُلماء بمَجارِى الحروف . وأقدّم بين يدى ما أذكره على جهة الاعتذار، أن الناظرِ فى الدواوينِ ربمـا قرأ منها الشىءَ الكثير لا يجد فيها أبياتا لُزِم فيها ما لا يلزم من الحروف، فإن وجده فهـو نادر . فأمّا المتقدّمون فقلّما ينتظمون بالروىّ حُروفَ المعجم، لأنّ ما رُوِى من شِـعر امرئ القيس لا نَعلم فيـه شيئا على الطاء ولا الظاء، ولا الشين ولا الخاء، ونحـو ذلك من حروف المُعجم . وكذلك ديوان النابغة، ليس فيه روىّ بُنِى على الصاد ولا الضاد ولا كثيرٍ من نظائرهن . وهـذا شىء ليس بخَفِىّ . والمُحـدَثون أكثرُ تحقُّقا بالنظام؛ لأنّ فيهم قوماً مُستبحِرين، يكون ديوان أحدهم فى العِدّة كدواوينَ كثيرةٍ من أشعار العرب .

وهذا أبو عُبادة، وله شعر جَمّ، ولا أعلم — فيما رُوِى له — شيئاً على الخاء، ولا الغين، ولا الثاء، إلا أن يكون شاذًّا لم يثبُت فى أكثر النُّسخ .

وإذا اتفق لهم أن يَجيئوا بالحـرف، وحركتُه ضمة أو غيرها، فقلّما يَستوعِبون مجيئَـه على كُل الحركات . وإن استعملوه فى حال الحركة جاز أن يُلغوه من حال الإسكان، مثـال ذلك : أن أبا الطيِّب استعمل الهَمزة المَضمومة والمكسورة، ولم يَستعمل المفتوحة ولا الساكنة، واستعمل السين المكسورة دون المَفتوحة

والمضمومة والساكنة . وكذلك جَرى أمرُ الشعراء المتقدِّمين والمُحدَثين، يتّبعون الخاطر كأنه هادى الرُّبان، أينما سلك فهم له تابعون .

* * *

وقد تكلّفت فى هذا التأليف ثلاثَ كُلَف :

الأولى : أنه يَنتظم حروفَ المُعجم عن آخرها .

والثانية : أن يجيء رويّه بالحركات الثلاث، و بالسكون بعد ذلك .

والثالثة : أنه لُزِم مع كل روىّ فيه شيءٌ لا يُلزم، من باءٍ، أو تاء، أو غير ذلك من الحروف .

ولو أنّ قائلا نَظم قوافى على مثل « مَشُوق » و « وُسوق » ولم يأت بالياء، لكان قد لَزم ما لا يلزم؛ لأنّ العادة فى مثل هذا المَبنى أن تشترك فيه الواو والياء . وكذلك لَو لزم الياء وحدها فى مثل « قطين » و « معين » وليس فى هذا من هذا النحو إلا شيء يَسير .

وقد وجدتُ الذين ألّفوا دواوين المُحدَثين على حروف المُعجم خالفوا فيما وضعوه مذهب « الخليل » وأصحابه . وما أَجمِل ذلك منهم إلا على قِلّة حَفْلٍ بتلك الأشياء . فمن ذلك أنهم يجعلون ما قافيته « هديّة » و « بليّة » فى باب الهاء . وهذا وهم، لأن أَولى الحروف بأن تُنسب إليه القصيدة هو الروىّ، وهو فى هذا النحو الياء . وكذلك يجعلون ما قافيته «ثناياها» و « عطاياها » فى جملة الألف، و إنما ينبغى أن تكون فى باب الهاء؛ لأنها الروى . و يجعلون ما قافيته مثل « يديه » و « عليه » فى باب الياء، وكذلك ما يُبنى على « مُحَيّيها » و «فيها» . وإنما ينبغي أن يكون النسب فى هذا كله إلى الهاء .

ودل كلام أبى بكرٍ بن السراج(١) فى الأصول على أن «الروىّ» الياء، فى قول الشاعر(٢):

لها أشاريرُ من لحمٍ تُتمِّره ... من الثَّعالِى ووَخْز من أرانيها(٣)

وهذا يشبه مذاهب المؤلفين، و يجوز أن يكون مذهبًا لابن السّراج، أو وَهْمًا منه، لقلّة عنايته بهذا النوع.

وقد روَى أبو الحسن العَروضىّ الذى كان فى صُحبة الراضى(٤)، أن أبا إسحاق الزجّاج(٥) سُئل عن الروىّ فى قول الشاعر:

* ميلوا إلى الدار مِن لَيلى نُحيِّيها *

فزعم أنه «الياء»، فرُوجع فى ذلك، فلم ينتقل عنه.

وإنما ذكر أبو الحسن ذلك يَعيبه عليه؛ لأنّ مذهب «الخليل» والطبقةِ الذين بعده أن الروىّ «الهاء».

وقد شاهدت بعضَ المتحقِّقين بالأدب ببغداد يجعل الروىّ «الياء» فى قول الشاعر:

يأيها الراكبانِ السَّائران معًا ... قُولَا لِسِنْبِسَ فَلْتَقطف قوافيها(٦)

(١) هو أبو بكر محمد بن السرى، أحد أئمة الأدب والعربية. و يقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج. وله من الكتب: الأصول فى اللغة، وشرح كتاب سيبويه، وغيرهما. وكان عارفا بالموسيقى. توفى سنة ٣١٦ هـ.

(٢) هو أبو كاهل اليشكرى.

(٣) أشارير: يجوز أن تكون جمعا لإشرارة القديد، أو بمعنى الخصفة أو الشقة التى يشر عليها الأقط. وتمره: تقدده. والثعالى: الثعالب. وأرانيها، أى أرانبها. ووخز، أى معدودة. والأصل فى الوخز: الخطيئة بعد الخطيئة، والشىء بعد الشىء.

(٤) هو الراضى بالله أحمد بن جعفر بن المعتضد الخليفة العباسى. توفى سنة ٣٢٩ هـ.

(٥) الزجاج، هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل، عالم بالنحو واللغة. توفى ببغداد سنة ٣١١ هـ.

(٦) سنبس: أبو حى من طيىء.

وما أحسب هـذا ممن قاله إلا وَهمـا ، لأن الروىّ الساكن لا يكون بعـده وصل ، وإنمـا يقع الإشكال فى الهـاء والواو واليـاء والألف . فأما «الهـاء» فقد مَرّ طرف من حكمها ، والأصل فيه أنه إذا سكن ما قبلها كانت رويًّا ، ولا ينظر من السِّـنخ كانت أم من غيره ؛ وإذا كان ما قبلها مُتحركا وكانت من السِّـنخ ، مثل « الشَّبه » و « المُشابه » فإنها تكون رويًّا ، كما قال رؤبة :

قالت أبيـــلى لى ولم أُسَـبَّهِ ما السنُّ إلا غَفلة المُـدَلَّهِ[1]

وربمـا بنيت الأبيات على أن تكونَ موصولة بهـاء الإضمار ، ثم جُعلت معها الهـاء الأصلية وصلا ، أو بُدِئَ بالهـاء الأصلية ثم دخلت عليهـا هاء الإضمـار ؛ مثل أن تُبنى القصيدة على « المكاره » و « المَداره » — جمع مِدره ، من قولك : هو مِدره القوم — ثم يجاء بعد هـذا بـ « سناره » و « جداره » . أو تُبنى القصيدة على مثل قولك « غِلابُه » و « كِتابه » ، ثم يجىء فيهـا « التشابُهُ » . وربمـا اتفق ذلك فى الساكنة والمتحركة ، وليس هو بعيب ، إلا أنى أجعله ضعفا فى البِنية .

وإذا تحرك ما قبل الهاء ، وهى للإضمار أو للتأنيث أو للوقوف ، مثل قولك : « يَدَيهْ » و « غُلامَيه » و « ذاكيه » و « ضاريَه » فهى وصل لا غير ، ولا يجوز أن تُجعَل رويًّا .

وأما الواو إذا كانت من السِّنخ مثل واو « جرو » و « دلو » فلا مِرية فى أنها تجعل رويًّا للبيت .

وإذا كانت للإضمار فى مثـل « فعلُوا » و « قتلوا » وكان ما قبلها مضموما ، ولم تكن فى مثـل « عصوا » و « رموا » فإنهـا تكون وصلًا لا غير . فإن جاء غير ذلك حُسِب من عُيوب الشّعر التى تُسمى : الإكفاء ، والإجازة ، ونحو ذلك .

(١) أبيلى : امرأة . والمسبه : المدله العقل .

وقد وجدت فى أشعار قُريش شعرًا مَنسوبا إلى مَروان بنِ الحكم قد جَعل «الواو» فيه رويًّا، فى مثل «دُعوا» و«لَقُوا»، فإن صحّ ذلك فليس بأبعدَ مما بُنِى على «الألف»، وذلك قليل نادر. وإنما مُعظم كلامهم أن تكون «الواو» فى مثل هذا وصلا، كما قال زُهير:

بانَ الخَليط ولم يأوُوا لمن ترَكُوا ... وزَوّدُوك آشتياقاً أيةً سَلَكُوا

ثم جاء فى القوافى بـ«المِلِكُ» و«الحَشك» وأتبعها «واو» الترنّم التى لا تُجعل رويًّا بحال.

والأبيات المنسوبة إلى مَروان بن الحكم هى قولهُ:

هل نحنُ إلا مثل مَن كان قبلَنا ... نموتُ كما ماتُوا ونَحيا كما حَيُوا
وينقُص منّا كلَّ يومٍ وليلةٍ ... ولا بُدّ أن نَلقى من الأمر ما لَقُوا
نؤمّل أن نَبقى وكيف بقاؤنا ... فهلّا الأُلى كانوا مضَوا قبلنا بَقُوا
فنُوا وهمُ يَرجون مثلَ رجائنا ... ونحن سنَفنى مرةً مثلَ ما فَنُوا
لنا ولهم يومَ القيامةِ موعدٌ ... سنُدعى له يومَ الحساب إذا دُعوا
ويُحبس منّا مَن مضى لاجتماعنا ... بمَوطنِ حقٍّ ثم نُجزى إذا جُزوا
فمنهم سَعيد سعدةً ليس بعدها ... شقاءٌ ومنهم بالذى قدّموا شَقوا
عمُوا عن هُدى قَصد السّبيل عَمَى الذى ... رآه وقَرن قد خلا قبلهم عَمُوا

فهذا نادر قليل.

فإذا انفتح ما قبل الواو فى مثل «عصَوا» و«غزَوا» و«قضَوا» فالجماعة يَجعلونها رويًّا، ولا يُجيزون أن تكون وصلا. وذلك مَفقودٌ فى أشعار الفُصحاء، إنما يجيء منه الشيء النادر، ولعلّه مصنوع. ولو أن قائلا بنى شعرا على مثل

« قضَوا » لآثرت له أن يلزم « الضاد » ، لأنّ ذلك أقوى للنّظم ؛ وإن لم يفعل فليس بأبعَد من تَصييرهم « الألف » رويّا . ألا ترى أنك لو بَنيت الفواصل على « دُجى » و « حِجى » و « رَجا » لكان الأقوى أن تجعل « الجيم » رويّا و« الألف » وصلا . فإن جعلت « الألف » رويّا فلا بأس . غير أنّ ما رويُّه « ألف » أضعف ممّا رويّه « دال » أو « حاء » أو غيرهما من الحروف الصِّحاح . ولو أن الراعى[1] جعل الروى « الحاء » فى قوله :

عجبتُ من السارين والريحُ قـرّةٌ   إلى ضَـوءِ نار بين فَـرْدَة فالرّحى[2]

ثم أتى معها « بالضحى » و « اللحى » لكان أقوى للنّظم . ولو أتى آتٍ فى مثلِ أبيات مروان بواو مفتوح ما قبلها، مثل « عصَوا » و « رمَوا » ، لكان قد أخل ؛ إذ كانت « الواو » المفتوح ما قبلهـا لا تكون إلا رويّا ، والواو المضموم ما قبلها فى مثل « فعـلوا » لا تكون إلا وصلا . وليس على الشُّذوذ تَعويل . ولا أعرف لأحد من أهل الفصاحة مثلَ أبيات مروان . فأما « واو » « يغزُو » و « يخلُو » إذا كانت ساكنة فإنهم يستعملونها وصـلا ، وعلى ذلك سمعت أشعار المتقدّمين ، كما قال زُهير :

صحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يَسْلُو   وأقفر من سَـلْمى التّعانيقُ والثِّقْـلُ[3]

---

(١) الراعى : هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النمـيرى . عاصر جريرا والفرزدق . وتوفى سنة ٩٠ هـ .

(٢) فردة : جبـل بالبادية ، وقيل : ماء بالثلبوت لبنى نعامة والثلبوت واد بين طيء وذبيان . والرحا : جبل بين كاظمة والسيدان ، عن يمين الطريق من اليمـامة إلى البصرة .

(٣) التعانيق والثقل : مكانان . ويروى « والثجل » بضم أوله : موضع فى شق العالية ، ذكره ياقوت واستشهد بالبيت .

وقد كُنت من سَلمى سِنَين ثَمانيًا ... على صِيـرِ أمرٍ ما يمرّ وما يَحلُو[1]

ففيها قوافٍ كثيرة قد أُتبعها « واوَ » الترنم التى ليست للسِّنخ ، كقوله :

بلادٌ بهـا نادمتُهم وعَرفتُهـم ... فإن أقفرتْ منهم فإنهمُ بُسْلُ

والقياس لا يمنـع أن تجعل هذه « الواو » رويًا ، لأنهـا سِنخ ! وهى قوية . ويجوز أن تلحقها الحركة فى حال النصب ، وهى أقوى من « الواو » التى للضمير فى مثل قولك : « لم يألُوا » و « لم يفعلوا » . و إذا خَففت « الواو » من « عدُوّ » و « غُدوّ » فى القافية فلا يمتنع أن تُجعـل رويًا ، وكونُها وصلاً أكثر . وما بُنى على « الواو » قليـلٌ جدا ؛ لأن العرب إنمـا كانت تتبع أشرف الكَلِم فى السّـمع . وقلّما تجد قافية لها قُوّة إلا وقد عَمِل عليها المُتقدّمون .

وأما « الياء » فلا تخلو من أحد شيئين : إمّا أن تكون مُتحرّكة ، و إما ساكنة . فالمُتحرّكة روىّ لا غير . والساكنة تضعُف كضَعف « الواو » . فإذا كانت للترنّم لم يَجز أن تُجعل رويًا ، و إذا كانت ساكنة وقبلها ساكن فهى رَوىّ . وذلك أن تُبنى القافية فى التّقييد على مثـل « عَصاى » و « هوَاى » . و إذا كان ما قبلها متحرّكا وهى ساكنة فإن الأحسن فيها أن تجىء وصلاً على أى الحالات وُجدت ، من كونها فى سِنخ الكلمة ، أو للضمير ، أو مُخففّة من ياءى النسب .

فالتى من السِّنخ كقول النابغة :

زَعَـم الهُمام ولم أذُقـه بأنّه ... يُشفَى ببرد لثاتها العَطِش الصَّدِى

لجاء بها مع « غد » ونحوها ، بجعلها وصلا .

---

(١) صير أمره : منتهاه وضرورته . مصدر صار يصير صيرا وصيرورة . تقول : أنا من حاجتى على صير أمر وعلى صيرورة ، إذا كنت على شرف منها .

و ياء الإضافة[1] كقول الآخر :

ألا أيّها الرّكب المُخِبُّون هل لكم   بأُخت بنى نهـد بَهِيّة مِن عهـدِ
أألقت عَصاها وآستقرّت بها النّوى   بأرضِ بنى قابوس أم ظَعنت بعدى

والمُخففة من ياءى النسب ، كقول الراجز :

تقول هِنـدٌ والذى يُحيى أبى   لقد سمعتُ صوتَ حادٍ عَربِى
* ليس من النّمـر ولا من تَغْلِب *

وكذلك إذا خُفِّفت مثل « عدىّ » و « شقىّ » فإنها تُجعل وصلا فى الأكثر . وربمـا جُعلت هذه الياءات كُلّها رويّا ، وذلك فى أشعارٍ تَضعُف . وليست هذه الياءاتُ بأضعف من الألفات التى بُنيت عليها القصائد .

وهذه الأبيات تُنسب إلى غير واحد من العرب :

أشاب الصّـغير وأفنى الكبير   مَرُّ الليـالى وكَرُّ العَشِى
إذا ليـلةٌ هَرّمت يومَهـا   أتى بعـد ذلك يومٌ فَتِى
نروح ونَغـدو لحـاجاتنا   وحاجةُ مَن عاش لا تَنْقَضى
تَمـوت مع المَـرء حاجاتُه   وتَبـقى له حاجـةٌ ما بَقِى

وقد رويت هذه الأبيات للصّلتان العَبدى ولقُسّ بن ساعدة الإيادىّ ولغيرهما ، ويروى للصّلتان فيها :

بَجـدِيّة وحَروريّـة   وأَزرقَ يَدْعُو إلى أَزرقِ
فمِلّتُنا أنّنـا المُسلمون   على دِين صِـدّيقنا والنّـبى

(١) يريد : الضمير ، فعبر عن الشىء بخاصته .

وقال الراجز :

إذا تغدّيتُ وطابت نَفسى   فليس فى الحىّ غُلَامٌ مِثلِى

* إلا غلام قد تغدّى قبلى *

فجعـل « ياء » الإضافة رويّا ، إلا أن يُحمـل على مخالفة القـوافى فى الذى هو عَيب .

وإذا كان ماقبل الياء مَفتوحا ، وهى ساكنة ، فإنها تُجعل رويًا عند المتقدّمين ، وذلك قليل جدا .

ولو بُنيت قافيـة على « أخشَى » و « أعشَى » لكان لُزومُ « الشين » أقوى لهـا من أن يجىء معها مِثل « أغنى » و « أحنى » .

فأما الألف : إذا كانت للـترنُّم ، أو بدلاً من التنوين ، أو للتّثنيـة ، أو مع هاء التأنيث ، فلا يجوز أن تكون رويّا .

وإذا كانت من السِّنخ ، أو زائدةً للتأنيث ، أو للإلحاق ، ما كانت من ذلك ، فإنّ كونَها رويًا جائز ، وعلى ذلك جاءت قصائدُ العرب المُتقدّمين ، لا يُفرّقون بين الزائد والأصـلى . فيجوز أن تبنى القصيدة على « كَرَى » و « بكَى » و « غضَى » و « الشنفرَى » و « حَبوكرى » وهى التى تُسميها الناس اليوم مَقصورة .

وأقوى من ذلك أن تُجعل « الراء » فى « الكَرى » رويًّا : وتجعل « الألف » وصـلًا . وكذلك « ألف » « مغنَى » أو « معزَى » يجوز أن يجىء معها « ألف » « جَلندى » و « حبركَى » . إلا أن الأَحسن أن تُجعل « الزاى » فى « معزَى » رويّا ، وتكون القصيدة على « الزاى » .

فهذه جملة من أحكام الحُروف الأربعة اللواتى يجوز أن يكنّ وصلًا ورويًا .

ثم حروف المعجم بعد ذلك مُتساويات فى القوة ، إلا ما ذكر من « التـاء » و « الكاف » .

فأما « النون » الَخفيفة فلا يجوز أن تُجعل رويًّا ، لأن القافية موضع وَقف ، وهذه النون تَصير فى الوقف ألفا ، فإن أريد بها الثّقيلة ، إلا أنها خُففت للقافية كما خُفِّفت « لام » « أضـلّ » و « دال » « أشدّ » فلا بأس أن تُجعل رويًّا ، لأنهـا فى نيّة المُثقلة .

* * *

والقوافى تنقسم ثلاثة أقسام : الذُّلُل ، والنُّفُر ، والحُوش .

فالذُّلُل : ما كثُر على الألسن ، وهى عليه فى القديم والحديث .

والنُّفُر : ما هو أقل آستعمالا من غيره ، كالجيم والزاى ونحو ذلك .

والحُوش : اللواتى تُهجر فلا تُستعمل ، وذلك أن يَتفق ألّا تَخـلُوَ القافيةُ على كُل الأوزان ، كأنّا نقول إنهم آستحسنوا التقييد فى الطويل الثانى فآستُعمل وكثُر ، كما قال آمرؤ القيس :

لَعمـرك ما قَلبى إلى أهله بِحُـرْ ... ولا مُقْصِرٍ يومًا فَيأتينى بِقُـرْ [1]

وكما قال طرفة :

لِخَولة بالأجزاع من إضَم طَلَـل ... وبالسّفح من قَـوٍّ مُقام ومُرْتحَلْ [2]

(١) بحر ، مخفف من المشدد ، أى بكريم ، لأنه لا يصبر ولا يكف عن هواه . والمعنى أن قلبه ينبو عن أهله و يصبو إلى غير أهـله . فليس هو بكريم فى فعله . ومقصر ، أى نازع ومنته . وبقر ، مخفف من المشدّد أى بمستقر .

(٢). إضم : ماء بين مكة واليمامة . وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

ولا يُعلم شىء من الشعر القديم جاء فيه الطويل الأوّل مُقيدا ، إلا أن يكون شاذًّا مَرفوضا ، وذلك فى التمثيل ، كقوله :

كأنّىَ لم أركب جَــوادًا للذةٍ ولم أتبطّن كاعبًا زانها الخلخلْ

ولم أسبأ الزّق الروىّ ولم أقُل لخيلى كُرّى كرّةً بعــدما تُخذَلْ

فمثل هــذا لم يأت فى الشعر القديم ، ولا يُوجد فى دواوين الفُحول من أهل الإسلام ، إلا أن يجىء نادرًا أو متكلَّفا .

وقــد جاء فى أشعار المُحدثين شىء من الطويل الأوّل مَبنيا على « الألف » ، وهو الذى يُسميه الناس المَقصور ، فيقولون : مقصورة فلان ، يعنون ماروِيُّهُ « ألف » ؛ قال الشاعر :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فما نحن بالأحياء فيها ولا الموتَى

إذا ما أتانا زائــر مُتفقِّــد فرِحنا وقُلنا جاء هذا من الدنيا

وهــذا الشعر لرجل فى السِّجن كان على عهد مُلوك بنى العبّاس ، ويُقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القُدّوس .

وقد بنى أبو عُبادة قصيدةً على الطويل الأوّل وجعل قوافيها على « أروى » و « جدوى » ونحــو ذلك ، فلزم الواو إلى آخر القصــيدة ولم يجعلها مقصورة ؛ فهذه إن جُعل رويها الألف فقد لَزم فيها ما لا يلزم ، وإن جُعل رويّها « الواو » فالألف وصل ، وبناؤها على « الواو » أحسن وأقوى فى النظم .

وفى هذا الكتاب أشياء تجرى هذا المجرى ، وقد بيّنتها فى مواضعها .

*

وقد يُمكن أن يلزم القائل حرفَين وأكثر . ولو بنيت قافية على « دارهم » و « مُزدارهم » و « صدارهم » لكان القائل قد لَزم فيها أربعة أحرف : الدال ،

والألف، والراء، والهاء؛ لأن الروىّ «الميم» و «الألف» ليست للتأسيس، لأن بينها و بين الروىّ حرفين.

ولو بُنيت قافية على «ضرائرهم» و «حرائرهم» وما أشبه ذلك لكانت قد لُزمت فيها خمسة أحرف: «الراء» الأولى و «الألف» و «الهمزة» التى بعدها، وهى فى الصورة «ياء»، و «الراء» الثانية، و «الهاء».

***

وقد كنت قلت فى كلام لى قديم:

إنى رفضت الشعر رفض السقب غِرسه (١)، والرّأل تَريكته (٢)؛ والغرض ما أستجير فيه الكَذب، وأستُعين على نظامه بالشّبهات.

فأما الكائن عظةً للسامع، وإيقاظا للتوسّن، وأمرًا بالتحرّز من الدنيا الخادعة، وأهلها الذين جُبلوا على الغِش والمكر، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب.

وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أنّ مَن سلك فى هذا الأسلوب ضعُف ما ينطق به من النّظام؛ لأنه يتوخّى الصادقة، ويطلُب من الكلام البرّة؛ ولذلك ضعُف كثيرٌ من شعر أميةَ بن أبى الصلت الثّقفىّ، ومن أَخذ فى فريه من أهل الإسلام.

ويروى عن الأصمعىّ كلام معناه: إن الشعر بابٌ من أبواب الباطل، فإذا أُريد به غير وجهه ضعُف.

---

(١) السقب: ولد الناقة، وقيل: الذكر، وهو سقب ساعة تضعه أمه. والغرس: الجلدة التى تخرج على رأس الولد والفصيل ساعة يولد، فإن تركت قتلته.

(٢) الرأل: ولد النعام. وخص بعضهم به الحولى. والتريكة: بيضة النعام التى يتركها بعد خلوها مما فيها.

وقد وجدنا الشعراء توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب — وهو من القبائح — وزيّنوا ما نَظَموه بالغَزَل، وصِفةِ النساء، ونُعوتِ الخيل والإبِل، وأوصافِ الخمر .

وتسبّبوا إلى الجَزالة بذكر الحَربِ، واحتلبوا أخلاف الفِكر ، وهم أهل مُقام وخَفضٍ ، فى معنى ما يدّعون أنهم يُعانون من حَثّ الركائب ، وقَطعِ المَفاوز ، ومِراسِ الشقاءِ .

* * *

وهذا حين أبدأ بترتيبِ النظيمِ ، وهو مائة وثلاثة عشر فصــلا ، لكل حرفٍ أربعة فصولٍ . وهى على حسبِ حالاتِ الروىّ : من ضمّ، وفتح ، وكسر ، وسكون ؛ [إلا](١) الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة .

وربمـا جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ؛ ليكون قضاءَ حق للتأليف ، وبالله التوفيق .

---

(١) تكملة يقتضيها السياق .

فَصْلُ الهَمْزَةِ

الهمزة المضمومة

اللزوميـــة الأولى

قال الضعيف العاجز أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سُليمان التَّنوخى الضَّرير، رهن المَحبسين، فى الهمزة المَضموِمة مع الباء، والطويل الثالث[(١)] :

١ ﴿أولُو الفَضْلِ فى أَوطانِهِم غُرَباءُ تَشِــذُّ وتَنْأى عَنْهـــمُ القُرَباءُ﴾

شـذ : يشذ، بضم العين وكسرها فى المضارع : انفرد عن الجمهور، وندر. ونأى ينأى : بَعُد .

وخصّ القُرباء لأنّهم بهم ألصق وأعرف، وسواهم لا عِلْم لهم بهم، فلا يقع منهم قُرب حتى يصحّ عنهم نأى .

٢ ﴿فما سَبَئُوا الرَّاحَ الكُمَيْتَ لِلَذَّةٍ ولا كانَ مِنْهـم لِلخِرادِ سِــباءُ﴾

الرّاح : الخمر، اسم لها .

وسَبأ الخمر يَسْبؤها سَبأ ومَسبأ، واستبأها : شَراها . وقيل : اشتراها ليشربَها، ولا يُقال ذلك إلا فى الخمر خاصة . والاسم : السِّباء، على فِعال .

والكُميت : لونٌ ليس بأَشقرَ ولا أَدهم . وهو أيضا من أسماء الخمَر، للونها .

والخَريدة من النساء : الحَيِيَّـة الطويلة السُّكوت الخافضة الصوت الخَفِرة المُتستِّرة، قد جاوزت الإعصار ولم تُعنس؛ وقيل : هى البِكر التى لم تُمسس، تشبيهاً لها باللُّؤلؤة قبل ثَقبها؛ وتُجمع على : خَرائد، وخُرُد، وخُرَّد، على نُدرة الأخيرة، لأنّ فعيلة لا تُجمع على فُعَّل، ولم يَرِد من بين جُموع «الخريدة» خراد، فى المعاجم .

---

(١) هو ذو العروض المقبوضة والضرب المحذوف .

والسِّباء والسَّبي، بمعنى ، وهو الأَسر . يُقال : سَباه يَسْبِيه ، إذا أَسره ، فهو سَبِيّ ؛ وكذلك الأُنثى بغير هاء . وقال الجَوهرِىّ : السبِيّة : المرأة تُسبَى .

ولم يَقصد أبو العلاء حَصْر مَتاع الحياة فى خمر وخريدة ، ولكنّه لمّا كان عن أُولى الفضل حديثه ، ساق لغيرهم أخصّ ما يأتون ، وأَسيَره شَناعة .

٣ (وحَسْبُ الفَتى مِن ذِلّةِ العَيْش أنّه ... يَرُوحُ بأَدْنَى القُوتِ وهو حِبَاءُ)

الحِباء ، بالكسر و يُضم : ما يَحبــو به الرجلُ صاحبَه و يُكرمه به . والاسم : الحَبــوة . وقيل : الحِبــاء : العَطاء بلا مَنٍّ ولا جَزاء . وحَبــاه يحبُوه : أعطاه ؛ وحَبا ما حوله : حَماه ومَنعه .

والكلام على المعنيَيْن مستقيم ، فعلى الأول ، يريد أن يقول : حتى هذا القوت القليل الذى يرجعون به ، بعد سَعى وكَدّ ، ليس إلا هِبة وعطية .

وعلى الثانى ، فهو يصف جهدَهم فى الحصول على هذا القليلُ المحمىّ دونهم ، الممنوع عنهم .

٤ (إذا ما خَبت نارُ الشَّبِيبةِ ساءَنِى ... ولو نُصَّ لِى بَين النُّجــومِ خِباءُ)

خَبت النــارُ والحَرْب والحِدّة ، تَخبو خَبْوا وخُبوًّا : سَكنت وطَفِئت وخَمد لَهبها ، فهى خابية ؛ وأَخبيتُها أنا .

والشّــبيبة والشَّباب : الفَتــاء والحَــداثة . والشَّباب أيضا : جمع شَابّ ، وكذلك الشُّبان .

والنَّص : الرَّفع ؛ ومنــه : نَصّ العَــروس ، أى إقعادها على المِنصّــة ، وهى سَريرها .

والخِباء : البيت من بُيوت العرب يكون من وَبر أو صُوف . وقد يُستعمل فِي المَنازل والمَساكن . وأصله الهمز، لأنه يُختبأ فيه . وأَخبيتُ خِباء، وخَبّيته، وَتخبّيته : عملتهُ ونَصبته ؛ وٱستخبيته : نَصبته ودخلتُ فيه .

وكأن أبا العلاء يأسى لحال أهل الفضل حين يُنكرهم أهلهم شُبّانا، و يعرفونهم شيوخا، حيث لا حظّ لهم فى متاع ولو كان عظيما . وكأنه يَعنى نفسه .

٥ ﴿أَرَابِيكَ فى الوُدِّ الذى قد بَذَلْتَهُ فأُضْعِفُ إنْ أَجْدَى لَدَيكَ رِباءُ﴾

رابَى، فاعل، من « ربا » بمعنى : زاد . والمَصدر المسموع من « ربى » : رِباء، ومُراباة، وهو المقيس فى « رابى » الذى أهملته المعاجم فِعلًا .

وأجدى : أغنى ونَفع .

يصف إقلات الحياة من يده إلا من وُدٍّ يبذُل منه أضعافَ مايجنى، وهو على هذا الإضعاف لا يكاد يحفز الناس إليه ، فالناس فى غيره من متاع الحياة أرغب ، وهو عنهم بالصفاء الذى ردّته إليه السنُّ أَغنى .

٦ ﴿ومَابَعدَ مَرِّ الخَمسِ عَشرةَ مِنْ صِبًا ولَا بَعْدَ مَرِّ الأَرْبعينَ صَبَاءُ﴾

الصِّبا : الصِّغر، ومثلُه : الصِّبْو، والصُّبُوّ، والصِّباء، والصِّبَى . والفعل لذلك كُله : صَبا يَصبُو .

وصَبِى صِبًى، بالكسر والقَصر : فَعل فِعل الصِّبيان؛ وصَباء، بالفتح والمَدّ : لَعب معهم .

و « صَباء » الثانية ، أصله القصر، من : صَبا إلى اللَّهو والجَهل والفُتوة ، صَبًا ، وصُبوًّا ، وصَبْوة : مالَ وحَنّ .

وهو هنا يؤكد المعنى الذى أشار إليه فى بيته السابق، فيحكى أنه لا معدل عما ٱختار، فليس فيه طَيش الصِّبى، ولا نَزَق مَن دون الأربعين .

٧ ﴿أَجِدَّكَ لا تَرْضَى العَبَاءَةَ مَلْبَسًا وَلَو بانَ ما تُسْدِيه قِيلَ عَبَاءُ﴾

أجدَّك ، بفتح الجيم وكسرها ، ومعناها : مالك ؟ أجدًّا منك ؟ ونَصْبُها على المصدر ، ولا يُتكلَّم بها إلا مضافة .

وقال الأصمعى : معناه ، أبجدك هذا منك ؟ ونَصْبها بطَرح الباء .

وقال اللَّيث : مَن قال : أجِدَّك ، بكسر الجيم ، فإنه يَستحلفه بجِدّه وحَقيقته ؛ وإذا فتح الجيم آستحلفه بجَده ، وهو بخته .

وقال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدّك ، فهو بالكسر ؛ فإذا أتاك بالواو فهو مَفتوح .

والعَباءة . لغة فى العَباية . قال سيبويه : إنما هُمزت ، ولم يكن حرفُ العلة فيها طَرَفا ، لأنهم جاءوا بالواحد على قولهم فى الجمع : عَباء .

وقال آبنُ جِنّى : وقالوا : عباءة . وقد كان يَنبغى ، لمّا لحقت الهاء أخيرا وجَرى الإعرابُ عليها وقَويت الياء لبُعدها عن الطرف ، ألّا تُهمز ، وألّا يُقال إلا عَباية . فيُقتصر على التّصحيح دون الإعلال ، وألّا يَجوز فيه الأمران ، كما اقتُصر فى « نهاية » و « غباوة » و « شَقاوة » و « سَعادة » على التّصحيح دون الإعلال .

وأَسدى ، وأَولى ، وأَعطى ، بمعنى . قال أبو عمرو : أَزْدى ، إذا آصطنع معروفا : وأَسدى ، إذا أَصلح بين آثنين ، وأَصدى ، إذا مات .

وعباء : أحمق .

يسوس نفسه على ما آختار ، ويردّها إلى مَقنع ، بزُهده فى الحياة ، ورضاه بخُشونة العيش عن لينه ، وأنّ هذا الذى يفعل فى حمل نفسه على ما أراد ليس إلا عن جهد يُبذل ، ما أَحرى الناسَ أن يَصِفُوا صاحبَه حين يتيقّنوه بأنه أحمق أخرق .

٨ ﴿وفى هَذِه الأرضِ الرَّكُودِ مَنابِتٌ ... فمِنها علَنْدَى ساطِعٌ وكِباءُ﴾

الرَّكود : الثَّقيلة الثابتة . يريد : الذَّلول التى قَرّت للناس فملكوا أمرَها .

والعَلَنْدى : ضَرب من شجَر الرَّمل، وليس بحَمْض، يَهيج له دُخان شـديد ؛ والواحدة : علَنداة ؛ ومنه : دُخان العلَنْدى دون بيْتِى ، أى مَنـابت العلَنْدى بينى و بينكم .

والساطع : المُنتشر من غُبار ودُخان وريح ونور . والكِبَاء، ممـدود : ضَرب من العُود والدُّخنة . وقال أبو حَنيفة : هو العود المتَبخَّر به . قال آمرؤ القيس :

وَبانًا وألويًّا مِن الهند ذا كبًا ... ورَنْدًا ولُبْـنَى والكِباءَ المُقَـتَّرا (١)

ومثـل الكِباء : الكُبَة . وكَبِّى ثوبَه ، بالتشـديد، أى بَخره . وتكبَّت المرأة على المجمر : أكبّت عليه بثَوبها . وآكتبى : تَبخر بالعود .

جعل حاله وحال الناس على هـذه الأرض كحال هذه العلنـدى وذلك الكبا، فهذه تَضيق الأنفس بدُخانها ، وتلك تَرَاح النفوس لشَمِّها .

٩ ﴿تَواصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ ما بين آدمٍ ... وبَيْنِي ولم يُوصَلْ بلَامِىَ باءُ﴾

تواصل : آتصـل . والتواصُل : ضِـدّ التصارُم ؛ يكون فى عَفاف الحُب ودَعارته .

والنَّسل : الولد والذُّرية .

---

(١) البان : شجر يسمو ويطول فى استـواء ، وله ثمر يعتصر دهنا طيبا . وبطول أفنانه ونعمتها يشبـه الشعراء الجوارى بها . والألوى : العـود يتبخر به . والرند : الآس . واللبنى : شجرة لها لبن كالعسل ، ربما يتبخر به . والمقتر : الذى تهيج رائحته .

واللام : الشخص والسّهم، والمُراد هنـا الأوّل ، وهى أيضا : جمع لأْمة ، وهى الدِّرع . وأصله الهمز ثم يُخفف . وأما «اللام» التى بمعنى الشخص والسهم ، فلا أصل لها فى الهمز .

والباء والباءة : النِّكاح . وقيل : الباء، الجمع؛ والباءة، الواحدة . ويُجمع على الباآت أيضا . وسُمى النِّكاح : باءة و باء؛ لأن الرجل يتبوّأ من أهله ، أى يَستمكن منهنّ ، كما يتبوّأ من داره . وقيل : الأصل فى « الباء » المنزلة ، ثم قيل لعَقد التزويج : باءة ؛ لأن من تزوّج آمرأة بوّأها منزلًا .

وقريب من قول أبى العلاء قولُ أبى الطّيب :

هِبتُ النِّكاح حِذارَ نَسْل مِثلنـا حتى وَفرتُ على النِّسـاء بَناتِهـا

وقـوله :

وما الدَّهر أهـلٌ أن تُؤمّل عنده حياةٌ وأن يُشتاق فيـه إلى نَسل

يصف حاله وحال النـاس حين تزوّجوا فأعقبوا، وحين عفّ هو عن الزواج فلم يُعقب .

١٠ (تَثاءب عَمْرٌو إذ تَثاءبَ خَالدٌ بِعَدْوَى فَمَـا أَعْدَتْنِيَ الثُّؤَباءُ)

خصّ « التثاؤب » لأن الإنسـان إذا رأى من يتثاءب تثـاءب بتثاؤُبه . ويقال فى المثل : أعدى من الثُّؤباء . قال الشاعر :

أعدى من الثُّؤباءِ صـــداقةُ السُّفهاءِ

ولم يرد بـ « عمرو » و « خالد » شخصَيْن بعينيهما ، ولعلّه قصد إلى ما يحمل أصلاهما من التَّعمير والخُلود ، التفاتًا منه إلى المَعنى الذى هو آخذٌ فيه .

والعَدوى : آسم من أعدى يُعدى ، إذا أجاز الذى به إلى غيره ، أو أجاز ما بغيره إليه . وأصلُه : عدا يعدُو، إذا جاوز الحد . وتَمادى القوم، أى أصاب هذا مثلُ

داء هذا . والعَدوى أيضا : طلبُك إلى والٍ ليُعديك على مَن ظلمك ، أى أن يَنتقم منه :

والثُّؤباء ، من التثاؤب ، مثل « المُطواء » من التمطى .

جعل الزواج كعدوى التثاؤب شيئا يأتيه الناس عن غير إرادة وتدبُّر .

١١ ﴿ وزَهَّدنِى فى الخَلْقِ مَعْرِفَتِى بِهِمْ وعِلْمِى بأنّ العَـالِمينَ هَبَاءُ ﴾

زهّده فى الأمر : رغّبه عنه . وفى حديث الزُّهد : وسُئل عن الزُّهد فى الدُّنيا فقال : « هـذا ألّا يَغلب الحلالُ شُكره ، ولا الحرامُ صَـبره » . أراد ألّا يَعجز ويُقصرِّ شُكرُه على ما رزقه الله من الحلال ، ولا صَبرُه عن ترك الحَرام .

زَهِد فى الشىء وعنه : رَغب عنه . والشىءَ : عدَّه زهيدًا قليلا . وأَزهد الرجلُ ، إذا كان لا يُرغب فى ماله لقلّته .

والعـالَم : الخَلق كلّه ، وقيل : هو ما آحتواه بَطن الفَلك ، آسم بُنى على مثال « فاعَل » ، كما قالوا : خاتَم ، وطابَع ، ودانَق . ولا واحد له من لفظه ؛ لأنه جمع أشياء مُختلفة ، فإن جُعل آسمًا لواحد منها صار جمعًا لأشـياء مُتفقة . والجمع : عالَمون ، ولا يُجمع شىء على «فاعَل» بالواو والنون إلا هذا . وقيل : جمع «العالَم» الذى هو بمعنى الخلق : العوالم .

والهَباء : ما تُطيره الريحُ فتراه على وُجوه الناس وجُلودهم وثيابهم يلزق لُزوقا .

وتقول : أرى فى السماء هَباء ، ولا تقول : يومُنا ذو هبـاء . والهَباء أيضا : ما يَظهر فى الكُوى من ضـوء الشمس ؛ ومن الناس : من لا عُقول لهم . وأَهبى الفرسُ وغيرُه ، إذا أثار الهَباء .

وكأن أبا العلاء بهذا البيت يعلّل ما أخذ نفسه به .

١٢ ﴿وَكَيْفَ تَلَافِي الَّذِي فَاتَ بَعْدَمَا تَلَفَّعَ نِيرَانَ الحَرِيقِ أَبَاءُ﴾

التلافى : افتقاد الشيء وتداركه . وأنشد ابن الأعرابي :

يُخبّرنى أنّى به ذو قرابة وأنبأته أنّى به متلافى

أى إنى لأدرك به ثأرى .

والتلفّع : الاشتمال . يقال : لفعته النار، إذا شملته من نواحيه وأصابه لهيبها؛ والشيب رأسه : شمله . ولفّعته النارَ، فتلفّعها؛ والأهوالُ الشيبَ رأسَه، فتلفّعه؛ أفاده التضعيف جديدَ تعدية وردّته المطاوعة إلى أحد المعمولين . وشاهده قول أبى العلاء «تلفّع نيرانَ الحريق أباء» . أما التلفّع بمعنى التغطية فليس له ثلاثىّ متعد . ورباعيه المضعّف من ذوى المعمول الواحد، ومطاوعه لا يصل إلى معموله إلا بالحرف . وشاهده قول جرير:

لم تتلفّع بفضل مئزرها دعدٌ ولم تُغذَ دعدُ بالعُلَب(١)

وتقول : لفع رأسه، أى غطّاه، ولم يُسمع فيه « لفع » مخفّفا متعدّيا ، كما سُمع فى معنى الشمول، وإن كان منه .

والأباء، بالفتح والمد : القصب . وقيل : هو أجمة الحلفاء والقصب خاصة؛ الواحدة : أباءة . قال كعب بن مالك الأنصارى يوم حفر الخندق :

من سرّه ضربٌ يُرعبل بعضُه بعضا كمعمعة الأباء المحرَقِ

فليأتِ مأسدةً تُسنّ سيوفها بين المَزاد وبين جزع الخندق

قال ابن برّى : وربما ذُكر هذا الحرف فى المعتل من الصحاح ، وأن الهمزة أصلها ياء . قال : وليس ذلك بمذهب سيبويه، بل يحملها على ظاهرها حتى يقوم

(١) العلب جمع علبة ، وهى قدح ضخم من جلود الإبل . وقيل : هى العلبة من خشب كالقدح الضخم يحلب فيها .

دليل أنهـا من الواو أو من الياء ، نحو الرداء ، لأنه من التردية ؛ والكساء ، لأنه من الكُسوة .

جعل آشتعال الرأس بالشيب ، كاشتعال النار فى قصب الأُجمة لم تترك منه شيئا .

وكأنه يريد ألّا يترك لناصح إليه سبيلا ، فهو يردّه عنه بأنه قد بلغ سنّا لا تفكير معها فى أن يتدارك ما فات .

١٣ (إذا نَزَل المِقْدارُ لَمْ يَكُ للقَطا نُهوضٌ ولا للمُخْدِراتِ إبَاءُ)

المقدار ، هنا : الموت . وقال اللّيث : المِقـدار : آسم القَدْر ، بمعنى المبلغ ، ومنه : إذا بلغ العَبد المقدار مات . وأنشد :

لو كان خَلفَك أو أمامك هائبًـا بشرًا سِـواك لهـابك المِقـدارُ

يعنى الموت .

والقَطا : جمع قَطاة من الطيور ، سُمى بذلك لِثقل مَشيه ، وقيل : لصوته . ومنه بيتُ النابغة :

تَدعو قَطًا وبه تُدْعَى إذا نُسِبت يا صِدْقَها حين تَدعوها فتَنْتَسبُ

وفى المثل : إنه لأدلّ من قَطاة ؛ لأنها تَرِد المـاء ليلًا من الفَلاة البعيدة . وفيه : وإنه لأحذق من قطاة ؛ لأنها تقول : قطا قطا . وفيه أيضا : لو تُرك القطا ليلًا لنام . يُضرب لمن يَهيج إذا هِيج .

والمُخدِر ، على صيغة اسم الفاعل ، من : أَخدر يُخدر ، إذا آتخذ الأَجمة خِدرا . ويُريد بـ « المُخدرات » صُنوفَ الحيوان المُتنعات بالأَجمات .

وأقام « القطا » و « المُخدرات » مثلَين للطَّير والحيوان . وخَصّ « القطا » إذ أنه أهدى ، و « المُخدرات » لأنها أقوى .

والإباء : الامتناع ، فعلُه : أَبى يأبى ، بالفتح فيهما .

كما خص « القطا » بالنهوض ، وهو الطيران ؛ إذ هو مَفزعها مع الحدثان ؛ و « المُخدرات » بالإباء ، لأن بالأجمات إخدارُها تمتنع فيها .

١٤ ﴿وقد نُطِحَتْ بالجَيْشِ رَضْوَى فلم تُبَلْ ولُزَّ برَايَاتِ الخَمِيسِ قُبَاءُ﴾

النَّطح ، للكِباش ونحوها ، ويُقْتاس من ذلك تناطُح الأمواج والسُّيول والرِّجال فى الحرب .

ورَضوى ، بفتح أوّله وسكون ثانيه : جَبل على مَسيرة يوم من يَنْبُع ، وعلى سَبع مراحل من المدينة . وهو الجَبل الذى يزعُم الكَيسانية أن محمد بنَ الحنفيّة به مُقيم حىٌّ يُرزق .

ولم تُبَلْ : على القصر ، لم تَكترِث ؛ والأصل : لم تُبالِ ؛ وقيل : حُذفت الألف تخفيفًا لكثرة الاستعمال ، كما حَذفوا الياء من قولهم : لا أَدرِ . وكذلك يفعلون بالمصدر فيقولون : ما أباله بالةً ، والأصل فيه : بالية . وقال ابن برّى : لم تحذف الألف من قولهم « لم أُبَل » تخفيفا ، وإنما حُذفت لالتقاء الساكنين . وقال الخليل : هى من « باليت » . ولكنهم لما أَسكنوا اللام حذفوا الألف لئلّا يلتقى ساكنان ، وإنما فعلوا ذلك بالجَزم لأنه مَوضع حذف ، فلما حَذفوا الياء ، التى هى من نفس الحرف بعد اللام ، صارت عندهم بمَنزلة نون « يكن » حيث أُسكنت ؛ فإسكان اللام هنا بمنزلة حَذف النون من « يكُن » . وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثُر فى كلامهم حَذف النون والحركات ، وذلك نحو : مذ ، ولدنْ ، وقد عُلِمْ . وإنما الأصل : مُنذ ، ولدن ، وقد علمَ . وهذا من الشواذ ، وليس مما يُقاس عليه ويَطرد .

واللّز : لُزوم الشيء للشيء .

والخَميس : الجَيش؛ وقيـل : الجَرّار، أو الخَشِن . وقال آبن سِـيدَه : هو الجيش يخمس ما وجـده ، وسُمى بذلك لأنه خَمْس فِرق : المُقَـدِّمة ، والقَلب ، والمَيمنة ، والمَيسرة ، والساق .

وقُباء ، بالضم ، وألفـه واو ، يُمـدّ ويقصر ولا يُصرف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة .

وقُباء ، أيضًا : مدينة كبيرة من ناحية فرغانة قرب الشاش .

ضَرب « رضوى » و « قباء » مثلَين للجَبل والسَّهل .

يحاول أبو العـلاء بهذا البيت والذى قبله أن يجع النـاس على ما يرى فيهوّن عليهم الحيـاة ، ويُبيِّن لهم أنهم أهون عليها من رَضوى وقُباء ؛ فهما باقيان على الأحداث مهما تنادرت عليهما ، على حين لا يفلت منهـا القطا والحدرات ، على جهد منهما .

١٥ (عَلَى الوُلْد يَجْنِي والدٌ ولَو آنّهم   وُلَاةٌ على أَمْصَارِهِمْ خُطَبَاءُ)

الولد ، بالضم وبفتحتين : ما وُلد أيًّا كان ، وهو يَقع على الواحد والجميـع ، والذكر والأُنثى . ويجوز أن يكون « الوُلد » بالضم : جمع ولد؛ والوِلد ، بالكسر ، كالوُلد ، بالضم ، لغة ، وليس بجمع ؛ لأنّ « فَعَل » بالتحريك ليس مما يُكسَّر على فِعل .

١٦ (وَزَادَكَ بُعْدًا مِن بَنِيكَ وزَادَهُمْ   عَلَيكَ حُقُودًا أنّهــم نُحَسَاءُ)

الحُقود والأحقاد : جمعًا حِقد ، وهو الضِّغن .

١٧ (يَرَوْن أبًا أَلقاهُمُ فى مُؤَرَّبٍ   مِنَ العَقْدِ ضَلَّتْ حَلَّهُ الأُرَباءُ)

العقد : نقيض الحلّ . وتأريب العَقد : إحكامه . يقال : أَرِّب عُقدتك ، أى أَحكمها ، ومنه قول كَنّاز بن نُفيع يُخاطب جريرا :

غَضِبْتَ علينا أن عَلاك ٱبنُ غالبٍ فهلّا على جَدَّيْكَ فى ذاك تَغضبُ
هما حين يَسعى المرء مَسعاةَ جَدِّه أناخَا فشَدّاك العِقالَ المُؤرِّب

والأرباء : جمع أريب ، وهو الداهية البَصير بالأُمور .

١٨ ﴿وما أَدَّبَ الأَقْوامَ فى كُلِّ بَلْدةٍ إلى المَيْنِ إلّا مَعْشَرٌ أُدَباءُ﴾

أَدب يأدِب ، بالكسر أَدْباً : دعا ، هذا أصلُه ، ثم ٱستُعمل فى الدعوة إلى الطعام ، كما قيل لما يأدِب الناسَ إلى المحامد وينهاهم عن المقابح : أَدبا . وقد يوجَّه هنا على الأصل كما قد يُوجه إلى هذا المعنى الأخير لنُكتة .

والمين : الكذب ، ويُجمع على مُيُون . والفعل منه : مان يَمين . والمائن : الكاذب . وإذا أردت المبالغة قُلت : مَيُون ومَيّان . وتقول : وُدٌّ فلان مُتَماين ، وفلان مُتَماين الودّ ، إذا كان غيرَ صادق الخُلّة .

والمَعشر : كُل جماعة أمرُهم واحد ، نحو : مَعشر المسلمين ، ومَعشر الفقهاء .

وما نظن أبا العلاء أراد من الأدباء إلّا الداعين إلى زُخرف الحياة المُرَغِّبين فيها ، وما هذا من رأيه .

١٩ ﴿تَتَبَّعُنا فى كُلِّ نَقْبٍ ومَخْرِمٍ مَنايَا لَهَا مِن جِنْسِها نُقَباءُ﴾

تَتبَّعنا ، أى تتتبعنا .

والنَّقب ، بالفتح والضم : الطريق ، وقيل : هو الطريق الضيّق فى الجَبل . والجمع : أنقاب ونِقاب . وقال الأزهرى فى جمعه : نِقَبة . قال : ومثله : الجرف ، وجمعه جِرَفَة .

والمَخرِم ، بكسر الراء ، واحد المخارم ، وهى أفواه الفِجَاج والطُّرق فى الغلَظ . وقيل : الطُّرق فى الجبال أو الرَّمل . وفى حديث الهجرة : « ... مَرّا بأَوس الأَسلمىّ

فحَمَلهما على جمل و بَعث معهما دليلًا وقال : آسلك بهما حيثُ تعلم من مَخارم الطُّرق » .

ونُقباء : جمع نَقيب ، وهو الضَّمين والكَفيل .

يُشير إلى تنوّع أسباب الموت ، وأنها للإنسان بكُل مكان .

٢٠ (إذَا خَافتِ الأُسدُ الخماصَ من الظُّبَا   فكَيفَ تَعدّى حُكْمَهُنّ ظِبَاءُ)

الخماص : جمع خَمصان ، بالفتح والضم ، وهو الضامر البَطن جُوعا . والأسد إذا جاع كان أشرى . ولم يجمعوه بالواو والنون ، و إن دخلت الهاء فى مؤنثه ، حملًا له على فَعلان ، الذى أُنثاه فَعلى ؛ لأنه مثلُه فى العِدّة والحَرَكة والسكون . وحكى آبن الأعرابىّ : آمرأة خَمصى ، وأنشد للأصم عبد الله بن رِبْعِىّ الدُّبيرىّ :

لكنْ فتاةٌ طَفلةٌ خَمْصى الحَشَا   عزيزة تَنام نَوماتِ الضُّحى

* مثل المهاة خَذلت عن المَها *

والظُّبا ، كهُدى : من جموع ظُبة ، أهمله آبن مَنظور وذكره الفَيروزابادى : وهو حَد السيف ، ومثلُه : ذُبابُه .

وتعدّى ، أى تتعدى ، حُذف منه حرف المضارعة . والتعدّى : التجاوُز .

جعل الخَلق فى الخوف والهَلع سواء ، لافرق فى ذلك بين القوىّ والضعيف .

اللزوميـــة الثانيـــة

وقال أيضًا فى الهمزة المَضمومة مع الباء :

١ ﴿تُكَرَّمُ أوْصالُ الفَتَى بَعد مَوْتِهِ وهُنّ إذا طَال الزّمانُ هَبَاءُ﴾

الأوصال : مُجتمع العِظام والمَفاصل . وفى صِفته صلّى الله عليـه وسلّم : إنه كان فَعْم الأوصال، أى مُمتلئ الأعضاء . الواحد: وِصل، بالكسر والضم . وقيل : الوصل : كُل عظم على حِدة لا يُكسَر ولا يُخلط بغيره ولا يُوصـل به غيرُه ، وهـو الكِسْر والجَدْل .

وقد مَرّ الحديث على «الهبـاء»⁽¹⁾ .

ينْعى أبو العلاء على الناس تعلُّقهم بالجُثث بعد تخلِّى الأرواح عنها، مُذكِّرًا إياهم بأنها مُستحيلة بعـد زمان إلى تراب لا قِوامَ لها ولا شَكل ، جاعلًا هذا منهم نوعَ آستمساك بالبقاء ، وعدم إيمـان بالفَناء .

٢ ﴿وأرواحُنَا كالرَّاحِ إنْ طَالَ حَبْسُها فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ سِبَاءُ﴾

الراح : الخمر، آسم له . شبّه الروح بها بجامع الحركة والإنعاش .

والسِّباء : مصدر : سَبى الخمرَ يَسبيها، أو سبأها يَسبؤها . وهو على الأوّل بمعنى : حَملها من بلد إلى بلد وجاء بها من أرض إلى أرض . قال أبو ذُؤيب :

فمَـا إنْ رَحيـقٌ سَبَتْها التِّجا رُ من أَذرِعاتٍ فَوادِى جَدَرْ

وعلى الثانى فالمعنى : اشتراها ، أو اشتراها ليشربها . فإن لم تَهمز كان المعنى فيه الجَلب، وإن همزت كان المعنى فيه الشراء . والمعنى على التوجيهين مستقيم ، فكلاهما يُفيد الآحتياز .

(١) انظر شرح البيت ١١ من اللزومية الأولى (ص ٥٧) من هذا الجزء .

جعل الروح كالراح ، مهما طال حبسها فى الجسد كما يطول حبس الراح فى الدّن ، فلا بُدّ أن تخرج من دَنّها ، يحتويها غيره ويحوزها ، أو تُراق وتُشرب .

وكما يشير الأول إلى التناسخ ، يشير الثانى إلى ضدّه .

٣ (يُعَيِّرُنَا لَفْظَ المَعَـرَّة أَنَّهـا مِنَ العُرِّ قَوْمٌ فِى العُـلَا غُرَبَاءُ)

التعيير : التعايُب والتسابّ . والعامة تقول : عيّره بكذا . والصواب : عَيّره كذا . قال النابغة :

وَعيّرتنى بنو ذُبيانَ خَشْيَتَه وهلْ علىّ بأن أَخشاكَ مِن عَارِ

والمعرّة ، هى معرّة النعمان ؛ منها كان أبو العلاء . وأما معنى « المعرة » لغة : فالجَرب والشدة ، وتلوُّن الوجه من الغضب ، والغُرم ، والدِّية ، وقتال الجيش دون إذن الأمير . وهى أيضا كوكب فى السماء دون المجرّة ، سُميت بذلك لكثرة النُّجوم فيها ، تشبيها لها بالجَرب فى آنتشاره .

و النُّعمان ، الذى نُسبت إليه ، هو ابنُ بَشير ، صحابىٌّ آجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه ، فسُميت به .

وقال ياقوت : وهـذا فى رأيى سَبب ضعيف لا تُسمى بمثله مدينة . والذى أظُنه : أنها مُسماة بالنعمان ، وهو الملقَّب بالساطع بن عَدىّ بن غَطفان بن عمرو ابن بَريح بن خُزيمة بن تيم الله ، وهو تَنوخ بن أسـد بن وَبرة بن تَغلب بن حُلوان ابن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

وهى مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حِمص بين حلب وحَماة .

والعُرّ ، بالفتح والضم : الجَرب . وقيل : العَر ، بالفتح : الجَدب . وبالضم : قُروح بأعناق الفُصلان .

٤(فإنّ إبَاءَ اللّيثِ ما حَلّ أنْفه   بأنّ مَحِـلاتِ اللّيـوثِ أباءُ)

الإباء : الامتناع .

وأنف الشيء : أشدّه، تقول : جاء يعدو أنف العَدْو، أى أشدّه .

وما حلّ ، أى ما نقص ونَقض من مرتبته .

ومحلات : جمع محلة، وهى المنزل يُنزل فيه .

والأباء : جمع أباءة ، وهى أجمة القَصَب . وقد مَرّ عنها مَزيد[1] .

ومحلّ « البـاء » وما اتصلت به، من « أن » ومعموليها، الرفعُ على الفاعلية للفعل « حَلّ » .

يعنى أبو العلاء أن الليث ، وهو ماهو بأسًا وشـدّة ، لم يَحُطّ من قدره حلولُه فى ظلال الأشجار فى العَراء، لا يحتويه ما يحتوى العُظماء، من مَشيد البِناء .

٥(وهَلْ لحِقَ التّثريبُ سُكّانَ يَثْرِبٍ   مِنَ الناسِ لا بَلْ فى الرِّجالِ غَبَاءُ)

التّثريب : التّوبيخ . يقال : ثرّب عليـه : إذا لامه وعيّره ذنبه وذكّره به .

وفى التنزيل العزيز : (قال لا تثريب عليكم اليوم) قال الزّجاج : معناه : لا إفساد عليكم . وقال ثعلب : معناه لا تذكروا ذُنوبكم . وفى الحديث : « إذا زنت أَمةُ أحـدكم فليضربها الحـدّ ولا يُثرّب » . قال الأزهرى : معنـاه : ولا يُبكّتها ولا يُقرّعها بعد الضرب . وقيل : أراد : لا يَقنع فى عُقوبتها بالتّثريب، بل يَضربها الحدّ ، فإن زِنَى الإماء لم يكن عند العرب مَكروها ولا مُنكرا ، فأمرهم بحدّ الإماء كما أمرهم بحَد الحرائر .

وثرّب عليه وعرّب عليه ، بمعنى، إذا قبح عليه فعلَه .

---

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية الأولى : (ص ٥٨) من هذا الجزء .

وَيثرب : مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سَماها : طِيبة، وطابَة، كَراهيةً للتَّثريب . وقيل : إن يَثرب : ناحية من مدينة النبيّ صلى الله عليه وسلم . والنِّسبة إليها يَثربىّ : وأثربِىّ . وأَثْرَبىّ، فتحوا الراء آستثقالا لتوالى الكَسرات .

والغباء، أصله : غبا، فُـد للشعر . يقال : غَبِى الشىءُ، وغَبِى عنه، غَبًا، وغباوة : لم يَفطن له . كما يقال : غَبِى الأمرُ عنّى، أى خفى فلم أعرفه . وفى حديث الصوم : « فإنّ غَبِى عليكم » أى خَفِى . ورواه بعضُهم « غُبِّى » بضم الغين وتشديد الباء المكسورة، لما لم يُسمَّ فاعلُه .

وأما الغَباء، بالمد، فهو شِـبه الغُبرة فى السماء، وكذلك الخَفاء من الأرض .

٦ (هُمُ ضَارَبُوا أولَادَ فِهرٍ وجَالَدُوا   عَلَى الدِّينِ إذ وَشْىُ المُلُوكِ عَبَاءُ)

المضاربة والمجالدة، بمعنى . وفى آختياره لصيغة « فاعَلَ » فى الفعلين إشارة لما نالوا من خُصومهم ونال منهم خصومهم، وهو أمدح .

وفِهر، أبو قبيلة : وهو أصلُ قُريش، وهو فِهر بن غالب بن النَّضر بن كِنانة . وقُريش كُلهم يُنسبون إليه .

والوَشى من الثياب، هو أن يكون من كُل لون . وقيل : ما آختلط فيه لونٌ بلون . والجمع : وِشاء .

والعَباء : جمع عَباية، وهى ضَرب من الأكسية واسعٌ فيه خُيوط سُود كِبار . يُشير إلى ما كانوا عليها حينذاك من بداوة، فى ظلها الحَمِيّة أشد، والحِفاظ ألدّ .

٧ (ضِرَابًا يُطِيرُ الفَرْخَ مِنْ وَكْرِ أُمِّهِ   وَيَتْرُكُ دِرْعَ المَـرْءِ وَهْىَ قَبَاءُ)

الوَكر : عُش الطائر وإن لم يكُن فيـه . وقال الأزهرىّ : هو مَوضع الطائر الذى يَبيض فيه ويُفرخ . وزاد أبو عَمرو : هو العُش حيثما كان، فى جبل أو شجر . والجمع القليل : أوكُر، وأوكار، والكثير : وُكور، ووُكُر .

والدِّرع : لَبوس الحديد : تُذكَّر وتؤنَّث . يقال : دِرْع سابغة وسابغ . والجمع في القليـل : أدرُع وأدراع ، وفي الكثير : دُروع . وتصغير دِرع : دُرَيع ، بغير هاء ، على غير قياس ، لأنّ قياسه بالهاء ، وهو أحد ماشذّ من هذا الضّرب .

والدِّرع كذلك : قَميص المـرأة ، وهو أيضا الثوبُ الصغير تَلبسـه الجارية الصغيرة في بيتها . وكلاهما يُذكَّر ، وقد يؤنّثان . وقال اللِّحياني : دِرع المرأة مُذكَّر لا غير .

والقَباء ، ممدود : نوع من الثياب مُجتمِـع الأطراف .

يصف شدّة الطعن والضرب .

٨ (وذو نَجَبٍ إنْ كانَ ماقِيلَ صادِقا فمـا فِيــه إلّا مَعْشَرٌ نُجَباءُ)

ذو نَجَب ، مُحرّكة : وادٍ لمُحـارب ، كانت فيــه وَقعة لبني تَمـيم على بني عامر ابن صعصعة . دَعت بنــو عامر حسّان بن معـاوية بن آكل المُرار الكِندىّ ، وهو ابن كَبشة . وكَبشة : امرأةٌ من بني عامر بن صعصعة ـــ بعـد وَقعة جَبلة بحَول ، إلى غَزو بني حنظلة ، وَهوّنوا أمرَهم عليه . فساروا إليهم في جَمع وثَروة ، ووقعت الحرب ، فقُتِـل ابنُ كبشة الملك ، وأُسر يزيد بن الصَّعِق وغيرُه من وجوه بني عامر ومن تَبِعهم . فقال سُحَيم بن وُثَيل الرِّياحىّ :

ونحن ضَربنـا هامةَ ابنِ خُويلد يَزيدَ وضَرَّجنـا عُبيـدَةَ بالدّمِ
بذي نَجَب إذ نحن دون حَريمنـا على كُلّ جيّاش الأَجاريّ مِرْجَم

والنَّجب ، في الأصل : قُشور الشجر ، ولا يقال لمـا لان من قُشور الأغصان .

يردّ أبو العلاء بهذا البيت ، والأبيات الخمسة قبله ، على مَن عاب على أهل المعرة مَعرتهم ، لمـا تَحمله بِنية الكلمة من معنى غير جميل ، مُدلّلًا بمـا ساق من نظائر .

ولقد تبدو الصلة بين هذه الأبيات الستة والبيت الأول من اللزومية مقطوعة ، ولكنّ أبا العلاء حين بدأ بتذكير النـاس بالفَناء ، جعل هذا وسيلَته لصرفهم عن

الاشتغال بالتفاخر فيما لا غَناء فيه — وأدلّتهم عليه مَكذوبة ، ولا يكسبون منه إلا التناحُر — إلى ما خير فيه ، ويردّهم إلى وئام ومَحبة .

٩ (هَل الدِّينُ إلا كَاعِبٌ دُونَ وَصْلِها حِجابٌ ومَهْرٌ مُعْوِزٌ وحِبَاءُ)

الكاعب : الجارية حين يبدو ثَدْياها للنُّهود ، والجمع : كواعب . قال تعالى : ﴿ وكواعِبَ أترابا ﴾ .

ومُعوز ، أى يُعوز صاحبَه . يقال : أعوزه هذا الأمرُ ، إذا اشتدّ عليه وعَسُر ، أو قَلّ عنده مع حاجته إليه .

وإعواز المهر دليل على ثِقله . وثقله دليل على عزة الكاعب ومكانتها .

والحِباء : العطاء : وهو ما يَحبو به الرجلُ صاحبَه ويُكرمه به .

يريد به ما يسبق المهر من هدايا جليلة .

جعل الدين كهذه الكاعب جَمالا ، يُرغب فيها ، ويَحول بينها حجاب مانع ، ومَهر مُعوز ، وحِباء مُثقل ، وكل هذه لا يَقوى عليها إلا الأشدّاء ، ولا يصبر لها إلا أولو العزم .

١٠ (ومَا قَبِلَتْ نَفْسٌ من الخَيرِ لَفظَه وإنْ طَالَ مَا فَاهَتْ به الخُطَبَاءُ)

فاه يفوه : نَطق ، مثل تَفوّه .

يجعل أبو العلاء الخير صِنو الدِّين ، عزيزَ المَنال ، صَعب المَطلب ، يسيرٌ على الناس أن تجرى بذكره ألسنتهم ، ويصعبُ عليهم أن يلموا به ، وإن النفوس لأنفر من وعظ الواعظ ، إن رأته على غير ما يقوله .

وهو حين يدعو الناس إلى الانصراف عن عَبث التناحر فيما لا خير فيه ، يدعوهم إلى التفكير فيما هو أجدى من دين لا يرضى لهم معه تلك الإلمامة الهيّنة الخفيفة .

١١ (تَفَزَّعُ أَعْرَابيَّةٌ أن جَرَتْ لَهَا   نَوَاعِبُ يَسْتَعْرِضْنَها وظِبَاءُ)

تفزع ، أى تتفزع ، مع حذف تاء المضارعة .

وجرت لهـا : وقعت وحَدثت .

والنواعب : الغِربان تَنعب . والنَّعيب ، للغُراب ، و يقال لغيره على الاستعارة . وهو ممـا يُتطيَّر به ؛ إذ لا يُرى الغُراب إلا على آثار الدِّيار بعد أن يُخلِّفها أهلوها .

ويَستعرضنها ، أى يجئنها من جانبها عَرْضا .

يُشـير إلى تطيُّر العَرب بالسوانح والبوارح من الطَّير والظِّباء وغيرهما ، فكانوا يُثيرونها ، فإذا مرّت شِمالا فهى البارحة ، فتشاءموا بهـا ؛ و إذا أتتهم عن اليمـين فهى السانحة ، وتيمّنوا بهـا . وفى الحديث : « ثلاثة لا يَسـلم منها أحد : الطِّيَرَة والحسـد والظن . قيل : فمـا نصنع ؟ قال : إذا تَطيَّرتَ فأمْضِ ، و إذا حَسدت فلا تَبْغِ ، و إذا ظَننت فلا تُصحِّح » .

١٢ (وما الأُرَبى للحىِّ إلا مُسِفَّةٌ   عَلَى أنَّهمْ فِى أَمرِهِمْ أَرِبَاءُ)

الأُربى ، بضم الهمزة : الداهية . قال ابْنُ أحمر :

فلمـا غَسى ليـلى وأيقنتُ أنهـا   هى الأُرَبى جاءت بأُم حَبَوْكَرَى[1]

قال الزَّبيدى : وهى كشُعبِى وأُربى ، ولا رَابع لها .

ومُسِفَّة ، أى مُحيقة بهم حالّة دانيـة ، لا مَهرب منهـا ولا مَنجى ، ولا مَفرّ ولا معدى ، وهى من «الإسفاف» الذى هو الدُّنو والقُرب ، يقال : أسفَّ الطائر ، إذا دنا من الأرض ؛ والسحابُ ، إذا تدلّى حتى قَرب من الأرض .

(١) أم حبوكرى : الداهية .

أو هى مُحدِقة إليهم ناظرة لا يفُوتها منهم فائت ، ولا يَغيب عنها أحد ، من « أسف الرجل » : إذا أحدّ النظر وأدامه .

أو هى لازمة لهم لاصقة بهم . وكل ما لَزم شيئا فلم يبرحه ، ولَصق به فلم يُباعده ، فقد أسفّ به .

١٣ (تَعادَتْ بَنُو قَيْس بنِ عَيْلَانَ بالغِنَى   فثَابُوا كأَنَّ العَسْجَدَ الثُّوَبَاءُ)

تعادى القوم ، أى أصاب هذا مثلَ ما أصاب هذا .

وعَيلان أبو قيس ، هو إلياس بن مُضر بن نزار .

وقيل : الصواب : قيس عيلان ، مضافا .

وقال الجوهرىّ : وليس فى العرب « عيلان » غيره .

وآستدرك عليه الزَّبيدى فقال : وعيلان : بطن من باهلة . وعَيلان ، هو فى الأصل : آسم فرسه ، فأضيف إليه .

وقيل : إنما عيلان : عَبد مُضر ، حضَن إلياس ، فغلب عليه ونُسب إليه .

وقال السُّهيلى فى « الروض الأنف » : « قيس بن عيلان » هو المشهور عند أهل النسب . وبعضُهم يقول : قيس ، هو عيلان ، لا آبنه . قال : وعُرف « قيس عيلان » بفرس له يُسمى : عيلان ، كما عُرف « قيس كُبّة » فى « بجيلة » بفرس له اسمه « كُبة » . وكان هو وقيس عيلانَ مُتجاورين . فإذا ذُكر أحدهما وقيل : أى القيسين هو ؟ قيل : قَيس عيلانَ ، أو قيس كُبة .

كما قيل : إن عيلان كان آسم كَلبٍ له . وقيل : آسم جَبل وُلد عنده .

وقيل : كان قيس عيلان جوادًا أتلف ماله فأدركته عَيلة ، فسُمّى : عَيلان .

وثابوا ، أى امتلأت به أيديهم ، من ثاب الحوض ، إذا آمتلا .

والعَسجد : الذهب ، وقيل : هو آسم جامع للجوهر كله من الدرّ والياقوت .

والثُّؤباء ، من التثاؤب . وقد مرّ(١) .

جعل شيوع الغنى يأخذه أحدهم عن الآخر كالثؤباء ، تشيع عدواها بين الناس . يصف يسر حالهم وتمكنهم فى الأرض .

١٤ (ولَوْلَا القَضاءُ الحَتْمُ أُخْبِي واقِدٌ ولَم يُبْنَ حَوْلَ الرّاقِدِينَ خِبَاءُ)

الحَتم : اللازم الواجب الذى لا بُدّ من فِعْله .

وخَبت النار : سكنت وطَفِئت وخَمَد لهبُها . وأخبيتُها أنا . قال الكُميت :

ومنّـا ضِرارٌ وآبنمـاه وحاجبٌ مُؤَجّج نيران المكارم لا المُخْـبِي

والواقد : المُتقد المُشتعل .

والخبـاء : واحد الأَخبية ، وهو ما كان من وَبر أو صُوف ، ولا يكون من شَـعَر . وهو على عَمـودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت . وقد يُستعمل فى المنازل والمساكن ، ومنــه الحديث : « أَتى خباء فاطمة وهى فى المدينـة » . يُريد منزلها . وأصله الهمز ، لأنه يُختبأ فيه .

أى لو لم يَجْـر بذلك قضاء محتوم ، لـمـا اتقدت لهم نار ، ولا قام لهم بنـاء ، ولـمـا عمروا الدنيا وسكنوها . وهكذا يظن الإنسان أنه قادر على الدنيـا وهو بِعدُّ مخـدوع .

---

(١) انظر شرح البيت (١٠) من اللزومية الأولى : (ص ٥٦) من هذا الجزء .

١٥ ﴿وعَادُوا إلَى مَا كانَ إنْ جَاد عارِضٌ   رَأَوْا أنّ رَعْيًا فِي البِلادِ رِباءُ﴾

العارض : السحاب المُطلّ يعترض فى الأُفق .

والرِّباء : الزيادة والنمو . فِعْله : ربا يَربو .

أى ولولا هذا القضاء أيضا ، الذى ساق لهم ما ساق من عِزّ فى الأرض ، وتمكين عليها ، لكانوا هملًا حَسْبهم ما يُنبتُ العارض من كلأ يَرعونه ويَحيون عليه ، وكان لهم غايةَ ما يأمُلون . ولكنّ الحيــاة غرّتهم فنَسُوا بمــا هم فيه ، ضَنْكَ غيرهم ؛ وما لهم عليه من قوّة فيغترُّوا ، ولكنه حظ أصابهم فألهاهم عن التفكير .

١٦ ﴿يُبِيئونَ قَتْـلاهمْ بأَكثَرَ مِنهمُ   وإن قَتلُوا حُرًّا فَلَيْسَ يُبَـاءُ﴾

يقال : أبأت فلانا بفُلان ، إذا قتلتَــه به . و باء فلان بفلان ، إذا قُتــل به وصار دمُه بدمه .

يصف ما انتهوا إليــه من طغيان واستبداد ، وعلوٍّ فى الأرض ، واستعلاء على الناس ، يَنتصفون منهم بأكثر مما يُنصفونهم منهم .

اللزوميـــة الثالثـــة

وقال فى الهمزة المَضمومة مع الباء، والطَّويل الثانى (١) .

١ ﴿ أُرَائِيكَ فَلْيَغْفِرْ لِىَ اللهُ زَلَّتِى   بِذَاكَ وَدِينُ العَالَمِـينَ رِئَاءُ ﴾

راءى فلانٌ فلانا ، مُراآة ورِئاء : أراه أنه يفعل ولا يَفعل بالنيّة .

والزلّة : الزَّلق فى مَنطقٍ أو غيره .

والباء فى « بذاك » للسّببية .

والعالَمين : الخلَق كلهم . واحده : عالم . وقد مرّ (٢) .

ويجوز أن تكون « رئاء » بمعنى : مُتحازية متقابلة . أى إن الناس سواء فيما يَدينون به ، ليس منهم إلا من يُظهر شيئا ويُخفى شيئا . وعليه فقد أفاد « دين » وإن كان على صورة الواحدِ ، معنى الجمع من إضافته إلى مجموع .

٢ ﴿ وقد يُخلِفُ الإنسانُ ظَنَّ عَشيرِهِ   وإِنْ رَاقَ مِنْـهُ مَنْظَرٌ ورُوَاءُ ﴾

الإخلاف : أن يَعِـد الرجلُ العِدَةَ فلا يُنجزها ، أو أن يطلُب الرجلُ الحاجة فلا يَجد ما طلب . يقال : رُجى فلان فأَخلف .

والعَشير : القَبيلة ، والمُعاشر ، والقريب ، والصديق .

والرُّواء ، بالضم : حُسن المنظر فى البهاء والجمال .

٣ ﴿ إذا قَوْمُنَا لم يَعْبُدوا اللهَ وَحْدَهُ   بِنُصْـحٍ فإنّا مِنْهُـمُ بُرَآءُ ﴾

بُرآء : جمع بَرىء ، مثل : فقيه وفُقهاء ، ويُجمع أيضا على « بِراء » مِثل : كريم وكرام ، وأبراء ، مثل : شريف وأشراف ، وأبرياء ، مثل : نصيب وأنصباء .

---

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

(٢) انظر شرح البيت (١١) من اللزومية الأولى (ص ٥٧) من هذا الجزء .

اللزوميـــة الرابعـــة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الباء، والطويل الثانى[١] :

١ ﴿ سَألتُ رِجالًا عن مَعَدٍّ ورَهْطِهِ   وعَنْ سَبَإٍ ما كانَ يَسْبِي ويَسْبَأُ ﴾

معد، هو ابن عدنان، أبو العرب العَدنانية ؛ والميم زائدة، أو أصلية، لقولهم : تَمعدد ، لقلّة « تمفعل » فى الكلام .

وعن النُّحاة : أن الأغلب على « معدّ » و « قريش » و « ثقيف » التذكير والصرف، وقد تُؤنث ولا تُصرف .

والرّهط : قومُ الرجل وقَبيلته وعَشيره .

وقيل : هُم من الرجال ما دون العشرة .

وقيل : إلى الأربعين، ولا يكون فيهم امرأة .

والمراد بالرهط — هنا — : القَبيل ما بَلغ .

يُشير إلى ما كان لمعد وأبنائه من عدد عديد، وعزّ وطيد، وقد مَرُّوا لم يُغن عنهم عددُهم، ولم يَمنعهم عزُّهم .

وسـبأ : لقب ابن يشجُب بن يَعرب بن قحطان ، واسمه عبد شمس ، يَجمع قبائلَ اليمن عامة .

ومرّ الكلام على « السبي » و « السبأ »[٢] .

ولعلّه يلتفت إلى قوله تعـالى : ﴿ لقد كان لسبإٍ فِى مَسكَنِهِم آيةٌ، جنتانِ عن يمينٍ وشِمالٍ ﴾ .

---

(١) بأى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

(٢) انظر شرح البيت (٢) من اللزومية الأولى (ص ٥١) من هذا الجزء .

٢ ﴿فقالُوا هِيَ الأيّامُ لم يُخْلِ صَرْفُها مَلِيكًا يُفَــدّى أو تَقِيًّا يُنَبّـأ﴾

صَرْف الأيام : حِدْثانها ونوائبها ، لأنها تصرف الأشياء عن وُجوهها .

والمليك : ذو المُلْك . والجمع : مُلَكاء .

«فدّاه» بالتضعيف ، قال له : جُعلت فداك . و«فَـداه» بالتخفيف : أعطى فداءه وأنقذه .

و«نُبّأ» أى يُخبَّر . يُريد ما يَقِف اللهُ الأتقياءَ عليه من غَيب ، وهو الكرامة التى يَخُص الله بها أولياءه .

٣ ﴿أرى فَلَكًا ما زَال بالخَلْقِ دائرًا له خَبَرٌ عَنّـا يُصانُ ويُخْبَـأُ﴾

الفَلَك : مَدار النُّجوم . ويُجمع على أفلاك ، ويجوز أن يجمع على فُلْك ، مثل : أَسَد ، وأُسْد . وكأنه يشير إلى ما يذهب إليه بعضُهم من ارتباط حياة الناس بهذه الأفلاك حياةً وفَناء ، وسعادة وشقاء .

٤ ﴿فَلا تَطْلُب الدُّنْيا وإن كُنتَ ناشِئًا فإنّى عَنْهـا بالأخِـلّاء أَرْبَـأُ﴾

الناشئ : فُوَيق المُحتلم . وقيل : هو الحَدَث الذى جاوز حدَّ الصِّغر . وكذلك الأنثى : «ناشئ» بغير هاء ، أيضا . والجمع : «نَشَأ» مثل : طالب وطَلَب ، وكذلك : «نَشْء» مثل : صاحب ، وصَحْب . وفى الحديث : «نَشَأ يتخذون القرآن مَزامير» .

وربأ به عن كذا ، أى رَفعه عنه ونزّهه .

٥ ﴿وَمَا نُوَبُ الأيّامِ إلّا كَتَائِبٌ تُبَثُّ سَرَايَا أوْ جُيُوشٌ تُعْبَـأُ﴾

النُّوَب : النازلات . جمع نادر لنائبة ، والأعرف : نوائب . قال ابن جِنّى : هى «فَعْلة» على «فُعَل» يُريك كأنها إنما جاءت عندهم من «فُعْلة» ، فكأن

« نَوْبةٌ » نُوبة ، و إنمـا ذلك لأن الواو ممّا سبيلُه أن يأتى تابعًا للضمة . قال : وهذا يؤكّد عندك ضَعف حُروف اللين الثلاثة .

والكتائب : جمع كَتيبة ، وهى القِطعة العظيمة من الجيش . وفى حديث السَّقيفة : « نحن أنصار الله وكَتيبة الإسلام » .

وتُبثّ : تَنتشر وتتفرّق .

والسرايا : جمع سرية ، وهى طائفة من الجَيش يَبلغ أقصاها أربعمائة ؛ قيل : سُمـوا بذلك لأنهـم يَنفُذون سرًّا وخفية ، وليس بوجه ؛ لأن لام « السر» راء ، وهذه ياء .

وعَبَاتْ الجَيش وعبّأته : رتّبتهم فى مواضعهم للحرب ، وقد يُترك الهمز .

جعل النّوب سرايا وجيوشا إشارة إلى ما ينزل بالنـاس من خُطوب داهمـة عن غير تقدمة ، وكأنها تَسعى إلى النـاس سرّا ؛ وأُخرى تُلم بهـم بيِّنة الأسـباب معلّلة ، وكأنها مُجاهِرة مكاشِفة .

اللزوميـــــة الخامســـــة

وقال فى الهمزة المَضمومة مع الدال ، والطويل الثانى[(١)] :

١ ﴿بَنِى الدَّهْرِ مَهْلاً إنْ ذَمَمْتُ فِعَالَكُم فإنِّى بِنَفْسِى لا مَحَـالَةَ أبْدَأُ﴾

المهل ، بالإسكان : الرِّفق ؛ وبالتحريك : التقدُّم ، ومنه حديث علىٍّ لأصحابه لما لقى الشُّراة : أقِلُّوا البِطنة وأَعْذبوا ، وإذا سِرتم إلى العَـدو فمَهْلا مَهْلا — أى رِفقا رفقا — وإذا وقعت العيْن على العين فمَهَلا مَهَلا — أى تقدُّما تقدُّما .

قال ابن منظُور : الساكن : الرفق . والمتحرك : التقدم ، أى إذا سرتم فتأنَّوا ، وإذا لَقيتم فاَحمِلوا .

وقال الجوهرىّ : المَهل ، بالتحريك : التُّؤدة والتباطؤ

والمعنى ، هنـا ، على التؤدة والرفق .

والفَعال ، بالفتح : فى المدح والذم ، والخير والشر ، وهو مُخلَّص لفاعل واحد ؛ فإذا كان من فاعلين فهو فِعال ، بالكسر .

ولا محالةَ ، لا بُدّ ، ولا حِيـلة ؛ مَفعلة من الحَـوْل والقوة ، والميم زائدة ، وأكثر ما يُستعمل بمعنى اليَقين والحقيقة .

٢ ﴿متى يَتَقَضَّى الوَقْتُ واللهُ قادِرٌ فَنَسْكُنَ فى هذا التُّرابِ ونَهْدَأُ﴾

يتقضى الوقت : يَفنى وينصرم ، مثل : انقضى .

والسكون ، هنـا : ضد الحركة . وأما السكون بمعنى الإقامة ، فهو من ذوات المَفعول ، وقد يجُوز إليه بالباء .

---

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

٣ (تَجاوَرَ هذَا الجِسْمُ والرُّوحُ بُرْهَةً فَمَا بَرِحَتْ تأْذَى بِذَاكَ وتَصْدَأُ)

البرهة : الحين الطويل من الدّهر . يُشير أبو العلاء إلى قِدم هذه المُجاورة ، وطُول الأمد عليها .

وأَذِى به يَأذى، أَذًى، وأذاة، وأذيّة : تأذّى، فهو أَذٍ . قال الشاعر :

لقــد أَذُوا بك وَدُّوا لو تُفارقهم أذى الهَراسة بين النَّعل والقَدَم (١)

وَصدئت تصـدأ ، أى رَكبها الرَّين وعلاها الطَّبَع والوَسَخ . وفى الحـديث : « إن هذه القُلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » وهو أن يركبها الرَّين بمُباشرة المعاصى والآثام ، فَيذهب بجلائها . والضَّمير للروح .

(١) الهراسة ، واحدة الهراس ، وهو شوك كأنه حسك .

اللزوميـــــة السادســـــة

وقال فى الهمزة المضمومة مع السين ، والبسيط الثانى[١] :

١﴿ يأتِى عَلى الخَلْقِ إصْباحٌ وإمْسَاءُ وكُلّنـا لِصُروفِ الدّهْرِ نَسَّاءُ ﴾

أَتى عليه : أهلكه .

والإصـباح والإمساء ، بكسر الهمزة فيهما : الصُّبح والمساء . وإن فتحت الهمزة فيهما ، فهما جَمْعا : صبح ومساء . والمعـنى على الوجهين مُستقيم ، بل إن أولها محمول على ثانيهما ، والمراد بالمُفرد الجنس وما ينتظم من آحاد .

وصُروف الدهر : حَدَثانه ونوائبـه ؛ الواحد : صَرف ، آسم للدهر ؛ لأنه يَصرف الأشياء عن وجوهها .

ونَسّاء : كثير النِّسيان ، وفعله : نَسى الشىءَ نِسيانا ، ونَسْيا ، بالفتح والكسر ؛ ونِساوة ، ونِسوة . قال الشاعر :

فلستُ بصرّامٍ ولا ذِى مَـلالةٍ ولا نِسْـوةٌ للعهد يا أُمَّ جَعفرِ

٢﴿وكَمْ مَضَى هَجَـرِىٌّ أو مُشاكِلُه مِنَ المَقاوِلِ سَرُّوا النّاسَ أم ساءُوا﴾

هجرىّ : نسبة الى هَجر ، بفتحتين ، مدينة ، وهى قاعدة البحرين . وقيل : ناحية بهـا .

قال ياقوت : وقد عدّها قوم من اليمن ، وجعلها آخرون قصبة برأسها . والنسبة إليها : هَجرىّ ، على القياس ؛ وهاجرىّ ، على غير القياس . والغالب عليها التذكير

---

(١) أى ذو العروض المخبونة ، وضربها مقطوع .

والصرف، وربمــا أنّثوها ولم يَصرفوها . وقد فُتِحت فى أيام النبىّ صلّى الله عليه وسلّم، قيل : فى سنة ثمــان؛ وقيل : فى سنة عشر . على يد العَلاء بن الحَضرمىّ .

وقال ابن الحائك : الهجر، بلغة حمير : القَرية .

والمَقاول : جمع مِقْول، وهو كالقَيل : الملك من مُلوك حِمير على اليمن وما إليها؛ وقيل : هو دون الملك الأعلى . ويُجمع على « مقاولة » أيضا؛ دَخلت الهاء فيه على حدّ دخولها فى « القَشاعمة » .

وذكر « الهجرى » ، وهو يريد كل من كان من هــذا الإقليم الحميرى جملة، إذ كانت هجر قصبتها .

ويريد بالهجــرىّ : مَن كان مِن عامة الشعب لا من قادته، لذكره المقــاول فى مُقابله .

ثم أفاد بالعطف على الهجــرىّ بـ « المشاكل » من كان شأنُه شأنَه طبقةً ومستوى ، وإذا آستقام هــذا فى الشق الأوّل آستقام مثلُه فى الشق الثانى، وكان معنى « المقاول » : السادة عامة .

ولعلّه حين خص «اليمن» بالذكر، متمثّلا بهجرها ومقاولها، يلتفت إلى ما كان لها ولهم من شأن وخطر، فما يجوز على الأعلى كان جوازه على الأدنى غيرَ مدفوع .

٣ (تَتْوَى المُلوكُ ومِصْرٌ فى تَغَيُّرِهم مِصْرٌ عَلَى العَهْدِ والأحساءُ أَحْسَاءُ)

التّوى، مقصور : الهــلاك؛ وقيل : هو هلاك المــال خاصة . وقيــل : ذهاب مالٍ لا يُرجى .

وفعله من باب « فرح » : تَوِى يَتْــوَى تَوًى ، فهــو تَو : ذهب فلم يُرْجَ . وطيئ تقول : تَوَى .

و « مصر » الأولى : القُطر المعروف . تذكّر وتؤنث، تُصرف ولا تُصرف .

و « مصر » الثانية ، قد تكون بمعنى الأولى . وقد تكون بمعنى مصر من الأمصار، أى كُورة من الكور .

والمعنى : أن مصر، وهى ذلك البلد المعروف، لم تزل كما كانت كورة من الكور.

« وأحساء » الأولى : مدينة بالبحرين، أوّل من عَمرها وحصّنها وجعلها قَصبة « هجر » أبو طاهر الحسن بن أبى سعيد الجَنّابى القَرمطى .

و « أحساء » الثانية : قد تكون فى مَعنى الأولى ، وقد تكون جمع « حِسْى » وهو الرمل المتراكم ، أسفله جبل صَلد ، فإذا أمطر الرملُ نَشِف ماء المطر ، فإذا آنتهى إلى الجبل الذى أسفله أمسك المـاءَ ومَنع الرملُ حرَّ الشمس أن ينشّف المـاءَ، فإذا آشتدّ الحرُّ نَبث وجهُ الرمل عن ذلك المـاء فينبع المـاء باردا .

يُريد أن الأحساء — ذلك البلد — لا يزال كما هو رمالًا لم تَستحِلْ شيئا آخر. هذا على المعنى الثانى .

وعلى المعنى الأوّل : فهو يريد أن مدينة الأحساء لاتزال هى هى، يعرفها العالَم باسمها ويذكرها بأحوالها .

٤ (خَسِسْتِ يا أُمَّنَا الدُّنيا فأُفٍّ لَنَا بَنُو الخَسِيسَةِ أَوْباشٌ أَخِسّاءُ)

٥ (وقدنَطَقْتِ بأَصْنَافِ العِظَاتِ لَنَا وأَنْتِ فيما يَظُنّ القَوْمُ خَرْسَاءُ)

خَسّ يخِسّ، من بابى : فرح وضرب : رَذُل وَدنا وكان فى نَفسه خَسيسا .

والفعل « خسسته » على بابه فى الإخبار لا الدعاء ، وهو مسوق للتحسر على التفات الناس عن تلق الموعظة عن الدنيا وإهمال شأنها ، وهو ما صرح به فى بيته الثانى :

وأفّ : كلمة تضجّر . وفيها عشرة أوجه جمعها ابنُ مالك فى بيت واحد ، وهو قوله :

فأُفْ ثلّث ونوّن إن أردتَ وقُل … أُفّى وأُفِّى وأُف وأُفّةَ تُصِبْ

والحَسيسة : الضّعة والحِطّة .

وأخسّاء : جمع خَسيس ، لم يَرِد ، وإن صِيغ على مثاله كما فى : عزيز ، وأعزاء .

والأوباش : الأخلاط من الناس ، والضُّروب المتفرقون ، مثل الأوشاب ؛ جمع مقلوب من « البوش » .

يضجر بأمر الناس الذين هانوا على أنفسهم ولم يرتفعوا إلى مرتبة المتعظين ، وأهملوا دنياهم بما حملت من تذكرة ، وهوّنوها حين لم يلقنوا عنها عبرة .

٦ (ومَنْ لِصَخرِ بنِ عَمْرٍو أنّ جُثّتَهُ … صَخْرٌ وخَنْساءَهُ فى السِّرْبِ خَنْساءُ)

صخر بن عمرو ، هو ابن الشّريد السُّلمى ، أخو الخنساء الشاعرة ، طُعِن يوم ذى الأَثْل[1] ، طَعنه رجل من بنى أسد فأدخل جوفَه حَلَقًا من الدِّرع فاندمل عليه ، حتى شُقّ عنه بعد سِنين ، فكان ذلك سببَ موته . ولأُخته الخَنساء فيه مراثٍ كثيرة

وصخر ، الثانية : الحجر .

ويريد بـ «الخنساء» الثانية : بَقرةً أو ظبيةً . والخَنس : قِصَر الأنف ولُزوقه بالوجه ، وأصله فى الظباء والبقر ، ثم انتقل إلى غيرها .

والسِّرب : الماشية كلها .

وكأن أبا العلاء بهذا البيت والذى بعده سوق بأدلته موعظة عن الدنيا بعد موعظة .

(١) ذو الأثل : موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة ، كان لهم بها وقعة مع بنى أسد .

٧ ﴿يَمُوجُ بَحْرُكِ والأَهْواءُ غالِبَةٌ ‏ ‏ لِراكِبِيهِ فَهَلْ لِلسُّفْنِ إِرْسَاءُ﴾

ماج البحر يموج : اضطربت أمواجه . والأهواء : جمع هَوى النفس . وهو محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه . وأمّا جمع الهواء، الذى هو الجو بين السماء والأرض، فأهوية : والصورة تقتضى هذا الثانى . ولعلّ أبا العلاء أقام جمعا مقام جمع ، بما بين الهوى والهواء من العَصف والزّعزعة . وقد يكون الجمع على معنى مفرده . والهوى مضل إذا غلب، يقود الى غير السلامة .

والسفن، بضمتين : من جموع سفينة، إلا أنه سُكن تخفيفا .

وهو ينظر إلى نهاية هذا العالم ناظرا إلى حلولها، ليَراح العالم من عناء كعناء البحر المائج بأهوائه العاصفة .

٨ ﴿إِذَا تَعطَّفتِ يوماً كُنْتِ قاسِيةً ‏ ‏ وإن نَظَرتِ بعَيْنٍ فَهِيَ شَوْسَاءُ﴾

تعطّفت : أشفقت . وفى تصويره الدنيا فى عطفها بالقسوة إشارة إلى ما يتبع النعمة من تَبعات ، وما يَعقُبها حين تُفلت من حسرات .

أو لعلّه يلتفت إلى أن الدنيا حين تُنعم فى ناحية تسلُب من ناحية، فهو عطف مَشوب بما يعكّره ويجعله من القسوة .

والعَين الشّوساء : التى تَميل بمؤخرها تكبّرا أو تغيظا . والفِعل منه : شَوِس يَشوس ، من باب فرح .

والنظر إذا أُطلق كان للتعاطُف والتراحُم ، لذلك قيّده بما يُخرجه عن هذا إلى ضده .

٩ ﴿أُنْسٌ عَلَى الأَرْضِ تُدْمِي هامَها إِحَنٌ ‏ ‏ مِنْها إذا دَمِيتْ للوَحْشِ أُنساءُ﴾

الهام : جمع هامة، وهى الرأس . ويقال : الهامة : هى ما بين حَرْفى الرأس . وقيل : هى وسطه ومُعظمه .

والإحن : الأحقاد ، الواحدة : إحنة ؛ والحنة ، لغة فيها .

والأنساء : جمع نسا ، بوزن العصا ، عِرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعُرقوب حتى يبلغ الحاصر ؛ فإذا سَمِنت الدابة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين ، وجرى النّسا بينهما واستبان؛ وإذا هُزِلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الرُّكبتان وخَفِى النّسا . والأفصح أن يقال : النّسا ، لا عِرق النّسا . قال أبو ذُؤيب :

مُتفلِّق أنساؤها عن قانِئٍ كالقُرط صاوٍ غُبْرُه لا يُرضَع[1]

قال ابن منظور : والنّسا لا يتفلّق وإنما يتفلّق موضعه .

جَعل ما بين الوحش من شرّ ، دون ما يقع بين بنى الإنسان من ضُر ، فما يُطيح بالرؤوس هنا ، لا يعدو أن يُصيب الأنساء هناك .

١٠ ﴿فَلا تَغُرَّنْكَ شُمٌّ مِن جِبالِهِمُ وعِزَّةٌ فى زَمانِ المُلْكِ قَعْسَاءُ﴾

شُم : جمع أَشمّ ، وهو الطويل المُرتفع . وجبال ، من جُموع « جبل » . ويجمع أيضا على : أجْبُل ، وأجبال .

ولعلّه يريدُ بشُم الجبال هنا ما يُخلّف الإنسانُ من آثار كالجبال عُلوًّا وتمكّنا ، إذ غيرها مما هو طبيعى لا أثرَ للإنسان فيه ، ولا هو من صُنعه فيعتزّ به .

وقَعساء : ثابِتة عزيزة مَنيعة . وخصّها بزمان المُلك ، لأن معه التسلُّط والقَهر ، ومع التسلُّط والقهر يكون الجاه والعِـزّة . أوسع ما يكون الجاه جاها ، وأعرض ما تكون العزة عزة .

يُريد أن عظمة بنى الإنسان فيما لهم من آثار ضِخام ، وعزّتهم فيما تبدو جليلة على ملوكهم وذوى سلطانهم ، ليستا إلا زَيفا من الزيف ، وبُهتانا من البهتان .

(١) القرط ، بالضم : معروف ، وبه شبه الضرع . وصاو : يابس . والغبر : بقية اللبن .

١١ (نالُوا قليلاً من اللّذاتِ وارتحلُوا برَغْمِهِم فإذا النّعماءُ بأْسَاءُ)

النّعماء ، والنّعيم ، والنّعمى ، والنّعمة ، كُلها : الخفض والدّعة . وهى ضد البأساء ، والبؤس .

وظاهر أنه يريد بالنعماء هنا ما يؤسس الإنسان لنفسه على وجه الأرض ، فإذا ولى استحال بعده هباء ، يبدو إلى الأولى — وهى النعماء — بأساء .

أو لعله يرتد إلى الروح تسرف فى النعماء ، فإذا خلصت جُوزيت على هذا شقاء .

اللزومية السابعة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الباء :

١ ﴿ إنّ الأَعِلّاءَ إنْ كانُوا ذَوِى رَشَدٍ بِمَا يُعَانُون مِن دَاءٍ أَطبَّـاءُ ﴾

الأعلاء : جمعٌ لِعَليل ، وهو المريض ذو العِلّة .

والرَّشَد، بفتحتين : إصابة وَجه الأمر والاهتداء إلى سَواء السَّبيل . كالرُّشد، بالضم، والرَّشاد .

ويُعانى : يُقاسى .

جعل تجـربة المريض المُفيد من تجاربه، مع ما يتناوبه من أدواء، كتجربة الطبيب سواء بسواء .

وحين أقام أبو العلاء الكأس مقام المنية وصفها بالسعى فى إثر الناس تسقيهم ما فيها من إفناء، ثم جعلها وهى تسعى فى إثر من يفرّ منها كالحبيب المولّه لا يُطيق فِراق من يهوى، فهو فى عَقبه أنّى سار وإلى حيث فرّ .

٢ ﴿ وَمَا شَفَاكَ مِنَ الأَشْياءِ تَطْلُبها إلّا الأَلِبّاءُ لو تُلْفَى الأَلِبّـاءُ ﴾

شفاه من دائه : أبرأه . وأشفاه : وَصف له دواء يكون شِفاؤه فيـه .

جعل طَلب الأشياء والكلَف بها، وما يصحب ذلك من هَمٍّ شاغل، وبَلبلة مُقيمة، كالمَرض يُرجى شفاؤه، ويُتطلَّب بُرؤه .

والألبّاء : جمع لَبيب ، وهـو العاقل ذو اللب . قال سيبويه : لا يُكسَّر على غير ذلك . والأُنثى لَبيبة .

وأَلفَى الشيء : وَجده وصادفه ولَقيه .

أقام العقلاءَ بتجاربهم مُقام الأطباء بخبرتهم ، ولكنّه ناط بالعُقلاء ما لم يَنُطه بالأطبّاء ؛ فالأَطبّاء لِعلَلِ الأجسام ، على مُشاركةٍ من ذَوى العِلل لهم إن رَشدوا ؛ والألبّاء لعِلل النفوس ، على تخصُّص منهم لذلك ، وما أندرهم .

٣ (نَفِرُّ مِنْ شُرْبِ كَأْسٍ وَهْيَ تَتْبَعُنَا   كَأَنَّنَا لِمَنَايَانَا أَحِبَّاءُ)

نَفِرّ : نَهْرُب ، وذلك لتعلُّقنا بالحياة ، وهو الداء الذى رَجّى أبو العلاء لشفائه الألبّاء فلم يَجِدْهم .

والكأس : الزُّجاجة مادام فيها الشَّراب ، والشرابُ بعَيْنه ؛ مُؤنّثة .

والكأس لا تُشرب وإنما يُشرب ما فيها . والمعنى يستقيم عليهما . ويريد بالكأس : الموت . ويُنكر الأصمعيّ أن يكون للموت كأس ، ويجعله كأسا .

جعل المنايا فى إثر القوم كالمحُب فى إثر حَبيبه ، لا يَصرفه عنه صارف ، ولا يَقف به دونه واقف .

اللزومية الثامنة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الواو :

١ ﴿ إنْ مَازَتِ النَّاسَ أَخْلَاقٌ يُعَاشُ بِهَا فإنَّهم عِنْـدَ سُوءِ الطَّبعِ أَسْـواءُ ﴾

ماز الشيء، يَمَـيزه مَيْزًا ومِيزة : عَزله وفَرزه وفَصل بعضَه عن بعض، وكذلك مَيَّزه تَمييزا؛ إلا أنهم إذ يقولون : مِزتُه فلم يَمْز . لم يتكلّموا بهما جميعا إلا على هاتين الصيغتين . ولا يقولون : مَيّزته فتميّز . وهذا قولُ اللِّحيانى .

وأخلاق : جمـع خُلُق ، بضم اللام وسكونها ؛ لا يكسَّر على غير ذلك . وهو الطَّبع والسجيّة . وحقيقته أنه لصـورة الإنسان الباطنة ، وهى نفســه وأوصافها ومعانيها المختصة بهـا ، بمنزلة الخَلق لصـورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولها أوصاف حسنة وقبيحة .

وقد يجعلون الخُلق هذا المكسوب الذى لا ينبعث عن طَبع أصيل . وإلى هذا جَنح أبو العلاء .

وأسواء : جمع سواء . وسواء الشي : مثله . قال الشاعر :

ترى القــوم أســواء إذا جلسوا معًــا وفى القوم زَيْفٌ مثلُ زَيْفِ الدَّراهِمِ

جعل الشرَّ من طبيعة الإنســان ، وغيرَه صفةً عارضة ، يفترق الناس عليهـا مَظهرا، إلا أنهم لا يلبثون أن يعودوا إلى أصلهم عند الاختبار .

٢ ﴿ أَوْ كَانَ كُلُّ بَنِى حَوّاءَ يُشْبِهُنِى فَبِئْسَ ما وَلَدَتْ فى الخَلْقِ حَوّاءُ ﴾

بئس : كلمة ذم . ونِعم : كلمـة مدح . وهما فعــلان ماضيان لا يتصرفان، لأنهما أُزيلا عن مَوضعيهما . فنِعْم ، من قولك : نَعِم فلان، إذا أصاب نِعمــة ،

وبئس، منقول من : بَئِس فلان ، إذا أصاب بُؤسا . فنُقِلا إلى المدح والذم ، فشابها الحروف فلم يتصرفا .

وفى الخلق ، أى منه ، فليس الخَلق كله ، إنسه وحيوانه، من نسل حواء .

٣ (يُعْدِى مِنَ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمُ وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَا والدِّينِ إِدْوَاءُ)

الحِجا، مقصور : العَقل والفِطنة، والجمع : أحجاء .

وإدواء : مصدر : أدوى، إذا أمرض .

أى إن فى الاتصال بالناس وتعرّف ما هم عليه ، ما يُبلبل علىّ عقلى، ويُفسد علىّ دينى .

وكأنه يُنكر على الناس ما يَعقلون وما يَدينون .

٤ (كَالْبَيْتِ أُفْرِدَ لَا إِيطَاءَ يُدْرِكُه وَلَا سِنَادَ وَلَا فِى اللَّفْظِ إِقْوَاءُ)

الإيطاء : أن تَتفق فى الشعر قافيتان على كلمة واحدة مَعناهما واحد ، فإن اتفق اللفظُ واختلف المَعنى فليس بإيطاء .

والسِّناد فى الشعر : هو أن تُخالف بين الحَركات التى تلِى الأَرداف فى الرّوىّ، كقول الشاعر :

شَرِبنا من دِماء بنى تميم بأطراف القنَا حتى رَوِينا

ثم قوله بعد :

ألم تَر أنّ تغلب بيتَ عزٍّ جِبال مَعاقِلٍ ما يُرْتَقَيْنا

فكسر ما قبل الياء فى « روِينا » . وفتح ما قبلها فى « يرتقَينا » .

والإقواء : اختلاف إعراب القَوافى . وقال الأخفش : هو رَفع بيت وجَرّ آخر .

وخَصّ هذه من عُيوب القافية لأنهـا هى التى تَلحق مع الازدواج، الذى هو بمقام المخالطة والمقاربة فى الناس .

٥ (نُودِيتُ أَلْوَيتَ فَانْزِلْ لاَ يُرادُ أتَى سَيْرِى لِوَى الرَّمْلِ بَلْ للنَّبْتِ إلْواءُ)

ألويت ، أى قد جفّ عُودك و يَبس وذبُل . وأصل هذا المعنى فى النّبت . وألوى أيضا ، إذا صار إلى اللّوى ، وهو مُسترقّ الرمل . وهـذا المَعنى هو الذى دَفع توهمه بقوله : « لا يُراد أتى سَيرى لوى الرمل » .

وانزل : أى قد بلغت مَدى العمر فخـلّ الحياة كما يُخَلّى الراكبُ فرسَه و ينزل عنه عند انتهاء رِحلته، غير جازع على ما فات ، ولا طامع فيما هو آت .

٦ (وذَاكَ أنّ سَـوَادَ الفَوْدِ غَيّرَه فِى غِرّةٍ مِن بَيَاضِ الشَّيْبِ أَضْواءُ)

الفود : مُعظم شَعر الرأس ممـا يلى الأذن . وفودَا الرأس : جانبـاه . وفى الحديث : « كان أكثرُ شيبه فى فودَى رأسه » .

وفى غِرّة ، أى فى غَفلة .

وأضواء، فاعل الفعل « غيّره » . و « من بياض الشيب » بيانٌ لأضواء .

جعل تلك الشّعرات البيض فى سَواد الرأس كخُيوط الضياء فى ظُلمة الليـل . وفى هذا إشارة إلى تَرحيبه بالشيب ، واطّراح التحسر على الشباب .

٧ (إذا نُجومُ قَتِيرٍ فى الدُّجَى طَلَعَتْ فَلِلْجُفُونِ مِنَ الإشْـفاقِ أَنْواءُ)

القتـير : الشّيب ؛ وقيـل : هو أوّلُ ما يَظهر منه . وأصل القَتير : رُءوس مَسامير حَلق الدُّروع تلُوح فيهـا ، شبّه بها الشيبَ إذا نَقب فى سَـواد الشعر . وفى الحديث : « إنّ رجلا سأله عن امرأة أراد نكاحها . قال : وبقَدر أى النساء هى ؟ فقال : قد رأت القَتير . قال : دَعها » .

والدُّجى : سوادُ الليل مع غَيم ، وألّا تَرى نَجما ، ولا قَمرا . وقيل : هو إذا ألبس كل شيء ، وليس هو من الظُّلمة . وقالوا : ليلةٌ دُجى ، وليالٍ دُجى ؛ لا يُجمع لأنه مَصدر وُصف به . وقــد دَجا الليلُ يَدجو . وذَهب ٱبنُ جنِّى إلى أنّ الدُّجَى : الظُّلمة ، واحدتها دُجية . قال : وليس من دجا يَدجو . لكنّه فى مَعناه .

والإشفاق : الخَــوف والجَزع . والإشفاق أيضا : الدُّخول فى الشَّفق ، فهو من الأضداد ، يقع على الحُمرة التى تُرى بعد مَغيب الشمس ، وبه أَخذ الشافعىّ . وعلى البياض الباقى فى الأفق الغربىّ بعد الحُمرة المذكورة ، وبه أَخذ أبو حنيفة . وعلى هذا الوجه الثانى . فالمُراد ظُهور نُور الحق وتكشُّفه ، وما أبهره للغافلين .

والأنواء : جمع نَوء ، وهو النَّجم إذا مال للمَغيب . ويُجمع أيضا على نُوآن ، مثل عَبد وعُبدان ، وبَطن وبُطنان . قال حسّان ثابت :

ويَثربُ تَعــلم أنّا بهــا إذا قَحَــط الغيثُ نُوآنُهــا

وكانت العرب تُضيف الأمطار والرِّياح والحرّ والبرد إليها ، فيقولون : مُطرنا بنَــوء كذا . والأنواء ثمانية وعشرون نجمًــا ، معروفة المَطالع فى أزمنة السنة كُلها ، يسقُط منها فى كُل ثلاث عشرة ليلةً نجم فى المغرب مع طُلوع الفجر ، ويطلُع آخر يُقابله فى المَشرق من ساعته . وٱنقضاء هــذه الثمانية والعشرين كُلهــا مع ٱنقضاء السنة ، ثم يرجع الأمرُ إلى النجم الأوّل مَع استئناف السنة المُقبلة .

جعل دموع العين أنواء ، إذ معها المطر والمــاء .

يصف فَزع النــاس بالشيب فزعا ينتهى بهــم إلى أدنى مراتب الضعف ، وهي البكاء .

اللزومية التاسعة

وقال فى الهمزة المضمومة مع الفاء، والبسيط الأوّل[(١)] :

١ ﴿أَكْفِىءْ سَوَامَكَ فى الدُّنْيَا مُيَاسَرَةً وأَعْرِضَنْ عَنْ قَوَافِى الشِّعْرِ تُكْفِئُهَا﴾

السَّوام والسائمة، بمعنى، وهى كُل إبل خُلِّيت فى الفَلوات تَرعى حيثُ تشاء .

وإكفاؤها : هو أن تُعطى غيرَك نتاجَها سنة، لبنَها وو بَرها وأولادها . يقال : آستكفأت فلاناً إبلَه ، أى سألتُه نِتاج إبله سنة، فأَكفأنيها .

والإكفاء أيضا : أن يجعل إبله كَفْأتين، أى نِصفين ، ينتج كُل عام نصفًا ويدع نِصفا ، كما يصنع بالأرض بالزِّراعة . فإذا كان العامُ المقبل أرسل الفَحل فى النِّصف الذى لم يُرسله فيه من العام الفارط ؛ لأن أجود الأوقات عند العرب فى نتاج الإبل أن تُترك الناقة بعد نتاجها سنةً لا يُحمل عليها الفحل ، ثم تُضرَب إذا أرادت الفحل . والمَعنى على الوجهين مُستقيم .

والمُياسرة : المُلاينة والمُساهلة . قال الشاعر :

قَوم إذا شُوسِسوا جَدّ الشِّماسُ بهم ذاتَ العِنادِ و إن ياسَرْتَهم يَسَروا[(٢)]

يدعو الناس إلى لين الجانب، و يُسر الطبع، وشُيوع العَون .

والإكفاء فى الشعر : المُخالفة بين ضُروب إعراب قَوافيه . وقيل : هو المُخالفة بين هجاء قوافيه إذا تَقاربت مَخارجُ الحروف أو تَباعدت . وقال بعضُهم : هو المُعاقبة بين الراء واللام ، والنون والميم .

---

(١) أى ذو العروض المخبونة ، وضربها مثلها .

(٢) شامسه : عاداه وعانده .

وضَرب الإكفاء مثلا للمعاناة والتعنت، والخروج بالأشياء عما ينتظمه يُسر وتُمليه سهولة، إلى ما يُكدّ الخاطر ويُعنّى الفكر، وكأنّ الحياة عنده فى لينها ويُسرها القافية تجرى على نظام واحد، وهى إن تعقّدت واضطربت فكالقافية تخرج من سَنن إلى سَنن، هذا على ما مع الأوّل من انقياد للُياسرة، وعلى ما مع الثانى من مُعاظلة وتكلّف. وما أولى الحياة بالاوّل وأنآها عن الثانى.

٢ (إنّ الشَّبيبةَ نارٌ إنْ أرَدْتَ بِهَا   أمْرًا فَبادِرْهُ إنّ الدّهْرَ مُطْفِئُها)

الشّبيبة: خلاف الشّيب. جعلها كالنار نَفاذا وآندلاعا.

وكأنه يدعو الآخذين بمتاع الحياة والحريصين على ما فيها من لذة أن يغتنموا الشباب فُرصة، فهى إن فاتتهم فاتهم ما تعلّقوا به.

وفى تذكير هؤلاء بالشيب لون من الإنذار والتخويف، لعلهم إن وعوه لا يكون لهم هذا الإقبال على اللذات مع الشباب الزائل.

٣ (أصابَ جَمْرِىَ قُرٌّ فانْتَبَهْتُ لَهُ   والنّارُ تُدْفِئُ ضَيْفِى حِينَ أُدْفِئُها)

جمرى، أى جذوة شبابى. والجمر، فى الأصل: النار المُتّقدة، واحده: جَمرة. فإذا بَرد فهو فحم.

والقُرّ، بالضم: البَرد عامّة. يُريد به ما أصابه من كِبَر وفُتور.

تُدفئ ضيفى، أى تَبعث فيهم الدّفء.

والضّيف، معروف. ويريد به الرُّوح، لحُلولها بالجسم لوقت محدود، وكذلك يكون حُلول الضيف.

وأدفئها، أى أذكيها وأُهيجها.

وكذلك الشباب يُضفى على صاحبه قُوّة تحيا بها النفس وتنتعش ، كما يُخمِد الشيبُ من وَقدة الشباب فتَهن النفُس وتَنكمش .

٤ (أَلْقَى عَلَيْهَا جَلِيسِى فى الدُّجَى حَمَمًا   فقَامَ عَنْهَا بأثوابٍ يُرَفِّئُهَا)

الجليس : المُجالس ، والكلام على التّجريد . يريد نَفسه .

والدُّجى : الظُّلمة . يعنى بها خُبوّ النار وهُمودَها .

والحَمم : الفحم ؛ الواحدة : حَممة . يريد ما يُحاوله الشُّيوخ من مُحاولات فى رَدّ الشباب .

ورفأ الثوب يَرفؤه ، مَهموز : لأم خَرقه وضَمّ بعضَه إلى بعض وأصلح ما وَهَى منه ، وربما لم يُهمز . ولعلّه قَصد بالتضعيف إلى المُبالغة .

جعل حاله فيما يحاوله من بعث روح الشباب ، وقد ولّى عنه ففَتَر وضعف ، كحال مُذكى النار يقوم عليها بأثواب مُمزَّقة يحاول رَتقها فلا يُفلح .

اللزومية العاشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع الياء ، والبسيط السادس[١] :

١ ﴿ قَـدْ حُجِبَ النُّـورُ والضِّياءُ ... وإنَّمـا دِينُنَـــا رِيَاءُ ﴾

النور والضياء، بمعنى . وقيل : النور : هو شعاع الضَّـوء وسُطوعه . يريد الفرعَ وأصله . وهذا أولى بمَساق أبىّ العلاء .

والرياء : أن تُرِىَ خلافَ ما أنت عليه .

يرى أبو العـلاء أن الناس يَجهلون أسباب الحياة ومَظاهرها ، تَعجز عقولهم عن إدراك هذا جملةً، وأنّ ديننا لا يَسبقه العِلم بالحياة ، ولا يَصحبه النظر، لا يقوم على الاعتقاد بل على التسـليم خوفا أو رغبـة ؛ ومن كان هـذا شأنه كان قلقا فيما يعتقد، يسلِّم به ظاهرا، وينصرف عنه باطنا .

٢ ﴿ وهَـلْ يَجُـودُ الْحَيَا أُنَاسًا ... مُنْطَـوِيًا عَنْهُـمُ الحَيَـاءُ ﴾

الحيا ، مقصور ، وقـد جاء ممدودا : المطر والخِصب ؛ وإذا ثنَّيته قلت : حَيَيان ، فتُبين الياء، لأنّ الحركة غيرُ لازمة .

وجادهم الحيا ، أى مَطرهم .

والحياء : الاستحياء والخشية . ومن حُرِم الحياء ضعُف عن أن يَصْمد للحـق لا يُخفيه، ويُظهر غيرَه ممـا لا يعتقد .

ولقد جعل خِصب الحياة معنًى من خِصبها مادة .

---

(١) أى ذو العروض المجزوءة المقطوعة ، وضربها مثلها .

أو أنّ الأمر على بابه : فإذا فقد الناس الحياء الذى يضبط أمر دنياهم ، ويَحفظ لضعيفهم الحق إزاء قويهم ، قادهم هذا إلى البَوار ، ووقعوا فى آضطراب يقوّض عليهم أركان العيش ، ويقودهم إلى عُسر أشبه بالجَدب .

٣ ﴿ يا عَالَمَ السَّوْءِ ما عَلِمْنَا   أنَّ مُصَلِّيكَ أتقِيَاءُ ﴾

السوء ، بالضم : الفجور والمنكر ؛ وبالفتح : المصدر من : ساءه يسوءه ، إذا فعل به ما يكره ، نقيض سَرّه . وإذا أضفتَ أضفت إلى الثانى . فتقول : هذا رجل سَوء ، بالفتح ؛ ولا تقول : رجل سُوء ، بالضم ؛ لأنه إنما يُضاف إلى المصدر الذى هو فعله ، كما يقال : رجل الضَّرب والطعن ، فيقوم مقام قولك : رجلٌ ضرّاب وطعّان . وتقول فى النكرة : رجل سَوء . وإذا عَرّفت قلت : هذا الرجل السوء ، ولم تُضف . وتقول : هذا عمل سوء ، ولا تقل : السوء ؛ لأن « السوء » يكون نعتًا للرجل ولا يكون « السوء » نعتًا للعمل : لأن الفعل من الرجل وليس الفعل من السوء ، كما تقول : قول صدق ، والقول الصدق ، ورجل صِدق ؛ ولا تقول : رجل الصدق ، لأنّ الرجل ليس من الصدق .

يذهب أبو العلاء هنا إلى ما ذهب إليه قبل ، من أن هؤلاء المعلنين بدينهم ليسوا على تُقًى أو خشية ، تَرُدهم إلى الحق ، يَعيشون عليه سرًّا وجَهرا .

٤ ﴿ لَا يَكْذِبَنَّ آمرُؤٌ جَهُولٌ   ما فِيكَ لِلّٰهِ أولِيَاءُ ﴾

ما فيك ، الخطاب للعالَم .

وأولياء : جمع ولىّ ، وهو فى الأصل : الصديق والنصير ، ولا يبلغ المرء أن يكون لله نصيرا إلا إذا كان مع أمره ونَهيه .

وقد يكون الولىّ هنا بمعناه الاصطلاحى ، وهو من أخلص نفسه لله ، وزهد فى الحيـاة .

وعلى المعنيين فأبو العـلاء ينفى أن يكون فى العـالَم واحد من هـؤلاء أو من هؤلاء، شكًّا منه فى خلاص النية وصفاء العقيدة، واتهاما للناس بالرياء والمُصانعة.

٥ ﴿وَيَا بِلَادًا مَشَى عَلَيْهـا أُولُــو ٱفْتِقَـارٍ وأَغْنِيَـاءُ﴾

مشَوا عليها : سعَوا فى مناكبها . وقد يكون «المشى» هنا بمعنى التتابع والكثرة، أى ازدحمت بهم البلاد وانتشروا فيها .

والافتقار : الفقــر . والفعل : ٱفتقر يفتقر . وعليهما ٱقتُصر دون الثلاثى . والفقير، مبنىّ على «فَقر» قياسا ، ولم يُقَل فيــه إلا : افتقر يفتقر ، فهو فقير . وهو ما يكون له بعض ما يُقيمه ، والمسكين : ما لا شىء له . ١

وأولو ٱفتقار ، أى قد صحبهم الفقر وصحبوه ، فلا معدى لهم عنه ، ولا معدى له عنهــم .

٦ ﴿إِذَا قَضَى اللهُ بِالمَخَــازِى فــكُلُّ أَهْلِيــكِ أَشْقِيَـاءُ﴾

قضاء الله : حُكمه بين عبــاده وإلزامهم حُجّتــه ، ولـمـا كان العــالَم كله عند أبى العلاء شرًّا مُبرأ، كان حكم الله عليهم حُكمًا يَصمهم بالخزى، ويَشينهم بالعَيب . ١

وقد يكون المعـنى : إذا قضى الله بالخزى والخسران على أناس ، كان أهــل هذه البــلاد كلهم ممن يستحق هذا ويستأهله ، يســتوى فى ذلك فقيرهم الذى لم يَلفته شقاء الفقر إلى ذكر ربه الذى إليه كَشْف ضُره، وغنيّهم الذى أبطره غِناه فلَبِى مولاه .

٧ ﴿كم وَعَظَ الوَاعِظُونَ مِنّا وَقامَ فى الأَرْضِ أَنْبِيَاءُ﴾

٨ ﴿فَانْصَرَفُوا والبَلَاءُ بَاقٍ ولَم يَزُلْ دَاؤُكِ العَيَاءُ﴾

الداء العَياء : الصعب الذى لا دواء له، كأنه أعيا على الأطباء . وفى حديث علىّ كرم الله وجهه : فِعلهم الداء العَياء .

٩ ﴿حُكْمٌ جَرَى لِلْمَلِيكِ فِينَا وَنَحنُ فى الأَصْلِ أَغْبِيَاءُ﴾

الحكم هنا : السنة والنظام اللذين يجرى فيهما الناس، وتمضى بهما الحياة .
يَنعى على الناس غباءهم فى بُعدهم عن العِظة لا يلقنونها، وجهلهم بالعِبرة لا يَعونها.

اللزومية الحادية عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع الياء ، والوافر الأول[١] :

١ ﴿ تَعَالَى رَازِقُ الأَحْيَاءِ طُرًّا   لَقَدْ وَهَتِ المُرُوءَةُ والحَيَاءُ ﴾

تعالى، أى جَلّ وعَلَا على كُلّ ثناء، فهو أعظم وأجلّ وأعلى مما يُثنى به عليه .

وطُرًّا، أى جميعا، وهو منصوب على المصدر أو الحال . وقال سيبويه : لا تُستعمل إلا حالا . وآستعملها خَصِيب النَّصرانىّ المُتطبّب فى غير الحال، قيل له : كيف أنت ؟ فقال : أحمد الله إلى طُرِّ خَلقه . وفى نوادر الأعراب : رأيت بنى فلان بطُرّ، إذا رأيتهم بأجمعهم .

ووهت : ضعُفت وفَترت .

والمروءة : الإنسانية وكمال الرُّجولية .

ينعى على الوجود فُقدان المروءة ، وضَياع الحياء، ويعجب كيف تَساوى فى الرزق من لا مُروءة عندهم ولا حَياء، بمن عاشوا على المروءة والحياء .

٢ ﴿ وإنّ المَوْتَ رَاحةُ هِبْرِزِىٍّ   أَضَرَّ بِلُبِّـهِ دَاءٌ عَيَاءُ ﴾

الهِبرزىّ : الإسوار من أساورة فارس ، وكُل جميل وَسيم عند العرب هِبرِزىّ، مثل هِبرقى، وكذلك كُل مِقدام ، والذّهبُ الخالص . ويعنى به هنا : الألمعىّ المتوقد الذكاء ، لفَوْقه وخُلوص ذِهنه .

---

(١) أى ذو العروض المقطوفة ، وضربها مثلها .

والداء العَيـاء : الذى أعيا الأطباء ، ولم يَنْجع فيـه الدواء . وفيه إشارة إلى قول الشاعر :

* ذو العقل يَشقى فى النّعيم بعقله *

٣ ﴿ ومَالِى لَا أُكُونُ وَصِىّ نَفْسِى وَلَا تَعْصِى أُمورِى الأَوْصِيَاءُ ﴾

الوصىّ : الذى يُوصِى ، والذى يُوصَى له ، من الأضداد ، للذكَر والمؤنّث . وجمعهما جميعا : أوصياء . ومن العرب من لا يثنّى الوصىّ ولا يجمعه .

أى إذا كان شأنى مع نفسى — وأنا وصيّها — العصيان ! فما أحرى أن يعصينى الأوصياء ، وألّا يأتمروا لى بأمر ، وألا ينتهوا لى بنهى .

٤ ﴿ وَقَدْ فَتَّشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ لَهُـم نُسْكٌ وَلَيْسَ لَهُـمْ رِيَاءُ ﴾

النُّسـك ، بالضم وبضمتين : العبادة والطاعة وكُل ما يُتقرب به إلى الله تعالى . وقيل لثعلب : هل يُسمّى الصوم نُسكا ؟ فقال : كُل حق لله عزّ وجلّ يُسمّى نُسكا . والفرق بين النُّسك والورَع ، أنّ النُّسك فيما أمرت به الشريعـة ، والوَرع عما نَهت عنه .

وهذا دأب أبى العـلاء ، لا يَنتهى له شـكّ فى خُلوص النّـوايا ، وطُهرها من المصانعة .

٥ ﴿ فَأَلْفَيْتُ البَهـائِمَ لَا عُقُولٌ تُقِيمُ لَهَـا الدَّلِيلَ ولَا ضِـيَاءُ ﴾

ألفى الشىء : وَجده وصادفه ولَقيه .

والبهائم : جمـع بَهيمة . وهى كُل ذات أربع قوائم من دواب البرّ والمـاء . وقال الزّجاج فى قوله عزّ وجلّ : ﴿ وأُحِلّت لَكم بهيمـة الأنعامِ ﴾ إنمـا قيل لها : بهيمة الأنعام ، لأنّ كل حىّ لا يُميّز فهو بَهيمة ، لأنه أُبهِم عن أن يُميز .

ولا ضياء، أى ولا شُعاع من عقل، فقد سُلبت العقل طُرا .

٦ ﴿ وإخْوانَ الفَطَانةِ فى ٱخْتِيالٍ كأنّهُـمُ لِقَـومٍ أنبِيَـاءُ ﴾

الفطانة : ضِدّ الغباوة . يقال : فَطَن لهذا الأمر ، بالفتح ، يَفْطُن ، بالضم ، فِطنة ؛ وَفَطُن ، بالضم ، فهـو فاطن ، وفَطِن ، بالكسر ، فِطنة ، فهـو فَطِن ، والأنثى : فَطِنة .

٧ ﴿ فأمّا هـؤُلاءِ فأهْلُ مَـكْرٍ وأمّا الأوّلونَ فأغْبِيَـاءُ ﴾

قسّم العالم بين أصحاب عقول لهم مكر وٱحتيال ، وبهائم — أو أشباه بهائم — لا عقول لها قد طُبعت على الغباء .

٨ ﴿ فإنْ كَانَ التُّـقَى بَلَهًا وعِيًّـا فأعْيَـارُ المَـذَلّةِ أتْقِيَـاءُ ﴾

٩ ﴿ وأرْشَدُ مِنكَ أجْرَبُ تَحتَ عِبْءٍ تَهُبّ عَلَيْـهِ رِيحٌ حَرْبِيَاءُ ﴾

الأعيار : جمع عِير ، وهو الحمار أيًّا كان ، أهليًّـا أو وحشيًّا . وقد غلب على الوحشىّ . والأنثى : عَيرة . ومن أمثالهم : فلان أذلّ مِن العَير . وقال شَمِر :

لو كنتَ عيرًا كنتَ عَيرَ مـذلّة أو كنتَ عظما كنتَ كِسْرَ قبيح (١)

والحربياء : الرِّيح التى تَهُب بين الجَنوب والصَّبا . وقيـل : هى النَّكْباء التى تجرى بين الشمال والدَّبور ، وهى رِيح تقشع السَّحاب .

وجعـل الأجرب تحت عِبء ، ليكون مَشغول اليـدين به لا يستطيع بهما حِكّة . وهو على هذه الحال أشغلُ بالاً لا يُرجى لديه رأى . وإذا كان هذا مفضَّلا فى الرأى والرشاد فما بالُ المفضَّل عليه .

(١) كسر القبيح : طرف عظم المرفق الذى لا لحم عليه .

١٠ ﴿وَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ فَقِيرٌ   ويُعْـدَمُ فِي الأَنَامِ الأَغْنِيَاءُ﴾

يريد بـ « بالغِـنى » هنا : الغـنى المطلق ، الذى لا يحتاج صاحبُه إلى أحد ، وهذا لا شكّ معدوم فى الوُجود .

أو لعـلّه قصد بالفَقر والغِنى : فَقر الناس إلى الرأى والعقل ، أو غِناهم بهما . وهو بهذا يَلتفت إلى ما سبق .

ويُعدم ، على ما لم يُسمّ فاعله : يُفقد . عَدِم الشيءَ يَعْدَمه عُدْما وعَدَما : فَقده . وقد غلب على فَقد المـال وقلّته . إذا ضَممت أوله خفّفت ، فقلت : العُـدْم . و إذا فَتحت أوله ثقّلت ، فقُلت : العَدَم . وكذلك الجُحد والجَحد ، والصُّلب والصَّلب ، والرُّشد والرَّشد ، والحُزن والحَزن .

١١ ﴿نُحِبُّ العَيْشَ بُغْضًا لِلْمَنَايَا   وَنَحْنُ بِمَـا هَوِينَا الأَشْـقِيَاءُ﴾

بُغضا ، مفعول لأجله .

وهَوِى ، بالكسر : أحبّ . ورجل هَوٍ : ذو هَوًى . وامرأة هَوِيَة . ومتى تُكلِّم بالهـوى مُطلقا لم يكن إلا مَذْموما حتى يُنعت بمـا يُخرج معناه ، كقولهم : هَوًى حسن ، وهوى مُوافق للصواب .

١٢ ﴿يَمُوتُ المَـرْءُ لَيْسَ لَهُ صَفِيٌّ   وقَبْـلَ اليَوْمِ عَزَّ الأَصْفِيَـاءُ﴾

الصفىّ : الخالص من كل شيء . وصَفِىّ الإنسان : أخوه الذى يُصافيه الإخاء . وفى الحديث : « إن الله لا يَرضى لعبده المؤمن ، إذا ذهب بصَفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب ، بثوابٍ دون الجنة » .

يُنـكر أبو العلاء الأصفياء ، يَمضى على هذا الأحياء ، كما مَضى عليه القُدماء .

١٣(أَتَدرِى الشَّمْسُ أنّ لَهَا بَهَاءً فَتَأْسَفَ أنْ يُفارِقَهـا الأَيَاءُ)

البهاء : المَنظر الحسن الرائع المـالئ للعين . وأياء الشمس وإياها : نورها وضوءها وحُسنها . وكذلك إياتها وأياتها . وقال الأزهرىّ : يُقال : الأياء، مفتوح الأول بالمد، والإيا، مكسور الأول بالقصر، وإياة : كله شعاع الشمس وضوؤها. قال : ولم أسمع لها فعلا .

جعل بهاء الشمس ما بقى لها هذا الأياء . فإن حُرِمتْه كانت غُفلا من هذا البهاء الذى يدُل عليها؛ وهكذا الإنسان وُجوده المتميّز ما بقيت له روحه، فإن هى فارقته فارقه هذا الوجود الملحوظ، ولا يبقى لها منه إلا كما يبقى من الشمس : موادّ مُنحلة تَستحيل إلى شىء آخر؛ وكما لا تملك تلك البقايا المُتخلّفة عن الشمس أن تَذكر صلتها بماضيها . كذلك يريد أبو العلاء أن يجعل حياة الإنسان، وُجودًا كوجود، وفناءً كفناء .

اللزومية الثانية عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع الظاء :

١ ﴿ أَراهُمْ يَضْحَكُونَ إلىَّ غِشًّا وتَغْشَانِى المَشَاقِصُ والحِظَاءُ ﴾

تغشّاه : تزدحم عليه وتكثر .

والمَشاقص : جمع مِشْقص ، بالكسر ، وهو السَّهم العَريض النَّصل .

وقيل : المِشقص : نَصل السهم إذا كان طويلا غيرَ عريض . فإذا كان عَريضا فهو المِعبلة .

والحِظاء : جمع حَظوة ، وهى سهم صَغير قَدْر ذِراع . وقيل : الحَظوة من المرامى : الذى لا قُذَذ له ، أى آذان .

يصف رياء الناس بعضهم بعضا ، يتفقون فى الخداع ويَختلفون فى الإيذاء ، قُوة وضَعفا ، لا يدّخر القوىُّ فى ذلك وُسعا ، ولا يَنثنى فيه الضعيف عمّا يملك .

٢ ﴿ فَلَسْتُ لَهُمْ وإنْ قَرُبُوا أَلِيفًا كَمَا لَمْ تَأتَلِفْ ذالٌ وَظَاءُ ﴾

الذال : حرف مجهور . والظاء : حرف مُطبق مُستعل . وقد حال التنافُر دون آجتماعهما فى كلمة .

جعل آستحالة الإلف بينه وبينهم فى الحياة ، كآستحالة الإلف بين الذال والظاء فى كلمة .

أو لعلّ أبا العلاء يرمز بالذال والظاء للذئب والظبى ، وما أنفر ما بينهما وأوحش .

اللزومية الثالثة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع القاف :

١ ﴿أَسِيتُ على الذَّوائبِ أنْ عَلَاهَا　　نَهَارِىُّ القَمِيصِ له ٱرتِقَاءُ﴾

أَسِى يأسَى، من باب فرِح، أسًى، بالقصر : حزِن، فهو آسٍ، وأسيان، وأسوان .

والذوائب : جمع ذُؤابة . وهى مَنبت الناصية من الرأس . وهى أوّل ما يُصيبه الشيب .

ونهارىّ القَميص ، أى قَميص نهارىّ ، على القلب : وتَشبيه الشيب بالقَميص الأبيض، يَحتمل الشُّمول والعُموم، وليس المراد ؛ لأنّ شَيب الذوائب أوّلُ الشيب . والشيب فى أوّله يَبدو متناثرا، بياضًا إلى سواد؛ وكذلك يكون ١
القميص الأبيض بما يستر تحته .

وقد جعل الشيب قميصًا من نهار ولم يجعله من غيره ، مما فيه البياض ، ليُشير إلى ٱمتداد الشيب وٱنتشاره؛ وكذلك يكون بياض النهار يبدأ قليلا ثم يزداد . وقد أيده أبو العلاء بقوله « له ارتقاء » ، أى ٱرتفاع واتّساع .

٢ ﴿لَعَلّ سَوادَهَا دَنَسٌ عَلَيْهَا　　وإنْقَاءُ المُسِنِّ لَهُ نَقَاءُ﴾ ١

الدَّنس : لُطَخ الوسخ فى الثياب ونحوها، وحتّى فى الأخلاق؛ والجمع : أدناس .

وعليها، أى على الذوائب .

ونقِى الشىء، بالكسر . ينقَى، بالفتح، نَقاوة ونَقاء : نظُف وطَهر، فهو نقىّ؛ وأنقاه هو إنقاء .

والمُسن : الذى كَبُر سنّا . ٢

وله ، أى لهذا السواد .

يلتفت أبو العلاء إلى ما يَصحب الشباب من نَزَق وطيش ، فجعل السواد دَنَسا ، لأنه علّتــه ؛ ويلتفت إلى ما يصحب الشيب عادة من إقلاع عن المعاصى وبُعــد عن الخطايا ، فجعل الصلاح وهو يغلب الفساد ، كأنه البياض وهو يطرد السواد .

٣ ﴿ وَدُنْيَانَا الَّتِى عُشِقَتْ وأَشْقَتْ كَذَاكَ العِشْقُ مَعْرُوفاً شَــقَاءُ ﴾

جعل حُبّ الناس دنياهم ، شأنه شأن كل حب ، العناء سبيله ، والكد عديله ، والهم فصيله .

٤ ﴿ سَأَلْنَــاهَا البَقَاءَ عَلَى أَذَاهَا فقــالت : عَنــكُمُ حُظِرَ البَقَاءُ ﴾

السؤال هنا ، ليس على حقيقته ، بل مظهره محاولة الإنسان جادّا أن يُعمَّــر ، وجزعه من الفناء هاربا منه ما وسعه الهرب .

والحظر : الحَجْــر ، وهو خلاف الإباحة . حظَر الشيء يحظُره عليــه حَظْرًا : منعه . وكل من حال بينك وبين شيء ، فقد حَظره عليك .

وكذلك القَول هنا بلسان الحال لا بلسان المَقال ، نَستمع إلى الدنيــا فيما تَرده علينا من محاولتنا ، وتحول فيه بيننا وبين هَربنا منها .

٥ ﴿ بِعَادٌ واقِعٌ فَــتَى التَّــدَانِى وبَيْنٌ شاسِــعٌ فَتَى اللِّقَاءُ ﴾

البِعاد : بمعنى البُعد ، وهو الهلاك .

وواقع ، أى حَتْم لا مَفرّ منه .

والتدانى : التلاق . يُريد : يومَ القيامة .

والبين : الفُرقة ، ويكون الوصل ، فهو من الأضداد ، والمراد الأول . وشاهد البين بمعنى الوصل قولُ قيس بن ذَريح :

لعمرك لولا البينُ لا يُقطَع الهوى ولولا الهَـوى ما حَنّ للبَيْن آلِفُ

والشاسع : البَعيد .

ويعنى باللقاء : يوم التلاق ، وهو يوم القيامة والبعث .

أى موت يصيب منّـا من يُصيب ، وينجو منـه من ينجو ، فتى يُدرك الباقى الذاهبَ ، ويدنو حىٌّ من ميت .

ثم ما أطول ما يمكث الموتى حتى يبعثوا ، وما أمدّ لُبثهم إلى أن يُنشروا .

فللموت الجامع تَراح نفس أبى العلاء ، ليخلُص ويخلِّص الناس معه من كد وعناء ، ليس فيهما غناء ؛ وللبعث الشامل يتطلع أبو العلاء ، ليُقضَى على الناس بكسبهم ، ويعرفوا صيرورة أمرهم ، وعاقبة ما إيّاه حذّرهم .

٦ ﴿ ودِرْعُكَ إنْ وَقَتْكَ سِهَامَ قَوْمٍ فَمَـا هِيَ مِن رَدَى يَومٍ وِقَاءُ ﴾

الدّرع : لَبوس الحديد . تُذكّر وتُؤنث . والجمع فى القليل : أدرع ، وأدراع ؛ وفى الكثير : دُروع . وتَصغير درع : دُريع ، بغير هاء على غير قياس ؛ لأنّ قياسها بالهاء . وهو أحدُ ما شذّ من هذا الضرب .

ووقتْك : صانتْكَ وسترتْك ودفعتْ عنك .

والوِقاء ، بالكسر والفتـح : كُل ما وقيت به شيئا . ومثله الوِقاية ، بالكسر والفتـح والضم ؛ والواقيـة . وقال اللّحيـانى : كل ذلك مصدر : وقيته الشىء .

والرّدى : الهلاك .

أى ليس ما هو لك جُنة على عاديات الأيام ـــ وأقساها حرب لا تُبقى ولا تذر ـــ بنافعك أمام موت محتوم ، لا يقوم له شىء ، ولا يدفعه دافع .

٧ ﴿ وَلَسْتُ كَمَنْ يَقُولُ بِغَيْرِ عِلْمٍ   سَــوَاءٌ مِنْكَ فَتْــكٌ وَٱتِّقَاءُ ﴾

الفَتك : ركوب ما همّ من الأمور ، والتعرُّض للمهالك دون احتراس .

والاتقاء : التحرز والخَشية والإحجام .

يحترس عما قــدّم ، وأخشى ما يخشاه أن يظنّها الناس منه دعوة إلى التواكل ونُصحا بالاستسلام ؛ فما أراد أن يصرف المُحتاط عن حَيطته ، ولا أن يسوى بين ساعٍ وقاعد ، ولكن شاء أبو العلاء أن يفهم عنه الجادّ وأن يفهم عنه المتوانى أنهما أمام القدر سواء ، وإن اختلفت مظاهر الأشياء .

٨ ﴿ فَقَدْ وَجَبَتْ عليك صَلَاةُ ظُهرٍ   إِذَا وافاك بالمَــاءِ السَّــقَاءُ ﴾

وجبت عليك : لزمتك . والواجب والفَرض عند الشافعيّ ســواء ، وهو كل ما يُعاقَب على تركه . وفرّق بينهما أبو حنيفة ، فالفرض عنده آكد من الواجب .

ووافاك : جاءك فى الميعاد .

والسقاء : جِلد السَّخلة إذا أجذع ، ولا يكون إلا للماء : والجمع أسقية ، وأسقيات ، وأساقٍ ، جمع الجمع . وقال ابن السِّكيت : السقاء يكون للبن والماء .

ولعله خَصّ الظهر ، لأن المرء فيـه إلى الدّعةِ أميل ، وإلى إطفاء غُلته بالماء أشوق ، فيكون القعود عن الصلاة أغلب ، والانصراف عنها أكثر . وجعل حال الغافل عن الموت كحال المرء مع صلاة الظهر .

أو لعله التفت إلى ما فى معنى الظهر من الزوال ، فجعلها صلاة مودّع أُعجل بالماء فى ميعاده .

كما يجوز أن يكون قد التفت إلى ما مع صلاة الظهر من وقوعها فى كمال اليوم وازدهار نوره ، مُشبها الإنسان فى تمام قوته وسُبوغ عافيته بذلك ، حين لا تفكير له فى الموت، وقد ملئ اعتزازا بالحياة . فنزُول الموت به ، مع هذه الحال أبلغ فى العظة، واستجابته له أقوى أثرا فى النفس .

وقد قرن وجود الماء بحلول الوقت ولا مانع يدفع الوجوب، ليشير إلى استكمال الأسباب وتوافرها، فلا مَحيد بعدها من صلاةٍ على مَن لزمته الصلاة ، كما لا محيد بعدها من موت على كل حى، إذ حاله كحال هذا المصلى لا معدل له عنها .

كما قد يفيد ذكر الماء، وقد يجزئ التيمم عنه فى بعض الأحوال من سفر أو مرض، ليشير إلى التمنع ، وهو مع الإقامة أوفى ؛ ولِيُشير إلى العافية، واستعمال الماء يدل عليها .

٩ (لَقَدْ أَفْنَتْ عَزَائِمَكَ الدَّيَاجِى وأَفْرادُ الكَوَاكِبِ أَرْفِقَاءُ)

الدَّياجى : حَنادِس الليل ؛ كأنه جمع دَيجاة . ولما جَعل الحياة عزائم ، وهى حركة دائبة، وهى بالنهار ألصق، جعل الفناء دياجى، وهى سكون وهدوء .

وأرفقاء : جمع رفيق، وهو المُرافق .

وكأنه يلتفت إلى ارتباط حياة الناس بالنجوم سعادة وشقاء ، وبقاء وفناء، ثم إن النجوم من لوازم الليل يتصل ظهورها بظهوره .

١٠ (فَيَاسِرْنِى لِتُدْرِكَنَا المَنَايَا ونَحْنُ عَلَى السَّجِيَّةِ أَصْدِقَاءُ)

ياسره : لاينَه وساهله .

والسجية : الطَّبيعة والخُلق . وفى الحديث : «كان خُلقه سجية» أى طبيعة من غير تكلُّف .

أى كُن مثلى مُستسلما ، لا عناد على أمر لا مفرَّ منه ، ولنلتق مع الموت والطبيعتان مُتفقتان ، رضًى منّى يُقابله رضًى منك .

١١ ﴿ أَرَى جُرَعَ الحَيَاةِ أَمَرَّ شَىءٍ فشَاهِدْ صِدْقَ ذلِكَ إذْ تُقَاءُ ﴾

الجُرع : جمع جرعة ، وهى مِلْء الفم يُبتلع . ويُريد بها ما تناله من الحياة جملة .

وقاء فلان ما أكل ، إذا ألقاه . يُشير إلى لفظك الروح وخُروجها عنك ، وما أمرّها عليك وعلى من حولك .

اللزومية الرابعة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع الراء، والكامل الأول[1] :

١ (مَالِى غَدَوْتُ كقَافِ رُؤْبَةَ قُيِّدَتْ   فِى الدَّهْرِ لَمْ يُقْدَر لَهَا إجْرَاؤُهَا)

القاف، حرف هجاء مجهور، يكون أصلًا، لا بدلًا ولا زائدا .

ورُؤْبة : هو ابن العجّاج بن رؤبة بن لَبيد بن صخر، سُمّى برؤبة الخشب، وهى القطعةُ يرأب بها الإناء، أى يُشعب ويُصلح وتُسدّ بها ثلمة الجفنة، هذا على رأى من يَهمز؛ وعند من لا يهمز، فقد جُعل من «الروبة» بمعنى القطعة من الليل أو اللحم، أو بمعنى الكَرَبة من الأرض الكثيرة النبات .

وقاف رؤبة، يريد بها أرجوزته المُقيّدة التى على حرف القاف وأولها :

* وقاتِمِ الأَعماقِ خاوِى المُخترَقْ *

والمقيّد من الشعر : الساكن، وهو خلاف المُطلق . وهو على وجهين : إما مقيّد قد تمّ، وشاهده بيت رؤبة السالف . فإن زدتَ فيه حركة كان فضلًا على البيت . وإما مُقيّد قد مُدّ على ما هو أقصر منه، نحو «فعول» فى آخر المتقارب، مُدّ عن «فعل» . فزيادته على «فعل» عوض له من الوصل .

وإجراء القافية أن يكون لها مُجرى . والمُجرى فى الشعر : حركة حرف الروىّ : فتحته وضمته وكسرته . وليس فى الروىّ المقيّد مُجرى، لأنه لا حركة فيه فتُسمّى مجرى . وهكذا يَقصر العَروضيون المُجرى فى القافية على حركة حرف الروىّ دون سُكونه . ولكنّ صاحبَ «الكتاب» يريد بالمَجارى أحوالَ أواخر الكلم وأحكامها والصور التى تتشكل لها .

(١) أى ذو العروض التامة، وضربها مثلها .

يشكو حياته الرّتيبة ، ليل ونهار هما ماهما بما يحملان ، ووجوه لا تتغير لأهل وإخوان ؛ لاجديد يبعث الرغبة فى الوجود ، ولا فكاك مما تعانيه النفس من رُكود .

٢ (أُعِلَّتْ عِلّةَ «قالَ» وهىَ قَديمةٌ أَعْيَا الأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إبْرَاؤُهَا)

الإعلال ، عند الصرفيين : كل مايمس حُروف العلة : الألف والواو والياء ، من قلب أو حذف أو تسكين . وساق الفعل « قال » مثلا لمـّا كان أحدُ أصوله حرفَ علة تتعاوره هذه العِلل .

جعل برمه بالحياة ، وضيقه بها ، وما يشكوه من حالها ، فى لزومه لزوما لا تحول عنه ، كلزوم تلك العلة هذا الفعل ، بها خُلق وعليها يَغذى .

٢ (طَالَ الثَّواءُ وقَدْ أَنَى لِمَفَاصِلِي أَنْ تَسْتَبِدَّ بِضَمِّها صَحْرَاؤُهَا)

الثواء : طُول المُقام .

وأَنَى الشيء : حان وأدرك ؛ يقال : ألم يَأْنِ ، وأَلَم يئِن لك ، وألم يَنَـل لك ، وألم يُنِل لك ، ومعناها كلها : ألم يَحِن لك .

وآستبدّ فلان بكذا : آنفرد به دون غيره .

ويريد بـ « صحرائها » : مقبرتها ؛ إذ الناس دائما يُصحرون بمقابرهم أنّى وجدوا إلى ذلك سبيلا .

٤ (فَتَرَتْ ولَمْ تَفْتُرْ لشُرْبِ مُدَامةٍ بَلْ لِلْخُطُوبِ يَغُولُها إسْرَاؤُهَا)

فترت ، أى لانت وضعفت ؛ يعنى أوصاله . يقال : فَتر الشيء يفترُ ، بالضم والكسر ، فُتورا وفُتارا : سكن بعد حدّة ، ولان بعد شدّة .

والمُدامة والمُدام : الخمر ، لإدامتها فى الدنّ زمانا .

ويغولها : يُهلكها ويَغتالها ويَذهب بها .

والإسراء : السُّرى ليلا ، وهو بمُرور الخطوب أوفق ؛ فهى المدلّهات حين تُوصف، وبينها وبين سُود الليالى جامعة لا تَحلّ .

وخص «المدام» لأنها مَظنة الإضعاف والوَهن بما تترك من أثر، وبما تنعش إليه الجسم من إسراف فى اللهو ينهى إلى الانحلال . وأبو العلاء صادفٌ عن اللهو وما يحرك له . ثم هو يريد أن يردّ وهم الواهمين الذين يعزون الضعف إلى أسباب — جعل المدامة مثلا لها — فيحتالون للفتوة بالامتناع عما يضير، والأخذ بما يفيد. يريد أن يُردّ هؤلاء إلى ما عنه يغفلون من دهر ملىء بخطوبه ، يأكل قوتهم على الرغم من حيطتهم ، ويوهن من بأسهم وعزمهم .

٥ (مُلّ المُقامُ فَكَمْ أُعاشِرُ أُمَّةً أَمَرتْ بِغَيرِ صَلاحِها أُمَراؤُهَا)

المقام ، بالضم : الإقامة ، وبالفتح : الموضع . وقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وبمعنى موضع القيام، لأنك إذا جعلته من قام يقوم ، فمفتوح، وإن جعلته من أقام يقيم ، فمضموم .

جعل فساد الرعية من فساد الراعى . وهو حين ضج بالناس لفسادهم ، ألقى تبعة هذا على ولاة ليس فيهم صفة الولاية، التى هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وهو ما سيبسطه فى بيته الآتى .

٦ (ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَاستَجازُوا كَيْدَها فَعَدَوْا مَصالِحَها وهُمْ أُجَراؤُهَا)

الاستجازة ، فى الأصل : فى السُّقيا ، تقول : استجزت فلانا فأجازنى ، إذا سقاك ماءً لأرضك أو لماشيتك . قال القُطامى :

وقالُوا فُقَيمٌ قَيِّمُ المــاءِ فاْستجزْ عُبادةَ إنّ المُستجيزَ على قُــتْرِ[(١)]

ومن المجاز . اْستجاز رجل رجلا : إذا طلب الإجازة ، أي الإذن فى مَرْوِياته ومَسموعاته . وهى ، على الحقيقة والمجازِ ، تحمــل الطلب ، وهو الغالب على هذه الصيغة ؛ فكأنهم اْستجازوا أنفسهم الكَيد فأجازتهم .

وربما خرجت من قَيد الطلب إلى لازِمه الإيجابى ، فتكون بمعنى « أجاز » .

وعَدوا : جاوزوا الحد ، ومن جاوزه فقد ظَلم .

والأُجراء : جمعَ أجير ، وهو من تستعمله على عَملك .

وهكذا يدلى أبو العــلاء برأيه فى نظام الحكم منذ نحــو من ألف عام فيجعل للشعب على الولاة حق المؤاخذة ، يستبدل بهــم إنْ أساءوا ، كما تستبدل أنت بالأجير إن فرّط .

٧ (فِرقًا شَعَرْتُ بأنّها لا تَقْتَنِي خَيْرًا وأنّ شِرارَها شُعَرَاؤُها)

اْقتنى وقَنى : كَسب .

والشِّرار : جَمع شَرير ، قاسه على كَبيرٍوكِبار ، وإن لم تنصّ عليه المَعاجم ، فقد اقتصرت على أشرار ، جمعا لشَرير ؛ وشِرّيرين ، جمعا لِشرّير .

ولعل أبا العــلاء فى ميــله على الشعراء يتأثر قوله تعــالى (والشــعراء يتبعهم الغاوون . ألمْ ترَ أنهــم فى كل وادٍ يَهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون)[(٢)] . فمــا أعظم رسالة الشعراء إن أخلصوا لهــا وأحسنوا القصد ، وما أهونهم على النــاس وأهون الناس بهم إن عاشوا فى رَكب الفساد يروّجون له ويُعينون فاعليه .

(١) على قتر ، أى على ناحية . إما أن يسق ، وإما ألا يسق .

(٢) الآية ٢٢٤ من سورة الشعراء .

٨ (أَثَرْتُ أحَادِيثَ الكِرَامِ بِزَعْمِهَا وأجَادَ حَبْسَ أكُفِّهَا إثْرَاؤُهَا)

أثرتُ الحديث آثره ، إذا ذكرته عن غيرك وحدّثت به عنهم .

والضمير فى « بزعمها » و « أكفها » للشعراء ، نظَر إلى لفظ الجمع المكسّر .

والإثراء : كثرة المال ؛ يقال : ثَرِى القوم يَثْرون ، إذا كثُروا ونَموا ؛ وأثروا يُثرون ، إذا كثرت أموالهم ؛ ومثل « أثرى » فى هذا « ثرى » . والضمير فى « إثراؤها » يصح أن يكون للشعراء أو للأكف .

يصل حديثه عن الشعراء ، وينعى عليهم تعلقهم بأحاديث الكرماء ، وهم أبعد عنهم شبها ، فما إن تملك أيديهم ، وتمتلىء بالهبات أكُفّهم ، حتى تنقبض على ما نالت ، وينسى أصحابها ما نالوا ، وإذا هم أشحاء على الناس بعملهم ، أسخياء عليهم بقولهم .

٩ (وإذَا النُّفُوسُ تَجاوزَتْ أقدادَهَا حَذْوَ[(١)] البَعُوضِ تَغَيّرَتْ سُجَراؤُهَا)

المجاوزة : تعدّى الحد ، رفعة أو ضعة .

والأقداد : جمع قد ، بالفتح ، لم تذكره المعاجم . والقد : قدر الشيء وتقطيعه . يريد وضعها الذى وُضعت عليه ، ومرتبتها التى قدّرت لها .

وهى على الرواية الثانية « أقدار » بالراء ، بجمع « قدر » بالفتح ، وقدر كل شيء : مقياسه .

والمعنى قريب من المعنى ، غير أن الأول مع « حذو » أنسب .

والحذو : التقدير والقطع . تقول : هذا حذو هذا ، أى على قدره ومثاله .

وعلى رواية « حد » فالحد : الغاية ، وهى برواية « أقدار » أنسب .

---

(١) ب : « أقدارها * حد » .

وبالبعوض يضرب المثل فى كل ماهو هيّن مهين . يصف يُسر هذه المجاوزة وضآلتها .

والسجراء : الأصدقاء والأخلاّء والأصفياء ؛ الواحد : سجير . وساجَر فلان فلانا : صاحبه وصافاه . قال أبو خراش :

وكنتُ إذا ساجرتُ منهم مُساجِرًا   صَبَحتُ بفَضلٍ فى المُروءة والعِلمِ

وتغيُّر السُّجراء، إما نُبوًّا عنهم ممن آرتفعوا، أو نبوًّا منهم هم عمن هانوا .

١٠ ﴿كصَحيحةِ الأَوْزانِ زادَتْها القُوَى   حَرْفًا فبَانَ لِسامِعٍ نُكْرَاؤُها﴾

الصّحيح من الشعر : ما سَلِم من النّقص ؛ وقيل : كل ما يُمكن فيه الزحاف فَسلم منه ، فهو صحيح ؛ كما قيل : هو كل آخر نِصف يَسلم من الأشياء التى تقع عِللًا فى الأعاريض والضروب ولا تقع فى الحَشْو .

والقُوى : جمع قُوة ، وهى الطاقة من طاقات الحَبل أو الوَتر . وتُجمع أيضا على قِوى ، بالكسر . وبها تُشبّه مقاطع الشعر ، يُجعل كل مَقطع منها قُوة .

والزيادة فى الشعر أنواع : تَذييل ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره وَتِد مجموع ؛ وتَسبيغ ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ؛ وتَرفيل ، وهو زيادة سَبب خفيف على ما آخره وَتِد مجموع .

فإن أُريد بالحرف معناه اللغوى آنصرف إلى الأول والثانى من هذه الأنواع ؛ وإن أريد به معناه المجازى شمِل أنواع الزيادة الثلاثة .

وبان : ظهر ووضح .

والنّكراء : المُنكر ، خلاف المعروف . فكأنّ السامع يستنكرها ولا تألفها أذُنه . وقد تكون « نكراء » جمع « نكير » آسم بمعنى الإنكار ، وهو التغيير، نحو : كرماء وكريم . أى يدرك السامع ما جدّ عليها من مخالفة ومغايرة .

جعــل شناعة هــذا التحوّل الذى ذكره ونُكره، من الوضوح والجلاء، بمنزلة هذه الزيادة فى الشعر لا يخفى مكانها، وما أسرع مايثور فى النفس آستنكارها .

١١ (كَرِيَتْ فَسُرَّتْ بالكَرَى وحَيَاتُها أَكْرَتْ بِحَــرِّ نَوائِبًا إِكْرَاؤُها)

كرِى الرجل، بالكسر، يكْرى، بالفتح، كَرًى : إذا نام، فهو . كَرٍ، وكَرِىٌ، وكَرَيان . والفعل « أكرى » على وجهين، فقد يكون متعديا، بمعنى أطال وأخر؛ تقول : أكرينا الحديثَ الليــلة ، أى أطلناه ؛ وقد يجوز إلى المفعول بالحرف، ومنه حديث آبن مسعود : « كنّا عند النبىّ صلى الله عليه وسلم ذات ليــلة فأكرينا فى الحديث » أى أطلناه وأخرناه .

والوجه الثانى أن يكون لازما، بمعـنى طال وقصر، وزاد ونقص، من الأضداد . قال آبن أحمر : ١

وتواهَقت أخفافُهــا طَبَقًا والظلُّ لم يَفْضُل ولم يُكْرِى[1]

أى ولم ينقص .

كما قد يكون مع اللزوم خالصًا للقلّة والنفاد والنُّقصان، ومنه : أكرى الرجل، إذا قلّ مالُه أو نفد زاده . وأكرى الزاد، إذا نَقص . قال لَبيد :

كذِى زاد مــتى ما يُكْرِ منــه فليس وراءَه ثِقــةٌ بِزَادِ ١

والمعنى هنا على النُّقصان . والإكراء : المصدر من « أكرى » بمعنى نقص .

جعــل حال النفوس فى مجاوزتها أقدارها، وما يتبــع هذه المجاوزة من تنــكر ونسيان، حال الغافل نام عما يجب، بفرت عليه الحياة بما يقطع ويجُبّ .

---

(١) تواهقت : تسايرت . وطبقا : حالا .

١٢ ﴿ سُبْحَانَ خَالِقِكَ الّذى قَرّتْ بِهِ غَبْرَاءُ تُوقَدُ فَوْقَها خَضْرَاؤُهَا ﴾

سبحان ، فى اللغة : تنزيه الله عزّ وجلّ عن السوء، منصوب على المصدر . وقال ابنُ جِنّى : هو اسم عَلَم لمعنى البراءة والتنزيه، بمنزلة « عُثمان » و « عِمران » . اجتمع فى « سبحان » التعريف والألف والنون، وكلاهما علّة تمنع من الصرف . وقرّت : استقرت وثبتت .

والغبراء : الأرض، كما أن الخضراء : السماء .

والمراد : استقرارها تحت أقدام ساكنيها واطمئنانهم على ظهرها . هذا معنى .

وقد يكون « قَرّ » من « القُـرّ » بالضم ، وهو البرد عامة ، ولعله يلتفت إلى نشأة الأرض كتلة متقدة، لا حياة عليهـا ، ثم برودتها مع الزمن . والمقابلة فى قوله « توقد » تُزكّيه .

وتوقّد : تتلألأ نضرة ، وتزدهر إيناعا ، وترعرع إيراقا .

والخضراء : البقول . وهو يريد النبت عامة . يصف هيجان الأرض بالزرع . هذا على المعنى الأوّل .

وعلى المعنى الثانى . فهو يشير إلى ما يُتخذ من هذا النبت من وَقود يَبعث نارا .

وكأنه يشير إلى قوله تعـالى : ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه تُوقدون ﴾ (١) .

١٣ ﴿ هَلْ تَعرِفُ الحَسَدَ الجِيادُ كَغَيْرِها فَالبُهْمُ تُحْسَدُ بَيْنَهَـا غَرّاؤُهَا ﴾

الحسد : أن يتمنّى المرء زوال نعمة المحسود إليـه .

والجياد : جمـع جواد ، للفـرس السابق الجيّد، ويجمع أيضا على : أجياد . فإذا أردت به الرجل السخىّ جمعته على أجواد . و « الجواد » بمعنييه ممـا يستوى فيه المذكر والمؤنث .

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

والُبهم، بالضم، وبضمتين : جمع بَهيم . وهو الفرس الأسود الذى لا شِية فيه ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . وقيل : هو الذى لا يخالط لونَه شىء سوى مُعظم لونه . أما البَهم ، بالفتح ، فهى من جموع بَهمة ، وهى الصغيرة من أولاد الغنم والضأن والمعز والبقر ، من الوحش وغيرها . والمعنى لا يتّجه إليها هنا .

والغرّاء : الجياد فى جَبهتها غُرة . وجُموع الكثرة توصف بالمفرد المؤنث ما كانت لغير العاقل . والغرّة : بياض فى الجبهة ، أكبر من الدرهم قد وَسَطت جبهة الفرس ، ولم تُصب واحدة من العينين ، ولم تَمِل على واحدة من الخدّين ، ولم تَسِل سُفْلا .

والاستفهام فى البيت على الإنكار ، ينفى أن يقع التحاسد بين الجياد ، يحقد أسودها على أبيضها . ولقد أقام السواد والبياض مثلا للتنافر بين بنى الإنسان ، أسودهم وأبيضهم ، وهو أشيع من غيره بينهم وأشنع .

وكأنه لما جعل الأرض نارا فى مبدئها ، ونارا فى مآلها ، لم يستكثر على أهلها ، أن تثور بينهم نار الحقد والتحاسد .

١٤ (وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشابِه طَامِثًا لَا تَستَقِيمُ لِنَاكِحٍ أَقْرَاؤُهَا)

الطامث : الحائض . وقيل : إذا حاضت أول ما تحيض . والفِعل : طَمِثت ، بكسر العين وفتحها ، تطمث . بفتحها وضمها ، على الترتيب ، طمثا ، مثل « ضربا » .

والقرء ، بالفتح والضم : الحيض والطُّهر ، ضِدّ ، وذلك أن القرء : الوقت ، فقد يكون للحيض والطهر . ويجمع أيضا على : قروء وأقرؤ ، الأخيرة عن اللحيانى فى أدنى العدد . وشاهد الطُّهر قول الأعشى :

مُورِّثة مالًا وفى الحىّ رِفعــةً   لِمَا ضاع فيها من قُروءِ نِسائكا

فالقروء ، هنـا : الأطهار لا الحيض ، لأن النساء إنمـا يؤتين فى أطهارهن لا فى حيضهن . فإنمـا ضاع بغيبته عنهن أطهارهن .

وشاهده على الحيض قوله صلى الله عليه وسلم : « دعى الصلاة أيام أقرائك » أى أيام حيضك . وقول أبى العـلاء هنا من الأول .

يرى أبو العـلاء أن الحيـاة لا ينتفع الإنسان بمـا فيها من نواحى طيبة ، التى هى أشبه بأطهار الطامث ؛ يغلب شرُّها خيرها ، وتعود كلها شرا لا تصفو لمريد .

١٥ (هُوِيَتْ ولم تُسْعِفْ وراحَ غَنِيُّها   تَعِبًا وَفازَ براحةٍ فُقَـراؤُهَا)

الإسعاف : المساعدة والمُـواتاة والقُرب فى حسـن مُصافاة ومعاونة . قال الشـاعر :

وإنّ شِفاء النفس لو تُسعِف النّوى   أُولاتُ الثّنايا الغُرِّ والحَـدَقِ النُّجْلِ

وخص الفقراء لأنهم أفرغ الناس يدا من مشاكلهم ، تُغنيهم من دنياهم لقمة تسدّ جوعة ، وجرعة تطفئ ظمأة ، وما يبالون بعد هذين على أى جنب ينامون .

١٦ (وتَجَادلَتْ فُقَهاؤُها مِن حُبِّها   وتَقَــرَّأَتْ لِتنَـالَهَا قُـرَّاؤُهَا)

تقرّأ : تفقه وتنسّك . وقيل : قرأتُ . أى صِرت قارئًا ناسكا . وتقرّأت تقرؤا ، فى هـذا المعنى . ولعل أبا العلاء يُشـير إلى الحـديث : « أكثر مُنافق أمتى قُرّاؤها » .

جعل فقه الفقهاء، ونسك القرّاء، وسيلتين لكسب الدنيا وجَرّ مغانمها .

وأبو العلاء فى هذا البيت يردّد ما قاله من قبل ، وينضم إليه ما سيقوله بعد .

١٧ (وإذا زَجَرْتَ النَّفْسَ عن شَغَفٍ بِهَا   فكأنّ زَجْرَ غَوِيِّها إغْرَاؤُهَا)

الزجر : المَنع والنّهى والنّهر .

والشغف : الولع بالشىء ؛ يقال : شُغِف فلان بالشىء ، على صيغة ما لم يُسمّ فاعله : أُولع به ؛ وشَغِف بالشىء ، على ما سُمى فاعله : قَلِق . والكلام على المعنيين مستقيم ، فالولع بالشىء قريب منه القلق به ، فكلاهما عن تعلق بالشىء واهتمام به .

والغَوِىّ : الضالّ ، ومثله : غاوٍ وغوٍ وغَيّان . والفعل منه : غَوَى ، وغوِى .
وقال ابن بَرّى : غَوٍ ، هو اسم الفاعل من « غَوِى » لا من « غَوَى » ، وكذلك غوِىّ ؛ ونظيره : رَشَد ، فهو راشد ؛ ورَشِد ، فهو رَشيد .

والإغراء : الإيساد والتأريش .

جعل حب الدنيا ضلالا ومُحبها ضالا ، قد أمعن فى الضلال فلا يزيده النصح إلا تمسكا بها وإفراطا فى حبها .

اللزومية الخامسة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع الباء ، والمنسرح المولد[1] :

١ ﴿دُنْيَاكَ مَاوِيَّةٌ لَهَا نُوَبٌ   شَتَّى سَمَاوِيَّةٌ وأَنْبَاءُ﴾

النسبة إلى « المـاء » ، مائى ، وماوى ، فى قول من يقـول « عطاوى » ، و « ماهى » كما يقول الأزهرى .

ولمّا كان المـاء أصل الحياة به ردّها إليه . أو لعله شبه الدنيا به فى مُيوعتها وأنها لا تستقر مثله على حال .

والنـوب : جمع نائبة ، وهى ما يَنـوب الإنسان وينزل به من المُهمات والحوادث . وتُجمع على نوائب أيضا .

وشَـتّى . متفرّقة . وفى الحديث : « يَهلكون مَهلكا واحـدا ، ويصدُرون مصادر شتى » .

وقال ابن جِنّى : شتان وشتى ، كَسكران وسَـكرى . يعنى أن « شتى » ليس مُؤنث «شتان» ، كسكران وسكرى . وإنما هما اسمان توارَدا وتقابلا فى عُرض اللغة من غَير قصد ولا إيثار لتقاودهما .

وفى تخصيص « النـوب » و « الأنبـاء » بأنها سماويه ، إشارة إلى ما يتردّد فى شعر أبى العلاء من أثر الأفلاك فى مجرى الحياة .

٢ ﴿أُفٍّ لَهَا جُلُّ مايُفِيدُ بِهَا   مَنْ فازَ فِيهَا الطّعامُ والبَاءُ﴾

أف : كلمة تضجر . وقد سبق عنها مزيد[2] .

---

(١) شاهده : * من فرص اللص ضجة السوق *

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة (ص ٨٣) من هذا الجزء .

وجُل كل شيء ، بالضم : معظمه ، مبتدأ ، خبره « الطعام » وما آنعطف عليه .

وأفدت المـال : أعطيته غيرى . وأفدته : آستفدته . والثانى هو المراد .

والباء : النكاح والتزويج . وقد مضى الكلام فيه بتفصيل (١) .

٣ (جَدَّ مُقِيمٌ وخَابَ ذُو سَفَرٍ كأنَّه فِى الهَـجِيرِ حِرْبَاءُ)

جَدَّ فلانٌ يجَدّ ، من بابَ علم : صار ذا حظّ وغِنى ، فهـو جَديد ومَجدود .

وأراد بالمقيم : الخامل غير الساعى ؛ وأراد بذي السفر : الجاد الساعى الذى لا يهدأ حركة .

والهجير : نصفُ النهار عند آشـتداد الحر . ومثـله : الهجيرة ، والهَجْر ، والهاجرة . وخص الهجير بالذكر لأن آذى مايكون الساعى بوقت فهو به .

والحِـرباء : ذَكَر أم حُبين . وقيـل : هى دُوَيْبـة نحو العَظـاءة أو أكبر تَسـتقبل الشمس برأسها ، وتكون منهـا كيف دارت . يقال : إنمـا تفعل ذلك لِتَقِى جسدها برأسها . وهى تتلوّن ألوانا بحرّ الشمس . والجمع : الحَرابِىّ . ويقال فيها : حرباء تَنضُب . كما يقال : ذِئب غَضى . قال أبو دُوَاد الإيادىّ :

أنَّى أُتِيحَ لهـا حِرْباء تَنْضُـبةٍ لا يُرسِلُ الساقَ إلاّ مُمسكا ساقَا (٢)

وخص الحرباء بالذكر لأنها أمرسُ بالحر وأقوى عليه . فاذا أذيت هى به كان غيرها أكثر تأذّيا .

---

(١) انظر شرح البيت التاسع من اللزومية الأولى (ص ٥٦) من هذا الجزء .

(٢) يصف ظعنا ساقها وأزعجها سائق مجدّ ، فتعجب كيف أتيح لها هذا السائق المجد . وهذا مثل يضرب للرجل الحازم ، لأن الحرباء لا تفارق الغصن الأول حتى تثبت على الغصن الآخر .

٤ ﴿أَقْضِيَةٌ لا تَزَالُ وَارِدَةً تَحارُ فِي كَوْنِهَا الأَلِبّاءُ﴾

أقضية : جمع قضاء، وهو الحكم .

وواردة ، أى حاضرة وآنية . والألباء : العقلاء ، الواحد : لبيب .

يصف بلبلة العقلاء بمجريات القضاء ، من حرمان ساع ، أو إسعاد خامل .

٥ ﴿قَامَ بَنُو القَومِ فى أَماكِنِهِم وغُيِّبَتْ فِي التُّرابِ آباءُ﴾

بنو القوم ، أى الذرارى والأعقاب . والضمير فى « أماكنهم » . إما من المضاف فى «بنو القوم» أو من المضاف إليه . وعلى الثانى، فالمراد : حَلَّ الأبناء محل الآباء . وعلى الأول ، فالمراد : قام الأبناء حيث هم فى الحياة .

٦ ﴿وزَالَ عِزُّ الأَمِيرِ وٱفترقَتْ أَحْبَاؤُهُ عَنْـه والأَحِبّاءُ﴾

الأَحْباء : جلساء الملك وخاصته ، الواحد : حَبأ ؛ مثل : أسباب وسبب .

ويقال : هو من حَبأ الملك ، أى من خاصته . والأحباء : المحبون ، الواحد: حبيب .

٧ ﴿وكُلَّ حِينٍ حُوبٌ ومَعْصِيَةٌ زادَتْهما فى الذُّنُوبِ حَوْبَاءُ﴾

الحـوب ، بالضم والفتح ، والحـاب : الإثم . فالحوب ، بالفتح ، لأهـل الحجاز . والحوب ، بالضم ، لتميم .

وقال الزجاج : الحُوب : الإثم ؛ والحَوب : فعل الرجل . وفى قوله تعالى : (إنه كان حُوبا)[1] قرأ الفراء بالضم ، وقرأ الحسن بالفتح . وفى حديث أبى هُريرة رضى الله عنـه : « إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الربا سبعون حوبا ، أيسرها مثـل وقوع الرجل على أُمه . وأربى الربا عِرض المسـلم » . قال شِمر : قوله : « سبعون حوبا » كأنه سبعون ضربا من الإثم .

والحـوباء : النفس ، ممـدودة ساكنة الواو ؛ والجمـع : حوباوات . يريد استرسال النفوس فى غيها .

(١) الآية الثانية من سورة النساء .

اللزوميــة السادسة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المضمومة مع الميم، والخفيف الأول (١) :

١ ﴿ فُقِدَتْ فى أيّامِكَ العُلَمَـاءُ وادْلَهَمّتَ عليهمُ الظَّلْمَـاءُ ﴾

ادلهمّت : كثُفت واسودّت .

والظّلماء : الليلة الشديدة الظُّلمة . يريد ظلمة الجهل وغشاوته . فالجاهل وهو يضرب فى الحياة على غير بصيرة كمن يضطرب فى الظلمات لا يعرف موقع قدمه . ينكر على الناس رأيهم فى الحياة، ويجعله شيئا من العبث الذى يصدر عن الجهلاء .

وفى أيامك، الخطاب لنفسه، وهو يعنى من فى مرتبته حصافة، وعلى مذهبه فكرا، إذ غيره وغيرهم ممن لا يتجه لهم هذا الخطاب .

٢ ﴿ وتَغَشّى دَهْمَاءَنا الغَىُّ لمّـا عُطِّلت مِن وُضُوحِها (٢) الدَّهْمَاءُ ﴾

تغشّى : علا وتجلّل .

والدهماء : الجماعة من الناس . يقال : دخلت فى خمر النـاس، أى فى جماعتهم وكثرتهم، وفى دهماء الناس أيضا، مثله . قال الشاعر :

فَقدناك فِقـدانَ الرّبيع وليّتنا فَدينـاك من دَهْمائنا بأُلُوف

والغىّ : الضلالة والخَيبة .

والوضوح : الظهور والجلاء .

وأما على الرواية الثانية، وهى « أوضاح » فأوضاح : جمع « وضَح » بالتحريك، وهو الغرّة والتحجيل فى القوائم، وهو الضوء والبياض أيضا .

---

(١) أى ذو العروض الصحيحة، وضربها مثلها .

(٢) ب : « أوضاحها » .

وقد يراد « بالدهماء » فى آخر البيت : الغبراء ، أى الأرض ، و يكون المعنى من معنى عجز البيت السابق ومؤكدا له . جعل انجلاء الحياة بالعلماء ، فإذا عطلت منهم تغشتها الظلمات .

كما قد يراد بها الدابة السوداء لاشية فيها . جعل العلماء فى الحياة بمنزلة الأوضاح فى الدابة الدهماء . وهو لا يخرج عن الأول .

٣ ﴿ لِلمَلِيكِ المُذَكَّرَاتُ عَبِيدٌ وكَذَاكَ المُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ ﴾

أراد « بالمليك » : الله تعالى ، مليك الخلق ، أى ربهم ومالكهم . والمذكرات : ما كان على صيغة التذكير من خَلقه . والمؤنثات : ما كان منها على صيغة التأنيث ؛ أراد الشمول فذكّر الشيء وضدّه .

وقصد إلى هذين خاصة لأنهما سر الوجود و بقاؤه .

والإماء : جمع أمة ، وهى المملوكة ، خلاف الحُرّة . وقال الأزهرى : هى المرأة ذات العبودة ، وقد أقرت بالأموة . وتجمع أيضا على : أموات ، وآم ، و إموان ، بالكسر والضم .

وقد شبه أبو العلاء « الأيام » بالعبيد ، و « الليالى » بالإماء فى غير هذا الموضع ؟ فقال :

بسبع إماءٍ من زَغاوة زُوِّجت من الرُّوم فى نُعْمان سبعةَ أعبُدِ

٤ ﴿ فالهِلاَلُ المُنِيفُ والبَدْرُ والفَرْ قَدُ والصُّبْحُ والثّرَى والمَاءُ ﴾

المنيف : المشرف المرتفع على غيره ؛ يقال : ناف الشيء ، إذا طال وأشرف وارتفع . وكذلك أناف .

والفرقد : واحد الفرقدين ، وهما نجمان فى السماء لا يغرُبان ، ولكنهما يطوفان بالجدى . وقيل : هما كوكبان قريبان من القطب؛ كما قيل إنهما فى بنات نَعش الصغرى .

وحكى الكِسائى : لأبكِيَنّك الفرقدين ، أى طول طلوعهما . قال : وكذلك النجوم ، كلها تنصب على الظرف ، كقولك : لأبكينك الشمس والقمر . كل هذا يقيمون فيه الأسماء مقام الظروف .

قال ابن سِيده : وعندى أنهم يريدون طول طلوعها ، فيحذفون اختصارا واتساعا .

وقالوا فيها : الفراقد : كأنهم جعلوا كل جزء منهما فرقدا . قال الشاعر :

لقد طال يا سوداءُ مِنك المواعدُ ودون الجَدَا المأمولِ منك الفَراقِدُ

وكذلك قالت العرب لها : الفرقد . ولعلّ عليه بيت أبى العلاء . ومنه قول لَبيد :

حَالف الفرقدُ شَربًا فى الهدى خُلّةً باقيةً دون الخلَلْ

٥ ﴿ والثُّريّا والشّمسُ والنّارُ والنّثرةُ والأرضُ والضُّحَى والسَّماءُ ﴾

الثريا : من الكواكب ، سُميت لغزَارة نَوئها . وقيل : سُميت بذلك لكثرة كواكبها مع صِغر مَرْآتها . فكأنها كثيرة العَدد بالإضافة إلى ضِيق المحلّ ، لا يُتكلم به إلا مُصغّرا ، وهو تَصغير على جهة التكبير .

والنّثرة : نَجم من نُجوم الأَسد ينْزلها القمر .

وقال الأزهرى : هى كوكب فى السماء كأنه لُطخ سحاب حيالَ كوكبين ، تُسمِّيه العرب نثرة الأسد . أو هى من منازل القمر ، وهى من بُرج السّرطان .

والسماء، التى تُظِل الأرض، مؤنثة فى قول جُمهور النحويين . وذكر بعضُهم أنها تذكّر وتؤنث، محتجّين بقوله تعالى : ﴿والسماء مُنْفطر﴾(١) . وقيل فى دفع هذا : إنمـا جاء على معنى النّسب، أى ذات آنفطار، كما قالوا : آمرأة عاشق أو عاقر، أى ذات عِشـق وعُقـر . وقد يجوز أن يكون ذكّرها على معنى السّقف، لقوله تعـالى : ﴿ وجعلنا السماء سَقفا محفوظا ﴾(٢) . ومنه بيتُ الفَرزدق :

فلو رَفع السماء إليه سَـقفًا ... لَحِقنا بالسماء مع السّحابِ

وأما السماء الذى يُراد به المَطر، فقال بعضُهم إنه مذكر، ومنه قول الشاعر :

إذا سَقط السماء بأرض قوم ... رَعَيناه وإن كانوا غِضابَا

ويرى الأخفش أنه مُؤنث . ومنه بيت أبى العلاء، هذا، فقد جَمع المذكرات فى بيت، والمؤنثات فى بيته الآخر .

وقد ذكّر على سبيل التمثيل لا على سبيل الاستيعاب .

٦﴿ هَـذِه كُلُّهـا لِربِّك مَا عَا ... بَكَ فى قَـوْلِ ذلِك الحُكَماءُ ﴾

٧﴿ خَلِّـنِى يا أَخِى أَسـتَغْفِرِ اللّـهَ فَـلَمْ يَبْـقَ فِىَّ إِلّا الذَّمَاءُ ﴾

الذماء، بالفتح : بقية النفس، وكذلك بقية الروح فى المَذبوح . قال أبو ذؤيب يذكر القانص والحَمِير :

فأبَدَّهنّ حُتوفهنّ فهاربٌ ... بذَمائه أو باركٌ مُتَجَعْجِـعُ

(١) الآية ٣٢ من سورة الأنبياء .

(٢) الآية ١٨ من سورة المزمل .

يعنى أنه أى ليس فى العمر متسع للأخذ والرد ، وليس هناك شباب يُطغى ، أو فتوة تُغرى ، بل قد أسلمنى العمر إلى ضعف ، يفقد الإنسان معه ما يزهيه ، ويُرد إلى السلامة فى التفكير .

٨ ﴿ وَيُقَالُ الكِرَامُ قَوْلًا وَمَا فِي الْـــعَصْرِ إلّا الشُّخُوصُ والأَسْمَاءُ ﴾

العصر : الدهر ، وهو المُراد هنا .

وقال آبن عبّاس : هو ما يَلِى المَغرب من النهار . وقال قَتادة : هو ساعةٌ من ساعات النهار . والعَصْران : الليل والنهار ، والغَداة والعشى .

وفى « العصر » لغات ، الفتح ، والكسر ، والضم ، وبضمتين . ويجمع على أعصار ، وعصور ، وعُصر ، بضمتين أيضا .

والشُّخوص : جمع شخص ، وهو كُل جسم له آرتفاع وظُهور . ويُجمع أيضا على أشخاص ، وشِخاص .

يصل قولَه مُبديًا علّة طلبه فى أن يُخَلّى بينه وبين الله ، بما جرَّب من استرسال الناس فى خيال لا حقيقة وراءه ، وإمعان فى باطل لا هُدى فى ظله ؛ يؤثرون فريقا منهم بالتمييز ، ويحوطونهم بالتبجيل ، وهم جميعا بين يدى الوجود سواء ، لا تُعرف لهم إلا الشخوص والأسماء .

وخص الكرام بالذكر — وهو يعنى بهم الذى سوّدهم ثراؤهم ، وطيّر صيتهم سخاؤهم — لأنهم أعز من على وجه الأرض فى اعتبار الناس ، وأمنعهم فى زعمهم على البأس .

ولقد عد أبو العلاء هذا قولًا يُقال ، ينطق به الناس دون إلقاء بال .

٩﴿ وأَحَادِيثُ حَبّرَتْهـا[(١)] غُــوَاةٌ وآفْتَرتْهَـا لِلْكَسْبِ القُــدَمَاءُ ﴾

التحبير : التجويد والتحسين .

والغُواة : الضالون؛ الواحد : غاوٍ .

وآفترى : كذب وآختـلق . وفى حديث بيعـة النساء : ﴿ ولا يأتينَ ببُهتان يَفترينه ﴾[(٢)] هو آفتعال من الكذب .

يردّ أبو العـلاء هذه التفرقة إلى غواة أرادوا بها إعزاز فريق وإذلال غيره، وإلى منتفعين صانعوا القالة على حساب الكثرة .

١٠﴿ هَذِهِ الشُّهْبُ خِلْتُهَا شَبَكَ الدَّهْــــرِ لها فَــوْقَ أَهْلِهَا إِلْمَــاءُ ﴾

الشهب : النجوم السّبعة المعروفة بالدّرارى؛ الواحد : شهاب . وظاهر أنه يريد النجوم عامة .

والإلمـاء : الاحتواء والاشتمال . يقال ألمـأ على الشيء، إذا احتوى عليه .

يُعيـد أبو العـلاء ما يعتقد من أثر الكواكب فى الوجود سعادة وشـقاء، وإبقاءً وفناء .

١١﴿ عَجَبًا للقَضَاءِ تَمَّ على الحَذْ قِ فَهَمَّتْ أن تُبْسَـلَ العُلَمَاءُ[(٣)] ﴾

الإبسال : الإسلام للتهلُكة . قال تعالى : ﴿ أولئك الذين أُبسِلوا بمـا كسبوا ﴾[(٤)] أى أُسلموا بجرائرهم . وقيل : آرتُهنوا . وقيل : أُهلكوا . وقال مجاهد : فُضحوا . وقال قتادة : حُبسوا . وقال أبو منصور فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وأنْ تُبْسَل نَفْسٌ بمـا كسبتْ ﴾[(٥)] أى لئلا تُسْلَمَ نفس إلى العذاب بعَملها . وقال النابغة الجَعدىّ :

---

(١) ب : «خبرتها» . (٢) الآية ١٢ من سورة الممتحنة . (٣) حـ : «الحزماء» .
(٤) الآية ٧٠ من سورة الأنعام . (٥) الآية ٧٠ من سورة الأنعام .

ونحن رَهنّا بالأُفاقة عامرًا بما كان فى الدَّرداء رَهْنًا فأُبْسِلا[1]

وإبسال العلماء ، أن يؤخذوا بعماهم . وكثيرا ما ينعى أبو العلاء عليهم .

١٢ (أَوَمَا يُبْصِرون فعلَ الرَّدَى كَيـ ـفَ يَبِيـدُ الأَصْهارُ والأَحْمَاءُ)

الردى : الهلاك .

والأصهار : أهل بيت المرأة، وأما أهل بيت الرجل فيقال لهم : الأَختان .

والأحماء للمرأة : إخوة زوجها ، وكذلك مَن كان مِن قِبَله ؛ وكل من ولى الزوج من ذى قرابتها ، فهم أحماء لها . وأُم زوجها : حماتها . وكذلك الأحماء للرجل ، من كان مَن قِبل آمرأته : أب أو أخ أو عم . وقيل : الأحماء ، مِن قِبل المرأة خاصة ؛ الواحد، حمو . وفيه لغات أربع : حما، مثل قفا ؛ وحمو، مثل أبو ؛ وحم ، مثل أب ؛ وحَمْء، ساكنة الميم مهموزة .

١٣ (غَلَبَ المَيْنُ مُنْذُ كَانَ على الخَلْقِ وماتَتْ بِغَيْظِها الحُكَمَاءُ[2])

المين : الكذب، والجمع : مُيون .

ومنذ كان، أى منذ كان الخلق .

والحكماء : فلاسفة المتكلمين . يخص منهم من يرى فى الوجود رأيا غير ماجاءت به الأديان .

١٤ (فارِقِى يا عَضْباءُ يَوْمًا وَلو أنّـ ـكِ فِى رَأْسِ شاهِقٍ عَصْماءُ)

« عصماء » الأولى ، من أسماء النساء ؛ وهى من الوعول : البيضاء اليدين، أو اليد وسائرها أسود أو أحمر . وهى المرادة « بعصماء » الثانية . وبها سُميت المرأة، لامتناعها عمن يرومها آمتناع الأروية بالجبل . قال الشاعر :

---

(١) الأفاقة ، بضم الهمزة : موضع من أرض الحزن قرب الكوفة . وكان به يوم من أيامهم . والدرداء : كتيبة كانت لهم .

(٢) ب : « الحزماء » .

إنّ عصماء إنْ تَرُمْها كَعصما ء سَمَتْ فى الذُّرى فليس تُنَالُ

وقد يكون للتسمية وجه آخر يفسره الحديث فى النساء : « لا يدخل الجنة منهنّ إلا مِثل الغراب الأعصم »، وهو الأبيض الجناحين، أو الأبيض الرجلين . أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، ويكون الجامع فى الشبه العزة والندرة، إلّا أن القُنن بالوعول أنسب، والوصف هنا مُخَصِّص .

والكلام فى البيت على الحذف، تقديره : فارقبى يا عصماء يوما تهلكين فيه ؛ فحذفه للعلم به .

وخص العصماء — وهى الجارية المحجبة، التى قُصرت فى بيتها فبعدت عما يعرض للرجال من أحداث، وشغلت بزينة الحياة الدنيا ، فلهت بها عن أخراها — لأنها أولى بالتذكير، وأحق من يخوَّف بالموت .

١٥ (وأَرَى الأَرْبَعَ الغرائِزَ فِينَا وَهْىَ فى جُثَّـةِ الفَتَى خُصَماءُ)

يريد بالغرائز الأربع : العناصر التى يتكوّن منها الكون، والإنسان منه . وهى : المائية، والترابية، والهوائية، والنارية . وهى بعض لبعض خصم .

وخصماء : مخاصمون ، الواحد خَصيم ، والخَصيم غير الخَصِم، إذ الخَصِم : العالم بالخصومة وإنْ لم يخاصم، والخصيم : الذى يخاصم غيره .

١٦ (إنْ تَوَافَقْنَ صَحَّ أَوْ لَا فَمَا يَنْـ ـفَكُّ عَنْها الإِمْرَاضُ والإِغْمَاءُ)

التوافق : الاتفاق .

والإمراض : وقوع العاهات ، من قولك : أمرض الرجلُ، إذا وقعت فى ماله العاهة .

والإغماء ، بكسر الهمزة ، المصدر من أُغمى عليه ، إذا غُشى عليه ثم أفاق . وقيل : إذا ظن أنه مات ثم يرجع حيًّا . وأما الأغمـاء ، بفتح الهمزة ، فهو جمع غَمًى ، عند بعضهم ، وهو المَغشىّ عليه . ويجعل بعضهم «غمًى» للواحد والواحدة ، والاثنين والجميع ، دون تغيير ، لأنه مصدر .

١٧ ﴿ وَوَجَدْتُ الزَّمانَ أَعْجَمَ فَظًّا وجُبَـارٌ فِى حُكْمِهَا العَجْمَاءُ ﴾

الأعجم : العجمىّ ، وهو غير العربىّ . يريد من لا يَعى عنك ولا تَعِى عنه . رجل أعجم ، وقوم أعجم . قال الراجز :

سَلُّوم لو أصبحتِ وسْط الأعْجم في الرُّومِ أو فارسَ أو فى الدَّيْـلِم

* إذًا لزُرناك ولو بِسُـلَّمِ *

والفَظّ : الخَشِـن الكلام ، أو الجافى الغليظ فى مَنطقه ، والجمع : أفظاظ . ويقال : إنه لَفظٌّ بَظٌّ ، على الإتبـاع .

وجُبـار : هَدَرٌ لا قَوَدَ فيـه ولا دِية . وفى الحـديث «المَعدِن جُبار ، والبئر جُبار ، والعَجماء جُبار» . والمعنى : أن تَنفلت البَهيمة العَجماء فتُصيب فى انفلاتها إنسانًا أو شيئا ، بجُرحها هَـدر . وكذلك البئر العاديّة يَسقط فيها إنسان فيَهلك ، فدَمُه هَدر . والمعدن إذا انهار على مَن يعمل فيه فهلك ، لم يُؤخذ به مُستأجره .

وحكمها ، أى فيما يُحكم به فى أمرها ويُقْضَى .

لمـا جعل الزمان أعجم ، ضمّه إلى العجماوات ، عِيًّا وفظاظة . ثم جعل ما يأتيه هدرا لا لوم فيه ولا عيب عليه .

١٨﴿ إنّ دُنيَاكَ مِنْ نَهَارٍ ولَيْـلٍ وَهْىَ فِى ذَاكَ حَيَّـةٌ عَرْمَاءُ ﴾

الحيّة العَرماء : التى فيها نُقط سُود و بيض . والعَرَم والعُرمة : لون مُختلط بسواد و بَياض فى أى شيء كان . وقيل : تَنقيط بهما من غير أن يتّسع ؛ الذَّكَر أعرم، والأُنثى عرماء . وقد غَلبت العَرماء على الحية الرَّقشاء .

سوّى بين نهار الدنيا وليلها فى الشر والإيذاء .

١٩﴿ والبَرَايَا حَازُوا دُيُونَ مَنَايَا سَوْفَ تُقْضَى ويَحْضُر الغُرَمَاءُ ﴾

البرايا : جمع البريّة، وهى الخلق . أصله الهمز، ويجمع على البريّات أيضا . قال ابن بَرّى : والدليل على أن أصل البرية الهمز قولهم « البريئـة » بتحقيق الهمزة ، حكاه سيبويه وغيره لغةً فيها .

وقيل : إنها بلا همز، إن أُخذت من « البَرَى » وهو التراب ، والفعل منه : بَراه يَبروه بَرْوا . ومَن ذهب إلى أن أصلها الهمز أخذها من « بَرَأ الله الخلق يبرؤهم » ثم تُرك الهمز تخفيفا . قال ابن الأثير : ولم تُستعمل مهموزة .

والحوز : الجمع، وكل من ضَم شيئا إلى نفسه مِن مالٍ أو غير ذلك، فقد حازه حَوْزا وحِيازة .

والمنايا : جمع المنيّة، وهو الموت؛ لأنها مُقدَّرة بوقت مخصوص، ومثلها المَنَى .

وقال الشَّرقىّ بن القطامىّ . المنايا : الأحداث . والحِمام: الأجل . والحَتف: القَدر . وَالمنون : الزمان .

وقال ابن بَرّى : المنيّـة : قَدر الموت . ألا ترى إلى قول أبى ذُؤيب :

مَنـايا يُقرِّبن الحُتوف لأهلهـا جهارًا ويَستمتعن بالأَنَس الجِبْلِ (١)

(١) الجبل : الكثير .

بجعل المنايا تُقرّب الموت ولم يجعلها الموت .

وتُقضى : تؤدّى .

والغُـرماء : أصحاب الدّين ، الواحد : غَريم ، ويجمـع على غُرّام ، أيضا . وفى حديث جابر : « فاشتدّ عليه بعض غُرّامه فى التقاضى » .

والمعنىّ بالغرماء هنا : أسباب الفناء .

يجعل أبو العلاء أرواح البرايا ، ديونا عندهم للمنـايا ، حازوها إلى أجل معـه القضاء، ولزوم الغرماء .

٢٠ (وَرَدَ القومُ بعدما ماتَ كَعْبٌ وآرتَوَى بالنَّميرِ وَفْـدٌ ظِمَاءُ)

الورود للمـاء : ضدّ الصدور، وهو أن تحضُره لتشرب .

وكعب، هو آبن مامة الإيادىّ ، وكان أحد أجواد العرب ، فخرج فى بعض أسفاره ، ومعـه رجل من النَّمِر بن قاسـط ، يقال له : شِمر بن مالك — وقيل : حُنيف ، وقيل : هِنْب بن قاسط — فقلّ ما كان معهما من المـاء، فتَصافناه .

والتصافُن : أن يُطرح فى الإناء حجر، يقال له المَقْلة ، ثم يُصبّ عليه من المـاء ما يَغمره، لئلا يتغابنوا، ثم يُرفع إلى واحد من المُتصافنين حظُّه منه .

فكان النمـر يشرب نصيبه ، فإذا أخذ كعب نصيبه ليشرب به قال هِنب : آسقِ أخا النمر . فيؤثره على نفسـه ، حتى جَهِد كعب . ورُفعت له أعلام المـاء ، فقيـل له : رِدْ كعب — ولا وُرود به — فمـات عطشا . ففى ذلك يقـول أبو دُواد الإيادىّ :

أَوفى على المـاء كَعبٌ ثم قيل له رِدْ كعبُ إنك ورّادٌ فما وَرَدَا

والنّمير : المـاء الناجع فى الرىّ .

وظِماء : عِطاش، الواحد : ظمآن، والأنثى : ظمأى .

أى رب ساع إلى المـاء يُحرمه بعـد أن أصابه ، ويَروى به عابرون يُلمون به من غير قصد . وكذلك الحياة تحرم جادًّا وتُنيل عابثا .

هذا على الانقطاع ، أما على اتصال البيت بما قبله ، فهو يعنى أن الناس فريقان : منهم من يمضى كما مضى كعب ، ويرد بعـد من يردون ، ليبـلّوا من الحياة غُلّة ، ثم هم بعدها مودّعون ، لا يمنعهم مصير السابقين ، من أن يأخذوا من الحياة حظهم مخدوعين ، يحسون للحياة ظمأ أشبه بظمأ العطشان إلى المـاء .

٢١﴿ حَيَــوانٌ وجَامِدٌ غَيْرُ نَامٍ وَنَبَـاتٌ لَهُ بِسُــقْيَا نَمَـاءُ ﴾

النمـاء : الزيادة والكثرة ، والفعل منه : نَمى يَنْمِى نَميا . وربمـا قالوا : نمـا يَنمـو نَمـوا .

ونَفْى النمـو عن الجامد يُثبته للحيوان ، لتتم المقابلة . وذِكر علتـه مع النبات ، إشارة إلى مثله مع الحيوان . وجمعه النامى بتسميه مع الجامد ، فيه لون من ألوان التسـوية بين الكائنـات على اختـلاف ما بينها فى المظهـر ، وأنهـا مع الفناء ســواء .

٢٢﴿ ولَوَ انّ الأَنَامَ خافُوا مِنَ العُقْـ ـبَى لمـَا جَارَتِ المِيَاهَ الدِّمَاءُ ﴾

الأنام : ما ظهر على الأرض من جميـع الخلق ؛ ويريد : الناس . ويجـوز فى الشعر : الأنِـيم .

والعُقبى : جزاء الأمر ، كالعاقبة ، والعُقبان .

وجاراه مُجاراة وجِراء : جرى معه ، وساواه فى جريه .

بعد أن بصّر الناس بمصيرهم فى بيته السابق ، وكشف لهم عن حقيقة وجودهم ، يردهم إلى فهم لو وعوه كفوا أيديهم عن الأذى ، ولم يأثم منهم آثم بسفك دم أخيه ، ولم يُمعنوا فى هذا السفك إمعانا سالت به الدماء ، حتى جرت نُهرا كالماء .

٢٣ ﴿ أَجْدَرُ النَّاسِ فى العَوَاقِبِ بِالرَّحْـــمَةِ[(1)] قَــوْمٌ فِى بَدْئِهِم[(2)] رُحَمَاءُ ﴾

أجدر : أخلق وأحق وأولى .

والعواقب : جمع عاقبة ، وهى من كل شىء : آخره .

والبـدء ، والبـدىء ، من كل شىء : أوله . الآخرة والدنيـا ، أو هما على ظاهرهما .

يحذّر أبو العلاء الناس مغبة الشر ، ويخوفهما عاقبة الضر ، قائلا : إن أولى الناس برحمة ربك فى الآخرة ، أرحمهم لعباده فى الدنيا .

هذا على الخصوص ، وأما على العموم :

فهو يذكر الناس بأن من رحم من يملك رحمتهم كان قمينا بأن يُرحم حين تعوزه الرحمة ، جزاء بجزاء ، وحقًّا بحق .

٢٤ ﴿ وَغَضِبْنَا مِن قَوْلِ زاعِمٍ حَقٍّ إِنَّنَــا فِى أُصُــولِنا لُؤَمَاءُ ﴾

لعـله يشير « بالأصول » إلى أصـل الخلقة ، وأننـا خُلقنا من نطفة قذرة ، تضمّنتها أرحام وَضِرة .

وفى هذا قول علىّ عليه السلام : « وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوّله مُضغة ، وآخره جيفة ، لا يَرزق نفسه ، ولا يدفع حتفه » . وفى هذا يقول أبو العتاهية :

ما بال من أوّله نُطفة وجيفــة آخرُه يَفخــرُ

---

(١) هـ : « بالعواقب فى الرحمة » . (٢) هـ : « بيديهم » .

وكأن أبا العلاء فى شك مما رجاه للناس من شيوع التراحم بينهم، بما ساق لهم من تخويف بالآخرة وترغيب فيها، أو جزاء ينالونه فى الدنيا، هو الرحمة إن رحموا، والقَسوة إن قسوا .

٢٥﴿ أَنْتَ يا آدَ آدَمُ السِّرْبِ حَوَّا ؤُكَ فِيــهِ حَــوّاءُ أو أَدْمَاءُ ﴾

يا آد : أراد : « يا آدم » فرخّم للنداء، وحذف الميم . ويجوز لك فى الدال الفتح، على لغة من ينظر إلى المحذوف؛ والضم، على لغة من لا ينظر إليه .

والآدم من الناس : الأسمر .

قال الزجاج : يقول أهل اللغة : إن ٱشتقاقه من أديم الأرض، لأنه خُلق من تــراب .

وقال الجوهرى : آدم، أصلُه بهمزتين . لأنه أفعل، إلا أنهم ليّنوا الثانية، فإذا ٱحتجت إلى تحريكها جعلتها واوا، وقلت : أوادم، فى الجمع؛ لأنه ليس لها أصل فى الياء معروف، فجُعل الغالب عليها الواو .

والسِّرب، القَطيع من الظباء والنساء .

وحوّاؤك، أى زوجك حوّاء، وهى من الحُوة، التى هى ٱسوداد إلى خُضرة، أو حُمرة تَضرب إلى سواد .

لمـا جعل الخليقة سربا من الظباء، وأقام آدم منها مقام أصلها المُنسل، جعل حواء فى مقام أليفته، ملتفتا إلى ما يحمل اسماهما من أُدمة وحُوة، اللتين همـا من ألوان الظباء .

وفى هذا ما فيــه من لعب بالألفاظ، هذا إلى صـلة بين الحيوان والإنسان زكّت تمثيله .

٢٦ (قَرَمَتْنا الأيامُ هل رَثَتِ النَّحَّامَ لمّا ثوى بها قَرْماءُ)

القرم : الأكل الضعيف، وذلك فى أوّل ما تأكل ، وهو أدنى التّناول . وهو القَشر أيضا . والفعل منه من باب ضَرب .

واستخدامه « القَرم » دون غيره من نظائره فى المعنى مع « الأيام » أدق فى تصوير نَيل الأيام منّا .

ورَثى فلان فلانا ، يرثيه رَثيا ومَرثية ، إذا بكاه بعد موته . فإن مَدحه بعد موته ، قيل : رثّاه يُرَثّيه تَرثية . وقيل : هما بمعنى .

والنّحام : فرس السُّليك بن السُّلَكة السَّعدى ، كان قد مات بقَرماء (١) . ويقال بل نَحره لأصحابه ، فقال يَرثيه :

كأنّ قوائمَ النحّام لمّا ترحّل صُحبتى أُصُلا محارُ

على قَرماء عالِيةً شَواه كأنّ بياض غُرته خِمار

وثوى بها : هلك بها . ومنه قولُ كعب بن زُهير :

فَمن لِلقَوافِي شانَها مَن يَحوكها إذا ما ثَوى كعبٌ وفَوّز جَرْوَلُ (٢)

وكذلك يقال للمقتول : قد ثوى . قال أبو كَبير الهُذَلىّ :

نَغدو فَنترك فى المَزاحف مَن ثَوى ونُقِرّ فى العَرقات من لم يُقتَلِ (٣)

لمّا جمع بين الحيوان والإنسان فى بيته السابق ، جعل النحام ، وهو فرس ، مما تضمه بنى الإنسان صلة ، فقال « قَرمتنا » .

يعنى أن الخلق ماضُون إنسهم وحيوانهم ، لا تعبأ بهم الأرض التى تُقلّهم ، لا تأنس لقادم ، ولا تستوحش لذاهب .

(١) قرماء : موضع باليمامة . (٢) فوز : هلك .
(٣) العرقات : جمع عرقة ، وهى كل مضفور . يعنى : نأسرهم فنشدهم فى العرقات .

٢٧ ﴿عَالَمٌ حائِرٌ(١) كطَيْرِ هَــواءٍ وهَـوَافٍ تَضُــمُّها الدَّأْمَاءُ﴾

حائر : لم يتجه لشيء ، ولم يهتد لسبيله . وعلى الرواية الأخرى « جائر » فهو من الجور، وهو المَيل عن القصد .

والهواء : الجو ما بين السماء والأرض ؛ والجمع : أهوية .

والهــوافى : الإبل الضوال . ويقال للطائر إذا طار : هفــا ، وكذلك الظبى والريح ، وقد أراد بها هنا الأسماك . أراد ما على ظهر الأرض بسمائها، وما آنطوت عليه بحارها .

والدأماء : البحر . قال الأفوه الأودىّ :

واللَيــلُ كالدأماء مُستشعِر من دونه لوناً كلون السُّدُوس(٢)

جعــل سعى النــاس عبثا فى حقيقته ، وإن كان جدا فى مظهره ، يضطرب بهم ظهر الأرض ، كما يضطرب الهــواء بالأطيار ، والبحار بالأسماك ؛ تجمعهم على القوت غاية، وينصرفون عن الموت نهاية .

٢٨ ﴿وكَأَنَّ الهُمَامَ عَمْرَو بنَ دَرْمَا ءَ فَلَتْــهُ من أُمِّــه دَرْمَاءُ﴾

عمرو بن دَرماء، رجل من بنى ثُعــل . قال آبنُ الكلبىّ : هو عمرو بن عدىّ آبن ذُبيــان بن ثَعلبة . ودَرماء : أمه، بنت حنّــة بن عمرو بن أفصى بن دُعْمِى . وكان آمرؤ القيس بن حُجر نزل عليه عنــد طلب المُنذر بن ماء السماء إياه وآستجار به ، فأجاره عمرو وأكرمه . وفى ذلك يقول آمرؤ القيس :

(١) ب : « جائر » .

(٢) السدوس : الطيلسان ؛ وكل ثوب أخضر ، سدوس كذلك .

وائْعــلًا وأين منِّى بنـــو ثُعل   ألا حبّــذا قوم يحلُّون بالجبَــل

نزلتُ على عمرو بن دَرماءَ بَلطةً[1]   فيا كُرْمُ ما جارٍ ويا حُسن ما فعل

وقال فيه أيضا :

وعمرو بن دَرماء الهُمام إذا غدا   بذى شُطَب عَضْبٍ كمشيةِ قَسْوَرا

وَفَلْته ، أى فَطمته عن الرِّضاع . ومثل « فلا » فى ذلك « افتلى » .

والدرماء : الأرنب ، سُميت بذلك لمُقاربتها الخطو إذا مَشت . يقال : دَرمت تدرم . وبالأرنب يضرب المثل بالضعف . قال الأعشى :

أرانى لدُنْ أن غابَ رهطى كأنما   يَرانِىَ فيــكم طالبُ الضَّيم أَرنبَــا

وقال أبو الطيب المتنبى :

أرانب غير أنهـــمُ ملوكٌ   مُفتَّحة عُيونهـــمُ نيــامُ ١

وخَص الأرنب الدَّرماء بالذِّكر ، وإن كان غيرها أضعف منهــا ، طلبًا لصنعة الجناس ، التى بَنى عليها تهوينه من شأن عمرو . وما أراده هو بعينه ، ولكنه ضرب به مثلا لهوان الناس ، يسبقهم فى ذلك أعظمهم .

أو لعل أبا العلاء يلتفت إلى ما أثير من أن وجود أسماء الحيوان فى الأنساب العربية يشير إلى اعتناق الأمة قديما مذهب «الطوتمية» وأن كل قبيلة لها حيوانها الذى تعتقد أنها انحدرت منه ، وعليه فـ «عمرو» هذا العظيم ، من نسل هذا الحيوان الصغير .

٢٩ (والبَهارُ الشَّميمُ تَحْميهِ مِنْ وَطْ   ءِ مُعادِيــكَ أَرْنَبٌ شَمّــاءُ)

البهار : نبت طيب الريح ، وقال الجوهرى : البهار : العرار الذى يقال له : عين البقر ، وهو بَهار البرّ ، وهو نَبتٌ جعد له فُقّاحة صَفراء .

(١) بلطة ، أى برهة ودهرا . وقيل : بغتة . وقيل : هى قرية من جبلى طيء . وقيل : أراد داره أنها بلطة مفروشة بالحجارة .

والشّميم : المرتفع، يريد المُرتفعَ المنبِت . وقد يكون الشَّميم بمعنى المَشموم، فعيل بمعنى مفعول .

والوطء ، بالقَدم ، ويُستعمل فى الإذلال والقهر، ومنـه الحديث : « اللهم اشدد وطأتك على مُضر» .

وأرنب : جمـع أرنبة ، وهى طرف الأنف . والأرنب ، أيضا : الأكمـة والهضبة ، على التشبيه .

وشّمـاء : مرتفعة . ولعلـه أراد « بالأرنب الشماء » منابت البهـار المرتفعة فلا تصل إليهـا مواطئ الأقدام ، وقـد يكون على الأصل ، إذ المشـموم ما دام موصولا بمرنين أنفك فهو أبعد عن أن يوطأ .

جعل هذا النبت على ضآلته أمنع على المهانة من هذا العظيم عمرو، الذى يملك من أسباب القوة ما لا يملكها هذا النبت .

أو لعله يشـير إلى اختلاف أقدار الأشياء اعتباطا ، فهذا نبت على الرغم من أنه جليل تطؤه الأقدام فيهون ، وهذا نبت على الرغم من ضآلتـه ، مكانه الأنوف تشمه ، يرتفع إلى الجباه إعزازا ، وتضمه الأماكن المرتفعة وقاية .

٣٠ (وَعَرَانَا عَلَى الحُطَامِ ضِرَابٌ   وطِعَانٌ فِي بَاطِلٍ ورِمَاءُ)

عرانا : غَشِينا .

والحطام : ما تكسّر من النبت وتحطّم . يُشبّه به مالا طائل تحته من الأمور .

والضراب : المُجالدة، فِعال ، من ضارب ، إذ جالده، وكذا الطعان والرِّماء ، فِعال ، من طاعن بالرمح ، ورامى بالسهم والنَّبل .

لمّا هوّن الحياة أخذ يستنكر شغل الناس بها، وكفاحهم من أجلها .

٣١(أَسْوَدُ القَلْبِ أَسْوَدٌ ومَتَى مَا تُصْغِ أُذْنِي فَأُذْنُه صَمَّاءُ)

« أسود » الأولى : حَبة القلب ، وقيل : دَمه ، وهى سَواده ، وسَوْداؤه ، وسَوادِيه .

و « أسود » الثانية : ضَرب من الحيّات عظيم ، يقال له : أسود سالخ ، لأنه يُسلخ جلده فى كل عام ، ويقال للأنثى : أَسودة ، ولا تُوصف بسالخة . أقامه مقام العَلَم ، ففُقدت الوصفيّة ، وٱستحقّت أن تُصرف .

والصمّاء من الحيات : التى لا تُجيب الراقى . جعل إباء قلبه الموعظة من إباء الحيّة رُقية الراقى ، قد تأخذه العظات فيلين ، ويأباها قلبه فيرده إلى قسوة وجمود .

٣٢(قَدْ رَمَى نابِلٌ فَأَنْمَى وأَصْمَى ولَيَالِيكَ مَا لَهَا إنْمَاءُ)

النابل : الذى معه النّبل ، ومثله النّبّال . فإن كانَ يعملها لا غير ، فهو نابل لا غير .

ويقال : رمى الصيد فأصمى ، إذا أصابَ مقتله فمات فى موضعه ؛ ورمى فأنمى ، إذا لم يُصب مقتله فنهض بالسهم . وفى الحديث : « كُلْ ما أصميت ودَع ما أنميت » .

لما أقام الليالى مقام النابل ، والنابل يخطئ ويصيب ، ٱحترس فنفى عنها الإنماء ، وأضاف إليها الإصماء .

٣٣(إنَّ رَبَّ الحِصْنِ المَشِيدِ بِتَيْما ءَ تَوَلَّى وخُلِّفَتْ تَيْمَاءُ)

يريد « بالحصن المشيد » : الأبلق ؛ وربّه : السموأل بن عاديا اليهودى ، وكان له حصنان ، يقال لأحدهما : الأبلق ، وللآخر : مارد . وسُمى « أبلق » لأنه بُنى من حجارة بيض وسُود . وفيه يقول الأعشى :

كُن كالسموأل إذ سار الهمام له   في جحفلٍ كسوادِ الليل جرّارِ
بالأبلق الفرد من تيماءَ منزلُه   حِصنٍ حصينٍ وجارٍ غيرِ غدّار

والمشيد : المبنيّ بالشِّيد ، وهو الجص .

وتيماء : بلد فى أطراف الشام .

يصف هوان الناس ، وأنهم دون حجارة صماء ، وبلد كتيماء ، يمضون وتبقى هى ، أصبحوا على مر الدنيا ذكرى ، وأمست هى موعظة وعبرة .

٣٤ (أَوْمَأَتْ للحَذّاء كفُّ الثُرَيّا   ثم صُدَّ الحديثُ والإيماءُ)

أومأ : أشار إلى قُدّامه وإلى خلفه ، ومثله : أوبأ . وقيل : الإيماء : إلى قدام ، والإيباء : إلى خلف .

والحذّاء : الكثير الاحتذاء . والعرب تسمى « الدبران » الحاذى والحذاء ، لأنه يتبع الثريا ومعه قِلاص يحذوها ، وهى الفتيّة من الإبل ؛ واحدتها : قَلوص . وتزعم العرب أن الدّبران خطب الثريا وساق إليها عشرين كوكبا مهرًا لها ، وأن العَيُّوق عاقها عن نكاحه ، فسمّوه العيُّوق ، فهو يتبعها وهى لا تُقبل عليه .

والثريا : من الكواكب . سُميت لغزارة نوئها ، وقيل : لكثرة كواكبها مع صِغر مرآتها . فكأنها كثيرة العدّ بالإضافة إلى ضيق المحل . لا يُتكلم به إلى مصغرا ، وهو تصغير على جهة التكبير .

يشير إلى هذا الذى زعمته العرب بين الحذّاء والثريّا ، وعاقتهما عن تمامه العيّوق ، ووقف الأمر عند هذا لم يجدّ عليه جديد .

وكأنه بما يشير يعرّض بما كان للناس من حديث شُغلوا به عن التفكير فى دلالة تلك على خالقها . والبيت الآتى يزكيه ، والذى بعده ينعى فيه عليهم هذا .

٣٥ (شَهِدَتْ بالمَلِيكِ أَنْجُمُها السَّـبْعَةُ[1] ثُمَّ الخَضِيبُ والجَـذْمَاءُ)

٣٦ (فَهِمَ النَّاسُ كالجَهُولِ وَمَا يَظْـ ـفَـرُ إِلّا بالحَسْرَةِ الفُهَمَاءُ)

رُوى عن ٱبن سيرين أن ٱمرأة قالت له : رأيت البارحة فيما يرى النائم القمر قد دخل فى الثريا ، وسمعت قائلا يقول لى : إيتى ابن سيرين فقُصّى عليه . فقال ٱبن سيرين : إنى سأموت إلى سبعة أيام . فكان كذلك .

وللثريّا كفان يقال لأحدهما : الخضيب ، وتسمى أيضا : المبسوطة ، وهى آخذة نحو الشمال ، وتسمى أيضا : سنام الناقة . والكف الثانية تسمى : الجذماء ، وهى آخذة نحو الجنوب .

قال أبو حنيفة : سُميت : جذماء ، لِقصرها ، وذلك أنها لا ٱمتداد لها .

وقال غيره : سُميت : جذماء ، لبُعدها عن الثريّا ، فكأنها منقطعة عنها .

وإلى هذا المعنى الثانى أشار المعرّى فى قوله يصف الثريا :

كأنّ يمينها سرقتْـك شيئا ومَقطوعٌ على السَّرق البنانُ

يَرُد الناس إلى غير ما عنَّوا به أنفسهم من حَدْس وتخمين حول الكواكب ، ذاكرا لهم أن كلها دليل على وجود الله ؛ وما هذه الكف أو تلك إلا مشيرة إليه ، لو كانوا يعقلون .

وما كان فهم الناس فى عمومهم إلا فهما جاهلا ، وقليل منهم — وهم ذوو البصر والفطنة — علموا الحق ، ولكن الناس أبوه عليهم بخرافاتهم ، فانطووا على حسرة وأسى .

(١) ب : « الستة » .

٣٧(تَلْتَقِي فِي الصَّعِيدِ أُمٌّ وبِنْت وتَسَاوَى القَــرْنَاءُ والجَمَّاءُ)

الصعيد : القبر . قال الشاعر :

أضحت أُميمــة معمورًا بهــا الرَّجم لفى صَــعيد عليــه التُّرب مُرتكمُ

والصعيد أيضا : وجه الأرض .

والقرناء : الشاة التى لهــا قرنان .

والجمّــاء : التى لا قرون لها .

ضرب «القرناء» مثلا لمن يدفع عن نفسه ، و «الجماء» مثلا لمن لا دفاع عنده .

وهو يمضى فى عظاته مذكرا الناس بالموت الذى يجمع السلف والخلف ، والعظيم والحقير ؛ لا يفلت منه لاحق ؛ كما ذاقه سابق ؛ ولا ينجو منــه قوى ، كما يتجرعه ذَرِىّ .

٣٨(وأَنِيقُ الرَّبِيعِ يُدْرِكُه القَيْـ ـظُ وفِيـهِ البَيْضَاءُ والسَّحْمَاءُ)

الأنيق : الذى يُعجب من نظر إليه .

والقيظ . أشدّ الحر .

والسّحماء : السوداء .

أقام البياض والسواد مثلين للشّيب والشباب .

أى يســتوى بين يدى الموت الشبابُ والشيب ، كما يستوى مع حارق القيظ طــرىّ النبات الذى لم يكتمل فضرب لونه إلى البياض ، وقويه الذى اســتوى فضرب لونه إلى الســواد ، الذى هو من الخضرة الداكنــة ؛ كلاهما يذبل على الجفاف ، و يذوى على الظمأ .

٣٩ (وَطَرِيقٌ إلى الحِمَامِ كَرِيهٌ لم تُهَبْ عِنْدَ هَوْلِهِ البَهْمَاءُ)

لم تهب ، من الهيبة، وهى المخافة .

والبهماء من الفلوات : التى لا ماء فيها .

٤٠ (ولَوَ أنّ البَيْدَاءَ صارِمُ حَرْبٍ وَهْىَ مِن كُلِّ جَانِبٍ صَرْمَاءُ)

البيداء : الفلاة التى تُبيد من سلكها .

وصرماء : ذابت مياهها .

شبه البيداء بما فيها من لمعان السراب بصارم قد سُل فيها .

٤١ (كَيْفَ لاَ يَشْرَكُ المُضِيقِينَ فى النّعْـ ـمَةِ قَوْمٌ عَلَيْهِمُ النَّعْمَاءُ)

المُضيق : الذى ضاقت حاله .

جعل كراهية السبيل إلى الموت — وليست هذه السبيل إلا الدنيا التى هى الطريق إلى الآخرة — دون سلوك البيداء، التى ينعدم فيها الماء، كراهية ومشقة .


الهزة المفتوحة

اللزوميـــة السابعة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المفتوحة مع السين :

١ ﴿ رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِرْتَ وأَنْتَ حُرٌّ بِصَاحِبِ حِيلَةٍ يَعِظُ النِّسَاءَ ﴾

رويدا ، بدل من قولهم « إروادا » التى هى بمعنى « أرود » فكأنه تصغير الترخيم ، بطرح جميع الزوائد . وهذا حكم هذا الضرب من التحقير . والكاف فى « رويدك » لا موضع لها وإنما هى للخطاب .

قال ابن سيده : ومن العرب من يقول : رويد زيد ، كقوله : غَدْر الحى ، وضَرْب الرِّقاب .

وتقع « رويد » على أربعة أوجه : اسم فعل ، نحو : رويدا عمرا ، أى أَمهل عمرا . وصفة ، نحو : ساروا سيرًا رويدا . وحال ، نحو : سار القوم رويدا . ومصدر ، نحو : رُويد عمرٍو ، بالإضافة .

وقال ابن كَيسان : كأن « رويدا » من الأضداد ، تقول : رويدا ، إذا أرادوا : دَعْه وخَلِّه ، وإذا أرادوا : ارفُق به وأمسكه ، قالوا : رويدًا زيدا ، أيضا .

وأراد بهذا القيد « وأنت حر » مزيد معنى ، إذ الحُر فوق إبائه ما يضير ، أقوى على أن يثور ، كما أراد به قدرة الرجل على أن يعى ، بما له من تجربة حُرِمت المرأة من الكثير منها .

يرى أن النساء أسرع إلى العظة ، وأغفل عن تبين حقها من باطلها ، وألين فى يد الواعظ يُوجههن كيف شاء .

ويرى أن واعظ النساء ألصق بالتضليل، وأعرف بالتمويه ، بضاعته عندهن خداع، وكل ما عنده نفاق .

ويرى أن الرجل — وهو ما هو عقلا وتجربة يكسبانه الخروج على القيود وتحمل التبعات — لا يليق به أن يخدع بما يجوز على من ليس فى مثل عقله وتجربته .

٢ (يُحَرِّمُ فِيكُمُ الصَّهْبَاءَ صُبْحًا وَيَشْرَبُهَا عَلَى عَمْدٍ مَسَاءَ)

الصهباء : الخمر ، سُميت بذلك للونها . وقيل : هى التى عُصرت من عِنب أبيض .

وقيل : هى التى تكون منه ومن غيره ، وذلك إذا ضَربت إلى البياض .

والصّهباء : اسم لها ، كالعلم ، وقد جاءت بغير ألف ولام ؛ لأنها فى الأصل صِفة . قال الأعشى :

وصَهباءَ طافَ يهوديُّها وأبرزها وعليها خَتَمْ

والعَمْد : الجد واليقين ، والمسموع الوارد فى ذلك : فَعلت ذلك عمدًا على عين ، وعَمد عَين ، أى بجدٍّ ويقين . فمن الأوّل قول خِفاف بنِ نُدبة :

إنْ تَكُ خَيلى قد أُصِيب صَمِيمُها فعَمْدًا على عَيْنٍ تيمّمت مالِكَا

ومن الثانى قول عُمر بن أبى ربيعة :

ثُم صَدّت بوجهها عَمْدَ عينٍ زينبٌ للقضاء أُمُّ الحَبابِ

٣ (تَحَسَّاهَا فَمِنْ مَزْجٍ وصِرْفٍ يَعُلُّ كأنَّمَا وَرَدَ الحِسَاءَ)

٤ (يقُولُ لكُمْ: غَدَوتُ بِلَا كِسَاءٍ وفِى لَذّاتِهَا رَهَنَ الكِسَاءَ)

التّحسى : الشُّرب فى مُهلة ؛ ومثله : الحَسو . والأصل فيه للطائر . يقال : حسا الطائرُ الماء ، وتحسّاه ؛ ولا يقال : شَرِب .

والمـزْج ، بالفَتح : الخلط ، والشَّراب الممـزوج . وكل نوعين آمتزجا فكُل واحد منهما لصاحبه مِزْج ، بالكسر . وقـد سَمّى أبو ذؤيب المـاء الذى تُمزج به الخمر مِزجا ؛ لأن كل واحد من الخمر والمـاء يُمازج صاحبه ، فقال :

بمِزْجٍ من العَذب عَذبِ السَّراةْ يُزعزِعه الرِّيح بعـد المَطَـرْ

والصِّرف ، بالكسر : الخالص من كل شىء ، وشراب صِرف ، أى بحت لم يُمزج .

ويُعل ، على ما لم يُسم فاعله : يُسـقى ثانية . يقال : عَلّه يَعُلّه ، بضم العين وكسرها فى المضارع ، إذا سـقاه الثانية . و يصح أن يكون « يعـل » فى البيت على ما سمى فاعلهُ ، إذ هو يتعدى ولا يتعـدى . تقول : عَلّ ، إذا شرب الشربة الثانية ؛ والمراد تكرار الشرب .

والحِساء ، بالكسر : جمـع حِسْى ، بالكسر أيضا ، وهو سَهل من الأرض يُستنقع فيه المـاء ، أو وهو غِلظ فوقه رمـلٌ يجتمع فيه ماء السماء ، فكلما نَزحت دلوًا جمّت أُخرى . وقيل : هو الرمل المتراكم ، أسفله جبل صَلْد ، فإذا مُطر الرملُ نشف ماء المطر ، فإذا آنتهى إلى الجبل الذى أسفله أمسك المـاءَ ومنع الرملُ حرّ الشمس أن يَنشف المـاء ، فإذا اشتدّ الحر نُبِث وجه الرمل عن ذلك المـاء فنَبع باردًا عذبا . وفى حديث أبى التَّيهان : «ذهب يَستعذب لنا المـاء من حِسى بنى حارثة» .

ووردها : جاءها ليَشرب .

يصف فى هذين البيتين والبيت الذى قبلهما هـذا الواعظ وما عليه من مجون واستهتار ، يدفعان الناس عن الأخذ عنه .

٥ ﴿ إذا فَعَـلَ الفَتَى ماعَنْه يُنْهَى فَمِن جِهَتَيْنِ لَا جِهَـةٍ أَسَـاءَ ﴾

يعنى أنه أساء حين فعل ما يعتقد ضُره ، وأساء حين خالف عما يُنهى عنـه ، وفى هذه ماينقص قدره ، و يصرف الناس عنه .

اللزومية الثامنة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المفتوحة مع الجيم :

١ (نَرْجُو الحَيَاةَ فإنْ هَمَّتْ هَوَاجِسُنَا ... بِالخَيْرِ قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ إرْجَاءَ)

٢ (وما نُفِيقُ مِنَ السُّكْرِ المُحِيطِ بِنَا ... إلّا إذَا قِيلَ هذا المَوتُ قَدْ جَاءَ)

الهواجس : الخواطر وما يقع فى الخَلَد، الواحد : هاجس، صفة غالبة غلبة الأسماء . وهو ممـا يطرد فيه هذا الجمع ما لم يكن وصفا لمذكر عاقل .

والرجاء : من الأمل ، نقيض اليأس ، ويكون بمعنى الخوف أيضا .

وقال الفـرّاء : « الرجاء » فى معنى الخوف لا يكون إلا مع الجحـد . تقول : ما رجوتك ، أى ما خِفتك . ولا تقول : رجوتك ، فى معنى خِفتك . وأنشـد لأبى ذُؤَيب :

إذا لسعتْه النحلُ لم يَرْجُ لَسْـعها ... وخالفَها فى بَيْت نُوبٍ عَواسِـلِ(١)

والمَعْنى هنا فى بيت المعرّى على الأول ، إلا إذا قيل : إنه خوفُ النفس من أن يَلفتها هاجس الخير عن الحياة .

والإرجاء : التأخير، أرجأت الأمر وأرجيته، إذا أخرته، يُهمز ولا يهمز .

يعنى أنّ أمل الناس فى فسحة من العمر يحملهم على أن يتلبثوا حين يهمون بخير، فهم لا يأتون هذا الخير إلا إذا أحسوا دُنُوّ آجالهم، عندها يُفيقون .

(١) النوب : النحل .

اللزومية التاسعة عشرة

وقال أيضا فى الهمزة المفتوحة مع الباء وواو الرِّدف :

١ ﴿ قَدْ نَالَ خَيْرًا فِى المَعَاشِرِ ظَاهِرًا　　مَن كَانَ تَحْتَ لِسَانِهِ مَخْبُوءَا ﴾

« ظاهرا » : وصف لـ « خيرا » . وهذا قيد لا بد منه ، حتى لا ينسحب الخير على غير الظاهر ، وهو الباطن ، فهذا شىء لا يفضحه الامتحان ، إذ لا يجرى بالكلام اللسان .

واللسان ، بمعنى الجارحة والمِقول ، يذكَّر ويؤنث ، والجمع ، ألسنة وأَلسُن ؛ لأنّ ذلك قياس ما جاء على « فِعال » من المذكر والمؤنث . أما اللسان بمعنى اللغة ، فمؤنث لا غير .

وقال اللِّحيانى : اللسان فى الكلام ، يذكَّر ويؤنث .

٢ ﴿ بَاءَ الكَلامُ بِمَأْثَمٍ والصَّمْتُ لَمْ　　يَكُ فِى الأَعَمِّ بِمَأْثَمٍ لِيَبُوءَا ﴾

باء بالإثم أو الذنب ، إذا احتمله ، وقيل : اعترف به . وفى قوله تعالى : (إنى أُرِيد أنْ تَبُوء بإثمِى وإثمك)[1] . قال ثعلب : معناه : إن عزمت على قتلى كان الإثم بك لا بِى . وقال الأخفش : (وباءوا بغضبٍ مِن الله)[2] : رجعوا به . وبكلٍّ يستقيم المعنى .

والمأثم : الذنب ، كالإثم . يقال : أَثِم فلان يأثم إثما ومأثما ، إذا وقع فى الإثم ، وأثَمَه الله يأثمه : عاقبه بالإثم . والأثام والإثَام : عُقوبة الإثم .

---

(١) الآية ٢٩ من سورة المائدة .　　(٢) الآية ٦٠ من سورة البقرة .

« ولم يك » ، الأصل فيها « لم يكن » ، فحذفت نون المضارع المجزوم جوازا ، هذا بشرط ألا يليها ساكن ولا ضمير متصل ، و إلا فلا يصح الحذف .

والأعمّ : الجماعة . قال أبو زيد : وليس فى الكلام أفعل يدل على الجمع غير هذا ، إلا أن يكون اسم جنس ، كالأروى ، والأمر ، الذى هو الأمعاء ، وأنشد :

ثم رَمانِي لا أكونَنْ ذَبِيحةً وقد كثُرت بين الأعمّ المَضائِضُ(١)

وفى الأعمّ ، أى عند جمهور الناس وجماعتهم .

وتوجيه الكلام : والصمت لم يك ليبوء بمأثم فى الأعم . أى وما عرف جمهور الناس أن الصمت جرّ إلى مأثم .

وقد يكون «أعم» أفعل من «عم» بمعنى شمل ، والمعنى به غير بعيد عن سابقه .

٣ (إنْ يرْتَفِعْ بَشَرٌ عَلَيْكَ فَكَمْ غَدَا عَلَمٌ بتَابِعِ فِتْنَةٍ مَرْبُوءَا)

ارتفع ، بمعنى علا ، و بمعنى تقدم . وكلا المعنيين جائز ، فهو يريد الظهور ، وما علا أو تقدم فقد ظهر . و إذا وصلت الكلام بما قبله كان الظهور بفضل الحديث ، و إلا فالأمر على العموم .

والعَلَم : الجبل الطويل . وقال اللِّحيانى : العَلَم : الجبل ، فلم يخصّ الطويل . ويُجمع على : أعلام ، وعِلام .

و « تابع فتنة » : ، أى لُزَمة لها ، من خُدّامها والمُعينين عليها .

ومربوء : مفعول ، من : ربأ القوم ولهم ، إذا اطلع لهم على شَرَف ليرقب و يعتان .

و « ربأ » أيضا : بمعنى أشرف ؛ والشيءَ : علاه .

(١) المضائض : الشر .

وعلى هـذا المعنى الثانى فصيغة المفعول على وجهها ، إذ الجبـل مُعتلى ومكان إشراف . وعلى الأول، فاسم المفعول ،ضمِّن معنى آسم المكان بتقدير جارّ ومجرور محذوف . والتأويل : مربوء عليه، إذ المربوء القوم؛ والمربأ : المكان يربأ عليه .

ولعل فى البيت إشارة إلى آبن نوح عليه السلام حين تبِـع الفِتنة والضلالة . وعَصى عن أمر ربه ، وعلا الجبل ليَعصمه .

وظاهر أن أبا العلاء يريد نفسه، يهوّن عليها سبق مَن سبقه ، ممن هم دونه ، مشبها نفسه بالجبل لا يضيره أن يتسنمه المتَّهم المظنون به الشر، وأولى بهذا المكان العالى النقى غيرُ المدنس .

أو لعل الخطاب على عمومه، والنصيحة للناس؛ كأنهُ يرُد المضيقين بالحياة ارتفع عليهم من هم دونهم ، إلى طمأنينة وراحة .

٤ (مَهلًا أمِينَ وَبأٍ قَرِرْتَ وَهَلْ تَرَى   فى الدَّهْرِ إلّا مَـنْزِلًا مَوْبُوءا)

مهلا، أى رفقا وسكونا لا تعجل .

وقال الليث : المَهل، هو السكينة والوقار . وهى موحدة ، للواحد والاثنين والجمـع والمؤنث . وإذا قيـل لك : مهلا ، قلت : لا مهل والله ، ولا تقـل : لا مهلا والله . وتقول : ما مهلٌ والله بمُغنية عنك شيئا .

والوبأ : الطاعون ، بالقصر، والمد والهمز . وقيل : هو كل مَرض عام . وجمع الممدود : أوبية؛ وجمع المقصور : أوباء . وفى الحديث : « إن هذا الوباء رِجز » .

والموبوء : الكثير الوباء، ومثله : الوبِىء، والمُوبِئُ، والوَبِىُ .

يدعو نفسه ومن على شاكلته ، ممن ضاقوا بالفساد الذى هو كالوباء انتشارا ، إلى القرار حيث هم ، والرضى بما هم فيه ، فليس فى الدنيا مكان خير من مكان ، ولا مع الأزمان زمن خير من زمن .

(تُسْبَى الكرائمُ والكُميتُ شَرابُها يُلْفَى لِألْأَمِ شارِبٍ مَسْبُوءَا) ٥

السَّبى : الأسر .

والسَّبأ ، بالهمز : شراء الخمر لشربها .

ويا كثر ما يلعب أبو العلاء بهذين اللفظين . وقد مر عنهما شرح مفصل[1] .

والكرائم : جمع لكريمة ، وكريم ، وصفين للمؤنث ، وبهما وُصفت المرأة العزيزة الجامعة لكل ما يحمد . وشاهد الكريم وصفا للمرأة حديث أُم زَرع : « كريم الخِل لا تُخادِن أحدًا فى السر » . فأطلقت كريما على المرأة ، ولم تقل : كريمة الخل ، ذهابًا به إلى الشخص . وتُطلق « الكريمة » على الرجل الحسيب ، فيقال : هو كريمة قومه ، الهاء فيه للمبالغة . وفى الحديث : إنه أكرم جريرَ بن عبد الله لمّا ورد عليه فبسط له رِداءه وعمّمه بيده ، وقال : « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » .
وقال صخر :

أبى الفخرَ أنّى قد أصابوا كريمتى وأنْ ليس إهداءُ الخَنَى مِن شِماليا

يعنى بقوله « كريمتى » : أخاه معاوية بن عمرو .

والكميت : الخمر . وقد مرّ شرحها[1] . والضمير فى « شرابها » للكميت .

---

(١) انظر البيت الثانى من اللزومية الأولى ص ٥١ من هذا الجزء .

ويُلفى : يوجد . تقول : ألفيت الشيء ألفيه إلفاء ، إذا وجدته وصادفته ولقيته . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : « ما ألفاه السَّحَرُ عندى إلا نائما » . أى ما أتى عليه السحر إلا وهو نائم . تعنى بعد صلاة الليل ، والفعل فيه للسحر .

يكرر ما سبق له من شهوة جامحة تمتلئ بها النفوس ، لا تجعلها تتورع عن الكرائم سبيا و بغيا ، وعن الخمر شربا وآحتساء .

٦ (حِلْفُ العَبَاءةِ سَوْفَ يُصْبِحُ مِثْلُهُ مَلِكٌ وَيَتْرُكُ طِيبَهُ المَخْبُوءَا)

الحِلف : الحَليف .

والعباءة : ضرب من الأكسية واسع فيه خطوط سُود كبار ، وهو لغة فى العباية .

قال سيبويه : إنما هُمزت ، وإن لم يكن حرف العلة فيها طرفا ، لأنهم جاءوا بالواحد على قولهم فى الجمع : عباء .

وقال آبن جنى : وقد كان ينبغى لما لحقت الهاء آخرا ، وجرى الإعراب عليها ، وقويت الياء لبُعدها عن الطرف ، ألا تُهمز ، وألا يقال : إلا عباية ، فيُقتصر على التصحيح دون الإعلال ، وألا يجوز فيه الأمران .

إلا أن الخليل قد علّل ذلك ، فقال : إنهم إنما بنوا الواحد على الجمع ، فلما كانوا يقولون « عباء » فيلزمهم إعلال الياء لوقوعها طرفا ، أدخلوا الهاء ، وقد آنقلبت الياء حينئذ همزة ، فبقيت اللام معتلة بعد الهاء ، كما كانت معتلة قبلها .

والطيب : ما يتطيّب به .

والمعبوء : المصنوع المخلوط . عبأ فلان الطيب يعبوه عبئًا : صنعه وخلطه . قال أبو زُبيد يصف أسدا :

كأنّ بنحره وبمَنكبيه عَبيرًا بات يَعبؤه عَروسُ

أى إن الناس بين يدى الموت سواسية ، يستوى الحقير مع الكبير ، يمضى الحقير عن الدنيا عاريا كما دخلها عاريا ، ويمضى الكبير وفى النفس حسرة على ما خلف من نعمة لم تنفعه شيئا .

اللزومية المتمة العشرين

وقال أيضا فى الهمزة المفتوحة مع الراء :

١ ﴿ عَلِّموهُنّ الغَزْلَ والنَّسْجَ والرَّدْ نَ وخَلُّوا كِتابةً وقِـــراءَهْ ﴾

الردن، بالفتح : تنضيد المتـاع . يقال : ردنت المتاع ردنا ، إذا نضّدته . أما « الرَدَن » بالتحريك ، فهو الغزلُ يُفتل إلى قُدام ، وقيل : هو الغزل المنكوس ، وليس مُرادًا هنا .

٢ ﴿ فَصَلاةُ الفَتاةِ بالحَمْدِ والإِ خلاصِ تُجزِى عَنْ يُونُسٍ وبَرَاءَهْ ﴾

الحمد والإخلاص ، أى سورتا الحمد والإخلاص . وهما مكيتان ، أُولاهما سبع آيات ، وثانيتهما أربع .

و « تُجــزى » : مُسهّل من « تجـزئ » بمعنى تكفى وتُغنى . والأصــل فى معنى « الجزء » الاستغناء بالأقل عن الأكثر ، إذ هو راجع إلى معنى الجُزء .

و يونس و براءة : سورتان ، أُولاهما — وتُسمى التوبة أيضا — مدنية ، وعدد آياتها مائة وتِسع وعشرون آية . وثانيتهما مكية ، وعدد آياتها مائة وتسع آيات . وقد جاءتا فى ترتيب المصحف متتاليتين .

ضرب الأُولَيين مثلًا للسور القِصار ، والثانيتين للطوال .

يعنى أن قليل العبادة يجزئ الفتاة عن كثيرها ، واكتفاؤها بمـا لا يبعدها عن وظيفتها ، ويخرجها عن بيتها ، خير لها من غيره .

٣ ﴿تَهْتِكُ السِّتْرَ بِالجُلُوسِ أَمَامَ السِّـ ـتْرِ إِنْ غَنَّتْ القِيَانُ وَرَاءَهْ﴾

الهَتك : خَرق السِّتر عما وراءه . وقيـل : هو أن تَجذب سِـترا ذتقطعه من موضعه ، أو تَشق منه طائفة يُرى منها ما وراءه : والمراد لازم المعنى لا الفِعل ، فمن آستشف ماوراء الأستار وتعرّف ما تَحجُب ، فكأنه خرقها وقطعها .

والقِيان : جَمع قينة ، وهى الأَمة المُغنية ، تكون من التزيُّن ، لأنها كانت تُزيَّن . وربما قالوا للُمتزين باللباس من الرجال : قَينة . وهى كلمة هُذلية .

وقيل : القَينة : الأَمة ، مُغَنِّية كانت أو غير مغنية .

قال الليث : عوام النـاس يقولون : القينـة : المغنية . قال أبو منصور : إنمـا قيل للغنية قينـة ، إذ كان الغِناء صناعة لهـا ، وذلك من عمـل الإماء دون الحرائر ، والقَينة : الجارية تخدمُ فحسب .

كأنه ينكر أن تمتهن النساء الغناء ، متأثرا بقول من قال : الغناء رُقية الزنى .

لا يستثنى من ذلك أن تكون المغنيات وراء أستار تحول بينهن وبين الرائى ، فهو يعدّ أصواتهن تثير ما تثيره الرؤية .


الهمزة المكسورة

اللزومية الواحدة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع السين :

١ ﴿تَوَحَّدْ فإنّ اللهَ رَبَّكَ واحِدٌ   ولَا تَرْغَبَنْ فى عِشْرةِ الرُّؤسَاءِ﴾

تَوحد : بقِىَ وحده . قال الشَّيبانى : و يطَّـرد إلى العشرة . وفى حديث ابن الحَنظلية : « وكان رجلا متوحدا » أى منفردا لا يخالط الناس ولا يجالسهم .

يحبّب إلى النـاس العزلة . وخص الرؤساء بالمجانبة ، لأن النـاس بضعفهم أمامهم ألين على المطاوعة ، وهم بقوّتهم اقوى على إغرائهم .

٢ ﴿يُقِلُّ الأَذَى والعَيْبَ فِى سَاحةِ الفَتَى   ـ وإنْ هُوَ أَكْدَى ـ قِلَّةُ الجُلَسَاءِ﴾

الساحة : الناحية ، وهى أيضا فضاء يكون بين دور الحى .

وساحة الدار : باحتها . والجمع : ساح ، وسُوح ، وساحات .

وأكدى الرجل : قـلّ خيره . وقيل : المُكدِى من الرجال : الذى لا يثوب له مال ولا يَنمى .

وأكدى الرجل أيضا : إذا قلّل عطاءه ؛ وقيل : بَخِل . وفى التنزيل العزيز : (وأعطَى قليلاً وأكدى)[(١)] . قيل : أى وقَطع القليل . وقيل : أمسك عن العطية .

يريد لازم المعـنى ، وهو قلة الجلساء ، إذ الناس حول الجاه والبـذل ، فإن ذهب هذا أو ذاك تولّى الراغبون وانصرف الطامعون .

وأكدى الرجل كذلك : إذا انقطع ، وهو من الأوّل وصريح فيه .

يعنى أن العشراء مفسدة ، قلوا أو كثروا ، والمرء أقرب إلى قلة العيب ، وندرة الأذى ، كلما تخفف من جلسائه ، وتقلل من عشرائه .

(١) الآية ٣٤ من سورة النجم .

٣(فأُفٍّ لِعَصْرَيهِمْ: نَهارٍ وحِنْدِسٍ   وجِنْسَىْ رِجالٍ مِنهُـمُ ونِساءِ)

أفّ(١)، آسم فعل مضارع بمعنى : أتضجر . وقد سبق عنها مزيد .

والعصران : الليل والنهار . والعَصر : الليـلة . والعصر : اليوم . قال حُميد آبن ثور :

ولن يلبثَ العَصران يومٌ وليلةٌ   إذا طُلبـا أن يُدرِكا ما تيمّما

ويُطلق « العصران » على الغداة والعشيّ أيضا . قال الشاعر :

وأَمطُله العَصرين حـتى يَملّـنى   ويرضَى بنِصْف الدَّين والأنفُ راغمُ

وفى الحديث : « حافظ على العَصرين . قيـل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » .

وفى كلام لعلىّ رضى الله عنه : « ذَكِّرهم بأيام الله وآجلس لهم العَصرين » أى بُكرة وعشيّا .

وأراد أبو العلاء الأول، فذَكَر النّهار والحِندس .

والحِندس : الظلمة . وقال الجوهرىّ : هو الليل الشديد الظلمة .

لا يرضى أبو العلاء النهار ، كما لا يرضى الليل ، فهذا يُعين بنوره على الشرور، وذلك يستر بظُلمته الآثام . وكما جعل النهار والليل صنفين مُبغّضين إليـه ، جعل الرجال والنساء جنسين مذمومين عنده ؛ هذان وهذان، لمـا يَكره صِنوان .

٤(ولَيتَ وَلِيدًا ماتَ ساعةَ وَضْعِهِ   ولم يَرْتَضِعْ مِن أُمِّهِ النُّفَساءِ)

آرتضع، كرضع . قال آبن أحمر :

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨٢ من هذا الجزء .

إنى رأيتُ بنى سَهـــم وعِزَّهمُ كالعنز تَعْطِف رَوْقيها فترتضِعُ

يريد : ترضع نفسها ، يصفها باللؤم : والعنز تفعل ذلك ، تقول منه : ٱرتضعتِ العنزُ ، أى شربت لبن نفسها .

والنُّفساء : الوالدة والحامل والحائض . والمراد هنا المعنى الأول .

وأفاد : ٱستفاد ، وأعطى غيره أيضا . والمُراد هنا الأول ، ومنه قول القتّال :

ناقتُــه تُرمل فى النِّقال مُهلِكُ مالٍ ومُفِيد مالِ

٥(يَقُولُ لَهَا مِنْ قَبْلِ نُطْقِ لِسَانِهِ تُفِيدِينَ بِى أَنْ تُنْكَبِى وتُسَائِى)

نُكِب فلان ، على ما لم يسمّ فاعله : أصابته نَكبة .

يؤكد فى هذا البيت والذى قبله ، بَرَمه بالحياة ، وضيقه بها ، متمنيا لو فقدت الوالدات من تلد ، يخطفهم الموت عند مولدهم ، حرصا منه على ألا تُدنسهم الحياة وتلوثهم ، ولو قَدْر برهة يتنسمون فيها نسيمها .

جاعلا على ذلك حجته بما يرتكب الوليد بعد أن يشب من آثام ، تُرد إلى الأم ، إذ هى التى قذفتــه إلى الحياة ؛ ولو ملك الطفل أن ينطق لكان هذا مقاله ، وهو لاشك لسان حاله .

اللزومية الثانية والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع الميم :

١ (إِذَا كَانَ عِلْمُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَافِــعٍ ... ولا دَافِــعٍ فَالخُسْرُ لِلعُلَمَــاءِ)

الخُسر : الضلال .

أى : يا ضيعة العلماء إذا لم يفيدوا من علمهم هداية ورشدا . هذا إذا كان مراده بالناس : ذوى العلم منهم ، و إضافة العلم إليهم تُقيده .

و إذا كان المراد بالناس غير العلمــاء ، فهو يَنْعَى على العلمــاء جهل الناس ، وبُعــدهم عن أن يفيــدوا من علمهم ، ويحمّلهم تبعــة ذلك . وهذا إما عن عدم إخلاص منهم بمــا يؤمنون ، أو ظهورهم بين الناس على غير ما يقولون . وكثيرا ما يحدِّث أبو العلاء عن هذا .

٢ (قَضَى اللهُ فِينَا بِالَّذِى هُوَ كَائِنٌ ... فَــتَمَّ وضَاعَتْ حِكْمَةُ الحُكَمَاءِ)

٣ (وَهَلْ يَأْبَقُ الإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ ... فَيَخْــرُجَ مِن أَرْضٍ لَهُ وسَمَاءِ)

يعنى بالحكماء : المتكلمين فى الوجود وخالقه بما يخرج عن منطوق الأديان .

وأبق : هَرب وآستخفى ، و بابه : ضرب ونَصر ، أبْقا و إباقا ، فهو آبق . وجمعه أُبَّاق . وقيل : الإباق : هَرب العبد من سيِّده .

يشير إلى قوله تعالى : ﴿ يا معشر الجن والإنس إن آستطعتم أن تَنفــذوا من أقطار السموات والأرض فآنفذوا لا تَنفذون إلا بسُلطان ﴾ [1] .

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الرحمن .

٤ ﴿سَنَتْبَعُ آثَارَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَلَى سَاقَةٍ مِن أَعْبُدٍ وَإِمَاءِ﴾

تحمل القوم : ذهبوا وارتحلوا .

والساقة من الجيش : مؤخره ، وهى أيضا جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه . ومنه : ساقة الحاج .

و « على ساقة » حال من الواو فى « تحملوا » ، أى مسبوقين بغيرهم فى إثر من يقدمهم ، كالمؤخرة من الجيش تقفو السابقة .

و « من أعبد وإماء » . فى موضع البيان « لساقة » ، أى عبيدا وإماء ، يريد رجالا ونساء . وهو ملتفت فيه إلى ماذكره فى البيت السابق من ذكر الإباق ، الذى هو من صفة الأرقاء .

ووصفه الناس بالعبودية والأموة ، توكيد لفقدانهم الإرادة فيما يملكون ، وأنهم كالعبيد والإماء مسيرون .

٥ ﴿لَقَدْ طَالَ فِي هَذَا الأَنَامِ تَعَجُّبِي فَيَا لِرِوَاءٍ قُوبِلُوا بِظِمَاءِ﴾

الرواء ، بالكسر : جمع ريان وريا . والصيغة للتعجب ، وهى كالاستغاث به فى أحواله ، فتقول : يا للرجل ، ويا رجلا ، ويا رجل . كل هذا إذا تعجبت منه .

والرواء : الظماء ، هنا ؛ إما على حقيقتها ، والمعنى بهما صنفا الناس : أغنياء وفقراء ، يشبع الغنى ويجوع الفقير ، دون أن يهتز شابع لجائع ، ولا راو لظمآن .

وقد يكونان على غير حقيقتيهما ، ويكون المعنى بهما صنفى الناس : علماء زودوا بالمعرفة فعرفوا كنه الوجود وحقيقته واستبان لهم أمره — وكأنه يعنى نفسه — وجهلاء ضلوا الرأى وعاشوا فى خسران وبوار .

٦ ﴿أُرَامِي فَتُشْوِي مَنْ أُعَادِيهِ أَسْهُمِي وما صَافَ عَنِّي سَهْمُهُ بِرِمَاءِ﴾

رَامى رِماء : رمى بالسهام عن القِسِيّ ، ورماه غيره ؛ فالفعل على المشاركة .

والإشواء : أن يرمى الرامى فيُصيب الأطراف ولا يصيب المَقتل .

وصاف السهمُ عن الهدف ، يَصيف صَيفا وصَيفوفة ومَصيفا : عدل . قال أبو زُبيد :

كُلَّ يَومٍ تَرمِيهِ مِنها بِرَشْقٍ فَمَصِيفٌ أوصافَ غيرَ بَعِيدِ

وكذلك كل شيء قد عدل عن شيء فقد صاف عنه . وفى حديث أنس : إن النبي صلى الله عليه وسلم شاور أبا بكر رضى الله عنه يوم بدر فى الأسرى . فتكلم أبو بكر فصاف عنه . أى عدل صلى الله عليه وسلم بوجهه عنه ليشاور غيره .

يصف هونه بالناس ، و بأس الناس به ، فما أخطأت سهامُه الناس إلا عن فقده القصد ، وما أصابته سهام الناس إلا حين سبقها القصد والعمد .

وليست هناك مراماة على الحقيقة ، ولعله يعنى ما يواجه به الناس من نقد يمزون عنه وما علق بهم شيء ؛ وما يتجهون هم به إليه من عيب وتجريح ، فلا ينجو هو من وقعه ، فهم على رأى غالب ، وهو على رأى فرد ؛ فلا يسمع الناس له فيهم ، على حين يستمعون لأنفسهم فيه .

٧ ﴿وهَلْ أعظُمٌ إلَّا غُصُونٌ رَرِيقَةٌ وهَلْ ماؤُهَا إلَّا جَنِيٌّ دِمَاءِ﴾

الأعظم والعِظام والعِظامة ، كلها جموع لعظم ، وهو الذى عليه اللحم من قصب الحيوان . والهاء فى هذه الأخيرة لتأنيث الجمع . وقيل : العِظامة : واحدة العظام . وهو يعنى العظام بما عليها من لحم .

والوَريقة : الحسنة الورق .

والجنِىّ : الغض من الثمار المُجتناة . أراد دِماء طرية غضة .

وقد تكون أيضا فعيلا بمعنى مفعول ، من جنى الذنب يجنيه ، إذا جرّه . قال أبو حَية النميرىّ :

وإنّ دمًا لو تَعلمين جَنيتِه ... على الحىّ جانِى مثلِه غيرُ سالِمِ

ويريد بـ « جنىّ دماء » : المَسفوك المُهَراق ، وهو أشبه بالماء فى الاندفاق .

يذكّر الناس بالموت ، واستحالة أجسامهم ودمائهم ، تُرابا نديًّا بدمائها بعد الفناء ، يكون للنبات غذاء ، يورق به ويزدهر . وفى جعله الدماء مكان الماء نوع من التجوز .

٨ ﴿وَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّحْسَ لَيْسَ بِغَافِلٍ ... لَهُ عَمَلٌ فى أَنْجُمِ الفُهَمَاءِ﴾

النّحس : الجهد والضُّر . وخلاف السّعد من النُّجوم وغيرها . والجمع : أنحس ، ونُحوس .

وفهماء : جمع لفاهِم ، وهو ينقاس . ولما كان النحس للنجوم ، جعل أفهام الفُهماء أنجما .

يشير إلى احتجاب العقول وراء ما للجهل من تعمية ، كما تختفى النجوم وراء ما للسحب من تغمية ، فلا تَشيع للعقول أضواؤها ، كما لا يظهر للنجوم لألاؤها .

٩ ﴿وَمَنْ كَانَ ذَا جُودٍ وَلَيْسَ بِمُكْثِرٍ ... فَلَيْسَ بِمَحْسُوبٍ مِنَ الكُرَمَاءِ﴾

أكثر : ذات معانٍ ، يقال : أكثر الرجل ، إذا كثر ماله ؛ وليس المذهوب إليه هنا . وأكثر : أتى بكثير . وهو بالمراد ألصق . وأكثر من الشىء : رغب فى الكثير منه ؛ وهى كالثانية ، على تأويل جارٍ ومجرور محذوف ، تقديره « منه » .

ومحسوب : معدود .

يَنعى على المُقلين فى العطاء وهم يملكون الكثير، وأن ذلك ليس من الكرم فى شىء.

١٠ ﴿ تَهَابُ أُمُورًا ثُمَّ تَرْكَبُ هَوْلَهَا عَلَى عَنَتٍ مِنْ صَاغِرِينَ قِمَاءِ ﴾

الهَول : الأمر الشديد، والمخافة من الأمر لا يُدرى ما يُهجم عليه منه؛ كهول الليل ، وهول البحر . والجمع : أهوالٌ، وهُول .

والعنت : دُخول المشقة على الإنسان ولِقاء الشدّة . وقال ابن الأثير : العنت : المشقة، والفساد، والهلاك، والإثم، والغلط، والخطأ، والزنا، كل ذلك قد جاء، وأُطلق العنت عليه .

والصاغر : الذى يرضى بالضيم ويقَرُّبه . قال تعالى : (حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغِرون)[(١)] أى أذلّاء . والفعل منه : صَغِر يصغَر، من باب فرح ، صَغرا وصَغارا ، والفعل من الصِّغر ، الذى هو ضد الكِبر ، هو الفعل ، وزاد ابن الأعرابىّ : صغُر، بضم الغين ، فهو صَغير وصُغار .

وقِماء : جمعٌ لقمىء ، وهو الذليل الصغير .

و « من صاغرين قماء » بيان لمُحدِث الهول ومُثيره .

والبيت إمّا على صلةٍ بما قبله ، يعنى إحجام الأغنياء عن عون الفقراء ، وخشيتهم على أموالهم أن يستنفدها البذل للعوزين. وهؤلاء الفقراءُ وهؤلاء المعوزون، وإن بدوا أذلاء لا يؤبه لهم ولا يُعتد ، قد يحرّكهم هذا القبض وذلك الإمساك إلى ما يهول ويَجِلّ ، فإذا الأغنياء الذين ضنوا بالقليل اختيارا ، قد خرجوا عن الكثير اضطرارا ، وإذا هم قد ركبوا ما يضير ويَشُق .

(١) الآية ٢٩ من سورة التوبة .

وقد يكون البيت على عمومه ، يصف به السادة حين يعزّون فيستبدّون ، وحين تنال منهم أيدى الدهماء فيذلون .

وهذا بالمعنى السابق موصول .

١١ ﴿ أَفِيقُوا أَفِيقُوا يَا غُوَاةُ فإنَّمَا دِيَانَتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ القُدَمَاءِ ﴾

الديانة ، هنا ، السياسة التى جرت الحياة عليها منذ القدم فحكّمت فريقا على فريق ، بغيًا لا يعرف العدل ، وظُلما لا يدين بالرحمة .

١٢ ﴿ أَرَادُوا بِهَا جَمْعَ الحُطَامِ فَأَدْرَكُوا وبَادُوا ومَاتَتْ سُنَّةُ اللُّؤَمَاءِ ﴾

الغواة : الضالون .

والحُطام : ما تكسّر من اليَبِيس .

يشير إلى تيقظ الشعوب على وعى بحقوقهم ، وتنكُّرها سُلب منهم .

١٣ ﴿ يَقُولُونَ إنّ الدَّهْرَ قَدْ حَانَ مَوْتُهُ ولَمْ يَبْقَ فِي الأَيَّامِ غَيْرُ ذَمَاءِ ﴾

١٤ ﴿ وقَدْ كَذَبُوا مَا يَعْرِفُونَ انْقِضَاءَهُ فَلَا تَسْمَعُوا مِنْ كَاذِبِ الزُّعَمَاءِ ﴾

١٥ ﴿ وكَيْفَ أُقَضِّى سَاعَةً بِمَسَرَّةٍ وأَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ مِنْ غُرَمَائِى ﴾

الذماء : الحركة ، وبقيــة النفس ، وبقيــة الروح فى المذبوح . وقد مر (١) .

والغُرماء : جمع غريم ، وهو الذى له الدَّين ، والذى عليه الدَّين ، جميعا ؛ والمراد هنا الأوّل . وإنما سُمى غريما ، لأنه يَطلُب حقه ويُلح حتى يقبِضه .

يرد على القائلين : إن يوم القيامة قريب — وكأنه يشك فيما جاء حول هذا من أثر — ويرى أن إثارة هذا مما لا يدعو إلى اطمئنان الناس بالعيش وانصرافهم إلى العمل .

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية السادسة عشرة ص ١٢٩ من هذا الجزء .

والعجيب أن أبا العلاء ، وهو الذى همّه أن يفزّع الناس ويخوّفهم بالموت ، يجنح هنا شيئًا ما إلى غير ما يردّد فى الكثير من شعره .

١٦ ﴿ خُذُوا حِذْرَكُم مِن أقْرَبِينَ وجَانِبٍ وَلَا تَذْهَلُوا عَنْ سِيرَةِ الحُزَمَاءِ ﴾

الحَذر : الخيفة والتحرّز ؛ ومثله : الحِذْر .

والجانب : الغريب . وقد يُفرد فى الجميع ولا يؤنث ، ومثله فى ذلك : الجُنب ، والأجنبىّ ، والأجنب ؛ وفى الحديث : « الجانب المستغزِر(١) يُثاب من هِبته » .

والذُّهل والذُّهول : تركك الشىء تَناساه على عَمد ، أو يَشغلك عنه شغل . والفِعل منه ، بفتح العين وكسرها فى الماضى ، مع فَتحها فى المضارع .

يحذِّر الناس عاقبة المخالطة ، لا يستثنى قريبا أو بعيدا ، لافتًا إياهم إلى الاتعاظ بمن جرّبوا هذا من الحزماء .

(١) المستغزر : الذى يطلب أكثر مما أعطى . أى إن الغريب الطالب إذا أهدى هدية ليطلب أكثر منها فأعطه فى مقابل هديته .

اللزومية الثالثة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع الخاء :

١ ﴿ إِذَا صَاحَبْتَ فى أَيَّامِ بُؤْسٍ فَلَا تَنْسَ المَــوَدَّةَ فى الرَّخَاءِ ﴾

المصاحبـة : أعم ، تنتظم أنواع العشرة : أجلها وأهونهـا . والمفعـول محذوف للعموم .

والرخاء : سعة العيش ، بالفتح . فإذا ضممت فهو للريح اللّينة . وفى الحديث : «اذكر الله فى الرخاء يذكرك فى الشدة» .

٢ ﴿ وَمَنْ يُعْدِمْ أَخُوهُ(١) عَلَى غِنَـاهُ فَمَـا أَدَّى الحَقِيقَةَ فِى الْإِخَاءِ ﴾

هذه رواية . و «الإعدام» عليها بمعنى الافتقار ، يقال : أعدم الرجل ، إذا افتقر . وعلى الرواية الأخرى : «ومن يعدِم أخاه» . «فيعدم» هنا بمعنى : يمنع . وقيل : إذا منعه طَلِبته . أى يحرم أخاه ولا يُعطيه .

٣ ﴿ وَمَنْ جَعَلَ السَّخَاءَ لِأَقْرَبِيهِ فَلَيْسَ بِعَارِفٍ طُرُقَ السَّـخَاءِ ﴾

السخاء : الجُود ، ومثله : السخاوة . ويقال إنه مأخوذ من «السخو» ، وهو الموضع الذى يوسّع تحت القدر ليتمكن الوقود ، لأن الصدر أيضا يتسع للعطية .

والأقرب : أدنى من القريب ، يكون مثلَه لقرب المكان ، وقرب النسب . والمعنى هنا يجوز بهما .

وطرق ، بضمتين : جمع طريق ، ومثلها : أطرقة .

---

(١) ب : «ومن يعدم أخاه» .

اللزومية الرابعة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع السين :

١ ﴿ يامُلُوكَ الْبِلَادِ فُزْتُمْ بِنَسْءِ الْـ ـعُمْرِ والجَوْرُ شَأْنُكُمْ فِى النَّسَاءِ ﴾

يقال : نسأ الله فى عمره ، ينسؤه نَسئا : أخّره ومدّ له فيه . وفى الحديث : « من أحب أن يُبسَط له فى رِزقه ويُنسأ فى أجله فَليصل رحِمه » .

والجَور : نقيض العدل وضِدّ القصد .

والنساء، بالفتح والمد : تأخير الدَّين . قال ابن الأثير : نسأت عنه دينه : أخّرته ، نَساء ، بالمد ، وكذلك « النَّساء » فى العمر، ممدود .

وليس هناك أجل ممدود للملوك دون غيرهم، ولكنهم لما مكن الله لهم فى الحياة كانوا أقوى على مايقتضى شيئًا طويلا فى فترة وجيزة، فعدّ ذلك لهم أبو العلاء فُسحة فى الآجال . والحديث المُتقدم من ذاك ، إذ المراد ازدحام العمر بالخيرات ، واتساع اليوم لما تتسع له الأيام، فكأن العمر أضعاف .

أى إنهم لم يفيدوا من فُسحة العمر بعمل صالح يكفِّرون به عما فات ، بل هم مع امتداد العمر أشد طغيانا وظلما . وهكذا الإنسان لا يزيده التمكين إلا غرورا، ويخرج به المزيد إلى البطر، ولقد كان بغيرها أولى ، من قناعة يلين بها قلبه ، وتواضع يرق به وُجدانه .

٢ ﴿ مَالَكُمْ لَاتَرَوْنَ طُرْقَ المَعَالِى قَـدْ يَزُورُ الهَيْجَاءَ زِيرُ نِسَاءِ ﴾

الطرق، بضمتين : جمع طريق، وسُكِّن للشعر .

والهيجاء، بالمدّ والقصر : الحرب، لأنها موطن غَضب وهيج .

وزِير النساء : الذى يخالطهن ويُريد حديثهنّ لغير تَمرّ، سُمى بذلك لكثرة زيارته لهن . وأصله من الواو . والجمع : أزوار، وأزيار، وزِيرة .

وقيل : هو المخالط لهنّ فى الباطل . وفى الحديث : «لا يزال أحدُكم كاسرا وساده يتكئ عليه ويأخذ فى الحديث فِعلَ الزِّير» . وقال مُهلهل :

فلو نُبش المقابر عن كُليب ... فيُخبر بالذنائب أى زِيرِ

ضرب المثل بزير النساء فى التقاعد والخمول، وأنه آخر من يلبِّى للجد إذا دُعى إليه . يعرض أبو العلاء بالملوك فى أنهم دون هؤلاء الزيرة استجابة للخير، وانصرافا عن الشر .

أو لعله يستحثهم إلى العمل الصالح، فاتحا أمامهم باب الرجاء، الذى انفتح أمام زيرة النساء .

٣ (يَرْتَجِى النَّاسُ أنْ يَقُومَ إمَامٌ ... نَاطِقٌ فى الكَتِيبةِ الخَرْسَاءِ)

الإمام الناطق، هو المَهدىّ المُنتظر . وسُمى ناطقا، لأنّ الشّيعة يزعُمون أنه سوف يدعُو إلى نفسه، فسمَّوه ناطقا لذلك . وقد اختلفت الشيعة فيه، فزعمت السَّبئية أنه علىّ بن أبى طالب عليه السلام . وزَعموا أنه حىّ لم يَمت . ومنهم من يرى أنه فى السحاب . ويُروى أن عبد الله بن سبأ، وهو أصل هذه المقالة، لما أُخبر بموت علىّ عليه السلام، قال : كَذبتم، والله لو جئتُمونا بدماغه مَصرورا فى سَبعين صُرة ما صدّقنا بموته، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا كما مُلئت جَورا .

وزَعمت الواقفة والمَمطورة من الشيعة أنه مُوسى بن جعفر . وقالت الإسماعيلية منهم : هو محمد بن إسماعيل بن جعفر . وزعمت الكَيسانية أنه محمد بن الحنفية . وزعموا أنه لما خاف على نفسه دخل شِعب رضْوى بين مكة والمدينة، فهو هناك حىّ لم يمت، أسدٌ عن يمينه . ونَمِر عن يساره حتى يخرج . وفى ذلك يقول كُثيِّر :

أَلا إنّ الأئمةَ من قُريش وُلاة الحقّ أربعةٌ سَواءُ
علىٌّ والثلاثة من بَنيه همُ الأَسباط ليس بهم خَفاء
فسِبْط سِبطُ إيمان وبِرٍّ وسِبط غَيّبته كَرْبلاء
وسِبط لا يَذُوق الموت حتى يقُود الخيل يَقْدُمها اللّواء
تَغيّب لا يُرى فينا زمانا برَضْوى عنده عَسل وماء

والكتيبة : الجيش، والقطعة العظيمة منه .

والخرساء : التى صَمتت من كَثْرة الدُّروع ، أى لم يكن لها قَعاقع .

وقيل : التى آحتزمت بالسلاح وأجادت شده فلا يسمع له صوت .

وقيل : هى التى لا تَسمع لها صَوتا، من وقارهم فى الحرب .

وقال الأصمعىّ : إنما قيل لها : خرساء، لقلة كلامهم .

وقال بُندار : إنما قيل لها خرساء، لأن الصوت لا يفهم فيها لكثرة الأصوات، فكأنّ كلام المتكلم فيها تَسمع حركاته كحركات لسان الأخرس ولا تفهم .

وأراد بـ « الكتيبة الخرساء » جماعة أئمة الشيعة، إذ الشيعة يُسمونهم صُمتا، لصمتهم عن إقامة الدعوة حتى يظهر الإمام الأعظم .

يشير إلى جمود الناس عن أن يقيموا الحياة بينهم أمنا وعدلا ، اتكالا على مايقال من نزول إمام آخر الزمان يملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .

٤ ﴿ كَذَبَ الظّنُّ لا إمَامَ سِوَى العَقْـ ـلِ مُشِيرًا فى صُبْحِهِ والمَسَاءِ ﴾
٥ ﴿ فإذا مَا أَطَعْتَهُ جَابَ الرَّحْـ ـمَةَ عِنْدَ المَسِيرِ والإرْسَاءِ ﴾

الإرساء : الثبات والآستقرار، يُستعمل لازما ومتعديا، يقال : أرسى الشىء، إذا ثبت واستقر ، وأرسيته أنا .

جعل المسير والإرساء للحركة والسكون ، وليست الحياة فى جميع مظاهرها إلا من حركة أو سكون .

ينعى عليهم ما أخذوا فيه واطمأنوا إليه ، ويردهم إلى الحق البين بالرجوع إلى حكم العقل وما ينطق به ، فلن يجدوا عنده إلا التنكر لما به يؤمنون ، والكفر بما يعتقدون .

٦ (إِنَّمَا هَـذِهِ المَذَاهِبُ أَسْبَا بٌ لِجَذْبِ الدُّنْيَا إِلَى الرُّؤَسَاءِ)

٧ (غَرَضُ القَوْمِ مُتْعَةٌ لا يَرِقُّو نَ لِدَمْعِ الشَّمَّاءِ والخَنْسَاءِ)

الشّماء من النساء : التى استوت قصبة أنفها وأشرفت أرنبته ، وصفٌ مُستحب فيهن .

والخنساء : التى تأخر أنفها وقَصُر ، وهو مكروه فيهن .

يشير بـ « بالشماء » إلى الشريفة الرفيعة ، و بـ « بالخنساء » إلى الحسيسة الوضيعة . وكانت العرب تزعم أن هـذا الخنَس وذاك الفطَس إنما حدثا فيهم لمُداخلتهم السودان وغيرهم من العجم فى أنسابهم ومناكحهم .

يعزو هـذا القول من الناس إلى أطماع لهم فى الدنيا لا تتصل بالدين بسبب ، حتى إذا ما نالوها قست قلوبهم على من يلونهم ، لا يرحمون منهم عزيزا ، ولا يرقون لذليـل .

وخص النساء لأنهن أقوى على استخلاص الرحمة من القلوب ، والرجال عليهن أحدب .

وكأنه يشير إلى ما كان من تلك الفرق — التى سيعرض لها بعد — من إيذاء لم تنج منه النساء .

٨ ﴿ كالّذِى قَامَ يَجْمَعُ الزِّنْجَ بالبَصْـ ـرَةِ والقَــرْمَطِىِّ بالأَحْسَـاءِ ﴾

أراد بجامع الزنج : علىّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علىّ بن الحسين آبن على بن أبى طالب . وكان دعيًّا فى نَسبه . زَعم أولا أنه : علىّ بن محمد بن أحمد آبن عيسى، على ما ذكر، ثم رجع عن هذا النسب وزعم أنه : على بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب بن يحيى — المقتول بخراسان — ابن زيد بن على . ولم يكن ليحيى ولد يقال له : رحيب، ولا غيره، لأنه قتل وهو آبن ثمان عشرة سنة ، وكان لا ولد له . وكان هذا المدعى ، فيما ذكروا ، رجلًا من عبد القيس ، وأمه آمرأة من بنى أسـد . يقال لها : فروة، وكان مولده بالرىّ . واتصل فى أول أمره بآل المستنصر، وانتجعهم بشعره، ثم ادّعى أنه من ولد علىّ بن أبى طالب عليه السلام، ثم علا أمره وكثر عدده وغلب على البصرة، وقتـل معظم أهلهـا، إلى أن حصره «الموفق» فى مدينته التى كان سمّاها «المختارة» ، حتى أكل الزنج دوابهم . واستأمن آلَ الموفق جُلُّ من كان معه، وأُتى إليه برأسه . وكان يزعم أن النبوّة عُرِضت عليه فأباها . وقال : إنمـا أبيتُها لأن لها أعباء خِفت ألا أطيقها . وهو القائل :

لَهف نفسِى على قصورٍ ببغدا دَ ومَن قد حوَته من كُل عاصِى
وخُمـور هناك تُشرب جَهْرا ورِجالٍ على المَعاصى حِراص
لستُ بآبن الفَواطم الزُّهر إن لم أُجِلِ الخيل بين تلك العِراص

وأراد بـ « القـرمطىّ » : أبا القاسم بن ذكرويه، صاحب الشامة ، وكان ينتمى إلى علىّ بن أبى طالب عليـه السلام . وخرج فى أيام المكتفى بجهة السماوة سـنة تسع وثمانين ومائتين ، فَقوى أمره واشتدت شوكته ، ثم قُتـل قريبا من دمشق . ثم خرج أخ له يكنى أبا الحسين، وآبن عم له يعرف بالمدثر — لادعائه أنه المراد بقوله تعالى : (يأيها المدثّر) — فقُتِلا جميعا .

وقيل لهم القرامطة ، لأنهم نُسبوا إلى قَرمط بن الأشعث . وكان هو الذى أصّل لهم مقالتهم .

ويقال إن اسم قرمط : حمدان، وإنه لُقب قرمطا ؛ لأنه كان يُقرمط خطه ، وقيل : بل كان يُقرمط مشيه ، أى يقارب خطوه .

وكان أخذ أصل مقالته من رجل يقال له : الفرج بن عثمان النصرانى . وكان يزعم أنه داعية المسيح ، وأنه الكلمة ، وأنه الدابة المذكورة فى القرآن ، والناقة ، وروح القدس ، ويحيى بن زكريا ، والمهدىّ المنتظر . وزعم أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأن القبلة إلى بيت المقدس والحج إليه ، والصوم يومان : المهرجان والنيروز ، والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل ، وأن النبيذ حرام والخمر حلال ، ولا غُسل من جنابة ، ولا وضوء للصلاة . وكل مَن حارب به قتله ، ومن لم يحارب به أُخذت منه الجزية . وكان أذانه للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ أشهد أن آدم رسول الله ؛ أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمد بن الحنفية رسول الله . وكان يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح .

والأحساء : مدينة بالبحرين ، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر ، أبو طاهر الحسن بن أبى سعيد الجنابى القرمطى .

يشير إلى ما ارتكب هؤلاء ، من سفك دماء ، لم ترحم فيها شماء ولا خنساء .

٩ (فانْفَرِدْ ما اسْتَطَعتَ فالقَائِلُ الصّا دِقُ يُضْحِى ثِقْلًا عَلَى الجُلَسَاءِ)

الثقل ، بالكسر : الحمل . وبفتح القاف : نقيض الخفة .

ينصح بقول الحق والصدق فى العمل ، مهما جرّ هذا وذاك على الناس من فوات فرص الجاه وأسباب الحياة ، ومهما أدّى إليه هذا وذاك من نُفرة القلوب ونأى بالجانب .

اللزومية الخامسة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع الصاد :

١ (أَوْصَيتُ نَفْسِى وعَنْ وُدٍّ نَصحْتُ لَهَا ... فَمَا أَجَابَتْ إلى نُصْحِى و إِيصَائِى)

٢ (والرَّمْلُ يُشْبِهُ فى أَعْدادِهِ خَطَئِى ... فَمَـا أَهُمُّ لَهُ يَوْمًا بإِحْصَاءِ)

٣ (والرِّزقُ يَأْتِى ولم تُبْسَطْ إِلَيْهِ يَدِى ... سِيَّانِ فى ذَاكَ إِدْنائِى و إِقْصَائِى)

٤ (لو أنّه فى الثُّرَيّا والسِّماكِ أَوِ الـشِّـعرى العَبُورِ أَوِ الشِّعْرَى الغُمَيْصَاءِ)

سيان، بمعنى سواء . يقال : هما سيان . وهم أسواء . وقد يقال : هم سِىٌّ، كما يقال : هم سواء . قال الشاعر :

وهُمُ سِىٌّ إذا ما نُسِـبوا ... فى سَـناء المجد من عبد مَناف

قال ابن سِيده : السيان ، المثلان : الواحد : سِىٌّ . قال الحطيئة :

فإياكم وحَيّـةَ بطنِ واد ... هَمُوزَ النّـابِ ليس لكم بِسِىِّ

والثريا : نجم . وقد مر (١) .

والسماك : أحد سماكين . نجمين نيِّرين ، أحدهمـا السماك الأعزل ، والآخر السماك الرامح . ويقـال : إنهما رِجلا الأسـد . والذى هـو من منـازل القمر : الأعزل ، وبه ينزل القمر، وهو شآمٍ، وسُمِى أعزل ، لأنه لا شىء بين يديه من الكواكب ، كالأعزل الذى لا رُمح معه .

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

وقيل : سمي : أعزل ، لأنه إذا طلع لا يكون فى أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها .

وهو من كواكب الأنواء ، وطلوعه مع الفجر ، يكون فى تشرين الأول . والرامح ليس من منازل القمر ، لا نوء له ، وهو إلى جهة الشمال .

والشعرى : كوكب نيِّر يقال له المِرزم ، يطلع بعد الجوزاء . وطلوعه فى شدّة الحر . وهما شِعريان : العبور التى فى الجوزاء ، والغميصاء التى فى الذراع . تزعم العرب أنهما أختا سُهيل . وسميت العبور ، لأنه يقال إنها عبرت السماء عرضا ، ولم يعبرها عرضا غيرها . وسميت الأخرى الغُميصاء ، لأن العرب قالت فى أحاديثها : انها بكت على إثر العبور حتى غَمِصت .

اللزومية السادسة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع الميم :

١ ﴿ القَلْبُ كالمَاءِ والأهْواءُ طَافِيَةٌ   عَلَيْهِ مِثْلَ حَبَابِ المَاءِ فِى المَاءِ ﴾

الأهواء، واحدها هوى، مقصور . و إذا أضفته إليك قلت : هواى .

قال ابن برى : وجاء « هوى النفس » ممدود فى الشعر . قال الشاعر :

وهانَ على أسماءَ إن شطت النوى   يَحِنّ إليها والهــواءُ يَتُوقُ

قال ابن سِيدَه : الهوى : العشق، يكون فى مداخل الخير والشر .

وقال الأزهرى : هو محبة الإنسان وغلبته على قلبه . ومتى تُكلم بالهوى مطلقا لم يكن إلا مذموما، حتى يُنعت بمـا يُخرِج معناه .

وقد انتصب « مثل » على الحال . و يجوز أن يكون صفة لمصــدر محذوف تقديره : « طفوا مثل طفو حباب » فأقام الصفة مقام الموصوف والمضاف إليه مقام المضاف .

والحباب : معظم المـاء، وفقاقيعه : التى تطفو عليه، وطرائقه، وأمواجه .

جعل الأهواء غير المـاء، شيئا عن غرض عارض، يذهب به و يجىء .

وسيذكر هذا فى بيته التالى .

٢ ﴿ مِنْهُ تَنَمَّتْ ويَأْتِى ما يُغَـيِّرُهَا   فَيُخْلِقُ العَهْدُ مِن هِنْدٍ وأَسْمَاء ﴾

تمت : زادت وربت .

وأخلق : بَلِىَ .

وهند وأسماء، من الأسماء التى شبّب بها الشعراء .

يريد أن صروف الدهر وخطوبه تُذهل المحب عن محبوبه ، كما قد يريد أن الإنسان إذا جرب الأيام وعلم تصاريفها أقلع عن غَيــه وضلاله . وهــذا بمَنحَى أبى العلاء ألصق، ثم هو بيان لبيته السابق .

٣ (والقَوْلُ كالخَلْقِ مِن سَيْءٍ ومِن حَسَنٍ والناسُ كالدَّهْرِ مِنْ نُورٍ وظَلْماءَ)

من ، هاهنا : بمعنى بين . تقول العــرب : جاء القوم من فارس وراجل ، أى بين فارس وراجل .

وأصل « سىء » . سيِّئ، بالتشديد، ثم خُفف، كما يقال فى « هيّن » هيْن .

٤ (يُقَالُ إِنّ زَمَانًا يَستَقِيدُ لَهُمْ حتّى يُبَــدَّلَ مِن بُؤسٍ بِنَعْماءِ)

يستقيد : يتأتى وينقاد، كما يَستقيد البعير إذا قِيد .

٥ (ويُوجَدُ الصَّقْرُ فى الدَّرْماءِ مُعْتقِدًا رَأْىَ آمْرِئِ القَيسِ فى عَمْرِو بْنِ دَرْمَاءِ)

الدرماء : الأرنب .

وعمــرو بن درماء : رجل من ثُعــل ، نزل عليــه آمرؤ القيس عند طلبــه المُنــذر بن ماء السماء . وقد مرّ حديث ذلك (١) .

يشــير أبو العــلاء إلى ما يقــوله الشيعة من أن إمامهم المنتظر إذا ظهر ملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وأبدلهم من البؤس بالنعماء، وذهب بمـا فى الصدور من الحقد والشحناء ؛ حتى تأمن الأرنب من سطوة الصقر ، كما أمِن آمرؤ القيس حين آستجار بعمرو بن درماء .

وكان السياق يقتضى : رأى « عمرو» فى آمرئ القيس » ؛ فعمرو، هوُ المشبه بالصقر، وامرؤ القيس، هو المشبه بالأرنب، فقلب، إذ مراده مفهوم .

(١) انظر شرح البيت ٣٨ من اللزومية ١٦ ص ١٣٢ من هذا الجزء .

٦ (وَلَسْتُ أَحْسَبُ هَذَا كَائِنًا أَبَدًا فَأَبْغِ الوُرُودَ لِنَفْسٍ ذَاتِ أَظْمَاءِ)

الأظماء : جمع ظمأ ، وهو العطش . وجمع . ظِمْء ، وهو ما بين الشرب إلى الشرب . وكلاهما جائز هنا .

أى اشف نفسك من ظمأ هذا الباطل ، بورودك منهل الحق .

وقد سبق أبو العلاء إلى هذا فى القصيدة السابقة .

اللزومية السابعة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة المكسورة مع الطاء :

١ ﴿ السَّاعُ آنِيةُ الحَوَادِثِ مَا حَوَتْ   لَمْ يَبْدُ إلَّا بَعْدَ كَشْفِ غِطَائِهَا ﴾

الساع : جمع ساعة ، وهى الجزء من أجزاء الليل والنهار . قال القُطامىّ :

وكُنّا كالحَرِيق لدى كِفاحٍ   فيخبُو ساعةً ويهُب ساعاَ

والآنية : جمع إناء ، وجمع الآنيــة : الأوانى . والألف فى « آنيــة » مبدلة من الهمزة وليست بمخففة عنها ، لانقلابها فى التكسير واوا . ولولا ذلك لحُكم عليه دون البدل ، لأن القلب قياسى والبدل موقوف .

جعل الدهر بأحداثه ، كالإناء عليه غطاؤه ، سر مخبوء يُكشف عند الانتهاء ، كما يُكشف عما فى الإناء الغطاء .

أو لعــله يريد أن سر الأيام فى جوفها ، لا يقع عليــه إلا من يُعمل فكره ، كما لا يظفر بمــا فى الإناء إلا من أعمل يده .

٢ ﴿ وكأنَّمــا هَذَا الزَّمَانُ قَصِيدةٌ   ما اضْطُرّ شاعِرُهَا إلَى إيطَائِهَا ﴾

الإيطاء فى الشعر : أن تتفق قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد . فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس بإيطاء .

وقال الأخفش : هو ردّ كلمة قد قُفِّيت بهــا مرة ، نحو قافيــة على « رجل » وأخرى على « رجل » فى قصــيدة ، فهذا عيب عند العرب لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك .

قال ابن جِنّى : ووجه آستقباح العرب الإيطاء ، أنه دالٌّ عندهم على قلة مادّة الشاعر ونزارة ما عنده ، حتى يضطر إلى إعادة القافية الواحدة فى القصيدة بلفظها ومعناها ، فيجرى هـذا عندهم مَجرى العىّ والحَصر .

وقال أبو عمرو بن العَلاء : الإيطاء ليس بعيب فى الشعر عند العرب .

وقال آبن سلّام الجُمحىّ : إذا كثر الإيطاء فى قصيدة مرّات ، فهو عَيب عندهم .

وأصله أن يطأ الإنسان فى طريقه على أثر وطءٍ قبله ، فيعيد الوطء على ذلك الموضع .

يعنى أبو العلاء أن العيب طبيعة الزمان مثله فى ذلك مثل القصيدة عن الشاعر موطأة طبعا لا اضطرار فيه .

هذا معنى . كما قد يعنى أن الزمان على نهج رَتيب ، لا مخالفة فيه ولا تبديل ، شأنه فى ذلك شأن القصيدة التى لا يضطر فيها الشاعر إلى مخالفة بإيطاء ، ونحوه .

٣ ﴿ لَيستْ لَيَالِيـه مُحَسَّـةَ كَائِنٍ وُصِفَتْ بسُرْعَتِها ولَا إبْطَائِها ﴾

وُصفت ، أى الليالى .

ولا إبطائها ، أى : ولا توصف بإبطائها ، عطف على جملة .

وتكون « لا » بمعنى « غير » . ويكون التركيب عطف مفرد على مفرد .

أى إن الزمان ماض لا يتخلف ولا يتريث ، لا يقيم للكائنات وزنا ؛ إذ هى بين يديه هون من الهون .

٤ ﴿ والِمصرُ آنَسُ مِنهُ خَرْقُ مَفَازةٍ أَنِسَ الدَّلِيلُ بقَافِها مَعَ طَائِها ﴾

المِصر ، فى كلام العـرب : كُل كُورة تُقام فيها الحـدود ويُقسم فيهـا الفىء والصدقات من غير مُؤامرة للخليفة .

والمفازة : البريّة القَفر . وقيــل : هى من الأرضين ما بين الرِّبع من وِرد الإبل، إلى الغِب من وِرد غيرها من سائر الماشية .

وقال ٱبن شُميل : المفازة : التى لا ماء فيها، و إذا كانت لليلتين لا ماء فيها فهى مفازة أيضا، وما زاد على ذلك كذلك . وأما الليلة واليوم فلا يعدّ مفازة .

قال ٱبن الأعرابى : وسُميت مفازة، لأن من خرج منها وقَطعها فاز .

وأراد بالقاف مع الطاء : القطا ، وهو طير . وقد سبق التعريف به[1] .

وكأنّ أبا العلاء يلتفت إلى قوله :

عَوى الذئبُ فٱستأنست للذئب إذ عوَى ۔ وصــوّت إنسانٌ فكِدْت أطــيرُ

﴿ وَسِهامُ دَهْرِكَ لاَ تَزالُ مُصِيبةً ۔ صُرِفَتْ بإذْنِ اللهِ عَنْ إخْطَائِها ﴾ ٥

الإخطاء ، من أخطأ السهم الغرض ، إذا لم يُصبه ، ومثل « أخطأ » فى ذلك خَطىء .

أى إن قضاء الله حتم لا مردّ له ، يُسددها القدر فلا تطيش، إذ هو قضاء الله وقــــدره .

﴿ إنّ المَــوَاهِبَ كُلّهــا عارِيّةٌ ۔ وَمِنَ الســفَاهَةِ غِبْطَةٌ بعَطَائِهَا ﴾

المواهب ، هنا : الحيــاة وما يتفرع عنها ، إذ الحياة أصــل ما نال الإنسان فى حيــاته .

والعاريّة ، مَنسوبة إلى العارة ، وهو ٱسم من الإعارة . تقول : أعرته الشىء أُعيره إعارة وعارة . كما قالوا : أطعته إطاعة وطاعة ، وأجبته إجابة وجابة . وهــذا كثير فى ذوات الثلاث ، منهــا : العارة ، والدارة ، والطاقة ، وما أشبهها .

(١) انظر شرح البيت ١٣ من اللزومية الأولى ص ٥٩ من هذا الجزء .

وقال الجوهريّ : العـارية ، بالتشديد ، كأنهـا مَنسوبة إلى العار ، لأن طَلبها عارٌ وعيب، وأنشد :

إنمـا أنفســنا عاريّة والعوارىُّ قُصارى أن تُرَدّ

يَرد الناس إلى زهد فيما هم فيه ، وبُعد عن الفرح بمـا ينالون، فمـا للعاريات يهش المستعير، إذ هو خالعها بعد حين — وإن طال — قصير .



الهمزة الساكنة

اللزومية الثامنة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة الساكنة مع الباء :

١ ﴿ ماخصّ مِصْرا وبأٌ وحدَها بلْ كائنٌ فى كلِّ أرْضٍ وبأْ ﴾

مصر، تذكر وتؤنث، وتُصرف ولا تصرف . وفى قوله تعالى : (اهبِطوا مِصرا) [1] . قال سيبويه : بلغنا أنه يريد مصر بعينها .

وقال أبو إسحاق : فيه وجهان ، جائز أن يراد بها مصر من الأمصار ، لأنهم كانوا فى تيهٍ، وجائز أن يكون أراد « مصر » بعينها، بجعل « مصرا » اسما للبلد، فصُرف لأنه مذكر .

ومن قرأ « مصر » بغير ألف ، أراد « مصر » بعينها كما قال : (ادخلُوا مِصر إن شاء الله آمنين) [2] . ولم يُصرف لأنه اسم المدينة ، فهو مُذكر وسُمى به مؤنث .

والوبأ : الطاعون ، بالقصر ، والمدّ والهمز . وقيــل : هو كل مرض عام . وفى الحديث : « إن هذا الوباء رِجز» . وجمع المقصور : أوباء . وجمع الممدود : أوبيــة .

وظاهر أنه أراد بهذا الوبأ ذلك الذى نزل بمصر ما كان أيام ولاية المستنصر بالله أبى تميم معــد الفاطمى ، الذى بقى فى الخلافة نحوا من ستين ســنة . فقد تولاها وهو ابن سبع سنين سنة ٤٢٧ هـ . وتوفى سنة ٤٨٧ هـ . وفى ذلك يقول أبو المظفر : « وعاش المستنصر ســبعا وستين ســنة وخمسة أشهر فى الهزاهز والشدائد والوباء والغــلاء » .

---

(١) الآية ٦١ من سورة البقرة .   (٢) الآية ٩٩ من سورة يوسف .

وقبل أبي العلاء تعرضت مصر غير مرة لألوان من الوباء .

وعاصر أبو العلاء جزءا من هذه الحِقبة، حقبة المستنصر. إلا أنه مات قبل أن تبلغ الأيام شدّتها فى آخر عهد المستنصر .

ولعله يشير فى عجز البيت إلى الطاعون الذى حل بشيراز، ثم واسط وبغداد والبصرة والأهواز وغيرها سنة ٤٢٦ هـ . ومن قبله الطاعون الذى حل ببلاد الهند والعجم وغزنة وخراسان وجرجان والرىّ وأصبهان، وامتد إلى الموصل والجزيرة وبغداد سنة ٤٢٣ هـ .

يأخذ على الناس هلعهم من الوباء ينزل ببلد من البلاد، ناسين أن البلاء متصل، وهل هو إلا موت خاص مع موت عام .

٢ (أنبَأنَا اللُّبُّ بلُقيَا الرَّدَى فالغَوْثُ مِن صِحَّةِ ذَاكَ النَّبَأْ)

٣ (هَلْ فارِسٌ والرُّومُ والتُّركُ أوْ رَبِيعَةٌ أو مُضَرٌ أو سَبأْ)

٤ (نَاجِيَةٌ فى عِزِّ أمْلاكِهَا أنْ يُظهِرَ الدَّهرُ لهَا ماخَبأْ)

اللُّقيا، بالضم : آسم من اللقاء .

والرَّدى بفتح الدال : الهلاك؛ وبكسرها : الهالك .

والغوث : الآسم من « آستغاث » بمعنى صاح : واغوثاه . ومثله الغواث، بالضم والفتح . وجائز أن يكون «الغوث» آسم وُضع موضع المصدر من «أغاث» . وفى حديث هاجر أُم إسماعيل : «فهل عندك غواث» . وهو منصوب على الإغراء .

وأراد بـ « فارس » وما بعدها التمثيل بمختلف من الأجناس لا الحصر .

و « ناجية » خبر لـ « فارس » وما عطف عليها فى البيت السابق . وهذا من الشعر المضمن، وهو ما لم يتمّ معناه إلا فى البيت الذى بعده .

قال ابن سيده : وليس بعيب عند الأخفش ، وألا يكون تضمينٌ أحسنَ .

وقال ابن جِنّى : التضمين : مذهب تراه العرب وتستجيزه ، وله وجهان : أحدهما السماع والآخر القياس : أما السماع فلكثرة ما يرِد عنهم من التضمين؛ وأما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعًا دلت به على جواز التضمين ، وذلك ما أنشده صاحب « الكتاب » من قول الربيع بن ضُبيع الفزارىّ :

أصبحت لا أحمل السِّلاحَ ولا أملك رأسَ البعير إن نَفَرَا

والذئبَ أخشاه إن مررتُ به وَحدى وأخشى الرِّياح والمَطَرا

فنَصْب العرب « الذئب » هنا واختيار النحويين له من حيث كانت قبله جملة مركبة من فعل وفاعل ، وهى قوله « لا أملك » يدلك على جَرْيه عند العرب والنحويين جميعا مجرى قولهم : ضربت زيدا وعمرا لقيته ، فكأنه قال : ولقيت عمرا ، لتجانس الجملتين فى التركيب . فلولا أن البيتين جميعا عند العرب يجريان مجرى الجملة الواحدة لما اختارت العرب والنحويون جميعا نصب « الذئب » ، ولكن دلّ على اتصال أحد البيتين بصاحبه ، وكونهما معا كالجملة المعطوف بعضها على بعض ؛ وحُكم المعطوفِ والمعطوف عليه أن يجريا مَجرى العُقدة الواحدة .

وأملاك : جمع قلة، لملك؛ والكثير : ملوك .

والسجايا : جمع سجية . وهى الطبيعة والخلق . وقيل : هى الطبيعة من غير تكلف .

والنبل : السهام ، وقيل : السهام العربية . وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، فلا يقال : نبلة ؛ وإنما يقال : سهم، ونُشابة .

وقال أبو حنيفة : وقال بعضهم : واحدتها نبلة .

قال ابن منظـور : والصحيح أن لا واحد له إلا السهـم . وحُكى : نبـل ، ونبلان ، وأنبال ، ونِبال .

يكشف أبو العـلاء عن جزع الناس من الموت لا جزعه ، فهو إليه مطمئن وهم به فزعون .

وقد يَرُد الناس إلى مثل اطمئنانه بما ساق من أمم وقبائل عزت على الأرض ، ثم مضى بها الموت لا يُبق ولا يَزر .

٥﴿ ومِنْ سَجَـايَا نَبْـلِهِ أَنَّهَـا كُلُّ قَتِيـلٍ قَتَلَتْ لم يُبَـأْ ﴾

لم يُبأ : لم يُقتل به . تقول : باء فلان بفلان ، أى قُتل به . وباءه به وأباءه : قتله به وصيّر دمه بدمه .

والمقدار : الموت ؛ قال الشاعر :

لو كان خَلفك أو أمامك هائبا بشرًا ســواك لهابك المِقــدارُ

وقال الليث : المقدار : اسم القدر ، إذا بلغ العبد المِقدار مات .

يمضى أبو العلاء فى سخريته بهؤلاء الجازعين داعيا إياهم إلى التسليم بمـا لا سلطان لهم عليه ، ولا قوة لهم قبله ، وليس فى مِلكهم أن يبادلون ثارا بثأر ، وقتيلا بقتيل .

٦﴿ إنْ سَارَ أَوْ حَلَّ الفَتَى لم يَزَلْ يَلْحَظُه المِقْـدَارُ بالمُرْتَبَـأْ ﴾

المرتبأ : المرتفع تَرتبئه ، أى تعلوه وتصعده لترقُب مِن فوقه .

والجار والمجرور فى موضع الحال من « المقـدار » . جعل « المقدار » بمنزلة الربيئة والطليعة .

وجَعْله المقدار بهذا المرتبأ ليُثبت له النظر المحيط والإلمـام الشامل ، وأن العالم كله فى متناول إدراكه لا يفوته منه شيء .

اللزومية التاسعة والعشرون

وقال أيضا فى الهمزة الساكنة مع القاف :

١﴿تَقْـوَاكَ زَادٌ فاعْتَقِــدْ أَنَّهُ   أفضَلُ ما أَوْدَعْتَهُ فِى السِّقَاءْ﴾

السقاء : جلد السّخلة إذا أجذع ، ولا يكون إلا للمـاء . وقال آبن السّكيت : يكون للبن والمـاء ، والوطب ، للبن خاصة ؛ والنِّحى ، للسّمن ؛ والقِربة ، للمـاء . والجمع القليل : أسقية ، وأسقيات ؛ والكثير : أساقٍ .

أقام الزاد والسقاء مُقامى الروح والجسد .

٢﴿ آهٍ غَدًا مِنْ عَرَقٍ نازِلٍ   ومُهْجَـةٍ مُولَعَــةٍ بِآرْتِقَـاءْ﴾

المُهجة : دمُ القلب ، وقيل : الدم ؛ وقيل : الروح . وإلى هذا الأخير قصد أبو العــلاء .

ومولعة : مُغراة .

يشـير إلى نزوع الروح للخـلاص من أسر آلجسـد . وطابق بين « النزول » و « الارتقاء » . والأول للجسم ، والثـانى للروح . وأراد بـ « غد » يوم الموت . وجعـل العَرق النازل للشدّة المُصاحِبة . يشـير إلى ما يعـانى الجسم عنـد سكرة المــوت .

أو لعله أراد إلى حالى الجسم والروح مع الموت ، فذاك ينزل مُسفِلا ، وتلك تنزع مُصعِدة .

٣(ثَوْبِيَ مُحْتَاجٌ إلَى غَاسِـلٍ ولَيْتَ قَلْبِي مِثْـلَهُ فى النَّقَاءْ)

أراد بـ« الثوب » الجسد . وقد يكون الخبر على وجهه ، وهو الإفادة بدنس الجسم وعوزه إلى ما يغسل عنه أدرانه .

كما قد يكون ألقاه لغرض التعجب من غسل جسم الميت ، وكانت الروح بذلك أولى ، ولكن أنَّى السبيل إلى ذلك .

٤(مَوْتٌ يسِـيرٌ مَعَـهُ رَاحَةٌ خَيْرٌ مِن اليُسْرِ وطُولِ البَقَاءْ)

اليسير : الهيّن ، وقد لا يُريد بالوصف تخصيص حال من حالات الموت بالتفضيل ، وإنما هو يريد استغراق أحوال الموصوف . فكأنه قال : الموت يسير . كما قد يريد حالا من أحوال الموت تفارق عليها النفس مطمئنة بما عملت ، مُستريحة لما قدّمت .

واليسر : ضدّ العسر ، وهو خفض العيش والغِنى .

يهوّن الموت ، فما أيسره عنده ، وما أروحه ، وكم هو خير عنده ، من حياة ممتدة ، وغنى واسع .

٥(وقَـدْ بَلَوْنَا العَيْشَ أطْوَارَهُ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ غَيْرَ الشَّقَاءْ)

بلا الشيء يبلوه : جرّ به واختبره .

والأطوار : الأحوال والضروب ، الواحد : طور .

٦(تَقَدَّم النَّاسُ فَيَا شَـوْقَنَا إلَى اتّبَاعِ الأهْلِ والأصْدِقَاءْ)

تقدّم : سبق .

و « يا شوقنا » ، التركيب للندبة ، والمراد إظهار اللهفة والتحسر على ما فاته من لحاق من مات ، وأجزعه من هذا الإبطاء .

٧ (ما أَطْيَبَ المَـوْتَ لِشُرّابِـهِ إنْ صَحّ للأَمْوَاتِ وَشْكُ ٱلتِقَاءْ)

الشرّاب : جمع شارب ؛ يعنى الذين يذوقون الموت و يتجرعونه .

ووشك التقاء، بالفتح : أى سرعة التقاء . وتضمّ فيه الواو وتكسر . ومثله : وشكانه ، بالفتح والضم .

يحب الموت ، وهو عنده أشـد حُبا لو صح أنه جامع الخلان والأصحاب إلى لقاء يَتُوقون إليه .

اللزومية المتمة الثلاثين

وقال أيضا فى الهمزة الساكنة مع الفاء :

١ (انْفَرَدَ اللهُ بِسُلْطَانِهِ فَمَا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كِفَاءْ)

الكِفاء : النظير والمَثيل . قال حسان بن ثابت :

* وروحُ القُدس ليس له كِفاءُ *

أى جبريل عليه السلام . وفى حديث الأحنف : لا أُقاوم من لا كِفاء له ، يَعنى الشيطان . ومثل « الكفاء » : الكَفِىء ، والكُفء ، والكُفُوء . وهو فى الأصل مصدر من « كافأ » بمعنى ماثل . والاسم : الكَفاءة ، والكِفاء . قال الشاعر :

فأنكحها لا فى كفاء ولا غِنًى زيادٌ أضلَّ الله سعىَ زيادِ

وقال الزجاج فى قوله تعالى : (ولم يكن له كُفوا أحد)(١) أربعة أوجه ، القراءة منها ثلاثة : كُفوا ، وكُفئا ، وكِفئا ، وكِفاء ، بكسر الكاف والمد ، ولم يقرأ بها .

٢ (مَا خَفِيَتْ قُدْرَتُهُ عَنْكُمُ وَهَلْ لَهَا عَنْ ذِي رَشَادٍ خَفَاءْ)

الرشاد : نَقيض الضلال ، وهو إصابة وجه الأمر والطريق .

٣ (إِنْ ظَهَرَتْ نَارٌ كَمَا خَبَّرُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ فَعَلَيْنَا الْعَفَاءْ)

النار ، مؤنثة ، وقد تذكر . يشير إلى ما ذكر فى أشراط الساعة من ظهور نار فى كل الأرض .

والعَفاء : التراب ، وهو أيضا : الدُّروس والهلاك وذهاب الأثر .

---

(١) الآية ٤ من سورة الإخلاص .

وقال الليث : ويقال فى السَّبّ : بِفِيه العَفاء ، وعليه العفاء .

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان عندك قُوت يومك فعلى الدنيا العفاء » . وقال زُهير :

تَحمَّـل أهلُها منهـا فبانُوا على آثارِ مَن ذهب العفَاءُ

قال أبو عُبيد : هـذا كقولهم ؛ عليـه الدَّبار ، إذا دعا عليـه أن يُدبر فلا يرجع .

يَكل الناس إلى ماشرطوا ، لا يعنيه أن يدين بما دانوا ، وإنما يعنيه أن ينتهى بهم إلى ما يدين ، ويخوفهم عاقبة محتومة .

٤ (تَهوِى الثُّريّا وَيَبِينُ الصَّفَا مِن قَبْلِ أن يُوجَدَ أهلُ الصَّفَاءْ)

الثّريا ، من الكواكب ، وقد مرّت[1] .

والصفا : جمع صَفاة ، وهى الحجر الصّلد الضّخم لا يُنبت شيئا ؛ وهو أيضا : أحد جبلين مما ببطحاء مكة ، ثانيهما المَروة . ولِينُه ، أى طواعيته للتفتّت .

يعنى أن العالم سوف يُدرك غايته ، ويبلغ نهايته ، دون أن ينضم الوجود على موجود ، يحمل الصفاء قلبه ، ويَعمر بالمودة لُبه .

يُشير إلى ما يسبق يوم القيامة من نُذُر ، وكأنه يلتفت إلى قوله تعالى : (إذا الشمسُ كُوّرت . وإذا النجوم آنكدرت . وإذا الجبال سُيرت)[2] .

فهو يعرف العالم تناكرا وجحودا ، عليهما يحيا وبهما ينتهى .

---

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

(٢) الآيات الأولى من سورة التكوير .

٥ ﴿قَدْ فُقِدَ الصِّدْقُ وَمَاتَ الهُدَى واسْتُحْسِنَ الغَدْرُ وقَلَّ الوَفَاءْ﴾

٦ ﴿واسْتَشْعَرَ العَاقِلُ فى سُقْمِهِ أنّ الرَّدَى مِمّا عَنَاهُ الشِّفَاءْ﴾

الردى : الهلاك والفناء ، يعنى الموت الذى هو حَتْم على كل فرد .

وعناه الأمر يَعنيه : شغله وأهمه . قال الشاعر :

لَا تَلُمْنِى على البُكاءِ خليلِى إنه مَا عناك قِدْمًا عَنانِى

يعنى أن الشفاء — الذى هو الخلاص من أسباب الموت — قد استعصى، فهو قد عنّى الرّدى وأهمّه .

٧ ﴿واعْتَرَفَ الشَّيْخُ بِأَبْنَائِهِ وكُلُّهُمْ يَنْذِرُ مِنْهُ انْتِفَاءْ﴾

الاعتراف، هنا : معنىٌّ به لازمه من واجبات تتبعه ، أدبية ومادية .

والنّذر : أن تُوجب على نفسك شيئا . جعل انتفاءهم من الآباء مما أوجبوه على أنفسهم فلا يَرجعون فيه . يقال : نذَرت أنذُر، بضم العين فى المضارع وكسرها .

وقد يكون من : أَنذر يُنذر ، بمعنى أعلم ، أى إنهم يُظهرون انتفاءهم من آبائهم ولا يُخفونه ، وهو أعقّ العقوق .

٨ ﴿رَبَّهُمُ بالرِّفْقِ حَتَّى إِذَا شَبُّوا عَنَا الوَالِدَ مِنْهُمْ جَفَاءْ﴾

رَبّ الوالد ولده، يَرُبّه رَبّا : رَبّاه . ومثلها : ربّبه تربيبا وتَرِبّة . و«ربّب» أبلغ .

والجفاء : غِلظ الطّبع وتَرك الصلة والبِرّ ، يُمَدّ ويُقصر .

قال الأزهرىّ : « الجفاء » ممدود عند النحويين، وما علمتُ أحدًا أجاز فيه القصر . وفى الحديث : « الحياء من الإيمان . والإيمان فى الجنة . والبذاء من

الجفاء . والجفاء فى النار» . والجفاء يكون فى الخِلقة والخُلق . يقال . جَفوته جَفوة ، مرة واحدة ، وجفاء كثيرا ، مصدر عام .

٩ (والدَّهْرُ يَشْتَفُّ أَخِلَّاءَهُ كأنَّما ذَلِكَ مِنْهُ ٱشْتِفاءْ)

الاشتفاف : التقصّى فى الشُّرب . قال عبد الله بن سَبرة الحُرَشِىّ :

ساقيته الموت حتى اشتفّ آخِره فما آستكان لِما لاقَى ولا ضَرَعا

أى حتى شرب آخر الموت ، و إذا شرب آخره فقد شَربه كله . وفى حديث أُم زَرع : « و إن شَرِب آشتفّ » . أى شرب جميع ما فى الإناء .

و يشتف أخلاءه . أى يأتى عليهم جميعا ، كما يأتى الشارب على ما فى الإناء .

والضمير فى « أخلائه » للشيخ ، ويجوز أن يكون للدهر ، وكأنه على هذا الأخير أراد أن يجعل الأبناء كالدهر غدرا بالأخلاء ، و إمعانا فى الاشتفاء .

والاشتفاء : افتعال من : شفاه الله يشفيه . أصله فى الأجسام ، ونُقل إلى شفاء القلوب والنُّفوس ، وذلك إذ هدأت من غيظ ، وأراحت من حقد .

والمعنى هنا على التوجيهين جائز .

فصل الألف

هـذا الفصل يحتمل وجهين ، أحدهما أن يكون على ما رتبت ، والآخر أن
كون الروى ما قبل الألف وتكون الألف وصلا .

اللزومية الثانية والثلاثون

وقال أيضا فى الألف مع الراء المُمالة :

١ ﴿ أقِيمِى لَا أُعُدُّ الحَـجَّ فَرْضًا عَلى عُجُـزِ النِّسَاء ولا العَذَارَى ﴾

أقيمى ، الخطاب لجنس المرأة . والأمر هنا على بابه . فقد آنعدم الأمن على العِرض، وليس دون المـال والحياة ؛ ومن لم يأمن على نفسه فلا حَجّ عليه .

وحتى مع الأمن فقد آشتُرِط أن يكون مع المرأة زوجها ، أو مُحرم لها ، أو نِسوة يوثق بهن ، آثنتان فأكثر . فالإقامة هنا ، التى هى الأمر بالقعود عن الحج ، مُقيدة ، وليست مطلقة .

والعجز ، بضمتين : جمع العجوز من النساء ؛ ومثله : العُجْز ، بالضم . والعجائز . والعذارى : جمع عذراء ، وهى البِكر لم تُمَس .

٢ ﴿ فَفِى بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَـوْمٍ وَلَيْسُوا بالحُمَـاةِ ولَا الغَيَارَى ﴾

بطحاء مكة : هو مَسِيلها الواسع الذى فيه دِقاق الحَصى ، يُريد مُنبطحاتها . وقريش البطاح ، هم الذين ينزلون أباطحها ؛ وقريش الظواهر ، هم الذين ينزلون ما حول مكة .

والغَيارى ، بفتح أوّله وضمه : جمع غَيران ، وهو الشديد الغَيرة . ومثل الغَيران : غَيور ، والجمع : غُيُر . وآمرأة غَيرى وغَيور ، والجمع كالجمع .

وقال الجـوهرى : آمرأة غَيور ، ونِسـوة غُيُر ؛ وآمرأة غَيْرَى ، ونسـوة غَيـارى .

٣ ﴿ وإنّ رِجَالَ شَيْبَةَ سَادِنِيهَا   إذا رَاحَتْ لِكَعْبَتِهَا الجمَارَى ﴾

شَيبة ، هو ٱبن عثمان بن طَلحة بن عبد الدّار بن قُصىّ الحجبىّ ، نسبة إلى حجابة البيت . وكانت السِّدانة واللِّواء لبنى عبد الدار ، فأقرّهما النبىّ صلى الله عليه وسلم لهم فى الإسـلام .

والسادن : خادم الكعبة ، وبيتِ الأصنام أيضا .

والجمـارى : الجماعات المُحتشدة . ويقال : جاء القوم جمارا ، أى بأجمعهم . وألفه للإطلاق . قال ٱبنُ أحمر يصف إبلا :

وظَل رِعاؤها يَلْقَون منهـا   إذا عُدّت نَظائرَ أو جِمَـارا

أى تعدّ جمـاعة لا مَثْنى مَثْنى .

وقال الشاعر :

ألم تَر أنى لاقيتُ يوماً   معاشرَ فيهم رجلًا جمـارا

يصف رجال شيبة — وهم سدنة الكعبة — فى تجمعهم لشئون الحج .

٤ ﴿ قِيَـامٌ يَدْفَعُونَ الوَفْدَ شَفْعًا   إلَى البَيْتِ الحَرَامِ وهُمْ سُكَارَى ﴾

« قيام » خبر « إن » فى البيت السابق، وهو من التضمين فى الشعر[(١)] .

والشفع : الزوج، خلاف الوِتْر . حال من « الوفد » . أو هو ممـا ناب عن المفعول المطلق .

وهو لا يقصد إلى الزوج بعينه ، وإنمـا يعنى ما زاد على الواحد . يريد أنهم يدفعون الناس فوضَى فى غير نظام .

والشفع أيضا : يوم الأضحى ، عن الأسود بن يزيد . والمعنى يتجه به أيضا .

والشفع كذلك : من الشفاعة ، أى آذنين لهم عن طلب ورجاء .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٧ ص ١٨١ من هذا الجزء .

٥ (إِذَا أَخَذُوا الزَّوَائِفَ أَوْلَجُوهُمْ وَلَوْ كَانُوا الْيَهُودَ أَوِ النَّصَارَى)

الزّوائف : رَدىء الدّراهم . جَعل ما يأخذونه زائفا ، للتقليل من شأنه ، والتهوين من قدره .

وأولجوهم ، أى أجازوهم وأنفذوهم .

٦ (مَتَى آدَاكِ خَيْرٌ فَافْعَلِيهِ وَقُولِي إِنْ دَعَاكِ الْبِرُّ آرَى)

آداك خير ، أى توفّرت لك أسبابُه ، وفاضت بين يديك وسائله . يقال : آداه ماله ، إذا كَثُر عليه فغلبه . وقريب من قول أبى العلاء قولُ الشاعر :

إذا آداكَ مالُك فَامْتَهِنْه لجاديه وإن قَرِعَ المُراحُ (١)

أى فاض عن حاجتك ، وزاد عن مطالبك .

وآرى ، كلمة فارسية ، بمعنى ، نعم ، ومَرحى ، وحقًّا ، وتكون بمعنى « لا » أيضا .

يعود إلى خطاب المرأة ثانية ، وقد آستهل به القصيدة .

وقد جعل الحج مما يثقُل من الخير ، وهى أضعف من أن تؤدّيه ، وهو أشق عليها من أن تقوم به ، ومعه تعريضُها لما لا يليق ، لا سيما والحال كما شرحها ، لا يُؤمَن معها على النساء .

ويريد « بالبر» هنا : خيرا ليس الحج ، ولكنه غيره مما يجزئ عنه ولا يعرِّض لضر . وهو بهذا يتفق وما تحمله كلمة « آرى » من معنى الإيجاب .

كما قد يريد بالبِرّ الحجَّ نفسَه ، وهذا يتفق وما تحمله « آرى » من معنى السلب ، أى إن دعاك داعى الحج ، فلا عليك من أن ترفضى ، لما فيه من تعريض لما لا يُقرّه الشرع .

(١) قرع : خلا . والمراح : حيث تراح الإبل ، يعنى : هلكت ماشيته فخلا مراحها .

٧ (فَلَوْ قَبِلَ الغُوَاةُ عَرَفْتِ كَشْفِي   مِنَ الكَذِبِ المُمَوَّهِ مَا تَوَارَى)

« لو قبل الغواة » ، أى سكت المبطلون عن تشويه الحق وإحقاق الباطل .

وكشفى ، أى ما أُظهر ممـا لا مُواربة فيه ولا مُداهنة .

والتمويه ، التلبيس وإظهار الباطل فى صورة الحق .

و « ما توارى » : أى ما آستتر واختفى . أى عرفت حقى من باطلهم ، ولم يُغَمَّ عليك .

٨ (ولَا تَثِقِي بِمَا صبَغُوا وصَاغوا   فَقَـدْ جاءَتْ خُيُولُهُم تَبَارَى)

الصَّبغ للثياب : تلوينها ، والصياغة للحَـلى : سبكها . يُريد : تغييرهم الكلام وتزويره . تقولُ : فلان يصبغ الكلامَ ويصُوغه ، أى يغيّره ويزوّره . وهو استعارة . وفى الحديث : « أكذب الناس الصباغون والصواغون » .

وقيل : أراد الذين يرتبون الحديث ويصوغون الكذب .

وقيل : أراد الذين يصبغون الكلام ويصوغونه ، أى يغيّرونه ويَخْرصُونه .

وقيل : هم صباغو الثياب وصاغة الحلى ، لأنهم يمطُلون بالمواعيد الكاذبة .

وفى حديث أبى هريرة : « رأى قوما يتعادون فقال : مالهم؟ فقالوا : خَرج الدّجال . فقال : كِذْبة كذبها الصباغون » . أى اختلقها الكذابون .

وعلى رواية : « صنعوا » فهى فى المعنى ؛ إذ الصنع : الخلق .

وتبارى : أى تتبارى . والتبارى : أن يصنع كل واحد مثل ما صنع صاحبه .

يصف سبق الناس إلى البهتان والكذب .

---

(١) ب : « صنعوا » .

٩ ﴿ جَرَتْ زَمَنًا وتَسْكُنُ بَعْدَ حِينٍ وأَقْضِيَةُ المُهَيْمِنِ لا تُجَارَى ﴾

الأَقضية : جمع قضاء، وهو الحُكم . و « لا تُجارى » ، أى لا يُجرَى معها، فمهما جارَوْها فهى غالبتهم على أمرهم ونافذة فيهم .

أى إن هذ الهرج إلى انتهاء، حين ينتهى العالم إلى فناء، فهم والقَضاء فى براء، يظنون عبثا أنهم عليهم أقوياء، وما عرفوا أنهم أعجز عن أن يصمدوا لهذا القضاء .

١٠ ﴿ لَعَلَّ قِرانَ هَـٰذا النَّجْمِ يَثْنِي إلَى طُرُقِ الهُدَى أُمَمًا حَيَارَى ﴾

القِران فى الكواكب : أن يصحب كوكبٌ كوكبًا ويقترن به . وقديما رتَّبت العرب على اقتران النجوم آثارا كثيرة .

جعـل قران النجوم ، وما يلحق ذلك من خصب وجدب، ما يرد النـاس إلى الهدى لو كانوا يعقلون .

١١ ﴿ فَقَدْ أَوْدَى بِهِمْ سَغَبٌ وظِمْءٌ وأَيْنُقُهُمْ بِمَتْلَفَـةٍ حَسَـارَى ﴾

أودى : هلك . وفى حديث ابن عوف :

* وأودى سمعُه إلا ندايا (١) *

وأودى الشىءَ : ذهب به . قال الأسود بن يَعفُر :

أودى ابن جُاهـم عبّادٌ بصِرْمته إن ابن جُاهم أمسى حيةَ الوادِى

وبه العمرُ، أى ذهب به وطال . قال المرار بن سعيد :

وإنمـا لىَ يومٌ لستُ سـابقَه حتى يجىءَ وإن أودى به العمرُ

وبه الموت ونحوه : أهلكه وذهب به .

(١) إلا ندايا، أى : إلا نداء . فأبدل الهمزة ياء، تخفيفا .

وهذا المعنى الأخير هو المراد هنا .

والمتلفة : المَهواة المُشرفة على تَلف .

وحَسارى : قد أعيت وكلّت ، جمع حَسرى ، وهى أيضا جمع حَسير ، للذكر والأنثى .

يصل حديثه فى البيت السابق ، ويلفت الناس إلى هذه العظة التى يجب لهم أن يلقنوها عن قِران الكواكب ، بهذا السغب وذلك الظمأ اللذين ينتهيان بهما إلى هلاك ، وما يعرض لآلهم من تَلف وبَوار .

وحسب المهتدى إن شاء ، هذه المحن القاسية ، والشدائد المؤذية .

والسّغب : الجوع . وقيل : هو الجوع مع التعب . وربما سُمى العطش سَغبا ، وليس بمُستعمل .

والظِّمء : العطش ، الاسم من : ظمئ يظمأ . وهو أيضا مابين الشّربين والوِردين . وقيل : ذلك فى ورود الإبل .

والأينق ، من جموع ناقة ، الياء فيه عِوض من الواو فى « أونُق » فيمن جعلها « أيفلا » . ومن جعلها « أعفلا » فقدّم العين مغيرّة إلى الياء ، جعلها مبدلة من الواو . فالبدل أعمّ تصرفا من العِوض ، إذ كل عِوض بدل ، وليس كل بدل عِوضا .

١٢ ﴿وَمَا أَدْرِى أَمَنْ فَوْقَ المَهَارَى أَلَبُّ إِذَا نَظَرْتُ أَمِ المَهَارَى﴾

المهارى ، مخفّفة الياء ، والمهارِىّ ، والمهارَى ، كُلها جمع مَهرية ، وهى الإبل المنسوبة إلى مَهْرَةَ بن حَيدان ، أبى قبيلة ، وهم حَىّ عظيم .

وألبّ : أعقل ، فعله : لَبّ يَلِب ، بوزن فَرّ يفِرّ .

كأن أبا العلاء يدفعه اليأس من انتفاع الناس بالموعظة ، إلى الشك فيما يملكون من عقل واع ، فيقف منهم موقف الحائر ، لا يدرى أيهما أعقل من صاحبه : أهذا المهر أم راكبه ؟ .

١٣ ﴿ أَتَتْهُمْ دَوْلَةٌ قَهَرَتْ وعَزَّتْ فَباتُوا فِى ضَلَالتِها أُسَارَى ﴾

الدولة ، بالفتح والضم : العُقبة ، فى المال والحرب ، سواء ؛ وقيل : الدولة ، بالضم ، فى المال ؛ والدولة ، بالفتح ، فى الحرب . وقيل : بالضم ، فى الآخرة ؛ وبالفتح ، فى الدنيا .

يريد أنهم أصابوا من دنياهم عزّا وسلطانا فأغواهم هذا وذاك .

وظاهر أنه يريد « بالقوم » : معاشر العلماء ، الذين كثيرا ما ينعى عليهم أبو العلاء .

١٤ ﴿ وظَنُّوا الطُّهْرَ مُتَّصِلًا بقَوْمٍ وأُقسِمُ إنَّهُـمْ غَيْرُ الطَّهَارَى ﴾

طهارى : جمع نادر لطاهر ، كأنهم توهموه جمعا لطَهران ، قال امرؤ القيس :

ثيابُ بنى عَوف طَهارى نقيّـةٌ وأوجُهُهم عند المَشاهد غُرّانُ

والمقيس فى جمع : طاهر : أطهار .

وهذا دأب أبى العلاء فى النعى على العلماء .

١٥ ﴿ وَمَا كَرِيَتْ عُيُونُ النّاسِ جَمْعًا ولَـكِنْ فى دُجُنّتِها تَـكَارَى ﴾

كرِى الرجل يكرى كرى : إذا نام .

والدُّجنة : الظلمة . والضمير فى « دجنتها » للناس ، نظر إلى اللفظ .

وتَكارى، أى تتكارى . والتكارى : التناوم والتغافل، مقيس لم تذكره المعاجم بهذا المعنى، وإنما ذكرت نظيره فى معنى الاستئجار .

يعنى أن الناس لهم عيون ولكن لا يبصرون بها، غَرِق أصحابها فى ظلمة الجهل والغفلة فاستمرؤوها ، وأخلدوا لراحة الغباء فاستطابوها .

١٦ ﴿ لَهُمْ كَلِمٌ تُخَالِفُ ما أَجَنُّوا صُـدُورُهُمْ بِصِحَّتِهِ تَمَـارَى ﴾

الكَلِم : جمع كلمة، ولا يكون أقل من ثلاث كلمات . أما الكلام، فاسم جنس يقع على القليل والكثير .

وأجنوا : ستروا وأخفوا .

وتمارى، أى تتمارى . والتمارى : الشك والكذب .

أى إن لهم ظاهرا يُكذبه باطنهم .

اللزومية الثالثة والثلاثون

وقال أيضا فى الألف مع الراء الممالة :

١ ﴿ إِذَا قِيلَ لَكَ اخْشَ اللّٰـ ـهَ مَوْلَاكَ فقُلْ آرَى ﴾

آرى، بمعنى نعم ، كلمة فارسية . وقد مرت قريبا[1] .

٢ ﴿ كَأَنَّ الأَنْجُمَ السَّـ ـبْعَةَ فى لُعْبَةِ بُقَّارَى ﴾

يريد بـ « الأنجم السبعة » : الكواكب السيارة ، وهى : زُحل، والمشترى، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر . وقد نظمها المقريزى فى بيت واحد ، وهو :

زُحل شَرى مِرّيخه من شَمسه   فتزاهرت بعُطارد الأقمارُ

و «لعبة بقارى» ، يريد لعبة للصبيان، وهى كومة من تراب وحولها خطوط . وقيل : هى أن يأتوا إلى موضع قد خُبِئَ لهم فيه شىء ، فيضربون بأيديهم بلا حَفر يطلبونه .

وقال الجاحظ : هو أن يجمع الصبى يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله ، ثم يقول لصاحبه : اشتهِ فى نفسك . فيُصيب ويخطئ .

وعرّفها « البَطليوسى » فى «الاقتضاب» ، و«ابن سيده» فى « المُخَصص » ، و « البلوىّ » فى « ألف باء» بما يقرب من هذا .

وذكر « الراغب » فى محاضراته أنها جمع تراب يُقطع نصفين ، ويقال : خذ أيهما شئت .

(١) انظر شرح البيت ٦ من اللزومية ٣٢ ص ٢١٠ من هذا الجزء .

وكلهم أجمع على أنها بوزان « السُّمَّيْهى » . إلا أنّ « ابن منظور » استطرد فقال : وجاء بالشقّارى والبُقّارى ، أى الداهية ، أو بالكذب . ذكر ذلك فى مادتى « بقر » و « شقر » ، ولم يعرض للبقارى بجديد معنى ، غير أنه زاد لها التخفيف لغة فيها وفى « الشقارى » .

٣ ﴿ خُـــزَامَى وأَقَاحِىٌّ وصـفْراءُ وشُـــــقَّارَى ﴾

الخُـزامى : نَبت طيب الريح ؛ الواحدة : خُزاماة ، وهى خِيرِىّ البرّ .

وقال أبو حنيفة : هى عُشـبة طويلة العِيدان ، صـغيرة الورق ، حمـراء الزهرة ، طيبة الريح ، لهـا نَور كنَور البنفسج . قال : ولم نجـد من الزهر زهرة أطيب نفحة من نفحة الخزامى ، وأنشد :

لقـد طرقتْ أُمُّ الظّباءِ سَحابَتِى وقد جَنحت للغَور أُخرى الكواكِبِ
بريح خُزامَى طَـلَّة مِن ثِيابِهـا ومن أرِجٍ من جيِّد المِسـك ثاقِب

والأقحوان ، من نبات الرّبيع مُفرَّض الورق دَقيق العيدان ، له نَور أبيض كأنه ثغـر جارية حَدثة السن . وهو القُرّاص عند العرب ، والبابونج والبابونك عند الفرس . وزنه أُفعلانٌ ، الهمزة والنون فيـه زائدتان . واحدته : أُقحوانة . ويجمع على : أقاح . وقد حُكى : قُحْوان ، ولعله على الضرورة .

والصفراء : من نبات السهل والرمل ، وقد تَنبت بالجَلَد .

وقال أبو حنيفة : الصفراء : نبت من العشب ، وهى تسطح على الأرض ، وكأن ورقها ورق الخس ، تأكلها الإبل أكلا شديدا .

والشُّقّارى ، نبتة ذات زُهـيرة شُكيلاء ، وورقها لطيف أغبر . تُشـبه نِبتتها نِبتة القَضب ، وهى تُحمد فى المرعى ، ولا تنبت إلا فى عام خَصيب .

وقال أبو حنيفة : تنبت فى الرمل، ولها ريح ذَفِرة، وتُوجد فى طعم اللبن .

وقيــل : هى نبت له نَور فيــه حمرة ليست بناصــعة ، وحبُّــه يقال له : الخِمخِــم .

وكأن أبا العــلاء شاكل بين ألوان هذه النباتات والنجوم ؛ فزُحل ملحوظ فيه الأحمرار ، والزهرة البياض ، والمشترى الصفرة . جعل الأنجم فى ظهورها واختفائها كالحجارة فى تلك اللعبة تندس فى التراب ويُكشف عنها .

وإن كان ذكر العــدد ، وهو السبعة ، للتقييد لا للتمثيل ، دون التفات إلى العدد ، فقد أفاد قولُ أبى العلاء مَزيدًا فى وصف اللعبة ، وهو أن الحجارة الملعوب بها فيها كان هذا عددها .

كأن أبا العــلاء يَرُد المُتعلقين بالنجوم عبادة إلى عبادة الله ، فهذه لا تعــدو فى حكم العقــل عن أن تكون مخلوقات ضئيلة وإن بدت عظيمة ، إذا قيست إلى الخالق الأعلى لا تبدو شيئا يستأهل التقدير .

٤ ﴿ ومَنْ فَوْقَ الثَّرَى يَصْغُــرُ فى أَجْزاءِ مَنْ وَارَى ﴾

« وارى » ، أى أخفى وستر . يريد أن من احتوتهم الأرض ، وشملهم بطنها ، يُربى على من فوقها . وهل ما ضمت فى بطنها إلا من جنس ما كان فوقها ، استحالوا مع الرماد رمادا ، وقد كانوا أمثالهم عبادا .

٥ ﴿ وأَصْبَحْتُ مَعَ الدُّنْيَــا أُدَارِيهَــا كَمَنْ دَارَى ﴾

داراه : لاينــه ورفَق به ، وأصــله من « دريت الظبى » ، أى احتلت له وختلته حتى تصيده .

٦ ﴿إِذَا بارَأَهَا قَومٌ فَقَلْبِي حُبَّهَا بَارَى﴾

« بارأها قوم » ، أى بَرِئوا إليها وبرئت إليهم، وخلص كل من الطرفين من حقه على الآخر . يقال : برئت إليك من حقك ، إذا أدّيتُه إليك وخلصت منه .

أو لعله من المبارأة ، بمعنى المُفارقة ، تقول : بارأ الرجل شريكه ، وذلك إذا فارقه . وأصله من الأوّل ؛ ومنه : بارأ الرجل المرأة ، والكرى، مبارأة وبِراء ، إذا صالحهما على الفِراق .

و « بارى » إما من المباراة ، بمعنى المجاراة والمسابقة ، أى إنه يعارض الدنيا فى حبها ، وليس إلا حِرصها على أن تضمه إليها ، ويكون المعنى : إذا ساء الناسَ الموتُ فكرهوه وحاولوا الفرار منه ، فإنى مرحب به ساع إليه .

ويجوز أن يكون من « المبارأة » بمعنى المفارقة ، ويكون المعنى : إذا قلاها قوم فإنى قاليها ومُبغِضها .

وعلى الأوّل فالحب منها إليه ، وعلى الثانى فالحب منه إليها .

٧ ﴿وَمَا يَرْهَبُنِى جَارِى إِنْ نَاضَلَ أَوْ جَارَى﴾

يرهبنى ، إمّا من « رَهب » بمعنى خاف ، أو من « أَرهب » بمعنى أخاف .

والمناضلة : المغالبة والمباراة فى الرمى .

والمجاراة : المجادلة والمناظرة .

والمعنى على الأوّل : فليأمن جارى جانبى إذا أراد أن يعزّ ويبزّ ، فإنى زاهد فى الحياة .

وعلى الثانى : فليعلم جارى أنى لا آبه لجبروته وجاهه ، فإنى لا أقيم للدنيا وزنا .

٨ ﴿وَمَا عِرْسِى حَـــوْرَاءُ وَلَا خُــبْزِى حُــوَّارَى﴾

العِرس، بالكسر : الزوج، للذكر والأنثى، والجمع لهما : أعراس . والمُثنّى : عِرْسان، لأن كل واحد منهما عِرس لصاحبه . قال عَلقمة يصف ظَلِيما :

حتى تَلاقَى وقرنُ الشمس مُرتفعٌ أُدحِىَّ عِرسَيْن فيــه البَيضُ مَركومُ

أراد بـ «العرسين» الذكر والأنثى .

والمراد فى بيت أبى العلاء هنا : المرأة .

والحوراء : التى بِعَينَيها حَور، وهو أن يشتدّ بياضُها وسواد سوادها، وتستدير حدقتها، ويرقّ جَفنها، ويَبيضّ ما حولها .

والحُوّارى، من الخُبز والدقيق، الخالص الذى ينقّى من لُباب البُر .

وليس ملزوم النفى فى الجملتين على السواء ، فملزوم الأول ، وهو غير الحوراء، منفىّ أيضا ، فإذا صــدف المرء عن الحسناء فهو بالصُّدوف عن الشوهاء أقدر . ذلك إلى ما عُرف عن أبى العلاء من أنه عاش فى هذا زاهدا .

وأما ملزوم الثانية ، وهو غير الحُوّارى، فثابت، إذ لا حياة لغير طاعم .

اللزومية الرابعة والثلاثون

وقال أيضا فى الألف مع الراء المُمالة .

١ ﴿ سَرَيْنَا وطَالِبُنَا هَاجِعٌ وعِنْدَ الصَّبَاحِ حَمِدْنَا السُّرَى ﴾

السُّرى : سيرُ الليل كُله . سَريت سُرى ومَسرى ، وأسريت ، بمعنى ، وذلك إذا سِرتَ بالليل .

وطالبنا ، أى الموت .

والهاجع : الذى ينام ليلا ؛ هَجَع يهجع هُجُوعا : إذا نام بالليل خاصة ؛ وقيل : إذا نام فى الليل وغيره . وقد يكون الهجوع بغير نوم . قال زُهير بن أبى سُلْمى :

قَفْرٌ هجعتُ بها ولستُ بنائم وذِراعُ مُلقيةِ الجِران وِسَادِى

وعجز بيت أبى العلاء من المثل : « عند الصباح يَحمد القومُ السرى » . يُضرب للرجل يَحتمل المشقة رجاء الراحة .

قال المَيدانى : وأول من قاله خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر وهو باليمامة : أنْ سِر إلى العراق . فأراد سلوك المفازة . فقال له رافع الطائى : قد سلكتُها فى الجاهلية ، هى خمس للإبل الواردة ، ولا أظنك تَقدر عليها ، إلا أن تحمل من الماء . فاشترى مائة شارف فعطّشها ثم سقاها الماء حتى رَويت ، ثم كَتَّبها[1] وكَمّ أفواهها ، ثم سلك المفازة ، حتى إذا مضى يومان وخاف العطش على الناس والخيل ، وخشى أن يذهب ما فى بطون الإبل ، نحر الإبل واستخرج ما فى بطونها من الماء ، فسقى الناس والخيل ومضى . وفى ذلك يقول خالد :

عند الصباح يَحمد القوم السُّرى وتَنجلى عنهم غياباتُ الكَرى

(١) كتبها : صرها .

يشير إلى غفلة الناس فى دنياهم . وجعلها كالليل، بجامع التّعمية فى كل .

وأراد بهجوع الموت : مسالمته الناس و إرخاءه لهم حتى يحين أجلهم .

و يريد بالصباح : انتهاء العمر ، وانجلاء الغفلة ، ووقوع الأجل . وعنده يراح المرء بظهور الحقيقة التى غُيبت عنه ، و يطمئن إلى علم بعد شك .

٢ ﴿ بَنُـو آدَمٍ يَطْلُبُونَ الـــثَّرا ءَ عِنْـدَ الثُّرَيّا وعِنْدَ الثَّرَى ﴾

الثُّرَيّا : نجم ، وقد مرّ (١) .

وأقام « الثريا » و « الثرى » مثلين للكثرة الكثيرة التى تفوت العــد . كما قد يكون أقام الأولى للجــاه والرفعة ، والثانية للعيّن والنّشب .

٣ ﴿ فَـتًى زَارِعٌ وفَـتًى دارِعٌ ِكلَا الرَّجُلَيْنِ غَدا فَامْتَرَى ﴾

الدَّارع : ذو الدِّرع ، على النَّسب ، كما قالوا : لَابِن ، وتامر . فأما قولهم : مُدَرَّع ، فعلى وضع لفظ المفعول موضع لفظ الفاعل .

وهكذا المَجْد دونه كفاح أشبه بكفاح المحاربين .

وأرجع « الدارع » للأولى ، التى هى « الثريا » ، و « الزارع » للثانيــة ، التى هى « الثرى » على التقسيم دون الترتيب .

والأصل فى « الامتراء » : آستخراج الحالب اللبن من الضرع بحيلة وتلطّف . وكذلك الرزق يُعوزه الترفُّق والتدبُّر .

٤ ﴿ فَهذَا بعَيْنٍ وزَايٍ يَرُوحُ وذَاكَ يَؤُوبُ بِضَادٍ وَرَا ﴾

« بعين وزاى » أى عز .

(١) شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

والرّواح : السير بالعشيّ . راحَ يروح رواحا . نقيض : غدا يغـدو غدوًّا . ومثـله « الإياب » على رأى من قال : إنه لا يكون إلا مع الليل . ذلك الأصل فى الفعلين : « الرواح والإياب » .

وأراد أبو العلاء مطلق الرجوع والانصراف عن الشيء .

وأراد « بضاد وراء » أى ضر ، وهكذا عُقبى الساعين ، بين عزّ وضُر .

(وعَامِلُ قُـوتٍ ذَرَا حَبَّـهُ وَخِدْنُ رِكَازٍ ضَحَا فَاذَّرَى) ٥

« عامل قوت » ، أى ساعٍ لمـا يقوته ويُقيم أَوَده .

وذرا الحبّ يَذْروه : نثره . شـبّه بذَرى الريح للتراب ، فـع كليهما البَعثرة والتشتيت .

والخِدن : الذى يكون معك فى كُل أمر ظاهر وباطن .

والرّكاز : كُنوز الأرض من ذهب وفضة . وقيل : هو الدّفين من ذلك .

وخِدن الركاز : المُوّله بالذهب والفِضة المَفتون بجمعهما .

وضحا ، أى برز وظهر . والضمير المستكنّ فيه « للرّكاز » .

واذّرى ، أى تبـدّد وتشتت ، الأصل فيه : ازدرى ، قُلبت « تاء الافتعال » دالا ، وهى تُقلب دالا ، إذا وقعت بعـد دال أو ذال أو زاى . ويجوز فى نحو «اذدكر» قلب الذالِ دالا ، أو الدالْ ذالا ، فتقول : ادّكر ، واذّكر ، ومثلها : اذدرى ؛ ويجوز أيضا : اذّرى .

أى كما يخرج الزارع عما جنى من حب ، لا يكاد يجمعـه حتى يبذره ؛ كذلك لا يلبث هذا الركاز ، بعد الكد فى نبشه والحصول عليه ، أن ينتهبه الإنفاق ويأتى عليـــه .

وهكذا الحياة يخرج منها الفرد صِفر اليدين، لا زَرع ولا مال، ولا قُنية ولا جاه.

٦ ﴿ وَكُورُكَ فَـوْقَ طَوِيلِ المَطَا وَسَرْجُكَ فَوْقَ شَدِيدِ القَرَا ﴾

الكُور، بالضم: الرَّحل، وقيـل: الرَّحل بأداته. والجمـع: أكوار وأكْور. والكثير: كُوران وكُؤور.

والمطا: الظهر. لامتداده.

والسرج: رَحل الدابة.

والقَرى: الظهر. وقيـل: وسطه. وتثنيته: قَريان، وقَروان. والجمـع أقراء، وقِروان. قال الهذلى: يصف الضُّبع:

إذا نفشتْ قِرْوانهـا وتلفّتت أشبَّ بها الشُّعْر الصُّدور القَراهبُ[1]

يريد: الإبل والخيـل. ضربهما مثلين لوسائل السعى فى الحياة. وخصهما بالذكر، لأنهما أبرز ما فى البادية من وسيلتين للحياة.

٧ ﴿ ويُجْـرِى ذَفارِيَها جِدُّهَا بِمِثْـلِ الظَّـلَامِ إذَا مَا جَرَى ﴾

يُجـرى: يُسـيل.

والذّفارى: جمع ذِفرى، وهى العظم الشاخص خلف الأذن. وقيل: هى من لدن المَقذّ إلى نصف القَـذال، من الناس ومن جميـع الدّواب، وهى أوّل ما يعرق من البعير.

وجِدها، أى مُتابعتها السير واجتهادها فيه.

و بـ «مثل الظلام»، أى بعرَق مثل الظلام، وذلك لاختلاطه بالغبار.

(١) القراهب: أولادها.

٨ ﴿ كأنّ بُصَاقَ الدَّبَى فَوْقَهَـا إذا وَقَدَتْ فِي الأُنُوفِ الـبُرَا ﴾

الدبى : الجراد أصغر ما يكون، والنمل . ويضرب المثل ببُصاقه لكل ما دق وضَؤُل، فى كثرة وانتشار .

ووقدت : أى كان لها مِثلَ وقد النار لَسعًا وضُرا .

والبُرى : جمع البُرَة ، وهى الحلقة تكون من صُفر أو غيره ، تُجعل فى لحم أنف البعير .

يشير إلى ما يطفو على جسدها من زَبَد ، وقد حثّها على السير وَقْدُ البُرى فى أنوفها، ثم حر الأنفاس والقيظ، اللذين ذكرهما فى البيت الآتى .

٩ ﴿ وذَلِكَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِهَا يُضَاعِفُـه حَرُّ يَوْمٍ جَرَى ﴾

جرى، أى امتد وانتشر . وقد يكون المراد : جرت فيه وسارت .

وبين كلمة « جرى » هنا و « جرى » السابقة ، إيطاء ، وقد مر شرحه .(1)

وهو هنا جائز على رأى من يبرّره حين يختلف معنى الكلمتين المتفقتين لفظا .

و « يجرى » الأولى، فيها معنى السيلان، وهذه فيها معنى الجرى والسير .

يصف فى هذا البيت والأبيات الثلاثة قبله ، جدّ الإنسان فى الحياة، وتشميره للسعى ، لا ينى ولا يفتر ، لا يعبأ بحر ولا قُر ، ولا يبالى مايقاسى ولا ما يركب من هول .

١٠ ﴿ تَلُومُ عَلَى أُمِّ دَفْرٍ أَخَاكَ وَرَاءَكَ إنّ هَوًى قَدْ وَرَى ﴾

أم دَفر، من أسماء الدواهى . وقيل : هى الدنيا . وبكليهما يتجه المعنى .

و « الوراء » يكون لخلف ولقدام، وقد جاء مقصورا فى الشعر . قال الشاعر:

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية الثامنة ص ٨٧ من هذا الجزء . وكذلك شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٧ ص ١٧٥

تَقاذفــه الرُّوّاد حتى رمَوْا به ورآ طَرفِ الشّامِ البلادَ الأباعدَا

و « وراءك » ، أى تقدّم ، أو تخلّف ، على المعنيين .

ووَرى ، أى اضطرم واشتعل ، من : ورى الزَّنْدُ يرِى ، إذا اتقد .

و إذا كانت « أم دفـر » هى الدنيـا فكأنه يقـول : تلوم على حب الدنيـا أخاك ، فأقبل عليها إقباله ، فقد ولعتَ بها ولَعه .

و إن كانت « أم دفـر » هى الداهيـة ، فكأنه يقول : تلوم على الهلع من الداهية أخاك ، فاجم إحجامه ، فإنّ تعلّقك بالحياة تعلُّقه .

١١(عَهِدْتُكَ تُشْبِهُ سِيدَ الضَّرَاء ولَسْتَ مُشَابِهَ لَيْثَ الشَّرَى)

عهدتك ، أى خَبرتك وعرفتك .

والسيد : الذئب ، وقد يُسمى به الأسد .

والضراء : الشجـر الملتف فى الوادى ؛ وقيـل : ما وراك من أرض فهى الضراء ، وما وراك من شجر فهو الخمَرَ . يُشير إلى المثل : « هو يَدب له الضَّراء ويمشى له الخمَـر » . أى خاتلَه ومكر به وخَدعه . وهذا من طباع الذئاب .

والشرى : موضع بعينه تُنسب إليه الأسد .

جعل الإنسان كالذئب احتيـالا وخداعا ، لا كالأسـد شجاعة و إقـداما . وما يخادع إلا الضعيف ، وما أقدم إلا القوى . وكذلك الإنسان عند أبى العـلاء لا يملك الجرأة قولا وفعلا ، وقد اتصف بالمُداهنة نطقا وعملا .

١٢(تَدِبُّ فإنْ وُجِدتْ خِلْسَةٌ فيا لِلسُّـلَيْكِ أوِ الشَّـنْفَرَى)

الدَّبيب : أن تمشى رُويدا على هِينـة لم تُسرع ، وهكذا يفعـل الخاتل .

والخلسة : النُّهزة والفُرصة .

والسليك ، هو آبن عُمير بن يَثربيّ السعديّ التميمى . والسُّلكة : أمه ، وإليها يُنسب ، فاتكٌ عدّاء ، شاعر جاهليّ .

والشّنفرى ، هو عمرو بن مالك الأزدى ، من خُتّال العرب وعدّائيهم . شاعر جاهليّ يمانى . وهو صاحب لامية العرب ، التى مطلعها :

أقيموا بَنى أُمى صُـدور مطيّـكم ... فإنّى إلى قـوم سواكم لأَمْيَـلُ

و « يا » ، هنا ، للاستغاثة . و « لِلسليك » ، بلام مكسورة ، إذ هو المستغاث لأجله . والمستغاث به محذوف للعموم ، والكلام على إظهـار الأسى والترحُّم ، أى أين منها السليك والشنفرى ! وهما من المعدودين فى هذا الميدان .

١٣ ﴿ هُوَ الشّرُّ قَدْ عَمَّ فِى العَالَمِيـ ... ـنَ أَهْـلَ الوَهُودِ وأَهْـلَ الذُّرَا ﴾

الوهود : جمع وهد ، وهو الهُوّة تكون فى الأرض . جمع مَقِيس فى « فَعْل » ، كقَلب وقُلوب . ولكن المعاجم أهملته .

والذُّرى : جمع ذِروة ، وهى من كُل شىء أعلاه .

١٤ ﴿ لِيَفْـتَنَّ فِى صَمْتِـهِ ناسِـكٌ ... إذا آفْتَنَّ فِيما يَقُولَ الوَرَى ﴾

آفتن ، جاء بالأفانين وتوسّع وتصرف . والورى : الخلق ؛ تقول العـرب : ما أدرى ، أى الورى هو ؟ أى : أىّ الخلق هو ؟ قال ذو الرمة :

وكائنْ ذَعرنا مِن مَهاةٍ ورَامِحٍ ... بلادُ الـورَى ليست له ببـلادِ

وقال آبن جِنى : لا يُستعمل « الورى » إلا فى النفى . والذى سَوغ لذى الرمة آستعماله ، أنه فى معنى المنفىّ ، كأنه قال : ليست بلاد الورى له ببلاد .

و يريد « بالورى » غير الناسكين .

لا يرضى من الناسك صمته ، فهو عنده لون من الرياء ؛ كما لا يرضى من غيره قوله ، فهو منه عنده من الهراء ، فهما بين مُضل وضال ، ومخادع ومخدوع .

١٥ ﴿ فَكَنَّوْا صَبُوحِيَّةَ الشُّرْبِ أُمَّ لَيْلَى ومَكَّةَ أُمَّ القُرَى ﴾

الكنية ، على ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكنى عن الشيء الذى يُستفحش ذِكره ؛ والثانى : أن يكنى الرجل بأسم توقيرا وتعظيما ؛ والثالث : أن تقوم الكنية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يُعرف باسمه . والفعل : كَنَيت ، وكَنوت ، وأكنيت ، وكنّيت .

قال الليث : أهل البصرة يقولون : فلان يُكنى بأبى عبد الله . ويقول غيرهم : فلان يُكنى بعبد الله .

وقال الجوهرى : لا تقل : يكنى بعبد الله .

وقال الفراء : أفصح اللغات أن تقول : كُنِّى أخوك بعمرو . والثانية : كُنِّى أخوك بأبى عمرو . والثالثة : كُنِّى أخوك أبا عمرو .

والصبوحية : نسبة إلى الصَّبوح . وهو ما يُشرب بالغَداة فما دون القائلة ، والتأنيث على إرادة الخمر ، والأعرف فيها التأنيث .

وأم ليلى : من أسماء الخمر . وليلى : النَّشوة . فكأن الخمر أُم النشوة وأَصلها .

وسميت « مكة » أم القرى ، لأنها توسطت الأرض فيما زعموا ؛ وقيل : لأنها قِبلة الناس يَؤُمّونها . وقيل : لأنها كانت أعظم القرى شأنا . وكل مدينة هى أم ما حولها من القُرى .

١٦ ﴿ وقالُوا بَدَا المُشْتَرِى فِى الظَّلاَمِ فيا لَيْتَ شِعْرِىَ ماذَا آشْتَرَى ﴾

« المشترى » : أحد الكواكب السبعة السيارة ؛ قيل : سمى بذلك لحُسنه، كأنه آشترى الحسن لنفسه؛ وقيل : لأنه نجم الشراء والبيع، ودليل الربح والمال .

و « ليت شعرى » ، أى ليت علمى ، أو ليتنى علمت .

وعن الكِسائىّ : ليت شعرى لفلان ما صنع ! وليت شعرى عن فلان ما صنع ! وليت شعرى فلانًا ما صنع ! وفى الحديث : « ليت شعرى ما صَنع فلان ! » ، أى ليت علمى حاضر أو محيط بما صنع ، لحذف الخبر .

وأبو العلاء ضيق بما يُكَنِّى الناس ويُسمون ، تشاؤما وتفاؤلا ، وكراهية ومحبة ، وبغضة وهوى ، يخلعون على هذا ما يحبون من أوصاف يَهْوُونها ، ويسمون هذا بما يخالون من أوهام .

وهو لا يريد هذه الأشياء الثلاثة التى ذكرها بعينها ، وإنما ساقها تمثيلا ، فما أعقبت الخمر « ليلى » فتُكنى بها ، ولا كانت مكة عنده من القرى الكبيرة فتكون للقُرى أما ، ولا كان المشترى صاحب شراء كما يزعمون فيستحق هذا الاسم .

وما غابت عن أبى العلاء العللُ التى اتصلت بهذه وغيرها ، لنُكت تصريحية أو تلميحية ، ولكنه بَرِمٌ بالعالم وعَبثه فيما لا طائل تحته ، راغب لو كان هذا التفكير فى غيره مما وراءه طائل .

١٧ ﴿ وتَرْجُو الرَّبَاحَ وأَيْنَ الرَّبَاحُ ونَعْتُكَ فِى نَفْسِكَ الخَيْسَرَى ﴾

الرَّباح والرِّبح والرَّبح : النماء فى التجارة . والعرب تقول للرجل ، إذا دخل فى التجارة : بالرَّباح والسماح .

والخَيسرى : الخاسر، وهو الذى ذهب ماله ، اليـاء فيه زائدة . وفى بعض الأسجاع : بِفيه البُرى ، وحُمّى خيبرى ، وشرّ ما يُرى ، فإنه خَيسرى .

وهى أيضا بمعنى الضلال والهلاك ، كالخَسار والخَسارة .

و « نعتك فى نفسك ... » أى إن الخسار من ديدنك . وظاهر أنه يشير إلى الآية الكريمة : (والعصر إن الإنسان لفى خُسر)[١] .

يصف سِر تعلُّق النـاس بهذه الكنى وتلك الأسمـاء ، وأنه وهم من الوهم ، وخيال من الخيال .

١٨ ﴿ عَـذِيرِىَ مِن مَارِدٍ فاجِرٍ تَقَـرَّأَ والمُخْـزِيَاتِ ٱفْتَرَى ﴾

العـذير : النصير والعاذر ؛ يقال : عذيرك من فلان ، بالنصب ، أى هات من يعذرك . وعذيرى من فلان، أى من يَعـذرنى ، فعيل بمعنى فاعل . ونصبه على إضمار : هلمَّ معذرتك إياى ، أو معذرتى إياك .

والمـارد : العاتى الشديد . وقيـل : الذى بلغ الغاية التى تُخرجه من جملة ما عليه صِنفه .

وتقرّأ : تنسّك وتفقّه .

يعود إلى النعى على هؤلاء الذين تظاهروا بالنسك، وانطووا على الفجور .

١٩ ﴿ فَهَوِّنْ عَلَيْـكَ لِقاءَ المَنُونِ وقُلْ حِينَ تُطْرِقُ أطْرِقْ كَرَا ﴾

المنون : الموت، لأنه يَمُن كل شىء، أى يُضعفه وينقصه ويقطعه، يذكّر ويؤنث ؛ فمن أنث حمل على المنية ، ومن ذكر حمل على الموت .

(١) الآية الأولى من سورة العصر .

والإطراق : الاسترخاء فى الجفون .

وقيل : هو السكوت عامة .

يريد به على الحالين غمضة الموت وصمته .

والكرا : الكروان نفسه . وقيل : هو الذكر ، والأنثى : كروانة .

ويقال : أطرق كرا ، إنك لن ترى . يصيدونه بهذه الكلمة ، فإذا سمعها يلبد فى الأرض فيلقَى عليه ثوب فيُصاد . ويشير إلى المثل : « أطرق كرا ، إن النعام فى القُرى » . يُضرب للمُعجب بنفسه ، كما يقال : فُضَّ الطرف .

وقال أحمد بن عبيد : يُضرب للرجل الحقير إذا تكلم فى الموضع الذى لا يشبهه ، فيقال له : اسكت يا حقير ، فإن الأجلاء أولى بهذا الكلام منك . ويشبه الكروان بالذليل ، والنعام بالأعزة .

ومعنى « أطرق » أى غُض ما دام عزيز ، فإياك أن تنطق أيها الذليل .

وقيل : يُضرب مثلا للرجل يخدع بكلام يلطّف له ويراد به الغائلة .

وقيل : يضرب للرجل يُتكلم عنده بكلام فيظنّ أنه هو المراد بالكلام . أى اسكت فإنى أريد من هو أنبل منك وأرفع منزلة .

يذكّر أبو العلاء الإنسان بمصيره ، أو ينصح له بالاستسلام والإذعان لقضاء محتوم لامرد له ، ولا حيلة له فى دفعه .

٢٠ (وَنَادٍ إِذَا أَوعَدَتْكَ اعْتَرِى فَصَبْرًا على الحُكْمِ لَمَّا اعْتَرَى)

الوعد ، فى الخير والشر .

وقال ابن سيده : فى الخير : الوعد ، والعدة ، وفى الشر : الإيعاد ، والوعيد . فإذا قالوا : أوعدته بالشر ، أثبتوا الألف مع الباء . وأنشد لبعض الرجّاز :

أوعدنى بالسِّجن والأَداهِم رِجْلى ورِجْلى شَثْنة المَناسِم

أى أوعدنى بالسجن ورجلى بالأداهم .

وقال الأزهرىّ : كلام العرب : وعدت الرجل خيرا ، ووعدته شرا ، وأوعدته خيرا ، وأوعدته شرا ؛ فإذا لم يذكروا الخير ، قالوا : وعدته ، ولم يدخلوا الباء ، وإذا لم يذكروا الشر ، قالوا : أوعدته ، ولم يسقطوا الألف . وإذا أدخلوا الباء لم يكن إلا فى الشر .

وٱعتِرِى ، إمّا أن يكون أمرا ، من « ٱعترى » « يَعترى » بمعنى : غَشِى وأصاب ، أى أَلِمّى بى فإنى لا أخافك .

وإمّا أن يكون « من عَتر الرمح يعتر » إذا اشتد وٱضطرب وٱهتز ، وذلك حين الهياج والصولة ، أى توعّدى ولوّحى ، فإنى لا أباليك .

وإمّا أن يكون من « العتر » الذى هو الذبح ، أى أجهزى علىّ إن شئت ، فما لى رغبة فى البقاء .

أى كن جلدا على احتمال ما قُدر ، وعلى ما لا يُفيد له الهلع منه ؛ إلا أن تكون من الجبناء .

٢١ (وَنَفْسِي تُرَجِّى كإحْدَى النُّفُوسِ وتُذْرِى النَّوائِبُ سَكْنَ الذُّرَى)

رجّى : توقع وأمل . قال بشر يخاطب ٱبنته :

فرجّى الخير وٱنتظرى إيابى إذا ما القارظُ العَنَزِىّ آبا[1]

والازدراء ، فى الأصل : الإلقاء والطّرح . قال ٱبنُ أحمر يصف الريح :

---

(١) القارظ : الذى يجمع القرظ ويجتنيه . والقرظ شجر يدبغ به . وكان رجلان من عنزة خرجا يجتنيان القرظ فلم يؤوبا ، فضرب بهما المثل .

لها مُنخل تُذرِى إذا عصفتْ به أهابِيَّ سَفْسَافٍ من التُّربِ تَوْأَمِ[1]

أى تسقط وتطرح، إذ المُنخل لا يرفع شيئا إنما يُسقِط ما دقّ ويمسك ما جل.

ومنه : أذرت الدابة راكبها، إذا صرعته، والعينُ الدمعَ، إذا صبّته .

جعل عصف النـوائب بالأجسام إذراء ، إذ مصيرها بعـد الموت إلى تراب تذروه الرياح .

والسَّكْن ، بالفتح : جمع ساكن ، كصَحْب وصاحب .

والذُّرى : جمع ذِروة، وهى من كُل شىء أعلاه .

ويريد « بسكن الذرى » الملوك والرؤساء ومن فى منزلتهم، الذين يحلون الدرجات الرفيعـة والمرتبات المنيعـة . وخصهم بالذكر — والموت لا تفرقة بين يديه — لأن الأحداث فى ساحتهم أبلغ عبرة، وأعمق موعظة .

يعنى أن نفسـه كغيرها من النفوس تأمل وترجو، وهى كلها مع هـذا الرجاء فى غفلة عما خبأته لها النوائب من فناء ، تستحيل معه إلى تراب تطؤه الأقدام .

٢٢ ﴿ وكَمْ نَزَلَ القَيْلُ عن مِنْـبَرٍ فَعَادَ إلى عُنْصُرٍ فِى الثَّرَى ﴾

القيـل : الملك من مُلوك حِمْير يتقيّل مَن قبله من مُلوكهم ، أى يُشبهه . والجمع : أقيال وقُيول .

وقال ثعلب : الأقيال : المُـلوك ، من غير أن يَخُص بها ملوك حِمير .

ويريد « بالمنبر» : العرش .

وعنصر ، أى العناصر التى منها مادّتها ، إذ يستحيل كل عنصر إلى عنصره .

(١) الأهابى : ما سطع من التراب .

٢٣ (وأخرِجَ عن مُلْكِهِ عَارِيًا وَخَلَّفَ مَمْلَكَةً بالعَـــرَا)

العراء ، بالمـدّ وقُصِر للشعر : الأرض المستوية المُصحِرة ، ليس بهـا شجر ولا جبال ولا آكام ، وهى فضاء الأرض . أما « العراء » الذى أصله القصر ، فهو الناحية ، وليس مُرادًا هنا .

٢٤ (إذَا الضَّيفُ جَاءَكَ فَابْسِمْ لَهُ وقَرِّبْ إلَيْــهِ وَشِيكَ القِرَى)

البَسم : أقل الضحك . قال الليث : بَسم يبسِم ، إذا فتح شفتيه كالمُكاشر .

والوشيك : السريع .

والقِرى : الضيافة . قَرى الضيف قِرى وقِراء : أضافه .

٢٥ (ولَا تَحْقِرِ المُزدَرَى فى العُيُونِ فكَمْ تَقَعَ الهَــيِّنُ المُزْدَرَى)

٢٦ (ولَا تَحْمِلِ البُزُلُ تِلْكَ الوُسُو قَ إلَّا بأزْرَارِها والعُـــرَا)

البزل ، بضمتين وسكن للشعر : جمع بَزول ، وهو كالبازل : البعير فَطر نابُه ، أى انشق ، وذلك فى السنة التاسعة ، وربما بَزَل فى السنة الثامنة .

والوُسوق : جمع وَسق ، وهو العِدل ، وقيل : العِدلان . وقيل : هو الحِمل عامة .

قال الخليل : الوسق ، حِمل البعير ، والوِقر ، حِمل البغل أو الحمار .

والأزرار ، واحدها زِر ، وهو ماتُشد به الأستار والقُمصان ونحوها .

والعُروة . مدخل الزر .

يوصى أبو العلاء ، فى هذا البيت والبيتين قبله ، ببسط الوجه للضيف ، وهذا أول الإكرام ، ثم بسط الطعام له دون تريث ولا إبطاء ، فما تدرى لعل فى تأخير الزاد عنه مايضر به معنى وحسا .

وهو لا يرضى للنـاس أن يفرّقوا فى ذلك بين رفيـع ووضيع ، يخصون اولها بالتأهيل ، ويَضنون على ثانيهما بالقليل ، فرب من تزدريه وتستهين به ، يكون لك فى حياتك ذا شأن وخطر . ثم إن الحياة كما تقوم على الخطير تقـوم على الصغير ، لا يُغنى هذا عن ذاك ، كما هى الحال فى تلك الوسوق الجليلة لا تنضبط ولا تستقيم حالها إلا بتلك الأزرار وهذه العُرى ، وهى ماهى هوانا وضآلة .

٢٧ ﴿ أَجَـلْ خَـزَرَتْنِي وَثَّابَةٌ سِـوَاهَا الَّتِي مَشَتِ الخَيْزَرَى ﴾

أجل ، بمعنى : نعم . قال الأخفش : إلا أنه أحسن من « نعم » فى التصديق ، و « نعم » أحسن منه فى الاستفهام . و « أجل » تصديق لخبر يُخبرك به صاحبك ، فيقول : فَعَـل ذلك . فتصدقه بقـولك له : أجل . وأما « نعم » فهو جواب المستفهم بكلام لا تجحد فيـه ، تقول له : هـل صليت ؟ فيقول : نعم . فهـو جواب المستفهم .

الخزر : النَّظر بلحاظ العين ومُؤخرها ، يكون خِلقة و يكون تَداهياً .

والوثب : الطفر . والوثّابة ، مُبالغة منـه . يريد بها الدنيـا الكثيرة النَّزوان والعدوان ، مع مباغتة ومفاجأة .

والخَـيْزرى : مِشية فيها ظَلع وتفكُّك وتبختر ، ومثلها الخوزرى ، والخيزلى ، والخوزلى ، قال عُروة بن الوَرد :

والناشئات المـاشيات الخَيْزرى كعُنـق الآرامِ أوفَى أوْ صَرى (١)

أى غير الحياة هى التى لها أن تختال وتتيـه ، لو لم نسلم أنفسنا لها ونتيّم بها .

ولكن أنّى لنـا أن نردها إلى غير ذلك ، ونحن لم نستطع أن نرد أنفسنا عن التعلق بهـا .

(١) أوفى : أشرف . وصرى : رفع رأسه .

٢٨ ﴿ فإنّ سَرَاءَ اللّيَالِي رَمَى أَوَانَ شَبِيبَتِنَا فَآنْسَرَى ﴾

« السراة » : جمع سُروة ، بالضم والكسر ، وهى السهم الصغير القصير ، وقيل : هى سَهم عريض النّصل طويله .

وقال أبو حنيفة : السروة : نصل كأنه مِخْيط أو مِسلة . وتجمع أيضا على « سُرى » بضم السين وكسرها . قال النّمِر بن تَولب :

وقد رمى بُسراه اليومَ مُعتمدا في المَنكبين وفى الساقين والرَّقَبَه

والأوان ، بالفتح والكسر : الحِين والزمان ، ولم يُعَلّ « الإوان » لأنه ليس بمصدر .

والشبيبة : الاسم من : شب يَشُب ، وهو خلاف الشيب .

وآنسرى ، انكشف وانتُزِع ، يقال : سرى الثوب ، إذا نزعه وكشفه ، فانسرى . والضمير فيه لزمن الشبيبة ، أى ولّى هذا الشباب ومضى .

٢٩ ﴿ وَنَوْمِي مَوْتٌ قَرِيبُ النُّشُورِ وَمَوْتِيَ نَوْمٌ طَوِيلُ الكَرَى ﴾

النشور : البعث بعد الموت .

والكَرى : النوم والنُّعاس .

جعل النوم موتا واليقظة نشورا ، حملا للفرع على الأصل ، لتهويله ؛ ثم عاد فجعل الموت نوما ، حملًا للأصل على الفرع ، لتقريبه إلى الذهن وتيسير تصوّره .

٣٠ ﴿ نُؤَمِّلُ خَالِقَنَا إِنّنَا صَرِينَا لِنَشْرَبَ ذاكَ الصَّرَى ﴾

صرِينا : آجتمعنا ، أى وُجدنا فى الحياة . ويقال فيه : صَرَى ، والأصل : « صَرِى » فقلبت الياء ألفا ، كما يقال : « بَقَى » فى « بَقِى » .

والصَّرى : ما بقى من اللبن فتغيّر وفَسد طَعمه . يريد به الموت الكَريه المَعيف . أو لعله شبه الموت به ، فى أن كُلا منهما شىء لا يُؤبه له . وهو بإشارته الأولى أوفق .

كما قد يُراد بـ « بالصرى » أيضا كَدر الحياة ومَرارتها .

يفزع إلى الله أن يخلصه من وجودٍ كَدِر ، لا حيلةَ له فى دفع أكداره . هذا على المعنى الثانى .

وعلى الأوّل : ففزعه إلى الله يصحبه الرجاء فى الانتهاء إلى هذا المقدّر المحتوم .

٣١ ﴿ سَــوَاءٌ عَلَىَّ إِذَا مَا هَلَكْتُ   مَنْ شَادَ مَكْرُمَتِى أَوْ زَرَى ﴾

« شاد مكرمتى » أى أشاعها ، وعرّف بها ، وشَهَّر ، وَرفعها ، والأصل فيه للبناء . يقال : شاد البناء ، وأشاده ، وشيّده ، إذا أحكمه ورَفعه . ومن المجاز : أشاد ذِكره ، وبذِكره ، إذا أشاعه . يقال فى الخير والشر ، والمدح والذم . وأفرد به الجوهرى : الخير . فقال : أشاد بذكره ، أى رفع من قدره . من « أشدت » البنيان ، فهو مشاد ، إذا طوّلته .

خصوا بذلك الخروج المجازى « أشاد » دون نظيريها : « شاد » و « شيد » ، والمجوّز واحد . وما ها هنا من مستعمل أبى العلاء .

و « أزرى » : عاب وعنّف ، يعنى : أو زارها علىّ ، والمعنى : عابنى بها وعنّفنى عليها .

لا يأبه أبو العلاء بعد الموت ما يكون ، من مدح مادح ، أو ذم ذام ، فهذا شىء يعيش عليه الأحياء ، ولا ينتفع به الأموات .

٣٢ ﴿ فَأَوْدَى[(١)] فُلَانٌ بِسُقْمٍ أَضَرّ وأَوْدَى فُلَانٌ بِعِـرْقٍ ضَرِى ﴾
٣٣ ﴿ أَبِالنَّبْــلِ أَدْرِكَ أَمْ بالرِّمَا حِ بَيْنَ أَسِنَّتِهـا والسُّرَى ﴾

أودى : هلك ، فهو مُودٍ .

وعلى الرواية الثانية « وأدوى » . فأدوى ، أى مرض ، والمسموع من معانى هذه الصيغة : أدوى الرجل ، إذا صَحِب مريضا . وأدوى غيرَه ، إذا أمرضه .

وضَرا العِرق ، إذا نزا منه الدمُ واْهتز ونَعر بالدم .

والسُّرى ، بالضم والكسر : جمع سُروة ، بالضم والكسر أيضا . وهى أدق ما يكون من نِصال السهام .

يشير أبو العلاء إلى اختلاف المَصارع ، وقد ساق منها شيئا على سبيل التمثيل .

وهو ينكر على الناس أن يُشغلوا بهذه الأسباب يفكرون فيها ، والمصير محتوم ، لا يغنى معه التفكير فى العلل ، التى إن تخلّف منها شىء جدّ مكانه شىء ، ثم هو إن صح فى وهمهم أن تتخلف جملة ، فلن يتخلف ما هو مقدور عليهم من موت لا دافع له .

٣٤ ﴿ فَهَلْ قَامَ مِن جَدَثٍ مَيِّتٍ فَيُخْبِرَ عَنْ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَى ﴾
٣٥ ﴿ ولَوْ هَبَّ صَــدَّقَهُ مَعْشَرٌ وقالَ أُنَاسٌ طَـغَى وٱفْــتَرَى ﴾

الجدث : القبر . والجمع : أجداث . وقد قالوا : جَدف ، فالفاء بدل الثاء ؛ لأنهم قد أجمعوا فى الجمع على أجداث ، ولم يقولوا : أجداف .

و« مرى » أصله مرأى ، فخفف الهمزة بعد أن ألقى حركتها على الساكن الصحيح قبلها ، فاجتمعت ألفان ، فحذف إحداهما لالتقاء الساكنين . ومثله قول الحادرة :

(١) ب : « أدوى » .

* بمرًى هناك من الحياة ومَسمع *

يجعل أبو العلاء بينه وبين الناس هذا القائم من قبره بعد موت — وأنّى له به — فهو سوف يُنبىء عن واقع، ويُخبر عن ملموس . وأبو العلاء إن ظفر به على استحالته، فلن يملك به حجة عليهم، وسوف يجدهم بين مكذب ومصدّق .

٣٦ (ولَمْ يَقْرِ فِي الحَوْضِ رَاعِي السَّوَا م إلّا لِيُورِدَهُ مَا قَرَى)

قرى الماء فى الحوض، يَقريه قَريا وقِرى : جمعه . وحذف المفعول، وهو الماء، للعلم به .

والسوام والسائمة، بمعنى المال الراعى . وقيل : هو كل ما رَعى من المال فى الفلوات، إذا خُلّى وسَوْمه يرعى حيث شاء .

والهاء فى « يورده » للحوض . وما حوى من ماء، مفعول أوّل . و « ما » مفعول ثانٍ، يعنى الذى جمع من الإبل .

٣٧ (أفِرُّ ومَا فَرَأٌ نافِرٌ بمُعْتَصِمٍ مِن قَضَاءٍ فَرَى)

الفرأ، مهموز مقصور، ويمدّ : حِمار الوحش . وقيل : الفتىّ منها . وفى المثل : « كل الصيد فى جوف الفرا » لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحِمار .

ضرب به مثلا لكل قوى شديد مختال .

والفَرى، فى الأصل : القطع والشق . واختُلِف، هل هو للتقدير والإصلاح، أم للإفساد ؛ فقال أهل اللغة : « فَرى » للإفساد، و « أفرى » للإصلاح . تقول : فرى، إذا شق وأفسد . وأفراه : أصلحه، أو أمر بإصلاحه، كأنه دفع عنه ما لحقه من آفة الفرى وخلله .

وقيل : أفراه : شقه وأفسده وقطعه . فإذا أردت أنه قدّره وقطعه للإصلاح، قلت : فراه . ومعنى أبي العلاء من الأول؛ لأن الموت مُبِيد مُبير .

٣٨ ﴿ أَحِنُّ إلى أَمَلٍ فَاتَنِي وَمَا للشَّبُوبِ وعَيْشِ الفَرَا ﴾

الشُبوب والشَّبيب : المُسِنّ من ثيران الوحش الذى انتهى إسنانُهُ ؛ أو هو الذى انتهى شبابا . وقيل : هو الذى انتهى تمامه وذكاؤه . والأنثى ، شبوب ، بغير هاء .

وقال أبو عمرو : القرهب : المُسِنّ من الثيران؛ والشبوب : الشاب . وليس بيت أبي العلاء عليه .

والفرا : الفرأ، وهو الحمار الوحشىّ، وسهل للشعر . وقد مرّ [1] .

يعجب أبو العلاء أن يدرك المُسن الذى فاته الشباب ، ما يظفر به الفتىّ القوى ، وأنّى لما فات أن يعود .

٣٩ ﴿ مَتَى قَرْقَرَ الهَاتِفُ العِكْرِمِىُّ هَيَّجَ شَوْقًا إلَى قَرْقَرَى ﴾

القرقرة : من أصوات الحمام . والهُتاف، للحمام أيضا، هتفت الحمامة تهتف .

والعِكرمىّ : نسبة إلى « العِكرمة » بالتعريف ، وهى الحمامة الأنثى . وقيل : هى الأنثى من الطير الذى يقال له : ساق حر .

وقرقرى : أرض باليمامة .

ويشير بالبيت إلى حديث يحيى بن طالب الحنفى ، أحد بنى ذُهل بن الدُّئل ابن حنيفة . وكانت له ضيعة باليمامة يقال لها : البرّة العُليا ، وكان يشترى غلّات

(١) انظر شرح البيت ٣٧ من هذه اللزومية ص ٢٢٢ من هذا الجزء .

السلطان بقرقرى ، وكان عظيم التجارة وكان سخيًّا . فأصاب الناسَ جدب . فجلا أهل البادية فنزلوا قَرقرى . ففرّق يحيى بن طالب فيهم الغَلات . فباع عامل السلطان أملاكه ، وعزّمه الدّين فهرب إلى العراق ، وكان فصيحا . وله فى الحنين إلى قرقرى شعر منه :

أحقًّا عبـاد الله أن لستُ ناظرا إلى قَرقرى يومًا وأعلامِها الغُـبرِ

ومن آخر :

ألا هل إلى شَمّ الخُزامى ونَظْرة إلى قَرقرى قبـل المـات سبيلُ

ويقال إنه غُنِّى بهذه الأبيات عند الرشيد، فسأل عن قائلها، فأخبر . فأمر برده وقضاء دينه ، فسئل عنه ، فقيل : إنه مات قبل ذلك بشهر .

٤٠ (وقد يَفْسُدُ الفكرُ فى حَالة فيُوهِمُكَ الذَّر[1] قَطْر السُّرَى)

الوهم : أن تذهب إلى الشيء وأنت تريد غيره، وَهم فى الشيء يهِم، وأوهمت غيرك إيهاما . وقد ضمّن الفعل معنى « ظنّ » التى للرجحان ، فعدّاه تعديته .

والذرّ : صغار النمل ، واحدته ذرّة .

والقطر ، بالفتح : المصدر من : قطر الإبل يقطرها ؛ أو هو بضمتين وسكن للشعر ؛ ويكون على هذه جمعا لقِطار الإبل . وأكثر ما تسير الإبل بالليل .

والسرى : السيرُ بالليـل . يريد مَقطور الإبل ، أو قُطارها التى تسرى ليلا . وكذلك النمل يسرى فى قِطار . قال أبو النجم :

* وأقبل النمـــل قِطارا تَنقله *

يريد أن الفكرَ الفاسد قد يصوّر لك الصغير كبيرا .

(١) ب : « الدر » بالدال المهملة .

٤١ ﴿ سَـقَاكَ المُـنَى فتَمَنَّيْتَهـا وصَاغَ لكَ الطَّيْفَ حتى انْبَرَى ﴾

« سقاك » هنا ، بمعنى جعل لك ماء . قال سيبويه : سقاه وأسقاه : جعل له ماء ؛ فسوّى بين « فعلت » و « أفعلت » . وأن « أفعلت » غير منقولة من « فعلت » لضربٍ من المعانى .

وقال غيره : « سَقاه » ، بالشَّفة ، و « أسقاه » : دلَّه على موضع المـاء .

وسقاك المنى ، أى جعل لك الفكرُ الفاسد المُنَى وِردا مورودا .

والطيف : الخيال الذى يُلِمّ مع النوم .

والصوغ : السبك . ويريد « بصوغ الطيف » : تجسيمه وإبرازه مُحسًّا ملموسا بعد أن كان خيالا متوهما . وانبرى : عرض وبدا .

٤٢ ﴿ فَـلَا تَدْنُ مِن جَاهِلٍ آهِلٍ لَوِ انْتُزِعَتْ خَمْسُـه مَادَرَى ﴾

الآهل : الذى له زوجة وعِيال . وفى الحديث : « إن النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الآهِل حظين والعزب حظا » .

وخمسـه ، أى خمس أصابعه . يعنى خمسا وخمسا ، من كلتا يديه . وخص الأصابع لأنها وسيلة التناول ، وبفقدانها لا تغنى اليدان .

٤٣ ﴿ أَبَى سَـيْفُه قَتْـلَ أَعْدائِه وسَـافَ وَلِيـدَتَه أَوْ هَرَى ﴾

سافه : ضربه بالسيف .

وأقام « الوليدة » مثلًا لأعز ما يُحبه الإنسان ويَدفع عنه .

وخص الجاهل الآهل ولم يحمله على عمومه ، لأن التأهل عنده أبلغ الجهل .

أو كأن التركيب على القلب ، وتوجيهه : « من آهل جاهل » . جعل التأهل جهلا وقلة بصر .

وعلى التوجيهين فهو ينطق عما يدين به، ونزع إليه فى حياته .

ولقد جعله من الغفلة والجود بمكان بعيد ، حيث جعل انتزاع أصابعه لا يحركه ولا يثيره .

ثم جعله من الجبن والنزق ، بمكان بعيد أيضا ، حين وصفه بصرف أذاه عمن يستحق من عدو وخصم، وصبه على من تجب عليه رحمتهم .

وهراه يهروه : ضربه بالهراوة . وهريته ، لغة فيها .

٤٤ ﴿ وتَخْتَلِفُ الإنْسُ فِي شَأْنِها   وأَبْعِدْ بِمَنْ بَاعَ مِمَّنْ شَرَى ﴾

الإنس : جماعة الناس، والجمع : أناس . والأَنَس، بفتحتين، لغة فيه .

والضمير فى « شأنها » للحياة، وإن لم يجر لها ذكر صريح، فالحديث عنها .

و « أبعد » : إحدى صيغتى التعجب، وضع فيها الماضى على صورة الأمر . والباء بعدها مزيدة على الفاعل .

و « شرى » للشراء والبيع . وهى هنا للأوّل . ويقول الفراء : وللعرب فى « شروا واشتروا » مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون : شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا . وربما جعلوهما بمعنى : باعوا .

جعل الزاهد فى الدنيا بمنزلة البائع ، والمقبل عليها بمنزلة الشارى ، وما أبعد ما بينهما .

وأبو العلاء بعد ما ساق رأيه فى الآهل ، ينثنى يعيب على الراغبين فى الدنيا رغبتهم، ويهونها عليهم .

٤٥ ﴿ مُغَنِّيَـــةٌ أُعْطِيتْ مُرْغِبًا فَغَنَّتْ ونائِحَـــةٌ تُكْتَرَى ﴾

المرغب : من أرغبنى فى الشىء ، إذا أعطانى ما أرغب فيه وأطمع . والاكتراء : الاستئجار .

٤٦ ﴿ وَهَاوٍ لِيُخْرِجَ مَاءَ القَلِيبِ وَرَاقٍ لِيَجْـــنِيَ ثَوْلًا أَرَى ﴾

الهاوى : المهبط ، فعله : هوى يهوى .

والقليب : البئر ما كانت ، وقيل : قبل أن تُطوى ، فإذا طويت ، فهى الطوىّ . تذكّر وتؤنّث . والجمع : أقلبة ؛ والكثير : قُلُب . وقيل : قُلُب ، فى لغة من أنّث ؛ وأقلبة ، وقُلُب ، جميعا فى لغة من ذكر .

وراقٍ : من رَقِى يرقى ، إذا صعد .

والثول : جماعة النحل ، لا واحد لها من لفظها .

وأرت النحل تأرى أريا : عملت العسل .

٤٧ ﴿ فإِنْ نَالَ شُهْـــدًا فَأَيسَرِيهِ عَلَى أَنَّهُ بِسُـــقُوطٍ حَـــرَى ﴾

الشهد ، بالفتح والضم : العسل ما دام لم يُعصر من شمعه ؛ واحدته : شهدة ، بالفتح والضم أيضا ، ويكسر على الشهاد .

وحَرَى : خليق ، ومثـله حرٍ ، وحرِىّ . فمن قال : « حَرًى » لم يغيره عن لفظه ، فيما زاد على الواحد ، وسوّى بين الجنسين ، أعنى المذكر والمؤنث ، لأنه مصدر . قال الشاعر :

وهنّ حَرًى ألّا يثبنك نَقْــرةً وأنت حَرًى بالنار حين تُثيبُ

ومن قال : حَرٍ وحرِىّ ، ثنّى وجمع وأنّث .

يقصد فى هــذا البيت ، والبيتين قبله ، إلى التهوين من شأن هؤلاء الراغبين فى الدنيا ، بمــا يسوق من أصناف لهم ، وضروب من السعى يأتونها متباينة : من غناء مجتلب ، ونوح مشترى ، وضرب فى الأرض بين هبوط و إصعاد ، يفرح ساعيهم بما يصيب ، ولا يذكر ما إليه سيؤول ، هزل أشبه بالجد ، وعبث ليس فيه رأى .

٤٨ ﴿ تَزُولُ كَمَا زَالَ أجــدَادُنَا وَيَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَا تَرَى ﴾

الزوال : الذهاب والاستحالة والاضمحلال . زال يزول ، زَوالا ، وزَوِيلا ، وزُؤولا .

٤٩ ﴿ نَهَارٌ يُضِيءُ وَلَيْــلٌ يَجِيءُ وَنَجْمٌ يَغُــــورُ وَنَجْمٌ يُرَى ﴾

يغور : يغرب . غِيارا ، وغُؤورا . وغَوَّر يغوِّر ، مثله .

يذكِّر النــاس فى هــذا البيت والذى قبله بعناء كُتب عليهم ، وزمان به يبقى كما هو لا يحول وهم حائلون .

اللزومية الخامسة والثلاثون

وقال أيضا فى الألف والنون ، على رأى من جعل الألف فى هذه القافية رويّا :

١ ﴿ حَيَاةٌ عَنَاءٌ وَمَوْتٌ عَنَى فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامٍ دَنَا ﴾

العناء : الضّر والنَّصَب والتعب .

وقال أبو الهيثم : العناء : الحبس فى شدّة وذل .

وقيل : عنا الرجل يعنُو عَناء ، إذا ذلّ لك وآستأسر . وبهذا كله تتّصف الحياة .

وعَنَى : قصد ونزل ؛ يقال : عَنت به أُمور، أى نزلت .

وليت : ناسخ للتمنى، وما يتعلق به مُستحيل الوقوع، وأنّى لما يتمنى أبو العلاء قُربه أن يدنُو، بل لا بدّ أن يبلغ الكتاب أجله .

والحِمام ، بالكسر : قضاء الموت وقدره .

وبين اللفظين « عناء » و « عنى » جناس . وإيراد الماضى إمّا أن يكون على بابه ، أى وموت نازل بنا ذُقناه وبلوناه . وإمّا أنه أقامه مقام المضارع المضمّن معنى الآستقبال ، وذلك لتحقّق وقوع الموت .

٢ ﴿ يَدٌ صَفِرَتْ وَلَهَاةٌ ذَوَتْ وَنَفْسٌ تَمَنَّتْ وَطَرْفٌ رَنَا ﴾

صفِرت : خلت ، تصفرَ صَفَرا . وفى التهذيب : تصفرُ صُفورة .

واللهاة : لحمة حمراء فى الحَنك مُعلّقة على عُكدة اللسان . والجمع : لَهَيات ، ولَهَوات ، ولَهًا ، ولُهِىّ ، بضم اللام وكسرها ، ولِهاء .

وذوى يَذوى ذَيًّا وذُوِيًّا : ذبَل وضَعف .

والتمنّى : تشهّى حُصول الأمر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون .

وقيل : التمنى : سؤال الربّ فى الحوائج .

والطّرف : آسم جامع للبصر ، لا يُثنى ولا يجمع ، لأنه فى الأصل مصدر .

وقال الزمخشرىّ : ولو جُمع لم يُسمع فى جمعه أطراف .

ورَنا يرنُو رُنوًّا : أدام النظر مع سكون الطّرف . ومنه قولهم للفاجرة : تُرْنَى ، أى يُدام النظر إليها ، لأنها تُزَنّ بالرّيبة . وكذلك قولهم : يابن تُرْنَى ، للئيم ، وهو من ذلك أيضا .

يريد بالدنُو : التطلّع إلى نعيم الحياة ، مع حرمان وتعطّش .

٣ (وَمُوقِدُ نِيرانِهِ فى الدُّجَى   يَرُومَ سَناءً بِرَفْعِ السَّنَى)

الدُّجَى : الظُّلمة ، وسواد الليل مع غَيْم ، وألا ترى نجما ولا قمرا .

وقيل : هو إذا ألْبَس كلّ شىء ، وليس هو من الظُّلمة . واحدتها : دُجية .

قال آبن جِنى : وليس من « دجا يَدْجو » ولكنه فى معناه .

وقال غيرُه : هذه الكلمة واوية ويائية ، بتقارب المعنى . وقالوا : ليلة دُجًى ، وليال دُجى ، لا يُجمع لأنه مصدر وُصف به .

يشير بهذا الشطر إلى ما عُرف عن كرماء العرب من إشعال النار بالليل ليقصد إليهم العافُون .

والسَّناء ، بالمد : المجد والشرف ؛ وبالقصر : ضوء النار والبرق . ويُثنّى : سَنوان . ولم يعرف الأصمعىّ له فعلا .

وقال غيره : سنا البرقُ : أضاء ، وأسنى النارَ : رفع سناها . وآستناها : نظر إلى سناها .

ومن «السناء» : سنا إلى المعالى . وسَنُوَ فى حَسبه ، أى آرتفع ، وكذلك سَنِي يَسْنَى .

لم يجعل أبو العلاء ما يصدر عن هؤلاء جودا ، ولكنه يرده إلى شيء من التظاهر والخداع .

٤ (يُحَاوِلُ مَن عَاشَ سَتْرَ القَمِيصِ وَمَلْءَ الخَمِيصِ وَبُرْءَ الضَّنَى)

القميص ، معروف . والتركيب من إضافة المصدر لفاعله ، وحذف المفعول للعلم به . أى يحاول من عاش أن يجد قميصًا لستر بدنه .

وقد يكون أراد بـ «القميص» الجلد ، لأنه يستر ما تحته . ثم أقامه مقام الجسم ، لأن من ستره فقد ستر الجسم . وعلى هذا يكون التركيب من إضافة المصدر إلى مفعوله .

والخميص : الضامر . يريد : وملء البطن الخميص . أقام الوصف مقام الموصوف لجريانه به .

والبرء : الصحة والعافية ، بِرِئت من المرض بُرءا ، وهذه لغة غير أهل الحجاز . وأما أهل الحجاز فيقولون : برأت بَرْأً .

والضنى : المرض . وقيل : هو المرض المخامر الذى كلما ظُن أنه قد برأ نُكِس . وهو أيضا المريض الذى قد طال مرضه وثبت فيه . بعضهم لا يُثنيه ولا يجمعه ، يذهب به مذهب المصدر ، فيقولون : رجل : ضَنًى . وقوم ضَنًى . و بعضهم يثنيه ويجمعه . قال عوف بن الأحوص الجعفرىّ :

أَوْدَى بَنِيَّ فما بَرَحْلِى منهمُ إلا غُلامًا بِيئةٍ ضَنَيَانِ

والمعنى هنا على الأوّل .

٥ ﴿ وَمَنْ ضَمَّهُ جَدَثٌ لَمْ يُبَلْ   عَلَى ما أَفَادَ ولَا مَا اقْتَنَى ﴾

ضمه : اشتمل عليه . والجدث : القبر . وقد مر[١] .

ولم يبل : لم يكترث ، وقد مر أيضاً[٢] .

وأفاد ، تكون بمعنى « استفاد » ومنه قول القتّال الكلابيّ :

* مُهلِك مالٍ ومُفِيد مال *

وتكون بمعنى : أعطى غيره . والمعنى على الأوّل .

واقتنى : كسب ، ومثله : قناه .

٦ ﴿ يَصِيرُ تُرَابًا سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَسُّ الحَرِيرِ وطَعْنُ القَنَا ﴾

سواء الشيء : مثله . قال الزّجاج : « سواء » تطلب اثنين ، تقول : سواء زيد وعمرو ، فى معنى : ذَوَا سواء زيد وعمرو ؛ لأن « سواء » مصدر ، فلا يجوز أن يرفع ما بعدها إلا على الحذف . تقول : عَدْلٌ زيد وعمرو . والمعنى : ذَوَا عدلٍ زيد وعمرو ؛ لأن المصادر ليست كأسماء الفاعلين ، وإنما يرفع الأسماء أوصافُها ، فأمّا إذا رفعتها المصادر فهى على الحذف ، كما قالت الخنساء :

تَرتع ما غَفَلَتْ حتى إذا ادّكرتْ   فإنما هيَ إقبالٌ وإدبارُ

أى ذات إقبال وإدبار . وقد جعلها سيبويه : الإقبالة والإدبارة ، على سعة الكلام . وقيل : إذا قلت « سواء علىّ » احتجت أن تترجم عنه بشيئين : تقول : سواء سألتنى أو سكت عنى ، وسواء حرمتنى أم أعطيتنى .

والقنا : الرماح .

(١) انظر شرح البيت ٣٤ من اللزومية ٣٤ ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت ١٤ من اللزومية الأولى ص ٦٠ من هذا الجزء .

٧ ﴿ وشُرْبُ القَنَاءِ بِخُضْرِ الفِرِنْدِ كَأَنَّ عَلَى آسِهِنَّ القَنَا ﴾

الفِرِند : السيف نفسه ، وقيل : وَشيه ، وقيل : جوهره وماؤه ، وهو دَخيل ، قال جرير :

وقد قَطَع الحديدَ فلا تُمَارُوا فِرِنْدٌ لا يُفَلُّ ولا يَذُوبُ

ويجوز أن يكون أراد : ذو فرند ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ومعنى أبى العلاء كما يكون من الأوّل يكون من الثانى .

وخُضر الفرند : وصف للسيوف . والعرب تُطلق الخضرة على سواد الحديد ، فيقولون : كتيبة خضراء ، إذا غلب عليها لبس الحديد . والسيوف والقنا فى حكم الشىء الواحد ، لأنهما من بابة واحدة .

والآس : ضرب من الرياحين ، وهو كثير بأرض العرب ينبت فى السهل والجبل ، وخُضرته دائمة أبدا ، ويسمو حتى يكون شجرا عِظاما ، واحدته : آسة . وفى دوام خُضرته يقول رؤبة :

* يخضّر ما اخضرّ الألا والآس *

جعل أبو العلاء خُضرة فِرند السيف من خضرته .

والقنا ، مقصور : شجر ذو حَب أحمر ما لم يُكسَر ، يتخذ منه قراريط يُوزن بها ، كل حبة قيراط . وقيل : تُتخذ منه القلائد .

يُشير إلى الدماء التى تسيل على متن السيف فتخالط خُضرة فرنده .

٨ ﴿ وَلا يَزْدَهِى غَضَبٌ حِلْمَه ۥ القَبَّــهُ ذَاكِرٌ أَمْ كَنَا ﴾

ازدهاه : استخفه واستفزه . والضمير فى « حلمه » يعود على « من » فى قوله قبله فى البيت الخامس « ومن ضمه جدث » .

والتّلقيب : التنابُز والتداعى بالألقاب ، وهو يكثر فيما كان ذمّا . وفى التنزيل العزيز : (ولا تنابزوا بالألقاب)[1] . قال الزّجاج : معناه : لا يقول المسلم لمن كان نصرانيا أو يهوديا فأسلم لقبًا يعيّره فيه بأنه كان نصرانيا أو يهوديا .

كما قد يحتمل أن يكون فى كل لقب يكرهه الإنسان، لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه .

والكنية : على ثلاثة أوجه ، منها أن يكنى الرجل باسمه توقيرا وتعظيما . وهى مراده هنا : وقد مر شرحها تفصيلا[2] .

٩ (يُهَنَّأُ بِالخَيْرِ مَنْ نَالَهُ   وَلَيْسَ الهَنَاءُ عَلَى ما هَنَا)

أراد بـ « الخير » الموت ، فهو خلاص من عناء الحياة فى رأيه . وقد أوضح مراده فى الشطر الثانى .

أو لعل المعنى على الإنكار والتهكم ، أى ليس خير الحياة بالخير الذى يهنأ به ، وإنما الخير الذى يهنأ به ما بعد الموت . إذ ليس فى الحياة ما يهنأ به ، وإنما الهناء لما بعد الممات .

والهناء : البَلهنية وخفض العيش . لم تذكره المعاجم، والمسموع : هناءة ، وهناة ، وهنء .

١٠ (وأَقْرِبْ لِمَنْ كانَ فِي غِبْطَةٍ   بِلُقْيَا المَنِى مِن لِقَاءِ المُنَى)

أقرب : فعل ماض وُضع على صيغة الأمر للتعجب . وفاعله « لقيا » والباء، فيه زائدة .

(١) الآية ١١ من سورة الحجرات .

(٢) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٣٤ ص ٢٢٨ من هذا الجزء .

والغِبطة : حسن الحال . وفى الحديث : « اللهم غَبْطا لا هَبْطا » أى نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا . وقيل : معناه : نسألك الغبطة، وهى النعمة والسرور، ونعوذ بك من الذل والخضوع .

واللُّقيا : الأمن ، من لَقِى يلقى لِقـاء .

و « المَنى » الأولى ، بالفتح ، وهى القـدر . والثانية بالضم : جمع « منية » بالضم أيضا ، وهى ما يتمنّى الرجل .

أى إن الحتف يُعجل المرء دون آستكمال أمانيه .

وأبو العلاء بسبيل تأكيد ماسبق إليه فى البيت السابق من تحقير خير الدنيا وتهوينه .

١١ ﴿ أَعَائِبَــةٌ جَسَـدِى رُوحَهُ   وَمَا زَالَ يَخْــدُمُ حَــتَّى وَنَى ﴾

ونى ينِى : ضعُف وفَتر وكَلّ .

١٢ ﴿ وَقَـدْ كَلَّفَتْــهُ أَعَاجِيبَهَــا   فطَــوْرًا فُرادَى وطَوْرًا ثُنَــا ﴾

فُرادى ، بضم الفاء وكسرها : واحدًا بعـد واحد . وتقول العرب : قـوم فُرادى ، وفُرادَ ، فلا يُجرونهـا ، شُبّهت بثُلاثَ ورُباعَ . قال الفراء : فُرادى ، واحدها : فَرَدَ ، وفريد ، وفَرِد ، وفَرْدان ، ولا يجوز : فَرْد ، فى هـذا المعنى . وقال غيره : هى جمع فَرْد ، على غير قياس .

وثُنـا ، أى ثُناء ، مصروفة عن : آثنين آثنين . قال الشاعر :

ولقــد قتلتُكم ثُنـاءَ ومَوحـدًا   وتركتُ مُرّةَ مِثـلَ أمسِ الدّابرِ

١٣ ﴿ يُنَافِى ٱبْنُ آدَمَ حَالَ الغُصُونِ   فَهَاتِيكَ أَجْنَتْ وهَــذَا جَنَى ﴾

ينافى : يغاير ويخالف . يقال : هذا ينافى ذلك ، وهما يتنافيان .

وأجنى الغصن : إذا صار له جنًى يُجنى فيؤكل . قال الشاعر :

* أجنى له بالأوى شَرىً وتَنوُّم *

وجنى : من جِناية الذّنب والإثم .

١٤ ﴿ تُغَـيِّرُ حِنّاؤُه شَيْبَهُ فهَلْ غيَّرَ الظَّهْرَ لَمّا انْحَنَى ﴾

الحناء : نبت يخضب به ؛ والحناءة ، أخص منه . والجمع : حِنّان . قال الشاعر :

ولقد أروح بلمّة فينانة سَوداءَ لم تُخضب من الحِنّانِ

١٥ ﴿ إذَا هُوَ لَمْ يُخْنِ دَهْرٌ عَلَيـهِ جَاءَ الفَـرِىَّ وَقَالَ الخَنَـا ﴾

أخنى عليه الدهر : أهلكه وأتى عليه . قال النابغة :

أمست خلاءً وأمسى أهلُها احتملوا أخنَى عليها الذى أخنى على لُبَدِ

والفَرِىّ : الأمر العظيم . وفى التنزيل العزيز فى قصة مريم : (لقد جئت شَيْئًا فرِيًّا[1]) أى جئت شيئا عظيما .

والخنا : الفحش .

أى إن الإنسان مادام حيًّا فهو على الآثام ، لا يكفّه عنها إلا موت يكف يده ولسانه .

١٦ ﴿ وَسِيّانِ مَنْ أُمُّـهُ حُرَّةٌ حَصَانٌ ومَنْ أُمُّـهُ فَرْتَنَى ﴾

سيان : بمعنى سواء . يقال : هما سيان ، وهم أسواء ، وقد يقال : هم سِىٌّ ، كما يقال : هم سواء .

والحصّان من النساء : العفيفة .

(١) الآية ٢٧ من سورة مريم .

والفَرتنى : الأَمة ، والزانية ، نونُه زائدة . وجعله سيبويه رباعيا .

وقال ابن برى : الفرتنى ، مُعرّفا بالألف واللام . قال : وكذلك : المَلوك ، والمُومسة .

وقال ثعلب : فرتنى : الأمة .

سوّى بين الناس فى الشر ، حُرّهم وعبدهم ، وهو بهذا ينقض على المفرّقين بين الطبقات ، يخصون طبقة بالخير وأخرى بالشر .

١٧ ﴿ وَلِى مَوْرِدٌ بِإِنَاءِ المَنُونِ   وَلَكِنْ مِيقَاتَه ما أَنَى ﴾

المَورد : حيث ترد من الماء ، أو وقت أن ترِد إليه ، للمكان والزمان .

والمعنى على الوجهين مستقيم . أى لى مكانى بين الواردين ، أو لى ساعتى .

كما قد يجوز أن يكون « المورد » بمعنى « الورود » .

والإناء ، ممدود : واحد الآنية ، وهو ما يُرتفق به ، وهو لما يُطعم فيه أعرف .

أى إنه ذائق المنون وطاعمه ، إذ له مكانه بين الطاعمين وحينه .

والمنون : المنية . وقد مرت(١) .

والميقات : الوقت المضروب للفعل ، والموضع أيضا .

وأنى : حان ، وفى حديث الهجرة : « هل أنَى الرحيل؟ » أى حان وقته .

١٨ ﴿ زَمَانٌ يُخَاطِبُ أَبْنَاءَهُ   جِهَارًا وقَدْ جَهِلُوا ما عَنَى ﴾

جهارا : أى علانية . يقال : جاهره بالأمر مجاهرة وجهارا ، إذا عالنه .

ويريد بمخاطبة الزمان أبناءه : تصرفه فيهم بأحداثه .

وما عنى ، أى ما قصد إليه .

(١) شرح البيت ١٩ اللزومية ٣٤ ص ٢٣٠ من هذا الجزء .

١٩ ﴿يُبَدِّلُ باليُسْرِ إعْدَامَهُ وتَهْدِمُ أَحْدَاثُهُ ما بَنَى﴾

التبديل : التغيير ، وإن لم تأت ببدل ، إذ الأصل فيه تغيير الشيء عن حاله . أما الإبدال ، فهو جعل شيء مكان شيء آخر .

وقال ثعلب : أَبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه ؛ وبدّلت الخاتم بالحلقة ، إذا أَذبته وسوّيته حلقةً ، وبدّلت الحلقة بالخاتم ، إذا أذبتها وجعلتها خاتما . ثم قال : وحقيقته أن التبديل : تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها . والإبدال : تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى . ومنه قول أبي النجم :

* عَزْلَ الأميرِ للأميرِ المُبْدَلِ *

الا ترى أنه نحّى جسما وجعل مكانه جسما غيره .

وقد جعلت العرب « بدّلت » بمعنى « أبدلت » . ومنه قوله تعالى : (فأولئك يُبَدِّلُ الله سَيئاتِهم حَسَنات)[1] ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل مكانها حسنات . وقول أبي العلاء هنا من هذا .

واليُسر : ضِدّ العسر .

والإعدام : الافتقار . أعدم الرجلُ ، وأعدمه غيره .

٢٠ ﴿لَقَدْ فُزْتَ إنْ كُنْتَ تُعْطَى الجِنَانَ بِمَكَّةَ إنْ زُرْتَها أو مِنَى﴾

« بمكة » أى بسبب زيارتك مكة .

(١) الآية ٧٠ من سورة الفرقان .

ومِنى ، بالكسر : فى درج الوادى الذى ينزله الحـاج وتُرمى فيه الحِجارة من الحرم ؛ سُمى بذلك لِمـا يُمنى به من الدماء ، أى يراق .

ينعى أبو العلاء على هؤلاء الذين يخالون الفوز فى زورة للبيت تسقط بها عنهم الأوزار ، ويخرجون بها عن السيئات ، وهم بعدها عليها عاكفون ، وفى مثل هذه الزورة طامعون .

اللزومية السادسة والثلاثون

وقال أيضـا فى الألف مع الراء . ويجوز أن يجعل الروى الراء، فيكون الذى لزم « سينا » لا غير :

١ (بِعِلْمِ إِلٰهِي يُوجَدُ الضَّعْفُ شِيمَتِي فَلَسْتُ مُطِيقًا لِلْغُدُوِّ وَلَا الْمَسْرَى)

الإله : الله عز وجل . وكل ما اتخـذ من دونه معبودا : إله عند متخذه . والجمع : آلهة . وأصل « إلاه » : وِلاه . فقلبت الواو همزة . ومعنى « ولاه » أن الخلق يَوْلهون إليه فى حوائجهم . ويضرعون إليـه فى كل ما ينوبهم، كما يوَلّه كل طِفل إلى أُمه .

وبعلم إلهى ، أى بتقديره وإرادته .

والشيمة : الطبيعة . والهمزة فيهـا لُغية ، وهى نادرة . وتشـيّم أباه : أشبهه فى شِيمته . وظاهر أنه يشير إلى قوله تعـالى فى سورة النساء : (وخُلِقَ الإنْسانُ ضعيفًا)[1] .

والإطاقة : القُـدرة على الشىء ؛ يقـال : طاق الشىء ، وأطاقه ، وأطاق عليـــه .

والغدوّ : نقيض الرواح ، وهو سَير أوّل النهـار . والمسرى والسرى ، بمعنى، وذلك إذا سرت ليلا .

---

(١) الآية ٢٨

٢ ﴿ غَبَرْتُ أَسِيرًا فِي يَدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كَرَمٌ تُكْرَمْ بِسَاحَتِهِ الأَسْرَى ﴾

١ غبر يغبُر غبورا : مكث ، وذهب ، فهو من الأضداد . والمعنى هنا على البقاء والمكث .

والأسير : الأَخيذ ، و إن لم يُشدّ بالإسار ، وهو القَيد . وقيل : هو كل محبوس فى قِدّ أو سجن . والأصل فى المعنى : القوة والحبس . يشير إلى آرتهان العباد بأعمالهم فكأنهم الأسرى يرقبون ما سينالون من خير أو شر .

والساحة : الناحية أو ساحة الدار . جعل الوجود وما ينتظمه مُلكُ الله من ذلك .

٣ ﴿ أَأُصْبِحُ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ عَالِمٌ وَأَدْخُلَ نَارًا مِثْلَ قَيْصَرَ أَوْ كِسْرَى ﴾

كما هو عالم ، أى على حال من الحِرمان والعَجز ، أو من الوَرع والزُّهد .

وقيصر : ملك الروم . وكِسرى : ملك الفرس . قال آبن قُتيبة : هو بكسر الكاف ولا تُفتح .

وقال آبن السيِّد : الفتح والكسر فيه جائزان . وأبو حاتم يختار الكسر . والمبرد يختار الفتح . والنسبة إليه كِسرىّ ، وكِسروىّ ، بكسر الكاف فيهما ، ولا يقال بالفتح فى النسب .

ضربهما مثلين للقوّة والعزة ، وللتمرّد والعصيان .

٤ ﴿ وَإِنِّى لَأَرْجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَاوُزٍ فَيَأْمُرُ بِي ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْيُسْرَى ﴾

التجاوز : العفو . تقول : اللهم تجاوزْ عنى ، أى آعف . ومثلها تجوّز عنى .

ويريد بـ « يوم تجاوز » : يوم المغفرة والعفو ، وهو يوم الحساب .

ويشير بـ « ذات اليمين » إلى قوله تعالى فى سورة الواقعة : (وأمّا إنْ كان مِن أَصحابِ اليَمين . فسَلامٌ لكَ مِن أَصحابِ اليَمين[١]) .

واليسرى : أى الفلاح والخير . يشير إلى قوله تعالى فى سورة الليل : (فأما مَن أعطى واتقى وصَدّق بالحُسنى فسنُيسره لليُسرى[٢]) وكأنه يريد الجنة هى التى من نصيب اليمين ، ثم هى يَسرى لا عنت فيها ولا عسر .

٥ (إذا راكبٌ نالتْ بِهِ الشَّأوَ ناقةٌ فما أَينُقى إلّا الظَّوالِعُ والحَسْرَى)

الشأو : الغاية والأمد .

والظوالع : التى تعرج فى مشيها وتغمز ؛ الواحدة : ظالعة أو ظالع ، وَصف للمؤنث ؛ إذ هى مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ، فإن كانت للمؤنث فعلى النسب ، وإن كانت للمذكر فعلى الفعل . وخص الجوهرى بها المذكر وجعل الأنثى بالهاء : ظالعة .

والحسرى : جمع حسير ، الذكر والأنثى سواء : وهى التى أصابها الإعياء والكَلال .

يأخذ على نفسه عجزها وتراخيها ، وادًّا لو كانت على حال أخرى سبق بها الجادّون ، ومضى عليها المشمرون .

وهكذا النفوس الطامعة ، ترى كثير ما قدّمت قليلا ، وعظيم ما أسلفت ضئيلا .

---

(١) الآية ٩١ .

(٢) الآية ٥ ، ٦ .

٦ (وَإنْ أُعْفَ بَعدَ المَوتِ مِمَّا يَرِيبُنِي فَمَا حَظِّيَ الأَدْنَى وَلا يَدِيَ الخُسْرَى)

أعفاه من الشيء : خلّاه عنه وطَرحه .

ورابه الأمر : ساءه وأزعجه ورأى منه ما يكره .

يريد : ما هو فى شك منه من أمر الجزاء، فهو له قلق حائر . أى إن وقفتُ بعفو الله زال نَصبي وعَنائى .

والأدنى : الأخسّ .

والخسرى : أُنثى الأَخسر ، وهو الذى وُضِع فى تجارته أو غُبِن . وُصفت به اليد ، إذ هى جارحة الكَسب والعمل . وعليها الثواب والعقاب .

أى لن أكون بعد عفو الله من الأدنين حظا ، ولا من الأخسرين أعمالا .


فصل الباء

اللزومية السابعة والثلاثون

قال أبو العلاء فى الباء المضمومة مع العين :

١ ﴿ يَدُلُّ على فَضْلِ المَمَاتِ وكَوْنِهِ　　إراحَةَ جِسْمٍ أنَّ مَسْلَكَهُ صَعْبُ ﴾

المسلك : الطريق . سلك المكان، وسَلَكه غيره وفيه، وأسلكه إياه وفيه وعليه . ويُريد بالمسلك : الحياة الدنيا .

٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ أنْ المَجْـدَ تَلْقَاكَ دُونَهُ　　شَدائِدُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَجَبَ الرُّعْبُ ﴾

تلقاك : تصادفك وتواجهك .

ودون : كلمة فى معنى التحقـير والتقريب . يكون ظرفا فينصب ، ويكون اسما فيدخل حرف الجر عليه .

وقال الفرّاء : دون، تكون بمعنى «على» ، وتكون بمعنى «علّ»، وتكون بمعنى « عند » ، وتكون إغراء، وتكون بمعنى : أقل من ذا، وأنقص من ذا .

جعل الموت كالمجد، من حيث أن كلا منهما يتوّج شيئا، فالمجد تاج العمل، والموت تاج الحياة .

وجعله مجدا ولم يجعله شيئا دونه، لأن الموت عنده راحة واطمئنان، وكذلك المجد تراح إليه النُّفوس وتطمئن .

٣ ﴿ إِذَا افْتَرَقَتْ أَجزاؤُنَا حُطَّ ثِقْلُنَا　　ونَحْمِلُ عِبْئًا حِينَ يَلْتَئِمُ الشَّعْبُ ﴾

الثقل : الحمل الثقيل .

والعِبء، بالكسر : الحمل والثقل .

والالتئام : الاجتماع والاتصال .

والشعب : الصدع والتفرق ، ويكون بمعنى الإصلاح أيضا . وليس مرادا هنا .

ويشير بافتراق الأجزاء : إلى الموت وما معه من انحلال الجسم . وبالتئام الشعب : إلى الحياة الدنيا ، أى ما قبل الموت : وقد ذكر ذلك قبل .

كما قد يكون أراد الحياة الأخرى بعد الممات ، وما وراءها من أهوال وشدائد .

٤ ﴿وَأَمسِ ثَوَى رَاعِيكَ وهْوَ مُوَدَّعٌ ولَوْ كَانَ حَيًّا قام فِي يَدِه قَعْبُ﴾

أمس ، من ظروف الزمان ، مبنىٌّ على الكسر ، إلاّ أن ينكّر أو يعرّف . وربما بُنى على الفتح . والنسبة إليه : إمسِى ، بالكسر ، على غير قياس .

قال الكسائىّ : وإذا أضفته أو نكّرته ، أو أدخلت عليه الألف واللام للتعريف ، أجريته بالإعراب .

وقال الفرّاء : ومن العرب من يخفض « الأمس » وإن أدخل عليه الألف واللام .

وثوى : هلك . ومنه قول الكُميت :

وما ضَرّها أنّ كعبًا ثَوى وفَوّز من بعده جَرْوَلُ

والراعى : الذى يرعى الماشية ويحُوطها ويحفظها ، صفة غالبة غلبة الأسم . وهو الوالى أيضا . إلا أن المراد هنا الأوّل . لذكره « القَعب » آخرا ، وهو من لوازمه . وأكثر ما يقال فى جمع الأوّل : رِعاء؛ وفى جمع الثانى : رعاة .

ولعلّه خصه بالذكر لطول عنائه واتصال جهده وتخلفه فى الحيـاة ، حتى كان مَضرِب المثل بذاذةٍ وحقارة . وفى حديث عمر : « كأنه راعى غنم » . وفى حديث الإيمـان : « حتى ترى رِعاء الشاء يتطاولون فى البُنيان » . فكان لذلك بالمـوت أهنأ وأنعم .

وهو مودَّع ، أى قد تُرِك واطُّرح حيث قُبر . وهو بحاله فى الدنيـا أوفق . فقد مات كما عاش محقورا .

والأصل فى « التوديع » الترك . ومنه الحـديث : « إذا لم ينكر الناس المنكر فقد تُودِّع منهم » . أى أُهملوا وتُركوا وما يرتكبون من المعاصى .

و « كان » تكون بمعـنى مضَى وتقضّى ، وهى التـامة ؛ وتأتى بمعنى ٱتصـال الزمان من غير ٱنقطاع ، وهى الناقصة . و يعبر عنها بالزائدة أيضا . وتأتى زائدة ؛ وتأتى بمعنى « يكون » فى المستقبل من الزمان ، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع . ومن شواهدها بمعنى « يكون » للستقبل قول الطرمّاح بن حَكيم :

وإنّى لآتيـكم تَشَـكُّر ما مضَى من الأمر وٱستنجاز ما كان فى غدِ

وقول سَلمة الجُعفىّ :

وكنت أرى كالموت مِن بين ساعة فكيف ببَيْنٍ كان ميعادُه الحَشْرا

وعليه أيضا بيت أبى العلاء هذا . كما قد تكون هنا أيضا بمعنى « صار » .

والقَعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وهو بالراعى أشبه .

وقال ٱبن الأعرابىّ : وأوّل الأقداح : الغَمْـر ، وهو الذى لا يبلـغ الرىّ ؛ ثم القُعب ، وهو قد يروى الرجل ، وقد يروى الاثنين والثلاثة ؛ ثم العُس .

يشير إلى ما هو مأثور من أن الإنسان يُبعث على حاله التى قبض عليها . وليس شىء ألزم للراعى من قَعبه .

اللزومية الثامنة والثلاثون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع النون :

١ (لِيَشغَلْكَ مَا أَصْبَحْتَ مُرْتَقِبًا لَهُ   عَنِ العَيْبِ يُبْدَى والخَلِيلُ يُؤَنَّبُ)[1]

ليشغلك ، اللام للأمر ، وهى جازمة للمضارع بعدها . وحركة هذه اللام الكسر، ويجوز تسكينها بعد الواو والفاء وثم . والتسكين بعد الأولين أشهر . وأكثر ما تدخل هذه اللام على مضارع الغائب . ويقلّ دخولها على مضارع المتكلم والمخاطب .

والارتقاب : الانتظار، ويريد بهذا الشىء المرتقب : الموت .

والعيب : الوصمة . ومثله : العاب، والعيبة .

والخليل : المُحب الذى ليس فى محبته خَلل، قد أصفى المودة وأصحّها . مرفوع على الاستئناف .

والتأنيب : أشد العذل، وهو التوبيخ والتثريب . وفى حديث طلحة أنه قال : « لما مات خالد بن الوليد استرجع عمر . فقلت : يا أمير المؤمنين .

أَلَا أُراكَ بُعيد الموت تندُبنى   وفى حياتِىَ ما زوّدتنى زادِى

فقال عمر : لا تؤنبنى » .

ومنه أيضا حديث الحسن بن علىّ لما صالح معاوية ، فقيل له : « سوّدت وجوه المؤمنين ! فقال : لا تُؤنبنى » . كل هذا بمعنى المبالغة فى التوبيخ والتعنيف .

(١) ب : « عن العيب يبدو والخليل يؤنب » .

٢ (فَمَا أَذْنَبَ الدَّهْرُ الذِي أَنْتَ لائِمٌ   ولٰكِنْ بَنُو حَوَّاءَ جَارُوا وأَذْنَبُوا)

جار : ظلم وجاوز القصد . وما أشبهه بقول الآخر :

يقولون الزمان به فَساد   وهم فَسَدوا وما فسد الزمان

٣ (سيدخُلُ بَيْتَ الظَّالِمِ الحَتْفُ هاجِمًا   ولَوْ أنَّهُ عِنْدَ السِّمَاكِ مُطَنَّبُ)

الحتف : الموت . وجمعه : حُتوف ، ولا يُبنى منه فِعل . وقول العرب : مات فلان حَتف أنفه ، نُصب على المصدر، كأنهم توهموا « حَتَف » وإن لم يكن له فعل .

والسماك : أحد سماكين ، هما الأعزل والرامح . وقد مرّ[1] .

ومطنّب ، أى مشدود بالأطناب ، وهي حبال الأخبية . جعل البيت كأنه من شعَر ، وإن كان يطلق على هذا وعلى غيره . أو لعله أراد بالتطنيب : التمكين للبناء عامة ، فتوسّع .

خص الظالم لأنه أشدّ عُتوا ، ثم هو أصرف بهذا العتو عن تلقى العظة والإفادة من العبرة .

٤ (وقَدْ كَانَ يَهْوَى الطَّعْنَ أَمَّا قَنَاتُهُ   فَذَاتُ لَمىً والخِرْصُ كالنَّابِ أَشْنَبُ)

القناة : الرمح .

واللّمى : سُمرة الشفتين واللّثات ، يُستحسن . والضم فيه لغة . وقيل : هى لغة أهل الحجاز .

والخِرص ، مثلثة الخاء : سنان الرمح .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

وقيل : هو ما على الجُبة من السنان .

وقيل : هو الرمح نفسه، والجمع : خِرصان .

والأشنب : ذو الشنب، وهو ماء ورقـة يجرى على الثغـر، أو هو رِقة وبَرد وعذوبة فى الأسنان، أو هو نُقط بيض فى الأسنان، وقيل : هو حدة الأنياب، كالغَرْب تراها كالمنشار .

وذكروا أن رؤبة بن العجاج سُئل عن الشَّنب وهو يأكل رُمانا ، فأخذ حبة وقال : هذا هو الشنب .

جعل قناته ، من كثرة ما سال عليها من دماء فاصطبغت بها ، كالشفة انطبع عليها اللّمى ؛ كما جعل رُمحه ، من كثرة ما أراق من دماء فغـدا ندياً، كناب ذات الشنب .

٥ (ودِرْعُ حَدِيدٍ عِنْدَهُ دِرْعُ كاعِبٍ ... مِنَ الوُدِّ وَاسْمُ الحَرْبِ هِنْدٌ وَزَيْنَبُ)

الدِّرع بمعنييها، قد مرت[1] .

والحديد، معروف . وموقع الكلمة هنا تمييز ذات للدرع . وهو مما يجوز جره بالإضافة .

والكاعب : الجارية نَهـد ثديها . ومثـله : كَعاب، ومُكعب . وجمع الكاعب : كواعب .

والود، مثلثة الواو : المودّة والحب، يكون فى جميع مَداخل الخير .

و « من الود » فى مكان : وداًّ وهـوى . فكأن ذلك قد لاط بقلبـه ولا مُنصرف له عنه .

وهند وزينب : من بين الأسماء التى شَبَّب بها الشعراء .

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية الثانية ص ٦٧ من هذا الجزء .

٦ ﴿ وَ يَطْوِى المَلَا بَعْدَ المَلَا فَوْقَ كُورِهِ إذَا العِيسُ تُزْجَى والسَّوابِقُ تُجْنَبُ ﴾

المَـلا : جمع مَلاة ، وهى الفـلاة ذات الحـر . وقيـل المـلا : واحد ، وهو الفلاة .

وقال الأزهرىّ : وأمّا المَـلا : المُتسع من الأرض ، فغير مهموز ، يكتب بالألف والياء ، والبصريّون يكتبونه بالألف .

وطىّ المَـلا : قَطعه ومُجاوزته . والكُور : الرَّحل بأداته .

والعِيس : الإبلُ تَضرب إلى الصُّفرة . وقيل : هى البيض مع شُقرة يسيرة . واحدها : أعيس . والأنثى : عَيساء .

وتزجى . أى تُساق وتُدفع . وقيل : هو السوق اللَّين .

والسوابق : الخيل المتقدمة فى الجرى السريعة .

وتُجنب ، أى تُقاد إلى جنب ؛ لأنهم كانوا يَمتطون الإبل ويقُودون الخيل .

٧ ﴿ لَهُ مِن فِرِندٍ(١) جَدولٌ إن أَسَالَهُ عَلَى رأْسِ قِرْنٍ جَاشَ بِالدَّمِ مِذْنَبُ ﴾

الفِرند : وشْى السيف ورونقه . وقيل : هو السيف . وقد مرّ .

والقِرن : من يُقارنك فى الشدة والبطش .

وجاش : فار ، كما تَجيش القـدر عند الغليـان . وكذلك يفعـل الدم عنـد انبثاقه واندفاقه .

والمِذنب . كهيئة الجَدول ، يَسيل عن الرَّوضة ماؤها إلى غيرها فيفرّق ماؤها فيها . والتى يسيل عليها المـاء : مِذنب . أيضا .

جعل سيلان الدم من الجسم على صَفحة السيف من ذلك .

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٢ من هذا الجزء .

يذكر فى هـذا البيت — والأبيات الثلاثة قبله — وَلَعه بالحرب، وهونها عليه .

٨ ﴿ ولَيس يُقيمُ الظَّهرَ حَنّبهُ الرَّدى قَوامُ رُدَيْنِيٍّ وطِـرْفٌ مُحَنَّبُ ﴾

أقام الشىء وقومه، فقام، اى اعتدل وآستقام وآستوى .

وحنّبه : حناه وقوّسه . والردى : الهلاك . ومن تحنى هرمًا فقد أشرف على الموت وعُدّ من الهلاك .

وقـوام : مُستقيم معتـدل . يريد : « رديني قـوام » وبهـذا يوصف ، وإلا فلا آنتفاع به .

والقوام، أيضا : القامة . يريد : قناة رديني .

والردينيّ : الرمح، نسبة إلى آمرأة كانت تسمى : رُدينة ، كانت هى وزوجها السَّمهرى يُقَوّمان القنا بِخط هَجَـر .

والطِّرف ، بالكسر : الكريم العتيق من الخيل . وقيل : هو الطويل القوائم والعُنق، المطرَّف الأذنين . وقيل : هو الذى ليس من نتاجك. والجمع : أطراف، وطُروف . والأنثى بهاء .

والمحنّب من الأفـراس : الذى فى وظيفى يديه آحديداب ، وليس ذلك بالأعوجاج الشديد ، وهو ممّـا يُوصف صاحبـه بالشدة .

وقيـل : التَّحنيب فى الخيـل : بُعد ما بين الرجلين من غير فَحَـج ، وهو مَدح . قال آمرؤ القيس :

فلأْيًا بِلأْيٍ ما حَملنـا وَليـدَنا على ظَهر مَحبوك السَّراة مُحَنَّبِ

ينعى عليه هذا الجد فيما لا طائل تحته ، وفيما لا يغنى عنه شيئا ، من فناء يدب إليه ، ولا مردّ له .

اللزومية التاسعة والثلاثون

وقال أيضا فى الباء المَضمومة مع الذال :

١ ﴿ نَقِمْتَ عَلَى الدُّنْيَا ولَاذَنْبَ أَسْلَفَتْ　　إِلَيْكَ فَأَنْتَ الظَّالِمُ المُتَكَذِّبُ ﴾

قال الجوهرى : نقمت على الرجل أنقِم ، بالكسر ، فأنا ناقم : إذا عَتبت عليه . قال الكسائى : ونَقِم ، بالكسر ، لغة فيه . وقال أبو إسحاق : نقمت على الرجل أنقِم ، ونَقِمت عليه أنقَم . قال : والأجود : نَقمت أَنقِم ، وهو الأكثر فى القراءة . ونَقَم الشىء ونَقِمه : أنكره .

وأسلفتْ ، أى سبقتْ به إليك وقدّمته .

وتكذب فلان : إذا تكلّف الكذب ؛ وعليه : زعم أنه كاذب ، ومنه بيتُ يُعزى إلى أبى بكر رضى الله عنه :

رسولٌ أتاهم صادق فتكذّبوا　　عليه وقالوا لستَ فينا بماكثِ

٢ ﴿ وهَبْهَا فَتَاةً هَلْ عَلَيْهَا جِنايةٌ　　بمَنْ هُوَ صَبٌّ فى هَوَاهَا مُعذَّبُ ﴾

« هبها » : احسبها ، يتعدّى إلى مفعولين ، ولا يستعمل منه ماض ولا مستقبل فى هذا المعنى .

والصبّ : العاشق المُشتاق ، والأُنثى : صبّة . قال سيبويه : وزن « صَبّ » فَعِل ، لأنك تقول : صَبِبت ، بالكسر . استثقلوا الجمع بين باءين متحركتين فأسقطوا حركة الأولى وأدغموها فى الباء الثانية .

وحكى اللحيانى فيما تقوله نساء العرب ، عند التأخيذ بالأُخَذ : « صَبٌّ فاصبَبْ إليه ، أرقٌ فارقْ إليه » .

٣ ﴿وقدزَعَمُواهَذِى النُّفوسَ بَواقِيًا تَشَكَّلُ فِي أَجْسَامِها وتَهذَّبُ﴾

الزَّعم : القول، يكون حقًّا و يكون باطلا . وتكون « زعم » بمعنى : كفل، وضمن، و بمعنى : قال، و بمعنى : وعد، و بمعنى : ظن . و بيت أبى العلاء من الأوّل .

وتشكل ، أى تتشكّل .

وتهذّب ، أى تتهذّب ، بمعنى تتنقّى وتتخلّص من أدرانها . ومنها ، أى من الأجسام . يُشير إلى رأى القائلين بالتناسخ .

٤ ﴿وتُنْقَلُ مِنْهَا فالسَّعِيدُ مُكَرَّمٌ بِمَا هُوَ لَاقٍ والشَّقِيُّ مُشَذَّبُ﴾

مشذب ، أى مُطَّرح مَطرودٌ منحًّى .

٥ ﴿ومَا كُنْتَ فى أيّامِ عَيْشِكَ مُنْصِفا ولٰكِنْ مُعَنًّى فى حِبَالِكَ تُجْذَبُ﴾

المعنَّى : الذى قد تجشم العنـاء وقاساه : عنّاه ، فتعنى : وقيل المعنَّى : الذى طال حبسه ؛ ومنه قول الوليد بن عقبة :

قطعت الدهرَ كالسَّدِمِ المُعَنَّى تُهدِّرُ فى دِمشـقَ وما تَرِيمُ[(1)]

وتُجذب ، أى تُقاد غير مختار ، أى وتُغلب على أمرك وتقهر . من قولك : جاذبته فجذبته ، أى غلبته فبان منِّى مغلوبا .

٦ ﴿وَلَوكَانَ يَبْقَى الحِسُّ فى شَخْصِ مَيِّتٍ لآليْتُ أنَّ المَوْتَ فى الفَمِ أعْذَبُ﴾

آلى إيلاء : حلف . والألوة ، مثلثة الهمزة ، والألية والأليّا ، كله اليمين . والجمع : ألايا . قال الشاعر :

قَلِيـلُ الألايا حافِظٌ لِيمينه وإن سبقتْ مِنه الأليَةَ برّتِ

(١) وقيل : المعنى فى هذا البيت : فحل لئيم إذا هاج حبس فى العنة ، لأنه يرغب عن فحلته .

اللزومية المتمة الاربعين

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الدال :

١ ﴿ لَعَمْرُكَ مَا بِى نُجْعَـةٌ فَأَرُومَها   وإنِّى عَلَى طُولِ الزَّمَانِ لمُجْدِبُ ﴾

العَمر والعُمر، لغتان فصيحتان، فإذا أقسموا فقالوا : لعَمرك ! فتحوا لا غير. و « لعمرك » يرفعونه بالابتداء ويُضمرون الخبر . كأنه قال : لعمرك قسمى، أو يَمينى، أو ما أحلف به .

والنُّجعة : المَذهب فى طَلب الكلأ فى موضعه . وما بى نُجعة، أى ليس فىّ قوة أو رغبة على الذهاب للانتجاع . جعل مسعاه فى الحياة ورغبته فيها ومُنّته عليها، من هذا .

ورام الشىء يرومه رَوما ومَراما : طلبه .

والمُجدِب : الذى أصابه الجدب، وهو المَحل، نقيض الخصب . وفى حديث الاستسقاء : « هلكت المواشى، وأجدبت البلاد » . أى قحطت وغلت الأسعار .

يعنى عجزه على الرغم مما يحاول على مرّ الأيام والليالى .

٢ ﴿ حَمَلْتُ عَلَى الأَوْلَى الحَمَامَ فَلَمْ أَقُلْ   يُغَنِّى ولكِنْ قُلْتُ يَبْكِى ويَنْدُبُ ﴾

حملك الشىء على الشىء : ذهابك مذهبه وجعلك إياه منه .

والأَولى : الأقرب والأدنى .

و « على الأولى » أى على أقرب الأمور من الحق وأدناها من الصواب .

والنَّدب : البُكاء على المَيِّت وتَعديد مَحاسنه . ولم يُقيِّده ابن سِيده ببكاء . أو هو من الندب للجراح، لأنه احتراق ولَذع من الحزن .

هذه نظرة أبي العلاء للحياة يحيل خيرها شرا، وهناءتها حزنها ، وهو يرى ذلك أولى بالناس وأجدر .

٣ ﴿ وَذلِكَ أنَّ الحَادِثاتِ كَثِيرةٌ   وغَالِبُهُنَّ الفَظُّ لا المُتَحدِّبُ ﴾

حادثات الدهر : أموره المُنكرة، شِبْه النَّوازل. جمع : حادثة. ومثل «الحادثة» في ذلك : الحَدَث، والحُدْثَى، والحَدَثان، وهي هنا لعُموم ما يحدُث .

وغالبهن ، أي القاهر فوقهن ، إما بشدّته وعُنفه ، أو بكثرته وشُيوعه . وهو من سابقه .

والفظ : الغليظ الخَشن الجافي . ويُريد به : الفادح الباهظ .

والمتحدِّب : المتعطِّف الحاني ، وهو كذلك : المتعلِّق بالشيء الملازم له . وهو من الأول . يريد ما كان من أمور الحياة رخاءً هيِّنا ليِّنا .

٤ ﴿ وكُلُّ أَدِيبٍ أيْ سَيُدْعَى إلَى الرَّدَى   مِنَ الأدْبِ لا أنَّ الفَتَى مُتَأدِّبُ ﴾

أديب : فعيل بمعنى مفعول ، من : أدب القوم يأدِبهم أدبا ، إذا دعاهم إلى طعامه . وهو مما أغفلته المعاجم . وأكبر الظن أن أبا العلاء يُؤوِّل إليه اللفظ المعروف .

والرَّدى : الهلاك . جعله المأدُبة التي سيطعم منها كُل طاعم .

و « لو أن الفتى متأدب » دَفع لما قد يَهمه المتوهم من أن المراد بالأديب ، من : أدُب ، بما يدعوه إلى المحامد وينهاه عن المقابح .

يبرر أبو العلاء ماسبق إليه من تشاؤم .

اللزومية الواحدة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الراء :

١ (لَعَلَّ أُنَاسًا فِى المَحَارِيبِ خَوَّفُوا   بِآيٍ كَمَا آسٍ فِى المَشَارِبِ أَطْرَبُوا)

لعل : كلمة رجاء وطمع وشك . واللام فى أولها زائدة . وهى مع لفظ الجلالة بمعنى التّحقيق .

والمحاريب : جمع محراب ، وهو صدر البيت وأكرم موضع فيه . وهو أيضا : صدر المسجد وأشرف موضع فيه ؛ والقبلة . ومراد أبى العلاء « بالمحاريب » المساجد عامة ، من إطلاق الجزء على الكل ، أو كأنه خص تلك الأماكن من المساجد لشرفها وجُنوح المتعبدين إليها .

والآى : جمع آية ، وهى الجماعة من حروف القرآن . وقيل : هى العِبرة . وتجمع أيضا على : آيات ، وآياء ، وآياى . وعَين « الآية » ياء . قال الشاعر :

* لم يُبقِ هذا الدهرُ مِن آيائِهِ *

فظهور العين فى « آيائه » يدل على كون العين ياء ، وذلك أن وزن « آياء » أفعال ، ولو كانت العين واوا لقال : آوائه ، إذ لا مانع من ظهور الواو فى هذا الموضع .

وقال سيبويه : موضع العين من « الآية » واو ، لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء ، أكثر مما موضع العين واللام منه ياآن ، مثل : « شويت » أكثر من « حييت » . قال : وتكون النسبة إليه « آووى » .

وقال الفرّاء : هي من الفعل : فاعلة ، وإنما ذهبت منه اللام ، ولو جاءت تامة لجاءت آيية ، ولكنها خففت .

والمشارب : جمع مشرب ، وهو الوجه الذى يُشرب منه . ويكون موضعا ويكون مصدرا . يريد : الحانات .

وأطربوا ، أى فاضت بهم الخفة فاستخفوا من سواهم .

جعل هؤلاء المتعبدين من هؤلاء الماجنين . وهذا دأب أبى العلاء لا محيد عنه .

٢ ﴿ إِذَا رَامَ كَيْدًا بِالصَّلاةِ مُقِيمُهَا فَتَارِكُهَا عَمْـدًا إِلَى اللهِ أَقْرَبُ ﴾

الكيد : الخُبث والمكر ، وكذلك الاحتيال ؛ والمعنى مستقيم بها جميعا .

وعَمدا ، أى بجدّ ويقين .

٣ ﴿ فَلَا يُمْسِ فَخَّارًا مِنَ الفَخْرِ عَائِدٌ إِلَى عُنْصُرِ الفَخَّارِ لِلنَّفْعِ يَضْرِبُ ﴾

لا ، هى الطلبيّة نهيًا ، أو الموضوعة لطلب الترك . وتختص بالدخول على الفعل المضارع ، وتقتضى جزمه واستقباله ، سواء كان المَطلوب مخاطبا ، أو غائبا . وجزمها فِعلَى المتكلم المبدوءين بالهمزة والنون مبنيين للفاعل نادر ، ويكثُر جزمهما مبنيين للفعول .

وأمسى : للتوقيت بالمساء ، وهو بالسياق أوفق ، لأن نهاية اليوم بحركته .

وفخارا ، أى مُدِلّا بنفسه تيّاها بها مُفضلا لها . مبالغة من : فخَره يَفخره ، إذا كان أفخر منه وأكرم أبا وأما . أو من . فخَره عليه يفخره ، إذا فضّله عليه فى الفخر . وهو خبر « فلا يُمس » . و « عائد » اسمها .

وعنصر كل شيء : أصله .

والفَخار : الخــزف ، ومن التراب عُنصره . يُشير إلى قوله تعــالى فى سورة الرحمن : (خَلق الإنسان مِن صَلصال كالفخّار)(١) .

و « للنفع يُضرب » ، أى هذا حديث يساق ليفيد الناس منه عِظةً وعبرة .

٤ ﴿ لَعَــلّ إناءً مِنــهُ يُصْــنَعُ مَرّةً   فيأْكُلُ فيه مَنْ أرادَ ويَشْرَبُ ﴾

٥ ﴿ ويُحمَلُ مِن أرضٍ لأُخرى ومَادَرَى   فَوَاهاً لَهُ بَعْــدَ البِلَى يَتَغَرَّبُ ﴾

درى : عرف وعلم . دريت الشيء دَريا ، ودِريا ، ودِرية ، ودِريانا ، ودِراية . وأدريته غيرى .

و « واه » : تلهف وتلوذ . وقيل : آستطابة . ويُنوّن ، فيقال : واها لفلان ! قال أبو النجم :

واهًا لريّا ثم واهًا واهَا   يا ليت عيناها لنا وفاهَا

قال آبن جــنى : إذا نونت فكأنك قلت : آستطابة . وإذا لم تنــوّن فكأنك قلت : لا آســتطابة . فصار التنوين عَلَم التنكير، وتركه عَلَم التعريف . وأنشــد الأزهرىّ :

وهْو إذا قيــل له وَيْها كُلْ   فإنّه مُواشِــكٌ مُســتعجل

وهو إذا قيــل له وَيها قُــلْ   فإنه أَحــجِ به أن يَنْــكُل

أى إنه إذا دعى لدفع عظيمة فقيل له : يا فلان، نَكل ولم يجب؛ وإن قِيل له : كل، أسرع .

(١) الآية ١٤ من سورة الرحمن .

والتغرب : البعد والنُّزوح عن الوطن ، ويكون بمعنى الإتيان من قبل الغَرب ؛ يقال : غَرب القــوم : إذا ذهبوا فى المغــرب ؛ وأغربوا : إذا أتوا الغــرب ؛ وتغربوا : إذا أتوا من قبل المغرب . والمعــنى على التوجيهين جائز ، فقد يجوز أن يُصنع هنا ثم ينقل هناك ، كما يجوز أن يصنع هناك ثم ينقل إلينا .

• يشــير فى هذا البيت والذى قبله ، إلى استحالة جسم الإنسان ترابا ، تُتخذ منه تلك الآنية ويخالط فيها ، تتوزعها البلدان بينها على القرب والبعد . وهو بهذا يذكّر الإنسان بمصيره لعله يعتبر .

اللزومية الثانية والأربعون

وقال أيضا فى البـاء المضمومة مع الجيم :

١ ﴿إذا كَانَ إكْرَامِى صَدِيقِىَ وَاجِبًا فإكْرَامُ نَفْسِى لاَ مَحَالَةَ أوْجَبُ﴾

المحالة : الحيلة ، ومنه قول أبى دُواد يعاتب آمرأته :

حاولت حين حرمْتــنى والمـرء يَعجـز لا المحـالَهْ

وأما قولهم : لا محالة من ذلك ، أى لا بد . قال الأزهرى : ويقولون فى موضع « لا بد » : لا محالة .

أى إذا أوجب الناس على أنفسهم إكرام الأصدقاء لا ينزلون بهم إلى الدنى ، ويرجون لهم العُلا ، فأوجبُ منه إكرامهم لأنفسهم بالعمل النافع الذى يضمن لها الرفعة والسؤدد ، ويباعد بينهم وبين ما يضر ويسوء .

وكأن أبا العلاء يهدف بهذا الإكرام إلى العمل بما يرى ، والأخذ بمـا يدين .

٢ ﴿وأخلِفْ مَا الإنْسَانُ إلاّ مُذَمَّمٌ أخُو الفَقْرِ مِنّا والمَلِيكُ المُحَجَّبُ﴾

ما : حرف نفى ، تعمل عمــل « ليس » وقد تزاد البـاء فى خبرها . والنفى هنا منتقض « بإلا » فبطل عملها .

والمذمم ، المذموم جدا .

والمحجب ، أى الممتنع بقَصْره وحُجّابه .

جعل أخا الفقر مثلا للتبذّل والامْتهان ، والمليك مثلا للعــزّة والرفعة ، وخصّه بالوصف ليكون أبعد فيما أراد .

٣ ﴿ أيَعْقِلُ نَجْمُ اللَّيلِ أَوْ بَدْرُ تِمِّهِ فيُصْبِحَ مِنْ أَفْعَالِنَا يتَعَجَّبُ ﴾

يعقل : يفهم ويميز ، والاستفهام هنا ليس على حقيقته ، بل هو للإنكار الإبطالى ، لأن ما بعد الهمزة غير واقع ؛ إلا إذا أوّلنا بعض مظاهر النجم والقمر ، فيكون المعنى للتعجّب .

والنجم : ما نَبت على وجه الأرض ، وما طلع من نُجوم السماء . فميّز ما أراد منهما بالإضافة إلى « الليل » . والنجوم فى الليل أبين ما تكون للرائى ، فكانت إضافتها إليه . وأقام المفرد مقام الجمع .

ولعله أراد بالنجم «الثريا» فهو اسم لها علم . يقولون : طلع النجم ، ويريدون « الثريا » . وإن أخرجت منه الألف واللام تنكّر ، فعوّضته الإضافة هنا ما فقده .

وقد ناط العرب بالثريا أشياء ، فزعموا أن بين طلوعها وغروبها أمراضًا وعاهات ، فى الناس والإبل والثمار . ومُدّةُ مغيبها ، بحيث لا تُبْصَر فى الليل ، نيف وخمسون ليلة ، لأنها تخفى بقُربها من الشمس قَبلها وبعدها ، فإذا بعدت عنها ظهرت فى الشرق وقت الصبح . لهذا كان إيرادها هنا أوفق .

أو لعل الرواية : « أتعقل نُجم » . يريد « نُجم » بضمتين ، جمع نجم ، فسكن للشعر . ويكون المعنى على العموم .

والبدر : القمر الممتلئ قد تمّ .

والتم : التمام . والضمير فيه لليل .

قال ابن شُميل : وليل التمام : أطول ما يكون من الليل . ثم قال : ويطول ليل التمام حتى تطلع فيه النجوم كلها . ويكون أبو العلاء خصه بالذكر للتعجب الذي ذكره في هذا البيت ، إذ كل فعل عجب يُغرى بالاحتفال له ، ويجمع النَّظارة حوله .

ولم يُبعد أبو العلاء ، عما ذهب إليه القدماء ، من ربط الحياة بذوات السماء .

والتعجب : أن ترى الشيء يعجبك تظن أنك لم تر مثله . وكذلك أفعال الأناسيّ عند المعزى .

اللزومية الثالثة والاربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الراء :

١ ﴿ بَقِيتُ وما أَدْرِى بماهُو غائِبُ لعلَّ الذى يَمضِى إلى اللهِ أَقْرَبُ ﴾

درى ، من ذوات المفعول .

والباء فى « بما » إما للإلصاق ، وهو معنى لا يفارقها . وإما زائدة على المفعول . ومنه قوله تعالى : (وهُزِّى إليك بجذع النخلة)(١) . وقد مرّ على « لعلّ »(٢) شىء .

جعل الموت إلى الله قربى ، معها ينكشف للعبد ما غاب عنه فى الحياة .

٢ ﴿ تَوَدُّ بقاءَ النفسِ مِن خِيفَةِ الرَّدَى وطُولُ بقاءِ المَرْءِ سُمٌّ مُجَرَّبُ ﴾

الرَّدَى : الهلاك . والبيت فى معنى قول لَبيد :

وَدَعوتُ ربِّى بالسَّلامة جاهدًا لِيُصِحَّنى فإذا السلامةُ داءُ

وقول النَّمِر بن تَولب :

يَودّ الفَتى طولَ السلامة والبَقا فكيفَ يَرى طُولَ السَّلامة يفعلُ

٣ ﴿ على المَوتِ يَجتازُ المَعاشِرُ كُلُّهم مُقيمٌ بأَهْلِيهِ ومَنْ يَتَغَرَّبُ ﴾

يجتاز : يسلك ويجوز .

٤ ﴿ وما الأَرْضُ إلّا مِثْلُنا الرِّزقَ تَبْتَغِى فَتأْكُلُ مِنْ هذا الأَنامِ وتَشْرَبُ ﴾

ما أشبه هذا البيت بقول بعضهم :

كالأرض لا تطعم من فوقها إلا لكى تَطعم من تُطعِم

(١) الآية ٢٥ من سورة مريم .

(٢) البيت الأول من اللزومية ٤١ ص ٢٧٥

٥ (وَقَدْ كَذَبُوا حَتَّى على الشَّمْسِ أَنَّها ... تُهانُ إذا حانَ الشُّروقُ وتَغْرُبُ)

يشير إلى قول أمية بن أبى الصلت الثقفىّ من قصيدة له :

والشمس تطْلُع كل آخِر ليلةٍ ... حمراءَ تطلُع نورُها متورِّد

تأبى فلا تبدو لنا فى رِسلها ... إلا مُعذَّبة وإلا تُجلد

٦ (كأنَّ هِلالًا لاحَ لِلطَّعْنِ فِيهِمُ ... حَنَاهُ الرَّدى وهْو السِّنانُ المُحَرَّبُ)

٧ (كأنَّ ضِيَاءَ الفَجْرِ سَيْفٌ تَسُلُّهُ ... عَلَيْهِم صَباحٌ بالمَنَايَا مُذَرَّبُ)[1]

المحرب : المحدد .

والمذرب : المحدّد أيضا . وقيل : هو الذى سُقِى الذراب ، وهو السم ، فهو أسرع فى هلاكِ من ضُرِب به .

وعلى الرواية الثانية : « مدرب » بالدال المهملة ، فالمعنى معود . ويجوز على هذا أن يكون صِفة للصباح أو للسيف .

(١) ب : « مدرب » بالدال المهملة .

اللزومية الرابعة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الهاء :

١ ﴿ أُتُذْهَبُ دَارٌ بِالنُّضَارِ وَرَبُّهَا يُخَلِّفُهَا عَمَّا قَلِيـلٍ ويَذْهَبُ ﴾

أذهب الشيء . موّهه بالذهب وطلاه ، فهو مُذْهب . ومثله : ذهّبت الشيء ، فهو مذهّب .

والنضار : اسم للذهب والفضة ، وقد غَلب على الذهب . وقد يجىء نعتا ، فيقال : ذهب نُضار .

وخلّف الشيءَ : جعله خلفه ، يريد : ولّى عنه وتركه .

٢ ﴿ أَرَى قَبَسًا فِى الجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى وَمَادُمْتَ حَيًّا فَهْوَ ذَا يَتَلَهَّبُ ﴾

الرُّؤية ، بالعين ، وتتعدّى إلى مفعول واحد ؛ و بمعنى العلم ، وتتعدّى إلى مفعولين .

وقال ابن سيده : الرؤية : النظر بالعين والقلب .

والقَبس : الجذوة ، وهى النار التى تأخذها فى طَرف عود ؛ وقيل : هو الشُّعلة منها . يريد بها الحياة . وجعلها « قبسا » لقصر أمدها ، فالقبس لا مدد له يُذكيه فيطولَ وقده ، وكذلك الحياة إلى اضمحلال .

والتلهّب : التوقّد والاشتعال . ويُريد به ما مع الحياة من حركة واضطراب .

اللزومية الخامسة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع التاء :

١ ﴿غَدَوْتُ عَلَى نَفْسِى أُثَرِّبُ جَاهِدًا وأَمْثَالَهَا لَامَ اللَّبِيبُ المُثَرِّبُ﴾

غدا عليه غَدْوًا وغُدوا : بكّر ، وذلك فى أوّل النهار ، يعنى معاجلته نفسه ، وأن هذا أوّل ما كان منه .

وثرّب : أنّب وآستقصى فى اللّوم .

وقيل : ثَرّب عليه : لامه وعيّره بذنبه وذكّره به : تقول - ثرّبت عليهم ، وعرّبت عليهم ، أى قبحت فعلهم .

والتبكيت ، قريب منه . و « أمثالَهَا » مفعول مقدم للفعل «لام» ، أى وأمثال نفسى لام اللبيب .

٢ ﴿إِذَا كَانَ جِسْمِى مِن تُرَابٍ مَآلُه إِلَيهِ فَمَا حَظِّى بِأَنِّى مُتْرِبُ﴾

المآل : الرُّجوع والمَصير .

وأترب : قلّ ماله ؛ وأترب أيضا . آستغنى وكثر ماله ، فصار كالتراب ، وهذا هو الأعرف ، وهو المراد هنا .

يعنى أن الثراء ليس شيئا يحرص عليه من مصيره إلى التراب والفناء .

٣ ﴿ومَا زَالَتِ الدُّنيا بِأَصْنافِ أَلْسُنٍ تُبَيِّنُ عَن غَيْرِ الجَمِيلِ وتُعْرِبُ﴾

الأصناف : جمع صنف ، بالكسر والفتح ، وهو النوع والضرب من الشىء . وأصناف ألسن ، أى ضروب من القول وألوان من الكلام .

وأعرب : أبان وأفصح . يقال : أعرب الشىءَ ، إذا أبانه وأفصحه ، وعن حاجته : إذا أبان عنها .

٤ ﴿ إِذَا أَغْرَبَتْ يَوْمًا بِرُزْءٍ عَلَى الفَتَى فَلَيْسَتْ عَلَى نَفْسِى بِمَا حُمَّ تُغْرِبُ ﴾

الإغراب : الإتيان بالشىء الغريب ؛ وهو كذلك غاية الإكثار ، ومنه : أغرب الفرس فى جريه ، والرجل فى منطقه : إذا لم يُبق شيئا إلا تكلم به .

والرُّزء : المصيبة بفَقد الأعزاء ، وهو من الانتقاص ؛ يقال : ما رزأ فلانا شيئا ، أى ما أصاب من ماله شيئا ولا نقص . جعل الرزء غريبا لم يُعهد ، أو فادحا بلغ غاية الفَدْح .

وحُمَّ الشىء وأُحِمَّ : قُدِّر وقُضِى . وحمه الله وأحمه : قضاه وقدره .

٥ ﴿ وجَرَّبْتُها أُمَّ الوَلِيدِ لِطَامِعٍ ويَيْأَسُ من أُمِّ الوَلِيدِ المُجَرِّبُ ﴾

أم الوليد : من كُنى الدجاجة . وتكنى أيضا : أم حفصة ، وأم جعفر ، وأم عقبة ، وأم إحدى وعشرين ، وأم قُوب ، وأم نافع . وتُوصف بسرعة الإقبال والإدبار .

شبه الدنيا بها لا يَعلق بها وَهم طامع حتى تفوته .

كما تُوصف بقلة النوم وسرعة الانتباه ، والدنيا على تلك الحال قلّ أن يُطمع منها بغفلة أو غِرة .

٦ ﴿ يَحِقُّ لِمَنْ يَهْوَى الحَيَاةَ بُكَاؤُهُ إذا لَاحَ قَرْنُ الشَّمْسِ أو حِينَ تَغْرُبُ ﴾

حَق : وجب ، ومثلها حُق ، ولكنك إذا قُلت : حُق ، قُلت : لك ؛ وإذا قلت : حق ، قلت : عليك . وإذا عبّروا بالمضارع جعلوه من المَعلوم ، فقالوا : يحق عليك .

و « بكاؤه » فاعل الفعل « يحق » .

ولاح النجم ونحوه : بدا . فإذا أومض وتلألأ ، قلت : ألاح .

وقال ٱبن السكيت . ويقال للشيء إذا تلألأ : لاح يلوح لَوحا ولُؤوحا .

وقرن الشمس : أوّلها عند طلوعها وأعلاها . وقيل : أوّل شعاعها . وقيل : ناحيتهـا .

٧ ﴿ ومَا نَفَسٌ إلّا يُباعِدُ مَوْلِدًا ويُدْنِي المَنَايَا للنُّفُوسِ فتَقْرُبُ ﴾

النفس : هو خُروج الريح من الأنف والفم : وما الحياة إلا أنفاس .

٨ ﴿ فهَل لِسُهَيلٍ فى مَعَدِّك ناصِرٌ إذَا أسْلَمَتْه للحَوادِثِ يَعْـرُبُ ﴾

سهيل : كوكب . زعمـوا أنه كان عشّارا على طريق اليمن ظَلوما ، فمسخه الله كوكبا .

ومعـدّ ، هو ٱبن عدنان ، أبو العرب ، من « عد » ، أو الميم فيـه أصلية ، لقولهم : تمعدد ، أى تزيّا بزى معدّ فى تقشّفهم . أو تصبرّ على عيشهم .

ويعرب : هو ابن قحطان ، أبو اليمن .

يشير إلى هـذا الزعم : أى هل بعيد أن العرب تنصر سُهيلا بعـد أن لم تدفع عنه اليمن ، وهو منهم ! وجعله مثلا للإنسان لا يملك حولا من صديق بله غيره .

٩ ﴿ وأَهْدَى إلَى نَهْجِ الهُدَى مِن مَعاشِرٍ نَوَاضِحُ تَسْنُو أو عَوَامِلُ تَكْرُبُ ﴾

النهج : الطريق المستقيم .

والمعاشر : جماعات الناس .

والنواضح : جمع ناضحة ، وهى الناقة يستقى عليها المـاء .

وتسنو : تسق : يقال : سنت النـاقة تسنو ، إذا سقت الأرض ، والقوم يسنون لأنفسهم ، إذا ٱستقوا .

والعوامل : بقر الحرث والدِّياسة ؛ وقيل : هى من البقر التى يستقى عليها ويُحرث، وتستعمل فى الأشغال ؛ الواحدة : عاملة .

وتكرب : تحرث ؛ يقال : كرب الأرض يكربها كَربا وكِرابا : قلبها للحرث، وأثارها للزرع .

١٠ ﴿ أَلَا تَفْرَقُ الأَحْيَاءُ مِمَّا بَدَا لَهَا   وقَدْ عَمَّهَا بِالفَجْرِ أَزْرَقُ مُغْرَبُ ﴾

تفرق : تفزع وتجزع ؛ فَرِق منه فرقا : جزع . وحكى سيبويه : فَرِقه، على حذف « من » . وحكى اللحيانى : فرق عليه : فزع وأشفق .

والأزرق : الأبيض . قال ابن سيده . الزرقة : البياض حيثما كان . والأزرق أيضا : الشديد الصفاء .

والمُغرب، على صيغة اسم المفعول : الصبح لبياضه . أراد « مغرب أزرق » فقدم وأخر . وعلى صيغة اسم الفاعل : ما لف ووارى من كُل شىء .

ويريد « بأزرق مُغرِب » صُبحا صافيا قد لفّ بياضه كل شىء .

يعنى : حق للأحياء أن يفزعوا مع النهار يجىء فى إثر الليل ، ولا يفرحوا به، فليس مع مطلع كل فجر، إلا طىّ لأعمارهم، وذهاب بشبابهم .

١١ ﴿ وَشَفَّ بَقَاءٌ صِرْتُ مِن سُوءِ فِعْلِهِ   أَهَشُّ إِلَى المَوْتِ الزُّؤَامِ وأَطْرَبُ ﴾

شَفّ : أى رق ونحل وضعف، هذا على اللزوم .

و « بقاء » يريد حياة هذه صفتها : هُزالا ورقة وضَعفا، لا غناء عندها .

وقد يكون الفعل على الخروج، أى وشفنى بقاء . وحذف المفعول للعلم به . أى هزلنى بقائى فى الحياة وامتداد عمرى .

وهش للشيء يهش ، من باب فرح : ارتاح له واشتهاه .

والزُّؤام : العاجل السريع المجهز ، وقيل : الكريه ، وهو أصح .

١٢ ﴿ فَشِمْ صَارِمًا وَارْكُزْ قَنَاةً فَلِلرَّدَى يَدٌ هِيَ أَوْلَى بِالحِمَامِ وأَدْرَبُ ﴾

شام السيف : سلّه وأغمده ، من الأضداد . وشك أبو عبيد فى « شمته » بمعنى : سللته .

قال شمر : ولا أعرفه . وشاهده فى « السّل » قول الفرزدق :

إذا هى شِيمت فالقوائم تحتها وإن لم تُشم يوماً علتها القوائمُ

وشاهده فى « الغمد » قول الطرمّاح :

وقد كنت شِمت السّيف بعد آستلاله وحاذرتُ يوم الوعد ما قيل فى الوعد

والمراد هنا « الغمد » بقرينة « ركز القناة » بعده .

والصارم : السيف القاطع .

والركز : غرزك شيئا مُنتصبا كالرمح .

وأدرب : أكثر جُرأة وضراوة .

أى كُف أيها الإنسان من غلوائك ، ونهنه من طيشك ونزقك ، ولا تمدن يدك إلى غيرك بالبطش والإيذاء ، فإن الموت آت عليكم جميعا ، سوف لا يبقى ولا يذر .

١٣ ﴿ أَفُضُّ لِهَامَاتٍ وأَرْمِى بِأَسْهُمٍ وأَطْعَنُ فى قَلْبِ الخَمِيسِ وأَضْرَبُ ﴾

أفض : أقوى تكسيرا وتفريقا .

والهامات : جمع هامة ، وهى الرأس ، وتجمع على : هام ، أيضا .

والخميس : الجيش الجرار . وقيل : سمى بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والميسرة ، والساق .

١٤ (أَرَى مُطْعِمَ الرَّمْسِ اللُّهَمَّ خَلِيلَه   سَيُؤْكَلُ(١) مِن بَعْدِ الخَلِيلِ ويُشْرَبُ)

الرمس : القبر ؛ والجمع : أرماس، ورُموس .

واللُّهَم ، مثل خِضَم : العظيم الكثير الابتلاع . وصف للمضاف إليه ، وهو « الرمس » . واللُّهَم أيضا : الكثير العطاء ، فيكون وصفا للمضاف ، وهو « المطعم » أى السخىّ فى القتل .

و « خليله » مفعول لـ « مطعم » . و « سيؤكل و يشرب » على ما لم يسم فاعله . أى إنه نازل به مِثل ما نزل بخليله ، شارب بالقدح الذى شرب منه .

وعلى رواية : « سيأكل » . يعنى أن الناس بعد أن يواروا خلانهم التراب عائدون إلى لهوهم ومُجونهم .

(١) ب : « سيأكل » .

اللزومية السادسة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الدال :

١ ﴿ إِذَا أَقْبَلَ الإِنْسَانُ فِى الدَّهْرِ صُدِّقَتْ   أَحَادِيثُه عَنْ نَفْسِهِ وَهْوَ كَاذِبُ ﴾

الإقبال : ضد الإدبار . يريد : إذا مضى قُدما إلى الرفعة والعلياء ، وأصاب حظا من منزلة سامية .

٢ ﴿ أَتُوهِمُنِى بِالمَكْرِ أَنَّكَ نَافِعِى   وَمَا أَنْتَ إِلَّا فِى حِبَالِكَ جَاذِبُ ﴾

وهمت فى الشىء، بالفتح، أهِم وَهما، إذا ذهب وهمك إليه وأنت تريد غيره؛ وأوهمت غيرى إيهاما .

وبالمكر، أى خادعا محتالا فى خِفية .

والحبال : جمع حبل، وهو ما يُصاد به .

قال الأزهرىّ : والحبالة . جمع الحبل ؛ يقال : حبل وحِبال وحِبالة ، مثل : جمل وجمال وجمالة . وقيل : الحبالة ، التى يصاد بها ، جمعها : حبائل .

والجذب : المدّ . أى مُوسع لى فى وسائل الإغواء لتصيب منى مقتبلا .

وقد تكون الحبال : جمع حبل ، بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون « الجذب » هنا بمعنى القطع ، ويكون المعنى : أنه يخيل له أنه على عهده ووده ، وهو يكيد له ويمكر به .

٣ ﴿وَتأْكُلُ لَحْمَ الخِلِّ مُسْتَعْذِبًا لَهُ وَتَزْعُمُ لِلأقْـوامِ أنَّكَ عَاذِبُ﴾

الخِل : الصديق المختص . والجمع : أخلال . والأنثى : خِل، أيضا . ويجوز فيه الضم ، والكسر أكثر .

ومستعذبا له . تعدّه عذبا مُستساغا . وظاهر أنه يشير إلى قوله تعالى فى سورة الحُجرات : (ولا يَغتب بعضُكم بعضا . أيُحب أحدكم أن يأ كل لحم أخيه ميتا)[1] .

وقد تكون الرواية « الخل » بالفتح ، وهو المهزول والسمين ، ضد ، يكون فى الناس والإبل . والمراد هنـا : الإبل . وكأنه ملتفت إلى ما أخذ نفسه به من العذوف عن أ كل لحوم الحيوان . وكأنه هنـا يعُد فاعل ذلك على نقيصة ، لا يُوثق به ولا يؤمن جانبه .

والعاذب ، من جميع الحيوان : الذى لا يطعم شيئا . وقد غلب على الخيـل والإبل : والجمع . عُذوب، كساجد وسجود .

وقيل : هو الذى يبيت ليـله لا يطعم شيئا ؛ أى إنه نَهِم شرِس ، و تّدعى أنه عَفّ عن زهد .

(١) الآية ١٢ من سورة الحجرات .

اللزومية السابعة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الجيم :

١ ﴿ لا يُغْبَطَنَّ أخو نُعْمَى بِنِعْمَتِهِ   بِئْسَ الحَيَاةُ حياةٌ بَعْدَهَا الشَّجَبُ ﴾

الغَبْط : أن تُتمنى مِثــل حال المغبوط ، من غير أن تُرِيد زوالها ولا أن تحول عنــه .

والنعمى : كالنعمة ، وإن فتحت النون مددت ، فقلت : النعماء .

وبئس : كلمة ذم . فعل ماض لا يتصرف ، لأنه أزيل عن موضعه ، منقول من « بَئِس » ، إذا أصاب بُؤسا . وهى تكون لذمّ الجنس ، والمقصود بالذات فرد من ذلك الجنس ، ويُسمى ذلك الفرد : المخصوص بالذم .

و « حياة » هى المخصوصة بالذم ، وهى خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره « هى » .

والشَجب : الهــلاك ، والحزن أيضا ؛ فعله : شَجِب يشجب ؛ وأما شَجَب يشجُب ، فالمصدر منــه شجوب ، وهو بمعناه . هــذا على اللزوم ، فإذا عدّيته ، فالمصدر : الشَّجْب ، وكان معناه الإهلاك .

٢ ﴿ والحِسُّ أوْقَعَ حَيًّا فِى مَساءَتِهِ   وللزَّمانِ جُيُوشٌ ما لَهَـا لَجَبُ ﴾

الحس : الإدراك ، وأدواته فى الإنسان حواســه الخمس ؛ أو هو التصرف من تصرفات المرء ؛ تقول : « جئنى من حسّك وبِسك » ، أى من حيث تدركه حاسة من حواسك ، أو يدركه تصرُّف من تصرفك . والمعنى على التأويلين جائز ؛ لحــواس الإنسان ، وهى وسائله ، أو تصرُّفه وما يأتيــه ، جارّة عليه ، فيما تجــترّ ، العطب والمُوبقات .

وفى مَساءته ، أى ما يسوءه ، والضمير للحىّ ، والمساءة ، من مصادر : ساءه يســـوءه .

وجيوش الزمان : مُغوياته ومغرياته التى هى أسباب للفناء .

والجب : الصوت والصياح ، وقيل : هو ارتفاع الأصوات والجلبة مع اختلاط ، وصوت العسكر . ونَفى « الجب » عنها ، وصف لها بالمخاتلة تدبّ له الضَّراء ، وتمشى الخَمَر .

يشير إلى ما يدهم به الزمان الإنسان على غِرة وغفلة من أمره .

٣ ﴿لَوْ تَعْلَمُ الأَرْضُ ما أفْعالُ ساكِنِها لَكانَ مِنْها لِمَا يأْتِى(١) بِهِ العَجَبُ﴾

لو ، تدل على ثلاثة أمور : الشرطية ، أعنى عقد السببية والمُسببية بين الجملتين بعدها ، وتقييد الشرطية بالماضى ، وامتناع السبب .

وهى بالشرطين الثانى والثالث تخالف « إن » ، « فإنّ » التى هى لعقد السببية والمسببية فى المستقبل .

وقد تجىء « لو » بمعنى « إن » وذلك فى نحو (وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كنا صادقين(٢)) . غير أنها هنا ليست من هذا ، فالمضارع « تعلم » مراد به المضى .

ثم إن الشرط متى كان مستقبلا محتملا ، وليس المقصود فرضه الآن أو فيما مضى ، فهى بمعنى « إن » . ومتى كان ماضيا أو حالا أو مستقبلا ، ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى ، فهى الامتناعية .

---

(١) ب : « يؤتى » .

(٢) الآية ١٧ من سورة يوسف .

و « ما » فى « ما أفعال » استفهامية مضمنة معنى الحرف ، ومعناها : أى شيء . وهى هنا معلقة ، أى قد علقت الفعل « تعلم » عن العمل، والتعليق إبطال العمل لفظا لا محلا .

واللام فى « لكان » لام الجواب . وتكون جواب « لو » و « ولا » وجوابا لقسم .

و « يأتى به » : يفعله .

يعنى أن الأرض لو رزقت الإدراك لضاقت عجبا بما يأتى أهلها من فوقها .

٤ (بدءُ السَّعادَةِ أنْ لم تُخْلَقِ آمْرأةٌ   فَهَلْ تَوَدُّ جُمَادَى أنّها رَجَبُ)

جمادى : أحد جُماديين ، آسمين لشهرين . إذا أضفت قلت : شهر جمادى، وشهرا جمادى . وسُميت الأولى : جمادى خمسة ، أى الخامسة من أوّل شهور السنة . والآخرة : جمادى ستة . قال لبيد :

* حتى إذا سَلخا جمادى ستةً *

وسُمى « جمادى » لجمود الماء فيه ، وهو الشتاء عند العرب . قال الفراء : والشهور كلها مذكرة إلا جماديين، فإنهما مؤنثان . قال الشاعر :

إذا جمادى منعت قطرها   زان جنابى عَطَنٌ مُغضِفُ (١)

ورجب : شهر، سموه بذلك لتعظيمهم إياه فى الجاهلية عن القتال، فلا يستحلونه فيه . وفى الحديث : « رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » . قوله : « بين جمادى وشعبان » تأكيد للبيان و إيضاح له ؛ لأنهم كانوا يؤخرونه من شهر الى شهر، فيتحوّل عن موضعه الذى يختص به . وقيل له : رجب مضر، إضافة إليهم؛ لأنهم كانوا أشدّ تعظيما له من غيرهم، فكأنهم آختصوا به .

(١) عطن مغضف : كثر نعمه .

يشير إلى ما قبل خلق حوّاء ، وأن العالم حين عرفها عرّف هـذا التسلسل والنسل، وهو ما ينادى بسواه أبو العلاء ويودّ لو كان العالم على غيره . وكأنه قاطع بأن النساء لن يرغبن فى النزول عن أنوثتهن ، إبقاء لهـذا الشقاء الذى أدعاه ، وهو امتداد النسل ، فضرب لذلك شيئا مستحيلا . وهو أن تخرج جمادى عن التأنيث إلى التذكير .

وإن صدق هذا على الشهور فما أصدقه على الأناسى، وما أرغب المـرأة عن أن تستحيل إلى جنس آخر، وإن رضيته رغبتها فلن يسمح لها به الوجود الذى آنتظم العالم صنفين ليبق .

ه (ولم تَتُبْ لِخيَارٍ كانَ مُنتَجَبًا لكِنَّكَ العُودُ إذ يُلحَى ويُنْتَجَبُ)

التوبة : الإنابة والرجوع عن المعصية إلى الطاعة . تاب إلى الله توبا وتوبة ومتابا .

والخيار : الاسم من الآختيار .

والمُنتجب : المختار من كل شيء، ومنه : انتجب فلان فلانا . إذا استخلصه واصطفاه اختيارا على غيره . أى لم تكن توبتك لاختيارٍ آخترته وآثرته .

وكأنه يشير إلى زمن الفُتوة والصّبا ، حين الإقلاع عن اللهو مع المقدرة عليه، لا يكون آختيارا وإنما يكون آضطرارا .

والعُود، معروف، وهو ما جرى فيه المـاء من الشجر، يكون للرطب واليابس، دق أو غلظ . وخص به الليث ما دق .

ولعل هذا الأخير بالسياق أجمل ، إذ مراد أبى العلاء أن يقابل بين الشباب والشيخوخة، والقوّة والضعف .

وُيلحى : ينزع عنه لحاؤه ، وهو قشره ، لحاه يلحوه ، ومثلها : ألحاه . وينتجب ، أى يؤخذ قشره بعد أن يعرّى عنه . ومجيئه بالفعل الثانى، لمزيد معنى أراده، وهو تأكيد التعرية، وأنه لا أمل معها فى عَودة .

يصف حال الشيخوخة التى لا رجاء معها فى عودة إلى صبا . وعندها تكون التوبة، إن كانت، عن وهن وقلة حيلة .

أو لعله جعل « لحو العود وانتجابه » مثلا للشىء يُقسر عليه المرء ولا يملكه .

وكذلك التوبة لا يأتيها المرء آختيارا، وإنما يحمل عليها آضطرارا . حين يُرد إلى وهن وضعف، لا تغنى عنه أسبابه .

٦ (وما آحتَجَبْتَ عَنِ الأَقْوامِ مِن نُسُكٍ   وإنّما أنتَ للنَّكْراءِ مُحْتَجِبُ)

احتجب : اكتنّ من وراء حجاب ، هذا أصله . والمراد : العُزلة على أى لون كانت . والنسك ، بالضم وبضمّتين : العبادة والطاعة . وكل ما تقربت به إلى الله تعالى . والفرق بينه وبين الورع ، أن النسك فيما أمرت به الشريعة ، والورع عما نهت عنه .

والنكراء : المنكر المستقبح، إمّا أن يريد ما صار إليه من حال لا صلاح معها للمُعاشرة والمخادنة ، آستتر من أجلها يتنسّك حيث لم يجد إلى غير ذلك سبيلا ؛ وتكون اللام فى « للنكراء » للصيرورة، وهى لام العاقبة ، ولام المآل؛ وإما أن تكون للتعليل ، ويكون المراد : لفعل النكراء لا للعبادة آحتجب .

وإما أن تكون « النكراء » بمعنى الدهاء، ومنه : فلان ذو نكراء، أى داهيا . يريد أن ذلك النسك دهاء منه ومواربة . وكثيرا ما يشير أبو العلاء إلى هذا المعنى .

٧ ﴿قَالَتْ لِيَ النَّفْسُ إِنِّي فِي أَذًى وَقَذًى   فَقُلْتُ صَبْرًا وَتَسْلِيمًا كَذَا يَجِبُ﴾

القَذى : ما يقع فى العين ، وما يسقط فى الشراب من ذُباب وغيره ، وما يلجأ إلى نواحى الإناء فيتعلّق به ، وما هَراقت الناقةُ والشاة من ماء ودَم قبل الولد و بعده ، وكله مما يُبغض ويُعاف ويُكره .

ولعله أقام « الأذى » لكل ما هو معنوى ، و « القــذى » للحسّىّ . وظاهر أنه يشــير إلى ملابسة الروح الجسم وعنائها بهذا الجوار . أو هو مشير إلى وجوده فى الحياة ، وما يتبع هذا الوجود من ضُر و إثم . وهو ما ينعاه أبو العلاء على الآباء ، ولم يُرد أن يُعنّى به الأبناء .

اللزومية الثامنة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الجيم :

١ ﴿ أَعَيَّبُونِى(١) حَيًّا ثُمَّ قَامَ لَهُمْ   مُثْنٍ وقَدْ غَيَّبُونِى إِنَّ ذَا عَجَبُ ﴾

عيبه : نسبه إلى العيب، وجعله ذا عيب .

وعلى الرواية الثانيــة : « غيبونى » بالغين . فالمــراد : أهملونى واطرحونى، فكنت بينهم خامل الذكر، كالغائب بينهم غير الموجود .

والإثناء والثناء ، يُستعملان فى القبيح من الذّكر فى المخلوقين وضدّه ؛ يقال : أثنى ، إذا قال خيرا أو شرا . والمراد هنا الخير . يريد : ذلك الذى يندُب الميت ويَرثيه و يؤبّنه .

وغيبوه : دفنوه . ويقولون : غيّبه غيابُه ، أى دُفن فى قبره .

٢ ﴿ نَحْنُ البرِيّةَ أَمْسَى كُلُّنَا دَنِفًا   يُحِبُّ دُنْيَاهُ حُبًّا فَوْقَ مايَجِبُ ﴾

البرية : الخلق ، وأصــله الهمز . وقيل : إن أخذت من « البرى » وهو التراب ، فأصله غير الهمز ؛ ومن ذهب إلى أن أصله الهمز ، أخذه من : برأ الله الخلق ، أى خلقهم . وقال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة . وهى هنا منصوبة على الاختصاص .

والدنِف : الذى براه المرض اللازم المُخــامر ؛ وقيــل : هو المرض ما كان . يريد : من شَفّه جوى الحُب وتَيّمه .

---

(١) ب : « اغيبونى » بالغين المعجمة .

اللزومية التاسعة والأربعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الذال :

١ ﴿ أَخلاقُ سُكّانِ دُنْيانَا مُعَذَّبَةٌ   وإنْ أتتْكَ بِمَا تَسْتعذِبُ[١] العَذَبُ ﴾

معـذَّبة : منفِّرة . عذَّبته عن الشىء وأعذبتـه : منعته وكففته . واستعذب الشىء : عدّه عذبا سائغا .

والعذب : جمع عَذَبة ، وهى من اللسان : طرفه الدقيق . وهى كذلك من السوط والسيف . ولمـا كان الطرف أوّل ما يبدو ، جعل الفعل له . أو هو من إطلاق الجزء على الكل .

٢ ﴿ سَمَّوا هِلالًا وبَدْرًا والنَّدَى وضُحًى   وفَرْقَدًا وسِمَاكًا شَدَّ مَا كَذَبُوا ﴾

الفرقد : ولد البقرة . وهو أيضا أحد نجمين يُسميان : الفرقدين ، لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدى . وقيـل : هما قريبان من القُطب . كما قيـل : إنهما كوكبان فى بنات نعش الصغرى[٢] .

والسماك : أحد نجمين ، وقد مرّ[٣] .

يريد بهـا كلها مسمياتها بين الناس . و ينعى عليهم ما تلمسوه للتسمية من علة لها فى اللفظ طلاوة ، وليس لها فى الحقيقة دلالة .

---

(١) ب : « بما يستعذب » .

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

(٣) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

٣ (ولَمْ يُنَطْ بِحِبالِ الشَّمْسِ مِنْ نَظَرٍ   إلّا لَهُ فى حِبَالِ الشَّرِّ مُجْتَــذَبُ)

ناط الشيء ، ينوطه نوطا : علقه ووَصله .

وحبال الشمس : شبه نسيج العنكبوت ، ترى فى الهواجر عند آشتداد الحر .
ويسميه العرب : ريق الشمس ، ولعابها ، والخيتعور .

ومن نَظر، أى مقابلة ومُناظرة . هذا ينظر إلى هذا ، أى يقابله ويناظره . أى من يناظر بينه وبين الشمس فيصل بينه وبينها ؛ يريد : يخلع على نفسه اسمها أو وصفا من أوصافها . وجعل ذلك بمنزلة حِبالها ، سببا واهيا ، ووُصلة لا مِرّة لها .

وحبال الشر : أى حبالاته ومصايده . وقد مر مزيد عن الحبال[1] .

ومجتــذب : أى تعلُّق وتَميــل . جعل هؤلاء الحريصين على أن يخلعوا على أنفسهم صــفات البر والتقى ، وما إليهــا من الصفات الطيبة ، أقربهم إلى الشر ، وأدناهم من السيئات .

(١) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية ٤٦ ص ٢٩١ من هذا الجزء .

اللزومية المتمة الخمسين

وقال أيضا فى الراء المضمومة مع الباء :

١ ﴿ لَا تَسْأَلِ الضَّيْفَ إِنْ أَطْعَمْتَهُ ظُهُرًا بِاللَّيْلِ : هَلْ لَكَ فِى بَعْضِ القِرَى أَرَبُ ﴾

القِرى : ما تُعدّه للضيف تَقريه به وتُحسن إليه .

وأرب : حاجة . وفيه لغات : إرَب ، وإرْبة ، ومأرُبة ، ومأرَبة . وفى حديث عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملكَكم لإرْبه » ، أى لحاجته . تعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان أغلبكم لهواه وحاجته ، أى كان يَملك نفسه وهواه .

٢ ﴿ فَإِنَّ ذَلِكَ مِن قَوْلٍ يُلَقِّنُــهُ لَا أَشْتَهِى الزَّادَ وهْوَ السَّاغِبُ الحَرِبُ ﴾

« من » فى قوله « من قول » للبيان .

ويلقنه : يُفهمه ، وهو من ذوات المفعولين . الهاء المتصلة به أولها، وثانيهما الجملة المحكية : « لا أشتهى الزاد » التى سدت مسدّه ، وكأن التقدير : يلقنه ويوحى إليه أن يقول : إنى لا أشتهى الزاد .

والساغب : الجائع . وقيل : لا يكون السغب إلا مع التعب .

والحَرِب : الذى نزل به الحَرَب ، وهو الذى ليس معه شىء قد سُلِب ماله كله . أى إنه مع جوعه مُعدم لا ملجأ له إلا إليك ، ولا شىء معه ممّا يقوته .

٣ ﴿ قَـدِّمْ لَهُ مَا تَأَتَّى لَا تُؤَامِرُهُ فِيهِ وَلَوْ أَنَّهُ الطُّرْثُوثُ والصَّرَبُ ﴾

تأتّى : تهيأ .

وآمره : شاوره .

والطّرثوث : نَبت يؤكل ، وهو رملىّ طويل مُستدق ، كالفُطر يَضرب إلى الحمرة يَيبس ، وهو دِباغ للمعدة ، واحدته : طرثوثة .

وقال أبو حنيفة : وليس فيه شىء أطيب من سُوقته ولا أحلى ، وربما طال وربما قَصر ، ولا يخرج إلا فى الحَمض ، وهو ضربان : فمنه حُلو ، وهو الأحمر ، ومنه مُر ، وهو الأبيض .

وقال أبو زياد : الطراثيث تُتخذ للأدوية ولا يأكلها إلا الجائع لمرارتها .

والصّرب ، بالفتح ، وبالتحريكْ : اللّبن الحقين الحامض .

وقيل : هو الذى قد حُقِن أياما فى السقاء حتى اشتد حمضه ، واحدته : صَرْبة ، وصَربة .

اللزومية الواحدة والخمسون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الباء :

١ (قَدْ أَسْرَفَ الإِنْسُ فى الدَّعوى بِجَهْلِهِمُ حتَّى ٱدَّعَوْا أَنَّهُمْ لِلخَلْقِ أَرْبَابُ)

الإسراف : مجاوزة القصد ، ومثله : السَّرف . وقيل : السرف : ضد القصد .

وحكى ٱبن الأعرابىّ : أسرف الرجل ، إذا جاوز الحد ؛ وأسرف ، إذا أخطأ ؛ وأسرف ، إذا غَفل ؛ وأسرف ، إذا جهل . وبكُل يستقيم المعنى .

والإنس : جماعة الناس ؛ وجمعها : أُناس ، وهم الأَنَس أيضا . وقيل : الأَنس : الحى المقيمون ؛ كما قيل : إن « الأَنس » لغة فى « الإِنْس » .

والدَّعوى : ٱسم لما تدّعيه ، وتكون بمعنى « الدعاء » وليس مرادا هنا . والباء فى « بجهلهم » للسببية ، أى بسبب جهلهم .

و « حتى » هنا ، إما للغاية ، أى إلى أن ٱدعوا . وإما للابتداء ، وهذه كما تدخل على الجملة الأسمية ، تدخل على الفعلية ، فعلها مضارع أو ماض .

وأرباب : جمع رَب . ولا يقال فى غير الله إلا بالإضافة . وقد جاء فى ٱلشعر مطلقا على غير الله تعالى : وليس بالكثير ، ولم يذكر فى غير الشعر . وقيل : يقال : الرب ، بالألف واللام لغير الله . وقد قالوه فى الجاهلية للملك . قال الحارث ابن حِلِّزة :

وهو الربّ والشّهيد على يَوْ مِ الحِيارَيْن والبَلاَء بلاءُ

وربّ كل شيء : مالكه وصاحبه ومُستحقه . والتخفيف فيه لغة . قال الشاعر :

وقـد عَلِم الأقوامُ أنْ ليس فوقه ... رَبٌّ غيرمن يُعطى الحُظوظ ويَرزقُ

وفى حديث أبى هُريرة رضى الله عنه : « لا يَقُل المملوك لسيده ربى » . وأما قوله تعالى : (اذكُرنِى عِنـد ربك)(١) فإنه خاطبهم على المتعارف عندهم ، وعلى ما كانوا يُسمونهم به .

وأما الحـديث فى ضالة الإبل « حتى يلقاها ربها » فإن البهائم غير متعبـدة ولا مخاطبة ، فهى بمنزلة الأموال التى تجوز إضافة مالكها إليها ، وجعلهم أربابا لها .

٢ (إلْبابُهُمُ كانَ بِاللّذاتِ مُتّصِلًا ... طُولَ الحَيَاةِ وما لِلقَوْمِ أَلْبابُ)

ألب على الأمر إلبابا : لزمه فلم يُفارقه . وبالمكان : أقام به ولزمه .

والألباب : العقول ؛ الواحد : لُبّ ؛ ويجمع على : ألبب ، وألُب ، أيضا .

جعل شغلهم باللذات واتصالهم بها دليل على عدمهم من العقل .

٣ (أَجرَى مِنَ الخَيْلِ آمالٌ أُصَرِّفُهَا ... لَهَا بِجَنْبَىَّ تَقْـرِيبٌ وإخْبابُ)

« أجرى » تفضيل . أى خير من الخيل جريا ، خبر مقـدم ، و « آمال » مبتدأ مؤخر .

وتصريف الآمال : إعمالها فى غير وجه ، كأنه يصرفها عن وجه إلى وجه .

يشير بالجمع لآمال إلى كثرة أطماعه ، وبتصريفها إلى تشعب رغباته واختلاف أمانيه . وبوَصفها بالجـرى السريع إلى أنه لا يكاد ينفض يده من تحقيق أمل إلا إلى أمل .

(١) الآية ٤٢ من سورة يوسف .

والحث ، الإعجال فى آتصال . وقيل ، هو الاستعجال ما كان .

والتقريب : ضرب من العَدو، وهو أن يرفع الفرس يديه معا و يضعهما معا . وهو دون الحُضْر . وفى حديث الهجرة : « أتيت فرسى فركبتها ، فرفعتها تُقَرِّب بى » .

والإخباب ، من : أخبّ الفرَس صاحبُها ، إذ جعلها تجرى الخَبَب ، وهو ضرب من العدو سريع . وقيل : هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا . وقيل ، هو أن يُراوح بين يديه ورجليه .

وكان السياق يقضى أن يقول : تقريب وخبب . إلا أنه وضع «الإخباب» مكان « الخبب » . وهو مما أهملته المعاجم . أو لعله على تأويل ، أنّ حثّه لها جعلها تلهب نفسها . فكان ذلك منها إخبابا .

٤ (فِى طَاقَةِ النَّفْسِ أنْ تَغْنَى بِمَنْزِلِها   حَـتَّى يُجَافَ عَلَيْها لِلثَّرَى بَابُ)

الطاقة ، القدرة . طاقه طوقا ، وأطاقه إطاقة . والطاقة ، آسم وضع موضع المصدر .

وقال آبن بَرِّى : الطاقة ، أقصى غاية الإنسان ، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه .

وتغنى : تستغنى .

وأجاف البابَ : رده . قال الشاعر :

بحثنا من الباب المُجَاف تواترًا   وإن تَقْعُدا بالخَلْف فالخَلْفُ واسعُ

وفى الحديث : « أجيفوا أبوابكم » أى رُدوها .

واللام فى « للثرى » موافقة « من » . ويريد « بباب من الثرى » ما يهال عليه من التراب حين يوارى فى قبره .

٥ ﴿ فَاْجعَلْ نِساءَكَ إنْ أُعْطِيتَ مَقْدِرَةً كَذاكَ وَاحْذَرْ فَلِلْمِقْدارِ أَسْبابُ ﴾

كذاك ، أى على مثل تلك الحال التى أوصيك بها .

والمقدار : القدر . وقد مر[1] . ويريد به : مايتعرضن له من الغواية .

والأسباب : كل ما يتوصل به إلى الغرض ، الواحد : سبب . يريد : وسائل الإغراء والفتنة .

هو أخوف مايكون على النساء من العطب ، فهن عنده أضعف حيلة عن رده .

٦ ﴿ وَكَمْ جَنَتْ مِن هَجُولٍ تُجِّبتْ وَوَفَتْ مِن حُرَّةٍ مالَها فى العَيْنِ جِلْبابُ ﴾

كم ، هنا : خبرية ، بمعنى كثير . وتشترك مع الاستفهامية فى : الاسمية ، والإبهام ، والافتقار إلى التمييز ، والبناء ، ولزوم التصدير . ويفترقان فى خمسة أمور .

الأول : أن الكلام مع الخبرية محتمل للتصديق والتكذيب .

الثانى : أن المتكلم مع الخبرية لا يستدعى من مخاطبه جوابا ؛ لأنه مخبِر ، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه ؛ لأنه مستخبر .

الثالث : أن الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة ، بخلاف المبدل من الاستفهامية .

الرابع : أن تمييز « كم » الخبرية مفرد أو مجموع ، ولا يكون تمييز الاستفهامية إلا مفردا ، خلافا للكوفيين .

---

(١) انظر شرح البيت السادس من اللزومية ٢٧ ص ١٨٠ من هذا الجزء ، وشرح البيت الثالث من اللزومية الأولى ص ٦٠ .

والخامس : أن تمييز الخبرية واجب الخفض ، وتمييز الاستفهامية منصوب ، ولا يجوز جره مطلقا . خلافا لبعضهم .

و « من » هنا ، لبيان الجنس ، وذلك لإبهام « كم » .

والهَجول : البغيّ من النساء والفاجرة . وأنشد ثعلب :

عُيونٌ زهاها الكُحل أما ضميرها فعفٌّ وأما طرفهـا فهَجـولُ

وفى العين ، أى مرأى العين وحين تنظر إليها .

والجلباب : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، تُغطى به المرأة رأسها وصدرها . وظاهر أنه ملتفت إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب : (يُدْنِين عليهن من جلابيبهن)(١) . وإلى قوله فى سورة النور : (وليضربن بخُمُرِهن)(٢) .

يعنى أنها متكشفة ليست محجبة .

٧ ﴿أذًى من الدَّهرِ مَشْفُوعٌ لَنَا بأَذًى هَذَا المَحَلُّ بِمَا تَخْشَاهُ مِرْبَابُ﴾

هذا المحل ، أى الدنيا .

والمرباب من الأرضين : التى كثر نبتها . و « بما تخشاه » متعلق بـ « مرباب » أى مرباب بما تخشى وتخاف . يشير إلى كثرة شرور الحياة .

٨ ﴿يَزُورُنَا الخَيْرُ غِبًّا أو يُجانِبُنَا فَهَلْ لِمَا يَكْرَهُ الإنْسَانُ إغْبَابُ﴾

الغب ، فى الأصل : من ورود الماء ، وهو أن تشرب يوما ويوما لا . وهو فى الزيارة ، أن تزور يوما وتدع يوما أو أياما . ومنه : زُرْ غِبا تزدد حُبا . وقال الحسن : الغب فى الزيارة : فى كل أسبوع .

وجانَبه : بعُد عنه .

(١) الآية ٥٩ (٢) الآية ٣١

و « هل » مما يراد بالاستفهام بها النفى ، فكأن المعنى : لا إغباب لما يكره الإنسان .

والإغباب : ألا تأتى كل يوم . ومنه : أغب عطاؤه، إذا لم يأت كل يوم . وأغبت الإبل ، إذا لم تأت كل يوم بلَبن . يشير إلى اتصال الأذى ، وأنه ليس كالخير فى زَوراته .

وفى الحديث : « أغِبوا فى عيادة المريض واربعوا » أى عُد يوما ودَع يوما ، أو دع يومين وعُد اليوم الثالث .

٩ (وقَدْ أَساءَ رِجالٌ أَحْسَنُوا فقَلُوا وأجْمَلُوا فإذَا الأَعْدَاءُ أَحْبَابُ)

قَلوا : أبغضوا وكَرِهوا غاية الكراهية . قلاه يقليه ، قِلى وقلاء ، ويقلاه ، لغة طيئ . وأنشد ثعلب :

أيّامَ أُم الغَمر لا نَقلاها ولو نشاء قُبِّلت عَيناها

وأجملوا : اعتدلوا وأتأدوا وأحسنوا .

و « على » فى « على ضعف » للصاحبة . أى مصاحبا ضعفا ، فى موضع الحال من الضمير المستكن فى « فانفع » .

يعنى أن الناس أعداء الحق يُبغضون قائله وإن أحسن، ويحبون المداهن المجمل، وإن جانب الحق واطّرحه .

١٠ (فَانفَعْ أَخاكَ على ضَعْفٍ تُحِسُّ بِهِ إنَّ النَّسِيمَ بِنَفْعِ الرُّوحِ هَبَّابُ)

هباب : صيغة مبالغة من « هب » . ولا تنقاس فى اللازم، وقد تجىء منه .

يعنى أن النسيم، وهو ماهو رِقةً وخفة ، تنتعش به الأرواح وتفيد منه .

اللزومية الثانية والخمسون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الجيم :

١ (ياصاحِ ماأَلِفَ الإعجابَ مِن نَفَرٍ إلّا وهُمْ لِرءُوسِ القَوْمِ أَعْجَابُ)

يا صاح ، أى يا صاحب ، منادًى مرخَّم ، ولك فى الحاء الضم ، على لغة من لا يلحظ الحرف الأخير ، أو الكسر على لغة من يلحظه .

وألِف الشىء يألفه : لزمه .

و « من » فى « من نفر » مَزيدة لتوكيد العموم . وشرطها أن يتقدّمها نَفى أونهى أو استفهام بهل ، وأن يكون مجرورها منكّرا ، وأن يكون فاعلًا ، أو مفعولا به ، أو مبتدأ .

و « نفر » فاعل . والنَّفر : ما دون العشرة . ومنهم من خصّص فقال : للرجال دون النساء . وقيل : النفر : الناس كلهم . وقيل : النفر ، والقوم والرهط ، هذه كلها معناها الجمع ، لا واحد لها من لفظها . وقيل : النفر : هم رهط الإنسان وعشيرته ، آسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة : ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وأعجاب : جمع عَجْب ، وهو من كل دابة : ما انضم عليه الوركان من أصل الذنب كله . وقال اللِّحيانى : هو أصل الذنب وعظمه .

يعنى أنك لا تجد من الناس من يدُل كبرا ، ويتيه عجبا ، إلا وهو دنىّ المرتبة ، وَضيع المنزلة ، وكأنه الذنب والناس رءوس ؛ أحس هذا من نفسه ، فهو يستره بكبره .

٢ ﴿ مَالِي أَرَى المَلِكَ المَحْجُوبَ يَمْنَعُهُ أَنْ يَفْعَلَ الخَيْرَ مُنَّاعٌ وحُجَّابُ ﴾

« أن يفعل » فى موضع النصب على المفعولية .

ومُنَاع : جمع مانع ، والمسموع : مَنَعة ، والقصد المشاكلة . « حُجاب » .

ينعى على الملوك احتجابهم عن رعاياهم ، لايسمعون لهم ولا يعرفون عنهم ، وركونهم إلى حاشية يعنيها أن تضرب بين الملوك والناس حجابا مستورا ، يضيرهم أن يصلوا حبلهم بحبله ، فيعلو شأنهم ، وفى هذا مايضيرهم .

٣ ﴿ قَدْ يَنْجُبُ الوَلَدُ النَّامِي وَوَالِدُهُ فَسْلٌ ويَفْسَلُ والآبَاءُ أَنْجَابُ ﴾

يَنْجُب : يفضُل ويكُرم .

والنامى : النابت الناشئ .

والفسل : الرَّذل النذل الذى لا مُروءة له ولا جَلد . والجمع : أَفْسُل ، وفُسول ، وفِسال ، وفُسْل . قال سيبويه : والأكثر فيه « فِعال » وأمّا « فُعول » ففرع داخل عليه ، أجروه مُجرى الأسماء ؛ لأنّ « فِعالا » و « فُعولا » يَتعقبان على « فَعْل » فى الأسماء كثيرا ، حُملت الصفة عليه . والفعل منه « فَسُل » بالضم ، و « فَسِل » وزان فرح . وحكى سيبويه : فُسِل ، على صيغة ما لم يسم فاعله ، وقال : كأنه وضع ذلك فيه .

وأنجاب : جمع نَجيب ، وهو الكريم الحسيب ، ويجمع أيضا على : نُجباء ، ونُجُب .

٤ ﴿ فَرَجِّبِ اللهَ صِفْرًا مِنْ مَحَارِمِهِ فَكَمْ مَضَتْ بِكَ أَصْفَارٌ وأَرْجَابُ ﴾

رجَب الله ، وأرجبه ، ورَجِبه رَجْبا ، ورَجَبه رَجْبا : هابه وعظّمه . قال الراجز :

* أحمد ربى فَرَقًا وأرجبه *

وصِفرا ، مثلثة الصاد : خاليا . وكذلك الجميع والمذكر والمؤنث سواء . قال الشاعر :

ترى أنّ ما أنفقتُ لم يَكُ ضَرَّنى وأنّ يدى مما بَخِلتُ به صِفْرُ

وقالوا : الجمع من كل ذلك : أصفار . قال الشاعر :

ليست بأصفارٍ لمن يَعْفو ولا رُحٍّ رحَارِحْ

وقالوا : إناء أصفار : لا شىء فيه .

وأصفار : جمع « صَفَر » ، وهو الشهر الذى بعد المحَرَّم ، سُمى صَفرا ، لأنهم كانوا يمتارون الطعام فيه من المواضع . وقيل : لإصفار مكة من أهلها إذا سافروا . وقيل : لأنهم كانوا يَغزون فيه القبائل فيتركون من لقُوا صِفرًا من المتاع ؛ وذلك أن « صفرا » بعد « المحرم » ، فقالوا : صَفِر الناسُ منّا صَفرا .

وقال ثعلب : كُلهم يَصرفون « صَـفرا » إلا أبا عُبيدة : وإذا جمعوه مع « المحرم » قالوا : صَفَران .

وأرجاب : جمع « رَجَب » ، الشهر المعروف . وقد مرّ[1] :

يشترط لمن يتجه إلى الله بالتعظيم التخلى عن محارمه ، وألا يجمع بين لون ولون ، شأن المنافقين الذى يُخفون شيئا ويظهرون شيئا . ثم هو يستنهض هؤلاء القاعدين عن عبادته ليأخذوا فيها مخلصين قولا وفعلا ، بعد أن مرت عليهم شهور وشهور ، وكادوا أن يخرجوا عن دنياهم على غير عبادة وإخلاص نية .

---

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٥ من هذا الجزء .

٥ ﴿ ويَعتَرِى النّفسَ إنكارٌ ومَعرِفةٌ وكُلُّ مَعْــنًى لَهُ نَفْىٌ وإيجابُ ﴾

يَعترى : يغشى وينتاب .

و « إنكار ومَعرفة » . أى شك ويقين .

والإيجاب : الإثبات . يريد ما تتعرض له كل دعوة من بطلان وإثبات .

٦ ﴿ والمَوتُ نَومٌ طَوِيلٌ مَالَهُ أَمَدٌ والنّومُ موتٌ قَصيرٌ فهْوَ مُنجابُ ﴾

الأَمد : الغاية. وقال شَمِر : الأَمد : أمدان ، أحدهما ابتداء خلقه ، والثانى الموت . ومن الأوّل حديث الحجّاج حين سأل الحسن فقال : ما أَمدك ؟ قال : سنتان من خلافة عمر . أراد أنه وُلد لسنتين بَقِيتا من خلافة عمر .

ومُنجاب : مُنكشِف . وما أشبه هذا البيت ببيته قبل[1] :

وَنومِىَ موتٌ قريبُ النُّشــورِ ومَوتِىَ نــومٌ طــويلُ الكَرَى

(١) انظر شرح البيت ٢٩ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٩ من هذا الجزء .

اللزومية الثالثة والخمسون (١)

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع العين :

١ ﴿مَاقَرَّ طَاسُكَ فى كَفِّ المُدِيرِ لَهُ ... إلَّا وقِرْطَاسُكَ المَرْءُ بُ مَرْعُوبُ﴾

قَـرَّ، على ما سُمِّى فاعله : ٱستقرّ وثبت . والمضارع فيه بكسر العين وفتحها . والأوّل أعلى . ويكون على ما لم يُسَمَّ فاعله ، بمعنى : صُبّ وهُرِيق . يقال : قَـرّ يُقرّ ، بضم العين فى المضارع : صَبّ . وعلى الثانية فالجار والمجرور « فى كف » فى موضع الحال .

يعنى الشرب والتناول ، فما مد المدير بالكأس كفًّا إلا لهذا .

« والمُدير له » ، أى الذى يدُور به على الشَّرب .

« وقرطاسك » ، أى جِسمك الأملس الفتىّ ؛ ومنـه : القرْطاس ، للجارية البَيضاء المديدة القامة ؛ وللناقة إذا كانت فتية شابة . وفى البيت جِناس غير تام .

والمرعوب : البضّ المُمتلئ .

و « مرعوب » ، أى قد أصابته نَفضة ورِعدة وٱنخزال .

٢ ﴿ تُضْحِى و بَطْنُكَ مِثْلُ الكَعْبِ أَبْرَزَهُ ... رِىٌّ ورَأْسُكَ مِثْلُ القَعْبِ مَشْعُوبُ ﴾

الكعب : الكُتلة من السمن . وكل شىء علا وٱرتفع ، فهو كعب أيضا .

وأبرزه ، أى أخرجه عن حاله الأولى .

والقعب : القَدح الضخم الغليظ الجافى . وقد مرّ (٢) .

ومشعوب : أى قد تصـدّع وتفرّق . يريد : العقل ، ومقرّه الرأس ، وقد تَوزع وتشتّت .

(١) جاءت هذه اللزومية فى بعض الأصول بعد التى تليها .

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٣٧ ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

اللزومية الرابعـة والخمسون(١)

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الراء :

١ ﴿ فى البَدْوِ خُرَّابٌ أذْوادٍ مُسَوَّمةٍ   وفى الجَوامِعِ والأسْوَاقِ خُرَّابُ ﴾

البدو : خلاف الحَضر، ومثله : البادية، والبَدَاة .

وخُرّاب : جمع خارب، وهو سارق الإبل خاصة، ثم نُقِل إلى غيرها آتساعا . وقيل : هو اللص، ولم يُخصص به سارق الإبل ولا غيرها .

وأذواد : جمع ذود، وهو القطيع من الإبل، الثلاث إلى التِّسع، وقيـل : إلى العشر، أو خمس عشرة، أو عشرين، أو ثلاثين . وقيـل : الذّود : جمع لا واحد له من لفظه . وقيل : هو واحد و جمع .

والمُسوّمة : المُرسلة تَرعى حيث تشاء . وقد مرت(٢) .

و « العدول » : الذين يَعدلون ولا يميل بهم الهوى ؛ الواحد : عادل .

٢ ﴿ فهؤلاء تَسَمَّوا بالعُدُولِ أوِ التُّـ   ـجّارِ واسْمُ أُلاكَ القَوْمِ أعْرابُ ﴾

« ألى » : جمع لا واحد له من لفظه، واحده «ذا» للمذكر، و « ذِه » للمؤنث، ويمدّ ويقصر، فإن قصرته كتبته بالياء، وإن مددته بَنيته على الكسر، ويستوى فيه المذكر والمؤنث، وتزاد فى « ألى » اللام، فيقال : ألا لك . قال الشاعر :

ألا لِك قومِى لم يكونوا أُشابةً   وهل يَعظ الضـليلَ إلا ألا لِكا

(١) جاءت هذه اللزومية فى بعض الأصول قبل سابقتها .

(٢) انظر شرح البيت الأول من اللزومية التاسعة ص ٩٠ من هذا الجزء .

والأعراب : كل من نزل البادية أو جاور البادين، أو ظعن بظعنهم وآنتوى بآنتوائهم ؛ الواحد : أعرابىّ . وأما من نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ، ممن ينتمى إلى العرب ، فهم عَرب ، و إن لم يكونوا فُصحاء . والأعرابىّ إذا قيل له : يا عربىّ ، فرح بذلك وهش له . والعربىّ إذا قيل له : يا أعرابىّ ، غضب له .

• يريد عموم الفساد، لا يخلو منه مكان، تستوى فى ذلك الأماكن التى قد يصح أن تُشاب به ، بالأماكن التى تضطرها زحمة الحياة إليه . لا خلاف بين ما عليه هنا وهناك ، إلا فى الأسماء، يتسمون بها للتمايز فى الحياة، وهم فى الشر سواء .

اللزومية الخامسة والخمسون

وقال أيضا فى الباء المشدّدة :

١ ﴿ نُفُــوسٌ لِلقِيَــامةِ تَشْرَئِبُّ وغَىٌّ فِى البَطَــالةِ مُتْلَئِبُّ ﴾

اشرأب : رفع رأسه ومدّ عنقه . وفى الحديث : «ينادى منادٍ يوم القيامة : يأهل الجنة ، و يأهل النار . فيشرئبون لصوته» . أى يرفعون رءوسهم لينظروا إليه .

وغىّ ، أى رجل غوىّ مُفسد ، وَصْف بالمصدر ، اجتزأ به عن المَوصوف .

والبطالة ، بالفتح : اللهو والجهالة .

وقال ابن الأعرابىّ : هى التعطُّل . ثم قال : بَطَل الأجير ، بالفتـح ، يبطُل بطالة ، بالفتح والكسر ، أى تَعطل ، فهو بطّال .

وهى أيضا بمعنى الشجاعة ، تقول : فلان بيّن البَطالة : أى شجاع . وهى من هذا : كأن الأشدّاء يُبْطلون عنــده ؛ أو كأن دماء الأقران تبطُل عنده فلا يدرك عنده ثأر ؛ أو كأنه يُبطل العظائم بسيفه . والفعل : بطُل يبطُل ، إذا صار شجاعا .

وجعلها أبو عُبيد « أى البطالة » من المصادر التى لا أفعال لها .

ومتلئب : ماض لا يَنثنى . والأصل فى الفعل : الاستقامة والاستواء . ومنه : اتلأب الفرس : إذا أقام صدره ورأسه . قال لَبيد يصف حمارا :

فَأوردها مَسجورةً تحت غابةٍ من القُرنتين واتلأبّ يَحُــومُ[1]

والهمزة فى الفعل أصــل ، وهو من الرباعى « تلأب » . ووهم الجوهرى فذكره فى « تلب » .

(١) مسجورة : مملوءة ، يعنى عينا ، و بئرا . والقرنة : الطرف الشاخص من كل شىء ، وقرنتا الجبل : شعبتاه .

٢ (تَأْبَى أَنْ تَجِيءَ الخَـيْرَ يَوْمًا وأَنْتَ لِيَـوْمِ غُفْـرانٍ تَئِبُّ)

تابى ، أى تتأبّى . حذف تاء المضارعة . والتأبى : الامتناع .

و « أن تجىء الخير » : أن تفعله .

و « تئب » : تتهيأ وتتجهز . أب ، يئب ، ويؤب ، أبّاً ، وأبيبا ، وأبابة . وقال أبو عُبيد : أبّ يؤب أبّا : إذا عزم على المَسير وتهيّأ . والمعنى على الوجهين واضح .

يصف فى هـذا البيت والذى قبله خوف النـاس من القيامة ، وقُعودهم عن العمل له ، يقعون فى الآثام ، انتظارا ليوم الغفران ، وغيره بهـم أولى ، فمـا كان أجدرهم بأن ينتظروا الأجر .

٣ (فَلَا يَغْرُرْكَ بِشْرٌ مِنْ صَدِيقٍ فَإِنَّ ضَمِيرَهُ إِحَنٌ وَخِبُّ)

إحن : جمع إحنة ، وهى الحِقد فى الصـدر ؛ وقد يقال فيها : حِنة . ومنه الحديث : « لا تجوز شهادة ذى الظنة والحنة » .

والخِب : الخداع والخُبث والنكر ؛ خَبّ يخُب خبًّا .

٤ (وإِنَّ النَّـاسَ طِفْلٌ أَوْ كَبِيرٌ يَشِيبُ عَلَى الغَـوَايَةِ أَو يَشِبُّ)

الغواية : الانهماك فى الغىّ . وفى البيت لفّ ونشر غير مرتب .

٥ (تُحِبُّ حَيَاتَكَ الدُّنْيَا سَفَاهًا ومَا جَادَتْ عَلَيْـكَ بِمَـا تُحِبُّ)

السـفاه والسفاهة : خِفـة الحِلم والطيش ؛ وقيـل : الجهل . وأصـله : الخفة والحركة : وهو قريب بعضه من بعض . يقال : سَفِه حِلمَه ورأيَه ونفْسه ، سَفَهًا وسفاها : حمـله على السفه . قال اللحيانى : هذا هو الكلام العالى . قال : وبعضهم يقول : سُفه ، وهى قليلة .

٦ (وإِنَّكَ مُنْذُ كَوْنِ النَّفْسِ عَنْسًا لَتُوضِعُ فى الضَّلَالَةِ أَو تَخُبُّ)

« منـذ » و « مذ » لهما ثلاث حالات : إحداها : أن يليهما آسم مجرور . فقيـل : هما اسمان مضافان . والصحيح أنهما حرفا جرّ بمعـنى « من » إن كان الزمان ماضيا ، و بمعنى « فى » إن كان حاضرا ، و بمعنى « من » و « إلى » جميعا إن كان معدودا .

والثانية : أن يليهما آسم مرفوع ، مبتدآن وما بعـدهما خبر ، ومعناهما الأمدان ، إن كان الزمان حاضرا أو معدودا ، وأوّل المدّة إن كان ماضيا . وقيل : ظرفان مُخبر بهما عما بعدهما . ومعناهما : بين و بين ، مضافين ، فمعنى : ما لقيته مذ يومان ، أى بينى و بين لقائه يومان .

والثالثة : أن تليهما الجمل الفعلية أو الآسمية ، وهما حينئذ ظرفان مضافان ، إما إلى الجملة ، أو إلى زمن مضاف إلى الجملة ، أو مبتدآن على تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر .

والعنس : الصخرة ، وبهـا شُبهت الناقة القويّة ، فيقال للبازل الصـلبة من النوق : عنس .

قال آبن الأعرابىّ : لا يقال لغيرها .

وأراد به أبو العلاء هنا : النفس الفتيـة القوية .

والإيضاع : سير مثل الخَبَب ، وقيل : وضع البعير ، إذا عدا ، وأوضعته ، إذا حملته على العدو .

وخب يَخُب : عدا : وقد مر [(١)] .

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ١ ٥ ص ٣٠٥ من هذا الجزء .

٧ ﴿ وإِنْ طَالَ الرُّقَادُ مِنَ الْبَرَايَا فإِنَّ الرَّاقِدِينَ لَهُمْ مَهَبُّ ﴾

البرايا : جمع برية ، وهى الخلق . وقد مر الكلام عليها (١) .

و « مهب » : هذه الصيغة يستوى فيها اسما الزمان المكان ، والمصدر الميمى ، وعلى كل يستقيم المعنى . وهو من : هب من نومه ، إذا انتبه . قال الشاعر :

حُيِّيت حُيِّـاها فهَبَّ لحُلقت مع النّجم رؤيا فى المَنام كَذُوبُ

ويريد : يوم النشور .

٨ ﴿ غَرَامُكَ بِالْفَتَاةِ ضَنًى وغَمٌّ وَلَيْسَ يَسُرُّ مَنْ يَشْتَاقُ غِبُّ ﴾

« أل » فى « الفتاة » للتعريف العهدى . والعهد هنا ، ذكرى ، إذ المـراد بـ « الفتاة » الحياة الدنيا ، وقد مر لها ذكر فى قوله قبل فى هذه القصيدة « تحب حياتك الدنيا » (٢) . وشبهها بالفتاة بجامع التأنيث ، وهو محط الغرام ، ولمـا يصحب كلتيهما من بَوار وتَبار .

والغب : أن تزور يوما وتتخلف أياما ، وقد مر (٣) . وهو فاعل الفعل « يسر » . و « من » مفعوله . أقام « الغب » لإقبال الدنيـا وازورارها ، وأنها مُزْورّة أكثر منها مقبلة . وفى هذا من الضنى والغم ما فيه .

٩ ﴿ لَوَ انْ سَوَادَ كَيْوانٍ خِضَابٌ بِكَفِّكَ والسُّهَا فى الأُذْنِ حِبُّ ﴾

كيوان ، هو زُحل ، وهو كوكب من الخُنّس . وقد مر (٤) . وسـواده ، أى خضرته أو صُفرته . والعرب تُطلق السواد على الخضرة والصُّفرة .

(١) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ من هذا الجزء .
(٢) البيت الخامس (ص ٣١٢) .
(٣) انظر شرح البيت الثامن من اللزومية ١٥ ص ٢٠٨ من هذا الجزء .
(٤) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية ٣٣ ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

والسهـا : كوكب صـغير خفِيّ الضـوء فى بنات نَعش الكبرى ، والنـاس يَمتحنون به أبصارهم . وفى المثل : « أريها السُّها وتُرينى القمـر » . يُضرب لمن يغالط فيما لا يَخفى .

والحِب ، بالكسر : القُرط من حَبة واحدة . قال ابن دُريد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعىّ أنه سأل جَندل بن عُبيد الرّاعى عن مَعنى قول أبيه الرّاعى :

تَبيت الحَيّـة النَّضناضُ منه مكان الحِبّ يستمع السِّرارا(١)

ما الحِب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم .

جعل هذا وذاك ، مثلين للنعمة والبأس .

١٠ ﴿ لمَـا نَجّـاكَ مِنْ غِيَرِ اللّيالِى سَـنَاءٌ فارِعٌ وغِـنًى مُرِبُّ ﴾

الغِيَر ، من تغيّر الحال ، وهو اسم بمنزلة « القِطَع » ويجوز أن يكون جمعا . واحدته : غِيرة .

والسناء ، بالمـد : الرفعة ، فإذا قُصر فمعناه : الضـوء . وفى قراءة من قـرأ (يكاد سَنا بَرقه(٢)) ممدودا ، فليس لغة فى « السنا » المقصور ، ولكن إنما عنى به : ارتفاع البرق ولُموعَه صُعدا .

١١ ﴿ وَمَا يَحمِيكَ عِزٌّ أنْ تُسَـبّى وَلَوْ أنّ الظّلامَ عَلَيْـكَ سِبٌّ ﴾

الفارع : المرتفع العالى الهيئ الحَسَن .

ومُرِب : لازم غير مفارق ، من أرب بالمكان ، إذا لزمه . وفى الحـديث : « اللهم إنى أعوذ بك من غِنى مُبطر وفقر مُرِب » . أى لازم غير مفارق . وثبوت الغنى دليل على أصالته وكثرته .

(١) النضناض : الحية الذكر . (٢) الآية ٤٣ من سورة النور .

وتَسبيّ ، أى تُبعد وتغرّب . يريد : بُعد الموت وغُربته . من : سباه ، إذا أبعده وغرّبه ، فتسبّى . والوارد المسموع : سَباه يسبيه ، مخففا .

والسِّب ، بالكسر : الستر .

و « لو أن الظلام ... » أى ولو كانت الأيام أهنا لك تُظلك بظلّها العميم عموم هذا الظلام الأشياء . أوكأنه أراد بالظلام : الستر الساتر ، والحجاب المانع .

يعنى أنك مأخوذ لن تفلت ، وإن امتنعت على الأيام بحجب ساترة ستر هذا الظلام الشامل .

١٢ (أرى جُنحَ الدُّجَى أوفَى جَناحاً وَمَاتَ غُرَابهُ الجَـوْنُ المُرِبُّ)

الدجى : الظلمة ، واحدتها : دجية .

وجنح الدجى ، بالضم والكسر : جانبها وأولها ، وقيل : قطعة منها نحو النصف .

وأوفى : أتمّ وأكمل .

وغراب الدجى : أى حُلكته . وفيه تورية مجردة .

والجون : الأسود .

والمُرِب : أى المُسف المتدانى لتكاثفه وثقله .

ويريد « بموته » انهزامه وفناءه ، أمام جيوش النهار . أى إن ظلامه ، مهما اشتدت حلكته ، فهو إلى انقشاع .

وقد يكون « الغراب » على الحقيقة . قال الجاحظ : « وغراب الليل غراب ترك أخلاق الغربان وتشبه بأخلاق البوم ، فهو من طير الليل » .

يريد أن الليل بدجنته ، وقد ضربها مثلا لجنة ، غير محى ما أجنّ ، وإن أمعن في الخفاء .

١٣ ﴿ فَمَا للنَّسرِ لَيْسَ يَطِيرُ فِيهِ وعَقْـرَبُهُ المُضِبَّـةُ لا تَدِبُّ ﴾

يريد بـ « النسر » كوكبين فى السماء معروفين، على التشبيه بالنّسر الطائر. يقال لكل واحد منهما : نسر .

والعقرب : بُرج من بروج السماء ، وله من المنازل : الشَّولة ، والقلب ، والزُّبانى . وفيه يقول ساجع العرب : « إذا طلعت العقرب ، حَمِس المِذْنب ، وَقرَ الأشيب ، ومات الجُندب » .

والمُضِبة : اللازمة غير المفارقة .

وفى كل من « النسر » و « العقرب » تورية مرشحة ، لذكره « يطير » مع الأول و « تدب » مع الثانى ، وهما من لوازم المورّى بها .

وضرب « النسر » و « العقرب » مثلين لنجوم الليل . وفى إيراد « النسر » و « العقرب » مع « الغراب » قبل ، مراعاة نظير .

وأراد « بطيران النسر » ، « ودَبيب العقرب » حركتيهما فى مداريهما . أى إنه مع آنقشاع الليل لا ترى النجوم ، وكذلك الأمور إلى تبدّل .

١٤ ﴿ أَيجْلُو الشَّمْسَ للرَّائِى نَهارٌ فَقَدْ شَرَقَتْ ومَشْرِقُها مُضِبُّ ﴾

شرقت ، بفتح الراء : طلعت ؛ وبكسرها : غابت أو ضعفت .

والمشرق كما يكون من الأول يكون من الثانى .

ومُضب ، ذو ضباب .

والآستفهام فى البيت إما على التعجب ، يريد : كيف وقد جلا النهار الشمس للرائى ، قد طلعت والظلمة تكتنف مطلعها !

وإما على الإنكار ، ومعه تصح « شرقت » على المعنيين . فعلى الأول ، ينكر أن النهار يجلو الشمس للرائى ، فهى مصحوبة بالضباب فى مطلعها . وعلى الثانى ، فهو ينكر أن الشمس يجلوها النهار ، فها هى ذى قد ذوت وغابت ، وغمَّها الظلام فى مَشرقها الذى هو كالمغيب .

١٥ (وَلَمْ يَدْفَعْ رَدَى سُقْرَاطَ لَفْظٌ وَلَا بُقْــرَاطَ حَامَى عَنْهُ طِبٌّ)

سقراط : من الفلاسفة المعدودين . ولد فى أثينا سنة ٤٧٠ ق . م . وتوفى سنة ٤٠٠ ق . م .

وبقــراط : من أئمة الطب ، وكانت له بالفلســفة معــرفة . تزعّم الطبيعيين فى عصره ، وعاش قبل الإسكندر بنحو من مائة سنة .

١٦ (إِذَا آنَسْتَنِي بِشَفًا صَرِيعًــا فَدَعْنِي كُلُّ ذِى أَمَــلٍ يَتِبُّ)

آنسه : رآه وأبصره .

والشــفا من كل شىء : حرفه وحدّه . وهو أيضــا البقية من الهلال والنهار ، وما أشبههما . قال العجاج :

أو مربا عالٍ لمن تشرّفا أشرفتُه بلا شَــفًى أو بشَــفًى[(١)]

وعلى المعنى الأوّل . فالبــاء فى « بشفا » للظرفية . يريد : إذا أبصرتنى عند نهــايتى .

وعلى الثــانى . فالباء للمُصاحبــة . يريد : إذا أبصرتنى وبى رمــق . وهو من سابقه .

والصّرع : الطرح بالأرض ، فهــوَ مصروع وَصريع . يريد مُعيًا لا أقوى على النهوض .

(١) بلا شفى : أى وقد غابت الشمس ، أو بشفى ، أى وقد تغيب منها بقية .

ويتب : يهلك . تَبَّ يتب تبًّا . وفى حديث أبى لهب : « تبًّا لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا » .

«وكل ذى أمل» ، يريد الناس عامة ، فما منهم إلا وله أمل يحدوه . وأرادهم على هذا الوصف ، ليكون الموت أبلغ عظة ، وأصرف لهم عن زينة الحياة .

١٧ ﴿ وَلَا تَذُبُّ هُنَاكَ الطَّيْرَ عَنِّى   وَلَا تَبْلُلْ يَدَاكَ فَمًا يَذِبُّ ﴾

الذب : الدفع والطرد . ذَبَّ يَذُبُّ .

وهناك ، أى عند النزع ، والموت يَصرعنى . وهو ما سبق إليه فى البيت السابق .

والذب ، أيضا : الجفاف والذُّبول ، وفعله : ذَبَّ يذِبُّ . وهو المراد فى آخر البيت . ومنه قول الشاعر :

وهم سَقَونى عللاً بعد نهلْ   من بعد ما ذَبَّ اللسانُ وذَبُلْ

والفم ، مفتوح الفاء مخفف الميم ، فى الرفع والنصب والخفض . ومنهم من يضم الفاء فى كل حال كما يفتحها فى كل حال . وأما تشديد الميم ، فإنه يجوز فى الشعر .

يريد ما يصنع أهل الميت بالميت عند حشرجة الموت وجفاف الفم وعجز صاحبه عن أن يتجرع شيئا ، وذلك حين يمسّون بأيديهم الندية بالماء ، تلك الشفاه الجافة ، ليهوّنوا على المحتضر احتضاره فيما يزعمون .

اللزومية السادسة والخمسون

وقال أيضا فى الباءِ المضمومة مع التاء :

١ ﴿ أَقَـرُّوا بِالإِلٰهِ وأَثْبَتُـوهُ   وقَالُوا لَا نَبِيٌّ ولَا كِتَابُ ﴾

الإقرار : الإذعان للحق والاعتراف به . يُقال : قرّره بالحق ، فأقـرّ هو به . و « أثبتوه » ، أى أقاموا الأدلة على وجـوده . والواو فى « وأثبتوه » عاطفة للشىء على سابقه ، إذ الإثبات قبل الإقرار .

ويجوز فى لام التبرئة ، وهى النافية للجنس على سبيل التنصيص ، إذا تكررت ، إلغاؤها . ولك فتح الاسمين ، ورفعهما ، والمُغايرة بينهما . والأمر هنا على الأخير .

وظاهر أنه يشـير إلى ما عليـه غُلاة الخوارج من إنكار النبـوّات والكتب السماوية والتشكيك فيها .

٢ ﴿ ووَطْءُ بنَاتِنَـا حِلٌّ مُبَـاحٌ   رُوَيْدَكُمُ فقَـدْ بَطَلَ العِتَابُ ﴾

الوطء : النّـكاح . ولعلّه يريد ما عليه الباطنيّة من غُلاة الخوارج ، من إباحة نكاح البنات : وفى ذلك يقول عبـد الله بن الحسين القَيروانى ، من دُعاتهـم : « وما العجب من شىء كالعَجب من رجل يدّعى العقل ثم يكون له أخت أو بنت حسناء ، وليست له زَوجة فى حُسنها ، فيُحرّمها على نَفسه ويُنكحها من أَجنبىّ . ولو عَقل الجاهل لعلم أنه أحق بأُخته و بنته من الأجنبىّ .

ورُوَيدكم ، أى تمهلوا وترفّقوا . وقد مرّ (١) .

---

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

و « العتاب » : أن يذكر كل واحد من الصاحبين لصاحبه ما فرط منه إليه من الإساءة . وأما الإعتاب، فهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضى العاتب .

و بطلانُ العتاب، دليلٌ على أن الأمر جَلّ فلم يَعُد يُجدى فيه عِتاب .

٣ ﴿ تَمَادَوْا فِي الضَّلَالِ وَلَمْ يَتُوبُوا وَلَوْ سَمِعُوا صَلِيلَ السَّيْفِ تَابُوا ﴾

تمـادوا، أى لجُّـوا وأطالوا مدى ضلالهم . وهو تفاعل من « المدى » الذى هو الغاية .

و « صـليل » السـيف : طنينـه عند المُقـارعة . ويريد به التـلويح بالشر والعُنف .

يشير إلى جرأتهم على الباطل، ولجاجهم فيه حين يلاينهم الساسة ويهادنونهم، ثم إقلاعهم عما هم فيه وتبرؤهم منه حين يصول بهم الحكام ويأخذونهم بالعنف .

يصف مبلغ ما يعتقدون من نفوسهم، وأنه قول لا يؤمن به قلب، فهم أسرع ما يكون للتخلى عنه إذا خُوفوا .

اللزومية السابعة والخمسون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع التاء :

١ ﴿ تُرَابُ جُسُومَنَا وهْىَ التُّرابُ   إذَا ولَّى عَنِ الآلِ ٱغْتِرَابُ ﴾

تُراب جسومنا ، على ما لم يُسمَّ فاعله ، أى يَسوؤها ويُزعِجها ؛ من : رابه الأمر، وأرابه، إذا رأى منه ما يكره .

والآل : الأهل والعيال . وألِفه، إمّا أن تكون بدلا من واو ، أو عن هاء . وتصغيره : أُويل، وأهيل . وقد يكون لما لا يعقل، ومنه قول الفرزدق :

نجوتَ ولم يَمنُن عليك طَلاقةً   سوى ربّةِ التَّقريبِ من آلِ أعوجا (١)

وولّى عنه : أعرض ونأى .

و « اغتراب » ، مصدر واصِف لموصوف محذوف ، أى راحِل مُغترب . أى إن الإنسان ليَنزعج عند رؤية أى نازح من آله . وخَص « الآل » لأنهم به ألصق، والحزن عليهم أعمق . وهو يعلم أنه من التراب، وإلى التراب يعود .

هذا وجه . وقد يكون « الاغتراب » بمعنى : فراق الموت . و « ولى » أى صَرف ونَحّى، من « ولّاه » عن الشيء، إذا أبعده عنه وصَرفه، حذف مفعوله للعلم به ؛ والتقدير : إذا ولى الاغتراب أحدا عن آله . يريد : إذا ذهب الموت بقريب .

ووجه ثالث ، فتكون فيه « تراب » من الريبة ، وهى الشك ، و « الآل » مع هذا الوجه بمعنى الشخص أو السراب ، والجسم مشبه به فى أنه وهم . و « إذا

(١) التقريب : التقريب نوع من العدو، وهو أن يرجم الفرس الأرض بيديه . وأعوج : فرس .

ولى ... الخ » . أى إذا أبطأ الإنسان أجله . يريد أن النفس قد يبطئ بها الأجل فتشك فى الفناء ، ومصيرها إلى التراب متيقن ، أو أنها هباء لا تُعيي القدر ، وإن طال الأجل .

وثمّ وجه رابع ، وهو من الثالث : فأبو العـلاء يعدّ الحياة غربة ، فإذا ولت عاد الجسم إلى مادّته وهى التراب ، وأنّ وجوده فى الحيـاة عناء ، وهو ما أراده بقوله : « تراب جسومنا » أى تَضنى وتَشقى .

٢ ﴿ تُرَاعُ إِذَا تُحِسُّ إِلَى ثَرَاهَا إِيَاباً وَهْوَ مَنْصِبُهَا القُـرَابُ ﴾

تُراع : تُفزَّع . ونسق الكلام : « وتراع — أى الجسوم — إذا تحِس إيابا إلى ثراها » .

وإلى ثراها : أى إلى التراب الذى منه كانت ، وإليه تعود .

و «المنصب» : المرجع وحيث تغيب الشمس . ويريد به : المصير والمـآل . وهو الأصل أيضا .

والقراب ، مثلثة : القريب ؛ فعلى الأوّل ، فالمراد : دنو الأجل ؛ وعلى الثانى ؛ فالمراد : أن الجسم لم يبعد بأصله عن التراب .

٣ ﴿ وَذَاكَ أَقَـلُّ لِلأَدْوَاءِ فِيهَـا وَإِنْ صَحَّتْ كَمَا صَحَّ الغُـرَابُ ﴾

« ذاك » أى الثرى ، أو الإياب إليه .

و « الأدواء » : جمع داء ، بمعنى السقم والمرض .

و «إن صحت كما صح الغراب» ، أى وإن بقيت شابّة ولم تَصر إلى شيب وهرم ؛ فإنه يُحكى أن الغراب لا يشيب أبدا . ومن عبارات التأبيد : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ، أى لا أفعله أبدا .

يعني أن في الموت ما يخفف عن الناس من أسقامهم ، وهي إن سلمت أجسامهم من الأمراض سلامة الغراب ، فما أشقاهم بنفوسهم وأعناهم بما تحمل . وما أعظم هذا داء وأبلغه .

٤ (هُمُومٌ بالهَوَاءِ مُعَلَّقَاتٌ إلَى التَّشْرِيفِ أنْفُسُها طِرَابُ)

هموم : جمع همّ ، وهو هنا : العزم والطلب ؛ من همّ بالأمر ، إذا عزم عليه وطلبه .

وبـ « بالهواء معلقات » يريد : الإبعاد في الأمل ، إذ الهواء مُصعِد . كما يريد أنها لن تُحقق .

والتشريف : العلوّ ، وكأنه أراد التحليق في جو الخيال ، وهو بالهواء أنسب .

وطِراب : نزّاعة مشتاقة ؛ الواحد : طرب .

يصف طموح الإنسان الذي هو علة إضنائه وإرهاقه .

٥ (فَأرْمَاحٌ يُحَطِّمُهَا طِعَانٌ وأسْيَافٌ يُفَلِّلُهَا ضِرَابُ)

الأرماح : جمع رُمح ، من السلاح معروف . وإذا كثرت قلت : رِماح .

والطعان للرمح ، فعله يطعُن ؛ وللقول : يطعَن . وقال الليث : كلاهما يطعَن .

وتفليل السيف : انثلامه وكسور في حدّه . فلّ السيفَ يفُلّه فلاًّ ؛ وفلّله ، بمعنى . وسيف فَليل ، وأفلّ .

و « الضراب » : المجالدة والضرب بالسيف في القتال .

لما كانت دنيا الناس عنده حربا لا أمنا ، جعل وسائلهم إليها هذه الأرماح وتلك السيوف .

ولما كانت دنياهم أعز عليهم من أن يبلغوا فيها مطمعا ، وأعصى من أن يحققوا فيها نفعا ، ووسائلهم إليها أعجز من أن تنيل ، وأضعف من أن تبلغ ، ردتها عليهم الدنيا محطمة ، وخلفتها لهم مكسرة .

٦ (تَنَافَسُ فِي الحُطَامِ وحَسْبُ شَاكٍ   طَوًى قُوتٌ وحِلْفَ صَدًى شَرَابُ)

تنافس ، أى تتنافس . والتنافس : التراغب على وجه المباراة . وقيل : هو التحاسد والتسابق . تنافسنا ذلك الأمر ، وتنافسنا فيه .

والحطام : ما تحطم وتكسر من اليبس وغيره . يريد : عَرَض الدنيا الهين .

وحسب ، أى كافٍ ومُغْنٍ ، من إضافة المصدر إلى معموله .

والطوى : الجوع . طَوِى يَطْوى ، طَوًى وطَوًى : خَمُص من الجوع ؛ فإذا تَعمد ذلك قيل : طَوى يَطْوِى . وفى الحديث : « إنه كان يَطوى يومين » أى لا يأكل فيهما ولا يشرب .

و « طَوًى » هنا مفعول لـ « شاكٍ » .

والقُوت : ما أمسك الرَّمق ، أى : يَكفى شاكى الطوى قوتٌ .

و «الحلف» : العهد ، والمُحالف أيضا ، والثانى هو المراد هنا ، جعل التلازم بينهما فلا يفترقان عهدا .

و « الصدى » : شدّة العطش ؛ وقيل : هو العطش ما كان . صَدِى يَصْدى صَدًى ، فهو صَدٍ ، وصادٍ . أى : و يكفى حِلف الصدى الشراب .

يهون على الناس دنياهم ، وهم لو فطنوا حسب الجائع فيهم لقمة تسد رمقه ، والصادى منهم جرعة تبل ظمأه .

٧ ﴿وَأَفْسَدَ جَوْهَرَ الأَحْسَابِ أَشْبٌ كَمَا فَسَدَتْ مِنَ الخَيْلِ العِرَابُ﴾

جوهر كل شىء : ما خُلقت عليه جبلّته .

والأحساب : جمع حَسَب ، وهو الشرف الثابت فى الآباء ؛ وقيل : هو الشرف فى الفعل . وظاهر أن مراد أبى العلاء على الأول .

والأشب : الخلط ؛ أَشَب الشَّىءَ يأشِبه أَشبا : خلطه . ومنه : الأُشابة من الناس ، أى الأخلاط . ورجل مَأشوب الحسب : غير محض .

والعِراب من الخيل : المُعربة ، أى التى تصهل فيعُرف عِتقها بصهيلها ، وكذلك يُعرف الفرس العربى من الهَجين . والهجين من الخيل : الذى ولدته برذونة من حصان عربى . يشير إلى اختلاط أحساب الناس ، كما اختلطت فى الخيل الأجناس .

وهو لايقصد إلى تمييز الناس رفعة وضعة ، بقدر ما يقصد إلى وصف الحياة بالاضطراب والاختلاط ، اضطرابا كهذا الاضطراب الذى يدخل على الأحساب فلا يجعلها على تسلسلها ونسقها ، واختلاطا كذلك الاختلاط . الذى يشيع فى الأجناس فلا يماز معه جنس عن جنس .

٨ ﴿وَأَمْلَاكٌ تَبَحَّرُ فى غِنَاهَا وَإِنْ وَرَدَ العُفَاةُ فَهُمْ سَرَابُ﴾

أملاك : جمع مَلِك ؛ وجمع « المَلْك » ملوك ؛ وجمع « المَليك » ملكاء ؛ وجمع « المالك » مُلّك ومُلّاك . والأُملوك : اسم للجمع .

وتبحّر ، أى تتبحر . والتبحُّر : الانبساط والسعة ، ومثله : الاستبحار . يقال : تبحّر الرجل فى العلم والمال ، واستبحر : إذا اتسع وكثُر ماله . وكذلك : تبحّر الراعى فى رَعيٍ كثير : اتسع . كل ذلك من البَحر ، لسعته .

والعُفاة : جمع عافٍ، وهو الذى يأتيك يطلُب معروفك .

و « وَرد » : جاء . والأصل فيه للماء . وقد راعى التنظير بينه وبين « سراب » .

والسراب : الآل . وقيل : السراب : الذى يكون نصف النهار لاطئًا بالأرض لاصقًا بها كأنه ماء جارٍ .

والآل : الذى يكون بالضحى يَرفع الشخوص ويَزهاها ، كالماء بين السماء والأرض . وبهما يُضرب المثل فى الشىء يُظن عنده خير ، فإذا جئته كَذبك الظنُّ فيه .

جعل الغنى بما يَفيض عنه من برّ وعون ، وإلّا فهو سراب ، له بريق الماء وليس له إعطاؤه .

٩ ﴿ وقد يُغرِى أُسودَ الغِيلِ حِرْصٌ فتَحْوِيها الحَظَائِرُ والزِّرَابُ ﴾

أغرى يُغرى : أولع . ولا تقل « غرَّى » . وحذف المعمول بحرفه ، للعلم به ، والتقدير : وقد يغرى الحرصُ بالحياة أُسودَ الغيل .

والغيل ، بالكسر : الأجمة ، والشجر الكثير الملتفّ . وموضع الأسد : غيل ، مثل : خِيس . ولا تدخلها الهاء . والجمع : غُيول .

وحَوَى الشىء يَحويه ، حَيًّا وحَواية ، واحتواه ، واحتوى عليه : جمعه وضمّه وأحرزه .

والحظائر : جمع حَظيرة ، وهى ما أحاط بالشىء ، وتكون من قصب وخشب . وقيل : إنها تُعمل للإبل لتقيها البرد والريح .

والزِّراب : جمع زَرْب ، وهى كالزَّرْبية : الحظيرة من خشب ، تُعد للغنم .

أقام الحظائر والزراب مثلين للامتهان ، فهذه للإبل وتلك للأغنام، وهما دون السباع . ولعله يريد بهما ما يُعدّ لسباع الحيوان بعد صيدها . يُشير إلى أنها لو آثرت الموت على الأسر، ولم تحرص على الحياة، ما انتهى بها المآل إلى هذا الموطن الذليل .

١٠ ﴿ مَتَى لَمْ يَضْطَرِبْ مِنْ عُلْوِ جَدٌّ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مِنْكَ اضْطِرَابُ ﴾

لم يضطرب ، أى بقى على ما تحب ولم يجر بغير ما تريد .

وعُلو كل شىء : أرفعه . ومثله : عِلوه، وعَلوه، وعُلاوته، وعاليه، وعاليته . يتعدى إليها الفعل بحرف و بغير حرف . وتقول : أخذه مِن عَلِ ، ومن عَلُ ، ومن علا، ومن عَلْوُ، ومن عالٍ، ومن مُعالٍ . ويروى : من عَلْوَ، ومن عَلْوِ .

والجار والمجرور بيان لـ « جد » وصف له بالعلو، وكذلك الحظ ، أو إشارة إلى مصدره ، فالحظ من تقدير السماء، تصرفه إلى من تشاء عمن تشاء .

والجد : الحظ والرزق . وفى حديث القيامة : قال صلى الله عليه وسلم : « قمت على باب الجنة فإذا عامّة من يدخلها الفقراء . وإذا أصحاب الجد محبوسون . أى ذوو الحظ والغِنى فى الدنيا .

و « بنافع » خبر « ليس » والباء فيه مزيدة .

والاضطراب . التحرك : افتعال من « الضرب » والأصل فيه الحركة، يعنى السعى فى الحياة والحركة لها .

وكأن أبا العلاء هنا جبرى ، من الجبرية الذين يقولون بأنه لا قدرة للعباد أصلا، لا مؤثرة ولا كاسبة، على خلاف ما تقول به القَدَرية .

١١ ﴿ كأنَّ السَّيْفَ لَمْ يَعْطَلْ زَمَانًا   إِذَا حَلِيَ الحَمَائِلُ والقِـرَابُ ﴾

« كأن » على أربعة معان .

أحدها ، وهو الغالب عليها : التشبيه . وشرط بعضهم أنه لايكون إلا إذا كان خبرُها اسما جامدا .

والثانى : الشك والظن .

والثالث : التحقيق . وأنشدوا عليه :

فَاصبح بطنُ مكةَ مُقشعرا   كأنّ الأرض ليس بها هشامُ

والرابع : التقريب .

والمعنى هنا على الوجه الثالث ، أى التحقيق .

وعَطِل يَعْطَل ، عَطَلًا وعُطولا ، وتعطّل : إذا لم يكن عليه حَلْى ولا زينة ، والمرأة عاطل ، من غيرهاء . فإذا كان ذلك عادتها ، فهى مِعطال . هذا الأصل ؛ ويريد بِعطل السيف هنا : إهماله وعدم إعماله ، وكأنه لا غَناء عنده .

والحمائل : جمع حِمالة وحَميلة ، وهى علاقة السيف ، وهى السيرالذى يقلّده المتقلد .

وقال الأصمعى : حمائل السيف ، لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مِحمل .

وقال الأزهرى : جمع « الحمالة » : حمائل ، وجمع « المحمل » : محامل .

والقِراب للسيف . شبه جراب من أَدَم يضع فيه الراكب سيفه بجفنه وسَوطه وعصاه وأداته .

والمعنى : كان ينبغى ألا يعطل السيف وقد حليت حمائله وقرابه . وكأنه يشير إلى الحظ الكثير ، يصيب غير جدير . وما ألْفته إلى قول زُهير ، وإن لم يكن فى مجراه :

رأيت المنايا خَبط عشواء من تُصب تُمِتْه ومن تُخطئ يعمَّر فيهرم

١٢ ﴿ تَألَفُ أَرْبَعٌ فِينَا فتُـذْكَى بِهَا مِنَّا ضَغَائِنُ وَاحْتِرَابُ ﴾

تألف ، أى تتألف وتجمّع .

ويريد بـ « الأربع » : الطبائع الأربع ، وهى : المائية ، والترابية ، والهوائية ، والنارية . وبعضها لبعض خصم .

والضغائن : الأحقاد . الواحدة : ضغينة . ومثلها : الضِّغن ، والضَّغَن . والجمع فيهما : أضغان .

والاحتراب ، إمّا من « الحَرْب » التى هى نقيض السّلم ، وإما من « الحَرَب » الذى هو شدّة الغضب .

أى إن الشر من طبيعة المرء ، وتجمّع هذه العناصر فيه .

١٣ ﴿ ولَوْ سَكَنَتْ جِبَالَ الأَرْضِ رُوحٌ لَمَا خَلَدَتْ نَضَادِ ولاَ إِرَابُ ﴾

« لو » حرف شرط يفيد الامتناع . وقد مر كلام عنه[1] .

ونضاد : جبل بالعالية . ويُبنى عند أهل الحجاز على الكسر . وعند تميم ينزلونه منزلة مالا ينصرف .

وإراب ، بالكسر : موضع ، أوجبل . وقيل : ماء لبنى رياح بن يربوع . وكان لهم به يوم من أيامهم .

وظاهر أن أبا العلاء أراد بهما مجرد التمثيل ، جعل الروح علة الفناء والتحول ، وخلو الجماد منها خالد وبقى ، نوعا من أنواع خلود ، ولونا من ألوان البقاء .

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٤٧ ص ٣٠١ من هذا الجزء .

اللزومية الثامنة والخمسون

وقال فى البـاء المضمومة مع السين :

١ ﴿ دَنَا رَجُلٌ إِلَى عِرْسٍ لِأَمْرٍ وذَاكَ لِثالِثٍ خُلُقَ اكْتِسَابُ ﴾

عِرس الرجل : آمرأته ، وهو أيضا عِرسها ؛ لأنهما اشتركا فى الاسم ، لمواصلة كل واحد منهما صاحبه وإلفه إيّاه . قال العجّاج :

أزهرَ لم يُولد بنجم نحيس أنجبَ عِرْسٍ جُبِلَا وعِرسِ (١)

والجمع : أعراس .

والاكتساب : الطلب والسعى . وهو خبر للمبتدأ «وذاك» . أى : وذاك الأمر اكتساب لثالثٍ خُلق .

والثالث : الولد ، الذى هو ثمرة بناء الرجل وكسبه . ومنه الحديث : «أطيب ما يأكل الرجل من كسبه ، وولده من كسبه » . قال ابن الأثير : إنما جُعل الولد كسبا ؛ لأنّ الوالد طَلَبه وسعى فى تحصيله .

٢ ﴿ فَمَا زَالَتْ تُعَانِى الثِّقْلَ حَتّى أَتَاهَا الوَضْعُ وَٱتَّصَلَ الحِسَابُ ﴾

المُعاناة : المقاساة . عانى الشىء وتعنّاه ، بمعنى . وقيل : المُعاناة : المقاساة وحُسن السياسة ، والمُباشرة ، والقيام على الأمر . والمَعنى يستقيم عليها أيضا .

والثِّقل ، بالكسر : الحمل الثقيل .

والحساب : العد . واتصال العد باتصال النسل .

---

(١) أراد : أنجب عرس ، وعرس جبلا ، أى أنجب بعل وامرأة .

٣ ﴿ نُرَدُّ إلى الأُصولِ وكُلُّ حَيٍّ لَهُ في الأَرْبَعِ القُـدُمِ انْتِسَابُ ﴾

يريد « بالأصول » : العناصر الأربعة ، وهى : الماء، والهواء، والنار ، والتراب ؛ وقد مرّت[1] . و « الرد إلى الأصول » معناه الموت والفناء، فيستحيل الميت إلى تلك العناصر .

٥ وجاز فى العدد التذكير، وكان من حقه أن يخالف فيؤنث، لأنه هنا وصف ، والتقدير : وكل حىّ له فى الأصول الأربع .

وانتساب : أى صلة وقربى .

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٥٧ ص ٣٣٠ من هذا الجزء .

اللزومية التاسعة والخمسون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الحاء وياء الردف :

١ ﴿ أَلَا عَـدِّى بُـكَاءً أَوْ نَحِيبًا   فَمِن سَـفَهٍ بُكَاؤُكِ والنَّحِيبُ ﴾

« ألا » ، هنا : للعرض أو التحضيض ؛ والعَرض : طَلب بلين ؛ والتحضيض : طلب بحثٌ . وتختص بالفعلية .

و « عدّى » أى اصرفى عنك . عَدَا الأمرَ عنه ، وعَدّاه . صرفه . وكذلك : عَدَا الأمرُ عنه ، وعدّاه . ومنه عَديْتُ عنى الهم ، أى صرفته . والكلام هنـا على تأول جار ومجرور محذوف ، تقديره « عنكِ » .

و « البكاء » ، يُقصر ويمد ، فإذا مددت ، أردت الصوت الذى يكون مع البكاء ؛ وإذا قصرت ، أردت الدموع وخروجها .

والنحيب : رفع الصوت بالبكاء ؛ وقيل : هو أشد البكاء . وعلى الأول ، فالمعطوف والمعطوف عليه بمنزلة ما جاء فى لفظ واحد ، وهذا مما يدل عليه العطف بالواو ؛ وعلى الثانى فالمعنى : أدنى البكاء وأشدّه .

٢ ﴿ مَحَلُّ الجِسْمِ فِى الغَبْراءِ ضَنْكٌ   ولَـكِنْ عَفْـوُ خالِقِنا رَحِيبُ ﴾

الغبراء : الأرض ، لغُبرة لونها ، أو لمـا فيها من الغُبار . ويريد بمحله فى الغبراء : تلك الأشبار التى يُوارى فيها جسمه .

والضنك . الضيق من كل شىء ؛ الذكر والأُنثى فيه سواء .

و « لكن » هنا ، مهملة غير عاملة ، لأنها مخففة .

ورحيب : واسع ؛ ومثله : رَحْب ، ورُحاب . والفعل منه : رَحُبَ يَرْحُبُ .

٣ (وَسِيَّانِ ٱبْنُ آدَمَ حِينَ يُدْعَى   بِهِ لِلغُسْلِ والهِـدْمُ السَّحِيبُ)

السيان : المِثلان . والواحد : سِيّ . والجمع : أسواء . وقيل : « سـيان » بمعنى سواء ، ولا يُستعملان إلا بالواو ، فإذا جاءت بعدهما « أو » كانت فى موضع الواو . ومنه قول الشاعر :

فسيانِ حربٌ أو تَبوءَ بمثـله   وقد يقبَلُ الضَّيمَ الذليلُ المسيَّرُ

وقول أبى العلاء هنا ، على الأول .

والغسل ، بالفتح والضم ، مصدران ، من : غسل يغسِل . وقيـل : الغسل ، بالضم : الاسم ، والماء القليل الذى يُغتسل به ؛ وبالفتح : المصدر . والمعنى بهما لا يختلف .

والهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المُرقَّع . وقيل : هو الكساء الذى ضوعفت رِقاعُه . والجمع : أهدام وهِدم .

والسَّحيب : المسحوب على الأرض المتعفّر بترابها . قابل بين الميت ، وقد هِيل عليه التراب ؛ وبين الثوب الخلق ، وقد تعفر به .

اللزومية المتمة الستين

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الراء وياء الردف :

١ ﴿تَرِيبُ وسَوْفَ يَفترِقُ التَّرِيبُ   حَوَانَا والثَّرَى نَسَبٌ قَرِيبُ﴾

تريب ، بفتح تاء المضارعة ، من : رابه يريبه ، ذات المفعول ، أى « اتريبك الحياة ، فتظن وتشك ؟

كما يجوز أن يكون بضم التاء ، من : أراب يُرِيب ، إذا صار ذا ريب ، وهو بمعنى « راب » . وعلى الأول فالجناس بين « تريب » و « التريب » تام؛ وعلى الثانى ، فالجناس ناقص .

والتريب : التراب . أراد به الجسم ، لأنه منه .

و « يفترق التريب » أى حين يفارق الجسد وتنفصل عنه الروح .

وحوانا : جمعنا وضمّنا .

وأراد بـ« النسب » : اجتماعنا نحن والتراب على أصل واحد . وأشار بقُربه ، إلى أنا لم نبعد عن الثرى ببنيتنا كثيرا ، أو إلى قرب عودتنا إليه ، وأننا لا فكاك لنا منه .

ومجيئه بالفعل « حوانا » مما يزكى هذا المعنى الثانى .

٢ ﴿جَرَى بِفِرَاقِ جِيرَتِنَا غُرَابٌ   فَعَالٌ مِنْ مَقَالَتِهِمْ غَرِيبُ﴾

الجيرة : جمع جار ، الذى يُجاورك . ويجمع أيضا على ، أَجوار ، وجيران . ولا نظير له إلا : قاع ، وأقواع ، وقيعان ، وقِيعَة .

والغراب : طائر معروف . يشير إلى تطيّر العرب بنعابه ، وأنه يصوّت بالبَين والبِعاد . و « جرى بفراق ... » أى أَلِف ذلك ولَزِمه .

و «الفعال» بالضم : ما تصاغ عليه مصادر الثلاثى الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وآدعاءهم ما آدعوا على الغراب ، من التصويت بالبين والفراق وتشاؤمهم به ، شيئا غريبا يدعو الى العجب من قوم يفزعون من مصير محتوم ، كأنهم فيها والغربان سواء .

٣ ﴿ غَدَا يَتَوَكَّفُ الأَخْبَارَ غِرٌّ[1] وصَاحَ بِبَيْنِهِمْ دَاعٍ أَرِيبُ ﴾

غدا : بكر .

والتوكف : التوقع والآنتظار . وفى حديث آبن عُمير : «أهل القُبور يتوكّفون الأخبار» أى ينتظرونها ويسألون عنها . وقيل : يتوقعون ، فإذا مات الميت سألوه ما فعل فلان وما فعل فلان . وتقول : ما زلت أتوكفه حتى لقيته .

والغِرّ : الذى يَنخدع عن آنقياد ولين وقلة فطنة وتجربة . فتى غِرّ، وفتاة غِرّ. يريد به ، من جعل الغرابَ متطيره يلقى عنه النُّذر .

والبين : الفرقة والوصال، من الأضداد . والمراد هنا الأوّل .

والأريب : الداهيه الفَطن . أى : والحال أنّ غير الغراب ما يُعتد، به يقام له وزن، وفيه الموعظة والعبرة . وقد أخذ يفصّله فى أبياته التالية .

٤ ﴿ طِعَانٌ كُلَّ حِينٍ أَوْ ضِرَابٌ يَمُوتُ بِهِ طَعِينٌ أَو ضَرِيبُ ﴾

الطعان : بالرّماح ، والضّراب : بالسيوف ، بِنْيتان للشاركة . وقد أرادهما الحروب الدائرة .

والطعين : المطعون بالرّمح .

والضريب : المضروب بالسيف .

يُشير الى اختلاف أسباب المنايا والضحايا .

(١) ب : « غرا » .

٥ ﴿ وَأَرْضٌ لا تُحِسّ بِمَنْ عَلَيْهَا   ولَا يَبْقَى بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبُ ﴾

« لا تحس » يشير إلى هوان الإنسان على الأرض وأنه ليس شيئا مذكورا ، فأُمم تمضي وأخرى تجيء، وما الأرض بباكية مَن ذهب ، ولا آنسة بمن حَلّ . و « عريب » : أحد . ومثله : مُعرب، الذكر والأنثى فيه سواء ، ولا يقال فى غير النفى .

وكلام أبى العلاء يحتمل الإشارة إلى اليوم الآخر ، أو هو من الإغراق فى وصف الهلاك .

٦ ﴿ وَأَشْبَاحٌ يُخَالِطُهُنّ غَدْرٌ   فَمَا يُرْعَى الأَكِيلُ ولَا الشَّرِيبُ ﴾

الأشباح : جمع شبح، وهو ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق . وقيل : الأشباح : ما أدركته الرؤية والحِسّ . ويقال : هلك أشباح ماله ، إذا هلك ما يُعرف من إبله وغنمه وسائر مواشيه .

و « يخالفهن غدر » أى إن الغدر لا ينفصل عنها ، فهو لها ممازج لا تُفيق منه إلى رشد، ولا ترعوى إلى صواب .

والأكيل : الذى يأكل معك . والأنثى : أكيلة . وقال الأزهرى : يقال : فلانة أكيلى ، للمرأة التى تؤاكلك .

والشريب : الذى يصاحبك فى الشرب . وفى الحديث : « فلان يمنعه فى ذلك أن يكون أكيله وشريبه » .

اللزومية الواحدة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع النون وياء الردف :

١ ﴿ إِذَا هَبَّتْ جَنُوبٌ أَوْ شَمَالٌ فَأَنْتَ لِكُلِّ مُقْتَادٍ جَنِيبُ ﴾

الجنوب من الرياح : حارّة ، وهى تهب فى كل وقت . ومهبّها ما بين مَهى الصَّبا والدَّبور ممّا يلى مَطلع سُهيل .

وقال الجوهرىّ : هى التى تقابل الشمال . والجمع : أجنُب .

والشمال : الريح التى تهب من ناحية القُطب . وفيها لغات : شَمْل ، بالتسكين ، وبالتحريك ، وشمـال ، وشمأل ، مهموز ، وشأمل ، مقلوب . وربما جاء بتشديد اللام .

ومقتاد ، من القَوْد ، وهو نقيض السوق . فالقَود ، من أمام ؛ والسوق ، من خلف .

والجنيب : الفرس يقاد إلى جنب ، ومثله : المجنوب .

يشير إلى ضعف الناس بين يدى المقادير ، شأنهم فى ذلك شأن الريشة فى مهبّ الريح ، نطير بها إلى حيث تشاء .

٢ ﴿ رُوَيْدَكَ إِنْ ثَلَاثُونَ ٱسْتَقَلَّتْ وَلَمْ يُنِبِ الفَتَى فَمَتَى يُنِيبُ ﴾

« رويدا » ، بمعنى « أرود » أى أمهل وتأنّ وارفُق . إذا أردت بها الوعيد نصبتها بلا تنوين ؛ و إذا أردت المهلة والإرواد فى الشىء فانصب ونوّن . وقد مرّ شىء عنها[1] .

(١) انظر شرح البيت الأوّل من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

وآستقلّت : ذهبت وآنجابت .

وأناب، وناب : بمعنى؛ يقال : ناب فلان إلى الله تعالى، وأناب إليه : أقبل وتاب ورجع إلى الطاعة . وقيل : ناب : لزم الطاعة . وأناب : تاب ورجع .

وخص الثلاثين بالذكر ، حين عدّها نهاية الفتوة والطيش .

اللزومية الثانية والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة ، مع الصاد وياء الردف :

١ ﴿ لِسانُكَ عقْرَبٌ فإذَا أصَابَتْ سِوَاكَ فأنْتَ أوّلُ مَنْ تُصيبُ ﴾

العقرب : واحدة العقارب ، من الهوامّ، يكون للذكر والأنثى بلفظ واحد . والغالب عليه التأنيث . وقد يقال للأنثى : عَقربة ، وعقرباء ، ممدود غير مصروف . والعُقْرُبان والعُقْرُبّان ؛ الذكر منها ، بتشديد الباء فى الثانية . قال ٱبن جِنى : ولك فيه أمران: إن شئت قلت : إنه لا ٱعتداد بالألف والنون فيه ، فيبقى حينئذ كأنه عُقرب ، بمنزلة طُرطب . وإن شئت ذهبت مذهبا أصنع من هذا ، وذلك أنه قد جرت الألف والنون من حيث ذكرنا فى كثيرٍ من كلامهم مَجرى ما ليس مَوجودا ، على ما بيّنا . وإذا كان كذلك كانت الباء لذلك كأنها حرف إعراب، وحرف الإعراب قد يلحقه التثقيل فى الوقف ، نحو : هـذا خالدّ ، وهو يجعلّ . ثم إنه قد يُطلق ويُقَرّ بتثقيله عليه . نحو : الاضخمّا ، وعَيهلّ . فكأن « عُقربانا » لذلك « عُقرب » ثم لحقها التثقيل ، لتصوّر معنى الوقف عليها عند ٱعتقاد حذف الألف والنون من بعدها ، فصارت كأنها « عُقربٌّ » ثم لحقت الألف والنون ، فبقى على تثقيله ، كما بقى « الاضخمّا » عند ٱنطلاقه على تثقيله ، إذا أُجرى الوصل مجرى الوقف ، فقيل : عقربّان .

يعنى أن شرك مردود إليك ، وآلته منك لسان لا ينفك يؤذى، فاكبحه ولا تطلقه ، فحين يصيب غيرك فأنت به مصاب .

٢ ﴿ أَثِمَتْ بِمَا جَنَتْه فَمَنْ شَكَاهَا وَفَى لَكَ مِنْ شَكِيَّتِه نَصِيبُ ﴾

أثِم فلان، من باب علم . وقع فى الإثم، إثمـا ومَأثمـا . وأثَمه الله يأثِمه، من بابى نَصر وضرب : عدّ عليه الإثم وعاقبه به وجازاه جَزاءه . والمراد هنا الأول .

وما جنته : ما جرّته من إثم وجُرم . يريد العَقرب، التى أقامها مقام اللسان .

و « شكاها » : أخبر عنها بسُوء فِعلها . والشاكى حين يشكوها يَصِمها بالأذى ، وصاحبها بالإثم .

والشكية : المصدر ، ومثله الشّكوى ، والشّكاية ، والشكاة . والاسم : الشكوى .

وقد يكون « شكى » هنا بمعنى « آشتكى » أى ألِم بمـا أصابه منها كما يألم المريض من المرض . ومَن ألِم تحزك للأذى .

و « وفى » : تَم وكمل . وإذا تم الشىء أحصد وأدى؛ وكذلك : آنضح وبان . والمعنى الأول مع المعنى الأول فى « شكاها » . يريد : كأن الشاكى يكيل لك بالكيل الذى كِلت له به ، ويَفيك جزاءك من الإساءة .

والثانى مع الثانى : أى كأن الشاكين حين يشكون يكشفون منهـا عن كُلوم بالغة تثير الحنق بك ، والموجدة عليك ، وتهيج الشر بين الشاكى والمشكى .

٣ ﴿ أَىّ الرَّجُلَيْنِ عَنْهَا الشَّرُّ مَنِّى كِلَا يَوْمَيْكُمَا شَـزْرٌ عَصِيبُ ﴾

« الرجلان » : الشاكى والمشكو .

و « عن » هنا ، تفيد التعليل ، أى بسببها .

ومثنى : معدول من « اثنين » وقد مر[1] . يشير إلى ما يُنال المتخاصمين ، المبدى منهما والمُعيد .

وشَثْن : غليظ عاتٍ .

وعصيب : شديد .

وكأنه أراد بـ « اليومين » : يوم أن تنال من غيرك ، و يوم أنْ ينال منك غيرك .

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٥ من هذا الجزء .

اللزومية الثالثة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة ، مع الصاد وياء الردف :

١ ﴿تَنَادَوْا ظَاعِنِينَ غَـدَاةَ قَالُوا أَصَابَ الأَرْضَ مِن مَطَرٍ مُصِيبُ﴾

تنادوا : نادى بعضهم بعضا، وآجتمعوا . ومنه قول المُرَقِّش :

لا يُبْعِـد الله التلبب وال ـغارات إذ قال الخميسُ نَعَمْ

والعَدْوَ بين المجلسين إذا آد العشىُّ وتنادَى العَمّ (١)

وتجالسوا فى النادى . وبكل يتجه المعنى؛ إذ المراد آجتماعهم للرأى والأهبة .

والظاعن : الذاهب السارى . والفعل منه . ظَعن يظعَن ظَعْنا وظَعَنا . وقيل : الظَّعن : سير البادية لنُجعة ، أو حُضور ماء ، أو طلب مَربع ، أو تحوّل من ماء إلى ماء ، أو من بلد إلى بلد . هذا أصله . وقد يقال لكل شاخص لسفر فى حج أو غَزو أو مسير من مدينة إلى أخرى . ومُراد أبى العلاء على المعنى الأصلى .

وأصاب الأرض : صابها بصُـوب ، أى جادها بمَطـر . وآسم الفاعل من « أصاب » ، مُصيب، ومن « صاب » : صائب . والمسموع : صَيِّب .

ومن « مطرٍ » بيان ، يخصص ما فى « يُصيب » من عُموم .

٢ ﴿لَعَلَّ شَوائِمًا رَمَقتَ وَمِيضًا تَبِيـدُ وما لَهَا فِيـهِ نَصِيبُ﴾

الشوائم : جمع شائم، وهو الناظر إلى السحاب والبَرق أين يقصد وأين يُمطر.

والرمق : نَظرك إلى الشىء تُتبعه بصرك وتتعهّده، الفعل منه من باب نصر.

---

(١) آد العشى : مال .

والوميض: لمعان البرق ، وفى الحديث : «إنه سأل عن البرق، فقال : أخَفْوًا أم وميضا » .

وقال ابن الأعرابىّ : الوميض : أن يومض البرق إيماضة ضعيفة ثم يخفى، ثم يُومض ، وليس فى هذا يأس من مطر قد يكون وقد لا يكون .

و « تبيد » : تفنى وتهلك .

أى قد يمضى الآملون وما حققوا أملا . يصف الحياة يمضى البادئون قبل أن يبلغوا الغاية ، ويخلفهم من لم يكن له بداية .

٣ (وَقَدْ تَنْجُو النُّفُوسُ بِأَرْضِ جَدْبٍ وَيُهْلِكُ أَهْلَهُ المَغْنَى الخَصِيبُ)

الجدب : المحْل ، نقيض الخصب . تقول : ارض جَدْب ، على الوصف ؛ وأرضُ جَدْبٍ ، على الإضافة . ولك مع الوصف أن تقول : أرضٌ جدبة ، وجدوب ؛ كأنهم جعلوا الأرض أجزاء ، فتخرج عن صورة الواحد .

و « المغنى » أى المكان الكافى بما فيه . والخصيب : الكثير العشب فى سعة عيش ولين .

يعنى أن الأسباب قد تُخلف أربابها ، وتأتى الحياة بغير ما يقدر الناس .

اللزومية الرابعة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة ، مع الغين و ياء الردف :

١ ﴿ رَغِبْنَا فى الحَيَاةِ لِفَرْطِ جَهْلٍ   وفَقْـدُ حَياتِنَا حَـظٌّ رَغِيبُ ﴾

رغب فى الشىء : أراده ، رَغْبـا ، ورَغبة ، ورَغبى، ورَغَبا . وعن الشىء : كرهه وزهد فيه .

واللام فى «لفرط» للتعليل ، أى من أجل فرط جهل .

والفرط : الغلبة ومجاوزة الحد وفَرط جهل، أى جَهل غالب قد جاوز الحد .

والرغيب : الواسع ، ومنه : واد رغيب، أى ضخم واسع كثير الأخذ للماء .

٢ ﴿ شَـكَا خُزَزٌ حَـوَادِثَها ولَيْثٌ   فَمَـا رُحِمَ الزَّئِيرُ ولَا الضَّغِيبُ ﴾

الخُـزز : ولد الأرنب؛ وقيـل : هو الذكر من الأرانب ؛ والجمع : أَخِزّة ، وخِزّان .

وزئير الليث : صِياحه وغَضبه ؛ وقيل : صوته فى صدره .

والضغيب : صوت الأرنب ، والذئب أيضا . والمراد الأول .

وقيل : هو تضور الأرنب عنـد أخذها . وقد آستعاره بعض الشعراء لِلَّبن فقـال :

كأن ضغِيبَ المَحض فى حاوِيائِه   مع التَّمـر أَحياناً ضغيب الأَرنبِ[1]

والمشاهدة : المعاينة .

---

(١) الحاوياء : الأمعاء .

٣ (شَهِدْتُ فَلَمْ أُشَاهِدْ غَيْرَ نُكْرٍ   وغَيَّبَنِي المُنَى فَمَتَى أَغِيبُ)

وشهدت : حضرت ، و يعنى بحضوره ، وجوده فى الحياة .

والنكر : بالضم ، كالنكراء : المنكر . وفى التنزيل العزيز : (لقد جئت شيئا نكرا[١]) .

وقد يحرّك ، مثل : عُسر ، وعُسُر . ومنه قول الأسود بن يَعفُر :

أتونى فلم أرض ما بيّتوا   وكانوا أتونى بشىء نُكر

والمَنَى ، بالفتح : القدر . و بالضم والكسر : جمع مُنية ، ومِنية ، بالضم والكسر أيضا . بمعنى الأمنية .

فعلى الأوّل ، فالمعنى : أن القدر قد قضى عليه بأن يُوجد فى هذا الوجود ذى النكر . وجعل الوجود فيه تغيبيا ، لأنه حَبس للأرواح ، أو لأن الأحياء فيه مَغمورون بشروره وآثامه ، وهذا وذاك طالما يشير إليهما أبو العلاء .

وعلى الثانى ، فالمعنى أن الأمانى غَشّت على الأفئدة والألباب ، وضربت عليها الحجاب .

و « أَغيب » أى تضمنى غَيابة الأرض وتنطوى على ، يريد الموت . وكل ما غاب فقد تبطّن واختفى .

(١) الآية ٧٤ من سورة الكهف .

اللزومية الخامسة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة، مع الياء وواو الردف :

١ ﴿ عُيُوبِى إنْ سَأَلتَ بِها كَثِيرٌ وأَىُّ النَاسِ لَيْسَ لَه عُيُوبُ ﴾

كثير، للذكر والمؤنث . وقد يقال فى التأنيث : كثيرة . وعن يونس : رجال كثير، ونساء كثير، ورجال كثيرة، ونساء كثيرة؛ سوّى بينهما .

٢ ﴿ ولِلإنسانِ ظَاهِرُ مَا يَراهُ ولَيْسَ عَليْهِ ما تُخْفِى الغُيوبُ ﴾

الغيوب : جمع غيب ، وهو كل ما غاب عنك .

٣ ﴿ يَجُرُّونَ الذُّيُولَ عَلَى المَخَازِى وقَدْ مُلِئَتْ مِن الغشِّ الجُيُوبُ ﴾

الذيول : جمع ذَيل ، وهو من الرداء ما أُسبل فأصاب الأرض .

وجر الذيول : كناية عن التبختر والعُجب .

والمخازى : ما لا يُستحسن ممـا يُستحى منه و يعاب .

والجيوب : جمع جيب ، للقميص والدّرع ، و يطلق مجازا على القلب والصدر، وهو المراد هنا . فتقول : فلان ناصح الجيب؛ وأنت تعنى قلبه وصدره، أى أَمين، وكما يقال فى الأمانة يقال فى ضِدّها ، ومنه قول أبى العلاء هنا .

٤ ﴿ وكَيْفَ يَصُولُ فى الأَيّامِ لَيْثٌ إذَا وَهَتِ المَخَـالِبُ والنُّيُوبُ ﴾

الصول : السطو والتطاول .

وفى الأيام، أى مع الأيام .

ووهت : ضعفت .

والنُّيوب : جمع ناب ، السن التي خلف الرُّباعية . ويجمع أيضا على : أنياب ، وأنابيب ، الثانية عن سيبويه ، جمع الجمع ، كأبيات وأبابيت .

كأنه يشير إلى أن القعود عن الآثام عن ضعف وخور ، لا عن تُقى وورَع ، وكذلك يرتد الناس إلى آنكسار حين لا يملكون أن يصولوا .

اللزومية السادسة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة، مع الراء وألف التأسيس :

١ ﴿ لَذَاتُنَا إِبِلُ الزَّمَانِ يَنَالُهَا مِنَّا أَخُو الفَتْكِ الَّذِى هُوَ خَارِبُ ﴾

الإبل، بكسرتين، وتسكن الباء للتخفيف، لا واحد له من لفظه .

قال الجوهرى : وهى مؤنثة، لأنّ أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها، إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم، وإذا صغّرتها دخلتها التاء، فقلت : أُبيلة .

وحكى سيبويه : إبلان .

وقال أبو الحسن : إنما ذهب سيبويه إلى الإيناس بتثنية الأسماء الدالة على الجمع، فهو يوجهها إلى لفظ الآحاد، يريد : قطيعين .

وأقل ما يقع عليه اسم الإبل : الصِّرمة ، وهى التى جاوزت الذَّود — من الثلاث إلى خمس عشرة ، وقيل : إلى عشرين — إلى الثلاثين .

وقال الأزهرى : ويجمع « الإبل » على آبال .

وجعل اللذات « إبلا » بجامع القطع فى كل ، فكما تقطعُ الإبل الأقطار ، تقطع تلك الأعمار . كما يصح أن يكون الجامع الرغبة فى كل ، فأشهى شىء إلى البدوى ناقة يقتنيها ، واللذة مرغوب فيها .

والفتك : ركوب ما همّ من الأمور ودعت إليه النفس . وقيل : الفتك : أن يأتى الرجلُ صاحبه وهو غارّ غافل حتى يشُد عليه فيقتله . ومثل « الفتك » : الفِتك ، والفُتك ، والفُتوك . والفعل من بابى : ضرب، ونصر .

والخارب : اللص؛ وقيل : هو سارق الإبل خاصة، ثم نُقل إلى غيرها آتساعا . والفعل منه : خَرَب يخرُب ، يقال : خَرب فلان بإبل فلان خرابة ، إذا سرقها ؛ يتعدى بالباء .

وحكى اللحيانى : خَرب فلان ، أى صار لصا .

جعل اغتصاب اللذات كالخِـرابة ، ممـا لا يحل ولا يُقدِم عليـه إلا الفاتك الغادر ، وأن العقبى مع كل الخُسران والتبار .

٢ ﴿وأَرَى عَنَاءً قِيدَ يَغْشَى المَرْءَ مِنْ بِنْتِ العَنَاقِيدِ الّذى هُو شَارِبُ﴾

العناء : التعب والنصب ، وعَنَى فلان يعنِى ، وتعنّى : تَعِب ونَصِب . وعنّيته أنا ، وتعنّيته أيضا . وتعنى هو العناء : تجشّمه .

وقِيد : من « القود » الذى هو ضِدّ السوق ، وقد مرّ[1] .

وفى استعمال « القود » هنا إشارة إلى أنّ المرء يجرّ هذا إلى نفسه بفعله .

ويغشى : يغطى . هذا أصله . وهو إما يريد : ما يعُم الجسم من ضر، فلا تخصيص . أو يريد : لعِب الخمـر بالعقول وحجبها لها ، فكأنه أطلق « المـرء » وأراد مكان العقل منه .

والعناقيد : من النخل والعِنب ونحوهما . الواحد : عنقود، وعِنقاد . و بنت العناقيد : الخمر، لأنها عصارة ما تحمل .

ولا يخفى ما بين « عناء قيد » و « عناقيد » من صنعة الجناس .

وفى آستخدامه « الذى » — ملتفتا إلى « العناء » دون « بنت العناقيد » — نكتة مجازية، والعلاقة المسبّبية .

(١) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية ٦ ص ٣٤٠ من الجزء .

٣ (وَلِسَيِّدِ الأَقْوامِ عِنْدَ حِجَابِهِ طَبْعٌ يُقَاتِلُهُ الحِجَى ويُحَارِبُ)

السيد : يطلق على المالك ، والشريف ، والفاضل ، والكريم ، والحليم ، ومحتمل أذى قومه ، والرئيس ، والمقدم .

ويريد به هنا : المالك أمر قومه المقدّم عليهم .

وأصله من : ساد يسود ، فهو مسيود . فقلبت الواو ياء ، لأجل الياء الساكنة قبلها ، ثم أدغمت .

و « عند » كما تكون اسما لمكان الحضور ، فإنها تأتى أيضا لزمانه .

والحجاب : اسم ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين فهو حجاب .

والحِجا ، مقصور : العقل والفِطنة ، لأنه يمنع الإنسان من الفساد ويحفظه من التعرّض للهلاك . والجمع : أحجاء .

أى إن فى امتناع هؤلاء السادة وراء جاه السلطان ، واغترارهم بهذا العز يتقوّون به على المعاصى ، وازدهائهم به على الناس طغيانا وكبرا ؛ إن فى هذا وذاك ما يأباه العقل إن أعملوه ، وتنكره الفطنة إن لزموها .

٤ (والشَّرُّ فى الجَدِّ القَدِيمِ غَرِيزَةٌ فبِكُلِّ نَفْسٍ مِنْهُ عِرْقٌ ضَارِبُ)

لعله يشير « بالجد القديم » إلى ما كان بين ولدى آدم : هابيل وقابيل ، حين قَتَل أحدُهما الآخر . وقد يكون أراد ما ركِّب فى طبيعة الإنسان من شر ، وهذا بعجُز البيت أوفق .

والعِرق : الأصل . والجمع أعراق وعُروق . والضارب : الناشب الذى قد تمكّن وأوغل .

اللزومية السابعة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع السين :

١ (عَلِمَ الإمَامُ — ولا أقولُ بِظَنِّهِ — أنّ الدُّعَاةَ بِسَعْيِها تَتَكَسَّبُ)

الإمام، عند المُتكلمين : هو خليفة الرسول صلّى الله عليه وسلم فى إقامة الدين، ويجب على كافة الأمة اتباعه .

وعند المحدِّثين : المحدِّث والشيخ .

وعند القُراء والمُفسّرين وغيرهم : كُل مُصحف من المصاحف التى نسخها الصحابة بأمر عثمان رضى الله عنه ، وأُرسلت إلى الأمصار .

والمراد من بين هذه كلها الأوّل . ولعله يُشير إلى ما كان من آختلاف الأُمة بعد وفاةِ النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الإمامة ، وما أعقب ذلك من آنقسام ، وما كان من قول البعض بإمامة علىّ وحَصرها فى عقِبه . ثم ظهور طوائف الإمامية ؛ كالزيدية ، التى قالت بإمامة زيد بن علىّ ؛ والكَيسانية ، التى قالت بإمامة محمد بن الحنفية ؛ والباقرية ، التى قالت بإمامة محمد بن على ، المعروف بالباقر ؛ والناووسية ، التى قالت بإمامة جعفر الصادق ؛ والشمطية ، التى قالت بإمامة محمد بن جعفر ؛ والإسماعيلية ، التى تنتظر إسماعيل بن جعفر ، والمُوسوية التى ساقت الإمامة بعد جعفر إلى آبنه موسى ؛ والمباركية ، التى ساقت الإمامة إلى أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر .

وقد آدعوا لبعض أئمتهم الحياة بعد الموت . ومنهم من يعيشون فى آنتظارهم . وآدعوا لبعضهم أنه المهدى المنتظر . وإلى ذلك يُشير قول كُثيّر :

أَلَا إنّ الأئمةَ من قُرَيش … وُلاةُ الحقّ أربعةٌ سَواءُ

علىٌّ والثلاثةُ من بَنِيه … همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاء

فسِبطٌ سِبْطُ إيمانٍ وَبِرٍّ … وسِبطٌ غيّبَته كربلاء

وسِبْط لا يَذوق الموتَ حتى … يَقود الخيل يَقْدُمها اللّواء

تَغيّب لا يُرى فيهم زمانا … برَضْوى عنده عَسَل وماء

وقد سبق بعض هذا[1] .

والظن : شك ، ويقين ، إلا أنه ليس بيقين عِيان ، إنما هو يقين تدبُّر . فأما يقين العِيان ، فلا يقال فيه إلا « عَلِم » .

والعبارة « ولا أقول بظنه » إطناب للتوكيد ودَفع الإيهام .

والدُّعاة : مَن يَدْعون إلى هُدى أو ضلالة ، الواحد : داعٍ . وهم ، مع ما ذهبنا إليه ، تلك الفرق الإمامية .

ونتكسّب : نتكلف الكسب وَتناله من غير وجهه .

وقد يكون المراد بلفظ « الإمام » عُمومه . وكأنه يُشير إلى ما يُحاط به الأئمة من زُور يُدعَى به لهم ، وبُهتان يمكّن به لسلطانهم .

٢ ﴿ هَذا الهَوَاءُ يَلُوحُ فِيهِ لِنَاظِرٍ … صُوَرٌ ولكِنْ عَنْ قَلِيلٍ تَرْسُبُ ﴾

لعله يشير بقوله « هذا الهواء ... الخ » إلى زعم السبئية من الشيعة أن علىّ ابن أبى طالب حىّ لم يمت ، وأنه يُرى فى السحاب .

أو أنه جعل مقال هؤلاء وهؤلاء صُورًا مُتوهَّمة لا حقيقة لها .

---

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٤ ص ١٦٣ من هذا الجزء .

والرسوب : الذهاب إلى أسفل . يريد أنها تَغيب وتَخفى ولا يبقى لها أثر وكأنه يشير إلى مَصير الحياة بزُخرفها إلى التراب .

٣ ﴿ والنّاسُ جِنْسٌ ما تَميَّزَ واحِدٌ كُلُّ الجُسُومِ إلَى التُّرابِ تَنَسَّبُ ﴾

تميز : انفصل وانفرد . وقد مر شيء عنه (١) .

وتنسّب : أى تتنسّب ، والتنسب : ادّعاء النسب . وفى المثل : القريب من تقرّب لا من تنسّب .

يعنى أنه لا صلة جامعة تجمع الناس عليها ، وتردهم إليها ، غير هذا التراب الذى منه أصلهم و إليه يعودون .

٤ ﴿ والأَرْىُ باطِنُهُ مَتَى ما ذُقْتَهُ شَرْىٌ فَماذا ــ لاأبالَكَ ــ تَلْسَبُ ﴾

الأرى : ما تجمعه النحل من العسل فى أجوافها ثم تلفظه ، وهو أيضًا ما التزق من العسل فى جوانب العسّالة . ضَرَبه مثلًا للذائذ الحياة .

والشّرْى : الحنظل ، وقيل : شجره ، وقيل : ورقه . وهو معروف بمرارته . ضَربه مثلًا لما يعقُب اللذة من أسىً وَضُر .

و « أبالك » : كلام جرى مجرى المثل . وذلك أنك إذا قلت هذا فإنك لاتنفى فى الحقيقة أباه ، وإنما تُخرجه مخرج الدعاء عليه : أى أنت عندى ممن يستحق أن يُدْعَى عليه بفقد أبيه . وأكثر ما يذكر فى المدح ، أى لا كافى لك غير نفسك . وقد يذكر فى الذم ، كما يذكر فى مَعرِض التعجب ، ودفعا للعين ، كقولهم : لله درك . وقد يذكر بمعنى : جِدَّ فى أمرك وشَمّر له ، لأن من له أب اتكل عليه فى بعض شأنه . وقد تُحذف اللام فيقال : لا أباك .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية الثامنة ص ٨٦ من هذا الجزء .

وتلسب : تلعق . فعله من باب « فرح » . يقال : لَسِب العسل والسمن ونحوهما ، يَلْسب لَسَبا . وأما اللسب الذى هو لدغ الحية والعقرب ، فبابه : ضرب ، وفتح .

جعل الحياة هذا الأرى ، ظاهرها حلو وباطنها مر ؛ وهو يعجب من إقبال الناس عليها بعد ما خبروا من أمرها ، شأنهم فى ذلك شأن المقبل على الأرى يلعقه ، وهو يعلم مرارته .

٥ ﴿ وسَيُقْفِرُ المِصْرُ الحَرِيجُ بأَهْلِهِ ويَغَصّ بالإِنْسِ الفَضَاءُ السَّبْسَبُ ﴾

أقفر المكان من الكلأ والناس : خلا . أرضٌ قَفر . وأرض قِفار . تُجمع على سعتها لتوهّم المواضع .

وكل موضع على حياله قفر . وإذا سميت أرضا بهذا الأسم أنّثت ، فيقال : دار قفرة ، ومنزل قفر ، فإذا أفردت قلت : انتهينا إلى قفرة من الأرض .

والمِصر : واحد الأمصار . وهو كل كُورة تقام فيها الحدود ويقسّم فيها الفىء والصدقات ، من غير مُؤامرة للخليفة .

وحريج : ضيق . ومثله : حرِجٌ ، وحَرَج . إلا أن هذه الأخيرة تُفرد ، لأنها مصدر .

وغَص المكان بأهله يَغَصّ : ضاق وآمتلأ .

والإنس : البشر ، الواحد : إنسىّ ، وأَنَسِىّ ، بالتحريك .

والسَّبسب : القفر والمفازة . بلد سَبسب ، وبلاد سَباسب ، كأنهم جعلوا كل جزء منها سَبسبا ، ثم جمعوه على هذا . يريد : حيث القبور .

أى إن مصير هذه المدن العامرة أن تخلو من أهلها ، وتعمر بهم الصحارى ، حيث القبور والمدافن .

اللزومية الثامنة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة، مع الذال و ياء الرِّدف :

١ ﴿ سَمَّى ٱبْنَه أَسَدًا وليَسَ بآمِنٍ   ذِئباً علَيْــه إذا أَطَــلَّ الذِّيبُ ﴾

أطل : أشرف وأوفى بطلاله ، أى شخصه .

والذئب ، معروف . يُهمز ولا يهمز، وأصله الهمز .

يَنْعى على الناس تعلُّقهم بأســباب ليسوا منها فى قليل ولا كثير ، غرورا منهم وغفلة . وقد ضرب ما ساقه هنا مثلا لذلك .

٢ ﴿ واللهُ حَقٌّ وٱبْنُ آدَمَ جاهِلٌ   مِنْ شَأْنِهِ التَّفْرِيطُ والتَّكْذِيبُ ﴾

فرّط فى الشىء، وفرّطه : ضيّعه وقدّم العجز فيه .

لمــا نعى على النــاس وسائلهم فى بيته السابق ، أحب أن يردّهم إلى الحق ، و يرجع بهــم عن هــذا الجهل ؛ الذى يدفعهم إلى البهتان والإمعان فيــه دفعا ؛ إلى السبيل الحق ، ألا وهو عبادة الله والتوجه إليه .

٣ ﴿ واللُّبُّ حَاوَلَ أنْ يُهَذِّبَ أَهْلَهُ   فإذا البَرِيَّةُ ما لهَــا تَهْــذِيبُ ﴾

اللب : العقــل ، ويجمع على : ألبــاب، وألُبب، وألُب . والفعل منــه : لَبُبت ألَب ، ولَبِبْتَ تَلَب .

والبرية : الخلق، وأصله الهمز ، وقد تركت العرب همزه ؛ وقد مرّ[1] .

أى إن العقل السليم هو مفزع الناس لو أخذوا بهديه ، ولكنهم لا يفعلون .

(١) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

٤ ﴿ مَنْ رَامَ إنْقَاءَ الغُرَابِ لِكَيْ يُرَى وَضَحَ الجَنَاحِ أَصَابَهُ تَعْذِيبُ ﴾

أنقى الشيء إنقاء : نفى عنه ما يَشِينه وآستصفاه .

والوضح : البياض من كل شيء .

جعل رجوع الناس إلى هدى العقل يلقنون عنه و يعونه ، فى استحالة رد سواد الغراب إلى بياض . وقد مر شيء عن هذا .

٥ ﴿ والدَّهْرُ يَقْدُمُ والمَلِيكُ مُخَالِفٌ دُوَلًا فمِنْهَا مُجْمِدٌ ومُذِيبُ ﴾

يقدم ، من القِدم ، الذى هو نقيض الحدوث . الماضى مثله مضموم العين .

والمليك : ذو الملك . يريد الله سبحانه وتعالى .

ومخالف دولا ، أى مخالف بينها ومغاير .

والدول : جمع دَولة ، والدَّولة : العُقبة فى المال والحرب سواء .

وقيل : الدُّولة ، بالضم : فى المال . والدولة ، بالفتح : فى الحرب .

وقيل : هما لغتان فيها . يريد ما عليه الناس فى الحياة .

والجمود : ضدّ الذوب . ضَربهما مثلين للتغاير والتخالف . والفاعل لهما هو المليك ، أى الله تعالى . يُشير إلى تباين ما فى الوجود مع كَرّ الأيام . و يكون معنى البيت توكيدا لما ساقه فى البيت قبله .

أو لعله يريد وَصف ما عليه الحيـاةُ من تعاقُب العواقب ، يأتى بها القَدر و يذهب . وهو ما يريده بالجمود والذَّوب .

اللزومية التاسعة والستون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الذال :

١ ﴿ إنْ عذُبَ المَـيْنُ بِأفْواهِـكُمْ   فإنّ صِـــدْقِى بِفَمِى أعْذَبُ ﴾

عذب يعذُب : طاب وحلا .

والمَـين : الكذب . مان يمين ، فهو مائن . ورجل مَيون وميّان .

٢ ﴿ طَلَبْتُ لِلعـالَمِ تَهْذِيبَهُـمْ   والنّاسُ ما صُفُّوا ولا هُذِّبُوا ﴾

الطلب : محاولة وِجدان الشىء وأخذه .

وصفّيت الشىء : خاصته مما يشوبه من كدر .

يعنى أن الناس قد وُكلوا إلى الحياة ، لعلها تردّهم إلى الحق بعظاتها المتعاقبة ، فما أفلحت ، و بقوا كما هم على غير صفاء ولا تهذيب .

٣ ﴿ سَألْتُ مَنْ خَالَفَ عَنْ دِينِهِ   فأعْـوَزَ المُخْـبِرُ لا يَكْذِبُ ﴾

خالف عن دينه : تغير عنه .

وأعوز ، أى لم يجد جوابا ولم يملك حديثا .

و « لا يكذب » أى حين يصدق فلا يمين . وإلا فهو مع الكذب ، واجد فى ميدان القول سعة . وهذا ما سيذكره فى البيت التالى .

٤ ﴿ وأَكْثَرُوا الدَّعْوَى بِلَا حُجَّـةٍ كُلٌّ إلَى حَـيِّزِهِ يَجْـذِبُ ﴾

الدعوى : الاسم من « آدّعى »، ومثلها : الدعوة . وآدّعيتَ الشيء : زعمته لى ، حقا كان أو باطلا .

والحيز : كل ناحيةٍ على حِدة . وأصله من الواو . ويقال فيه : حَيْز ، بالتخفيف ، مثل هَيّن ، وهَيْن .

ويَجذب ، على ما سمى فاعله : يَستميل ويُغرِى . أى إنهم بدعواهم يريدون أن يلفتوا الناس إليهم .

اللزومية المتمة السبعين

وقال فى الباء المضمومة مع الذال :

١ ﴿ يَحْسُنُ مَرأى لِبَنِي آدَمٍ   وكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لا يَعْذُبُ ﴾

٢ ﴿ ما فِيهِمُ بَرٌّ ولا نَاسِكٌ   إلّا إلَى نَفْعٍ له يَجْذِبُ ﴾

الذوق ، أى الاختبار والامتحان .

ولا يعذب ، أى لا يُستساغ ولا يُرتضى .

والبَرّ : الصادق البارّ .

٣ ﴿ أفْضَلُ مِنْ أفْضَلِهِم صَخْرَةٌ   لَا تَظْلِمُ النَّاسَ ولَا تَكْذِبُ ﴾

يكرر فى هذه الأبيات الثلاثة ماينعاه دائما على الناس، يحسن مظهرهم ويسو مخبرهم ، يدّعون النسك ليجلبوا به النفع ، وليس لهم نسك فى الحقيقة . كز ما يصدر عنهم جور وظلم ، وكل ما ينطقون به كذب ورياء . خير من خيره صخرة صماء قد كفت الناس أذاها ، خرساء لا لسان لها يحوك الكذب .

اللزومية الواحدة والسبعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع الحاء :

١ ﴿ هذا طَرِيقٌ لِلهُدَى لاحِبُ ‌ ‌ ‌ ‌ يَرْضَى بِهِ المَصْحُوبُ والصَّاحِبُ ﴾

الطريق، يذكّر ويؤنّث . وجمعه على التذكير : أطرقة، كَرَغيف وأرغفة . وعلى التأنيث : أطرُق . كيمين وأيمن .

ولاحِب : واضح ؛ وقيل : هو الواسع المُنقاد الذى لا يَنقطع ، فاعل بمعنى مفعول ، أى مَلحوب . لَحَبت الطريق أَلْحَبه لَحْبا ، إذا وَطئتَه ومررتَ فيه فأوضحته وبيّنته . ومنه قول أم سَلمة لعثمان رضى الله عنه : « لا تُعَفِّ طريقا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَحَبها » .

وقد يكون على فاعليته ، من لَحَب الطريقُ يلحب لُحُوبا ، إذا وَضح ، كأنه قَشر الأرض .

والمَصحوب : مَن تَصحبه وتُعاشره .

والصاحب : المُعاشر ، لا يَتعدّى تعدى الفِعل ، فلا تقول : زيد صاحبٌ عَمرا ؛ لأنهم إنما استعملوه استعمال الأسماء ، ولو استعملوه استعمال الصفات لجاز . والجمع : أصحاب ، وأَصاحيب، وصُحبان ، وصِحاب ، وصَحْب ، وصَحابة ، وصِحابة . ويريد بالصاحب والمصحوب : الداعى والمدعوّ .

٢ ﴿ أَهْرَبُ مِنَ النَّاسِ فإنْ جِئْتَهُمْ ‌ ‌ ‌ ‌ فَمِثْلُ سَأْبٍ جَرَّهُ السَّاحِبُ ﴾

الهرب : الفرار . هَرَب يهرُب هَربا . يكون للإنسان وغيره . وأهرَب : جدّ فى الذهاب مَذعورا أو غير مَذعور . وهَرَّب غيره تَهريبا . ومثلها فى ذلك أيضا : أهربه ، إلا أنها لا تكون إلا حين يَضطرّه إلى الهَرب .

والسأب : الزق للخمر، أو للعسل . وقيل : هو الزّق أيًّا كانْ .

وخص الزق — على أى معنى كانْ . لأنه يضم أشهى ما يشتهون ، إن كان خمرا أو عسلا أو نحوهما، وأنفع ما يحرصون عليه إن كان ماء .

وجَرّه : جذبه .

٣ ﴿ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِمَا عِنْدَهُ وهُوَ لَقًى بَيْنَهُمْ شَاحِبُ ﴾

اللقى : الشيء المُلْقى المُطرح المتروك . وفى حديث أبى ذر : مالى أراك لقًى بقًى (١) .

والشاحب : المهزول المتغير اللون . يصف الزق بعد اطراحه ، وقد يَبِس جلده وكلح لونه .

جعل قرب الناس من الناس لنفع يصيبونه ، فإن استنفدوه حتى آخره ، اطرحوا من أرادوهم له ، شأنهم فى ذلك شأن الراغبين فى الزق لما يحوى ، فإن اشتفوا ما فيه تركوه لقى لا يلتفتون إليه، مزدرى يمرون عنه .

(١) بقى : إتباع له .

اللزومية الثانية والسبعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع التاء :

١ ﴿ ٱصْفَحْ وجَاهِرْ بِالمُرَادِ الفَتَى   ولَا يَقُــولُوا هُوَ مُغْتَــابُ ﴾

الصفح : الإعراض عن الذنب . صَفح عنه يصفح صفحا .

وجاهره بالأمر : عالنه .

والواو فى « ولا » للتعليـل ، وكذلك الواو الداخلة على الأفعـال المنصوبة ، والمعنى : لئلا يقولوا . ومثـله : (يا ليتنا نُردّ ولا نكذبَ بآياتِ ربّنا ونكونَ)(١) . وقيـل : إن الصواب أنها للمعية . وشَرطوا أن يتقدمها نفى أو طلب . ويُسميها الكوفيون « واو الصرف » .

والمغتاب : الذى يقـع فى غائب فيتكلّم خلفه بسوء ، أو بمـا يَغُمه لو سمعـه وإن كان فيه ، فإن كان صدقا فهو غَيبة ، وإن كان كذبا فهو البُهت والبُهتان .

٢ ﴿ إنْ رَابَنَـا الدَّهْرُ بِأفعـالِهِ   فكُلّنَـا بِالدّهْرِ مُرْتَابُ ﴾

الريب : الشك والظنة والتُّهمة . رابه الأمر رَيبا ورِيبة : رأى منه ما يَريبه ويكرهه .

وارتاب فيه : شك ، فهو مُرتاب .

جعل الرتب من الدهر حسنة لازمة له ، لا شيئا جديدا عليه .

٣ ﴿ فَاعْفُ ولَا تَعْتُبْ عَلَيْه فَكَمْ   أَوْدَى بِهِ عَـوْفٌ وعَتّـابُ ﴾

عتب عليه ، يعتُب : وَجد .

وأَودى : هلك . و « به » أى فى الدهر ، أو بسببه وما يجلب .

(١) الآية ٢٧ من سورة الأنعام .

وعوف، هو عَوف بن مُحَلِّم بن ذُهل بن شيبان، كان أبيًّا مانعا لما فى جوار
وفيه المثل : لا حُرَّ بوادى عوف .

وذلك أن عمرو بن هند الملك كان طلب منه مَروان القرظ : وكان قد أجار
فمنعه عوفٌ وأبى أن يُسلمه . فقال الملك هـذا المثل . أى إنه يَقهر من
بواديه .

و « عتّاب » : لعله ابن ورقاء الرياحى ، كان من أبطال العرب وقادتها
انتدبه الحجاج لقتال شَبيب بن زيد، بعد أن عَجز عنه . وحَميت الحرب بينه وبين
شبيب ، وكان أن قُتل فى وقعة له معه سنة ٧٧ هـ .

ضربهما مثلين للعُنف والإباء . ولا يخفى ما فى اختيار اللفظين من صنعة
الجناس ، فأولهما من حروف « العفو » مع مغايرة ؛ والثانى من « العتب »
مع زيادة .

يعنى أن الدهر لو كان يحفظ لإنسان حرمة لحفظ لأمثاله هـذين ، ولم
عنهما ما يكرهان .

٤ (لَوضُرِبَ الغاوُونَ بالسَّيفِ لَا   بِالسَّوْطِ حَدَّ الخَمْرِ مَا تَابُوا)

الغاوون : الضالون ؛ الواحد : غاوٍ . ومثله : غَوٍ، وغوىّ ، وغَيّان
والفعل منه : غَوَى غيًّا ، وغَوِى غَواية . الأخيرة عن أبى عُبيد .

والحدّ، عند الفقهاء : عُقوبة مقدّرة شرعا .

والحد فى الخمر أربعون جلدة . وبه يقول الشافعىّ . وقالوا : ثمانين
ثم اختلفوا فيمن أُقيم عليه الحد ثلاثا ثم لم يَتُب . فقالوا : يُقتل . وقالوا
لا يقتل . وعلى الثانى مالك والشافعىّ وأبو حنيفة .

يؤكد عكوف الناس على الخمر، لا يكفّهم عنها عقاب و إن بلغ أقساه ، إن ارتدوا عنهـا به جهرا . فمـا أحرصهم عليهـا سرا ، إلا من عصم ربك ، وقليـل منهم المعصومون .

٥ ﴿ تِلْكَ مَنِ اجْتَابَتْ لَه صُورَةٌ فَهْـوَ لِسُخْطِ اللهِ مُجْتَـابُ ﴾

« تلك » ، أى الخمر .

واَجتـاب : لَبِس . يقال : اَجتاب القميص والظلام ، إذا دخل فيهما . قال لَبِيد :

فبتلك إذ رَقص اللوامعُ بالضُّحى واجتاب أردية السَّراب إكامُها (١)

و يريد بالصـورة : هيكل الإنسان ، أى من دخلت جوفه ، فكان جسمه لهـا كالقميص .

ومجتاب : لابس ومتسربل . أى فقد شمله سخط الله كما يشمل الثوبُ الجسم .

٦ ﴿ نِمْنَا على الشَّيْبِ فَهَـلْ زَارَنَا طَيْفٌ لاصلِ الشَّرْخِ مُنْتَابُ ﴾

نِمنا على الشيبِّ : أى سكنّا إليه وألِفناه . وجعله نوما ، لأن مع الشَّيب الخلود إلى الراحة ، وكذلك مع النوم .

والطيف : الخيال يجيء فى النوم .

والشرخ : أوّل الشـباب . و « لأصـل الشرخ » أى حقيقته وجـوهـره لا عارض من عوارضه .

ومنتاب : قاصد . يقال : انتاب الرجل القوم ، إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة . وكذلك الطيف لا يُلم حتى يُولى .

(١) فبتلك ، يعنى ناقة . وما أشبه صدر البيت بصدر بيت أبى العلاء .

أى لا رجعة للشباب حين يولى ، ولا ظل له مع الشيب . وكأنه ينعى على المتصابين ما يفعلون . لا يرعون الكبر ووقاره ، و يأخذون بفعل الصبا واستهتاره .

٧ ﴿ هَيْهاتَ لا تَحْمِلُهُ نَحْوَنَا سُرُوجُ أَفْراسٍ وأَقْتَابُ ﴾

هيهات : كلمة معناها البعد . وقيل : هى كلمة تَبعيد . والتاء ، مفتوحَة ، وناس يكسرونها على كل حال ، بمنزلة نُون التثنية . فمن كسر التاء جعلها جمعا ، واحده : هيهة ؛ ومن فتح التاء جعلها كلمة واحدة .

واتفق أهل اللغة على أن التاء من « هيهات » ، ليست بأصلية ، أصلها هاء . وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا وصلت « هيهات » فدع التاء على حالها ، و إذا وقفت فقل : هيهاه .

والسروج : جمع سرج ، وهو رحل الدابة .

وأقتاب : جمع قَتب ، وهو إكاف البعير ، يريد الدواب والإبل . ولم يكن غيرهما وسيلة .

يقطع على الآملين فى متعة الشباب ، وهم على الشيب ، أملهم ؛ و يردهم إلى العظة لو يعون .

اللزومية الثالثة والسبعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة مع اللام :

١ ﴿ إيَّاكَ والخَمْرَ فهِىَ خَالِبَةٌ   غالِبَةٌ خَابَ ذَلِكَ الغَلَبُ ﴾

إياك والخمر، من صيغ التحذير ، والأول من اللفظين على النصب بعامل واجب الحذف، والثانى معطوف عليه ، و يكون الكلام جملة واحدة، والتقدير : إياك باعد من الشر والشر منك . فكل منهما مُباعد من الآخر . و به قال السِّيرافى ، وابن مالك ، وابن عصفور .

وذهب ابن خروف إلى أن الثانى منصوب بفعل آخر مضمر ، والتقدير : إياك باعِد من الشر واحذر الشر ، و يكون الكلام جملتين .

وخالبة : سالبة العقل ذاهبة به . فِعله من بابى : نصر وضَرب .

والغلب : القهر، ومثله : الغَلَب ، وأولهما أفصح . و يقولون : لمن الغَلَب والغَلَبة ؟ ولم يقولوا : لمن الغَلْب ؟

وجعل غلبها خيبة، لتعطيلها العقول، التى هى مناط الهدى والخير .

٢ ﴿ خَابِيَةُ الرَّاحِ نَاقَةٌ حَفِلَتْ   لَيْسَ لَهَا غيرَ باطِلٍ حَلَبُ ﴾

الخابية : الحُب — الجَرة — وأصله الهمز ، لأنه من « خبأ » إلا أنه تُرِك همزه .

والراح : الخمر، اسم لها .

والحفل : اجتماع اللبن فى الضرع . حَفلت الناقة تحفِل، حُفولا وحَفْلا .

والحلَب ، بالتحريك : اللبن المحلوب ، سُمى بالمصدر .

والباطل : اللهو والجهالة .

٣ ﴿أَشْأَمُ منْ نَاقَةِ البَسُوسِ عَلَى النَّاسِ وإِنْ نِيلَ عِندَهَا الطَّلَبُ﴾

البسوس، هى بنت مُنقذ التيمية، خالة جسّاس بن مُرة بن ذهل الشيبانى. نزلت بجسّاس، وكانت لها ناقة يقال لها: سَراب. فرعت فى حِمى كُليب. فرماها بسهم. فنهض جسّاس إلى كُليب فقتله. فهاجت الحرب بين بكر وتغلب وبقيت أربعين عاما. فضرب بها المثل فقيل: أشأم من البسوس.

والضمير فى «عندها» للراح. ويشير إلى ما يتصف به الشرب من بذل وإسماح وعطاء، وقد قالوا: إنما سميت الخمر: راحا؛ لأن شاربها يرتاح للعطاء ويخفّ. وقد تردّد ذلك على ألسنة الشعراء. من ذلك قولُ متمم بن نويرة:

وقد سبقت العاذلاتِ بشَربةٍ ريّا وراوُوق عظيم مُترَعُ (١)

وقال الشاعر:

* والخمر مُشتقة المعنى من الكَرَم *

٤ ﴿ياصَالِ خَفْ إنْ حَلَبْتَ دِرَّتَهَا أَنْ تَتَرامَى بِدَائِهَا حَلَبُ﴾

ياصالِ؛ يريد: يا صالح، فرخّم. ولك فى اللام الكسر، على لغة من ينظر إلى الحرف المحذوف؛ أو الضم على لغة من لا ينظر إليه. وهذا من لعب أبى العلاء بالألفاظ والمعانى. فإنه لما ذكر الناقة استطرد.

وقصة صالح عليه السلام وناقته، مع قومه ثمود وعقرهم لها، معروفة. وأراد أبو العلاء أن يُشاكل باللفظ لتوفر المُلابسات، ولم يُرد إلى القصة ذاتها. ثم لا يخفى ما فى هذا الاختيار من نكتة لما فى معنى «صالح» من الصلاح، وهو إلى الامتثال بالأمر أسرع وأطوع.

(١) الراووق: ناجود الشراب الذى يروق به فيصفى.

والدِّرَّة : اللبن إذا كثر وسال . والضمير هنا فى « درتها » يعود إلى « الناقة » التى أقامها مقام الخابية .

وترامى ، أى تترامى . وذلك أن يرمى بعضهم بعضا . ولعله يريد شيوع شربها الذى هو داء ، فيعدى الناس بعضُهم بعضا . أو لعله يريد ما يكون لها من سَورة فشرٍّ يتقاذف به الناس .

وحلب : المدينة المعروفة بالشأم ، و بينها و بين « حلب » فى البيت السابق جناس تام .

قال ياقوت : وهو بلد قليل الفواكه والنبيذ إلا ما يأتيه من بلاد الروم .

ومعرّة النعمان ، بلد أبى العلاء ، منه قريب .

وقد يكون أبو العلاء خص « حلب » لما ذكر ياقوت ، فضربها مثلا للجار يأذى بضر الجار .

• (أَفْضَلُ مِمَّا تَضُمُّ أكْؤُسَهَا . مَا ضَمِنَتْهُ العِسَاسُ والعُلَبُ)

العِساس : جمع عُس ، وهو القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة والعدّة ، ويجمع على : عِسَسة ، أيضا .

والعُلب : جمع علبة ، وهو القدح الضخم من جلود الإبل ، وقيل : من الخشب ، خَصّته كتب اللغة بالحَلَب . وكأن « العُس » للماء .

يرغب الناس فى لبن وماء ، معهما اللذة والنفع ، ويصرفهما عن خمر فيها الأذى والضر .

اللزومية الرابعة والسبعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة، مع الجيم :

١ ﴿ مَنْ لِيَ أَلَّا أُقِيمَ فِي بَلَدٍ أُذْكَرُ فِيــهِ بِغَيْرِ مَا يَجِبُ ﴾

٢ ﴿ يُظَنُّ بِيَ الْيُسْرُ والدِّيانَةُ والعِـ ـلْمُ وَبَيْــنِي وبَيْنَهَا حُجُبُ ﴾

حجب : جمع حِجاب، وهو كل ما حال بين شيئين ؛ ولا جمع غيره .

يصرف نفسه ويصرف الناس معه عن بيئته لا تعرف الناس على حقيقتهم ، وإنمـا تزنهم بمظاهرهم، يكبرون من يدعى الكرم ؛ وهو عنه بمنأى، ويجلون من يتَّسم بالديانة وهو منهـا بُراء ، ويعظمون من يتظاهر بالحـلم وهو من الجاهلين .

وهو يعنى العالم كله، ويعنى ما فيه من رياء وبعد عن الحق، يخدع بالمظاهر، ولا تعنيه البواطن .

٣ ﴿ كُلُّ شُهُورِي عَلَيَّ واحِدَةٌ لا صَـــفَرٌ يُتَّقَى وَلَا رَجَبُ ﴾

صفر : الشهر الذى بعد المحرم . قيـل : سُمى بذلك لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرا من المتاع .

قال ثعلب : كلهم يَصرفون « صفرا » إلا أبا عُبيدة، فإنه قال : لا ينصرف .

وإذا جمعوه مع « المحرم » قالوا : صفران . والجمع : أصفار .

ويتَّقى، على ما لم يُسم فاعله : يُحذر ويُصان منه . وأصله : « أوتقى » والتاء فيه تاء الافتعال ، فأدغمت الواو فى التاء وشددت . *

ورجب : شهر ، سمّوه بذلك لتعظيمهم إياه فى الجاهليـة عن القتال فيـه . والجمع : أرجاب . وإذا ضموا له « شعبان » قالوا : رَجبان .

اختار الأوّل مثلا لسعى الناس فى الحيـاة واضطرابهم فيها ، والتأنى لإخلاد الناس للراحة والقعود عن السعى .

يعنى أن النـاس على الحالين ، سعيا وسكونا ، لا يعيشون على تقـوى ولا يُلمون ببرّ .

٤ ﴿ أَقْرَرْتُ بِالجَهْلِ وَادَّعَى فَهْمِى قَوْمٌ فَأَمْرِى وَأَمْرُهُمْ عَجَبُ ﴾

العجب : إنكار ما يرد عليك لقـلة اعتياده ، وجمعه : أعجـاب . وقال الجوهرى : لا يجمع « عجب » .

وستراه يعرض لهذا البرم بالحياة والضيق بالوجود فى بيتيه التاليين .

٥ ﴿ والحَقُّ أَنِّى وَأَنَّهُمْ هَـــدَرٌ لَسْتُ نَجِيبًا وَلَا هُمُ نُجُبُ ﴾

الهدر : ما يبطل من دم وغيره . هَـدَر يَهْدِر ، بالكسر ، ويهدُر ، بالضم ، هَدْرا وهَدَرا .

والنَّجيب : الفاضل النفيس ، والكريم الحَسِيب أيضا . والأول بالمعنى ألصق .

كان أبا العلاء يرى علم الناس شيئا من الجهل ، مالم يهدهم إلى الزهد فى الحياة والتنكر لمتاعها .

وكأنه يغلو فينـكر على الساعين فيها سـعيهم ، ويعده عليهـم عبثا ، وخروجا عن التفكير .

وهو — وإن خالف النـاس فعمل لمـا يؤمن بها شيئا ، أنصـفه به فريق فوصفوه بالفهـم دونهم — يرى مشاركته فى الحيـاة ، وإن هانت ، بقيـة

من جهـل لا يرضى معـه أن يوصف بفهـم ، ما دام هـذا الفهم لم ينبـهْ به إلى ما يرى جملة .

٦ ﴿ والحَالُ ضَاقَتْ عَنْ ضَمِّهَا جَسَدِى فَكَيْفَ لِى أَنْ يَضُمَّهُ الشَّجَبُ ﴾

الحال : الساعة التى هو فيها . يريد : الحياة ؛ يذكر ويؤنث .

و « كيف لى » ، أى كيف السبيل إلى ما أريد .

والشَّجب : الهلاك ؛ شَجِب يَشْجَب شَجَباً ، إذا هلك .

٧ ﴿ ما أوْسَعَ المَوْتَ يَسْترِيحُ بِهِ الْـ ـجِسْمُ المُعَنَّى ويَخْفِتُ اللَّجَبُ ﴾

« ما أوسع الموت » إحدى صيغتى التعجب . وثانيتهما : « أوسِعْ بالموت »

والمعنَّى : المحبوس المضيَّق عليه . جعل الحياة قيدًا له وأسرا . وكثيرا ما يشير أبو العلاء إلى هذا .

ويخفت : يسكت وينقطع .

واللجب : الصوت والصياح والجلَبة .

اللزومية الخامسة والسبعون

وقال أيضا فى الباء المضمومة ، مع الباء وياء الردف :

١ (مَا الثُّرَيَّا عُنْقُودُ كَرْمٍ مُلاحِيٌّ   وَلَا اللَّيْـــلُ يانِـعٌ غِرْبِيبُ)

الثريا : من الكواكب ، سُميت لغزارة نَوْئها ؛ وقيل : لكثرة كواكبها ، مع صِغر مرآتها ، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضِيق المحل . وقد مرت [1] .

والكَرم : شجر العِنب ؛ الواحدة : كَرمة . وقيـــل : الكَرمة : الطاقة الواحدة من الكرم ؛ وجمعها : كُروم . وفى حديث أبى هُريرة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لا تُسمّوا العِنب الكَرْم ، فإنمـا الكَرم الرجل المسلم » .

قال الأزهرى : وتفسير هذا والله أعلم : أن الكرم الحقيق هو من صِفة الله تعالى . ثم هو من صِفة من آمن به وأسلم لأمره .

وهو مَصدر يُقام مقام الموصوف ، فيقــال : رجل كَرم ، ورجلان كَرم ، وامرأة كَرم . لا يثنّى ولا يجمــع ولا يؤنث ؛ لأنه مصدر أقــيم مقام المنعوت ، فخففت العرب « الكَرْم » وهم يريدون كَرَم شجرة العِنب ، لمـا ذُلّل من قُطوفه وكثر من خيره فى كل حال ، وأنه لا شوك فيه يُؤذى القاطف . فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تَسميته بهذا الاسم ، لأنه يُعتصر منه المُسكر المَنهىّ عن شربه .

قال أبو بكر : ويُسمى الكرم كرما ، لأن الخمرة المُتخذة منه تَحُث على السخاء والكَرَم .

والملاحىّ : العِنب الأبيض فى حَبه طُول . قال الشاعر :

---

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢٨ من هذا الجزء .

ومن تعاجيب خَلقِ الله غاطِيةٌ ... يُعصر منهـا مُلاحىٌّ وغِربيب (١)

وقال الجوهرى: المُلّاحى، بالضم وتشديد اللام. قال أبوحنيفة : وهى قليلة. قال ابن سيده : إنمـا نسبه إلى المُلّاح ، وإنمـا المُلّاح فى الطَّعم .

واليانع : الناضج . مع النضج يبلغ اللون أقصاه ، وهو أيضا : الأحمر من كل شىء، وثمـر يانع ، إذا آَوَن . وبالمعنيين يتجه الكلام . والجمع : يَنْـع . مثل : صاحب، وصَحْب .

والغِربيب : ضرب من العنب بالطائف شديد السواد، وهو أرقّ العنب وأجوده وأشدّه سوادا .

٢ ﴿ ونَأَى عَنْ مُدامَةٍ شَفَقُ التَّغْـ ... ـرِيبِ فَأَيْتَـقِ المَلِيـكَ اللّبِيبُ ﴾

نأى : بعد .

والمـدامة : الخمر ، قيـل : سُميت مُدامة ، لأنه ليس شىء يُستطاع إدامة شُربه إلا هى . وقيل : لإدامتها فى الدنّ زمانا حتى سكنت بعد ما فارقت .

والشفق : بقيّة ضوء الشمس وحمرتها فى أوّل الليل، تُرى فى المغرب إلى وقت العشاء الأخيرة .

ويقول بعض الفقهاء : الشفق : البياض، لأنّ الحمرة تذهب إذا أظلمت، وإنمـا الشفق البياض الذى إذا ذهب صُليت العشاء الأخيرة . ومراد أبى العلاء على الوجهين جائز . فكما توصف الخمر بهذا توصف بذاك .

والتغريب : الميل إلى ناحية المغرب، يريد : الغروب .

---

(١) غاطية : أى شجرة قد طالت أغصانها وانبسطت على الأرض فألبست ما حولها .

يأخذ على الذين يشبهون الثريا فى انعقاد نجومها بعنقود العنب ، والليل فى ظلمته بسواده ، وحمرة الغروب بحمرة المدام ، وهى من العنب . يأبون ألا يضموا حقا إلى باطل ، وجدا إلى عبث . وما كان أولاهم أن ينظروا لتشبيهاتهم بما لا يدل على لهو ، ولا يشير إلى نكر .

٣ ﴿ طَالَ لَيْلٌ كَأَنَّمَا قَتَلَ العَقْـ ـرَبَ سَاطٍ فغَابَ عَنْها الدَّبِيبُ ﴾

العقرب : برج من بُروج السماء وقد مر(١) . وطلوعها مع الصبح .

و « ساطٍ » ، من : سَطا يسطو ، إذا بطش .

والدَّبيب : المَشى على هِينة ، وهو بالعقرب أنسب . وعلى مثل هذا المعنى دار الشعراء .

جعل غشاوة الجهل على العقول لا تزول ، كسواد الليل لم يؤذن صبحه بابتلاج .

٤ ﴿ سَلَكَ النَّجْدَ فِي قِطَارِ المَنَايَا قَطَرِيٌّ ونَجْدَةٌ وَشَبِيبُ ﴾

النجد : قِفاف الأرض وما غُلظ منها وأشرف وآرتفع وآستوى . شبه به الحياة ، وجعل سلوكه كسلوكها عناء ووُعورة وكدّا .

والقِطار : أن تُشد الإبل على نسق ، واحدًا خلف واحد . وكذلك المنايا موصولة الحبل يمضى ميت فى إثر ميت .

وقَطَرىّ : هو ابن الفُجاءة المازنى أبو نعامة ، من رءوس الأزارقة . كان طاقة كبرى ، وصاعقة من صواعق الدنيا فى الشجاعة والقوة ، وله فى المهالبة وقائع ، وكان شاعرا مُفوّها ، ومن شعره البيت السائر :

(١) انظر شرح البيت ١٣ من اللزومية ٥٥ ص ٣٢٣ من هذا الجزء .

أقول لها وقد طارت شَعاعا من الأبطال ويحك لا تُراعى

وكانت وفاته سنة ٧٨ هـ .

ونجدة : هو ابن عامر الحرورىّ الحنفى ، من بنى حنيفة . كان رأس الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة المسماة بالنجدية . وكان مقتله سنة ٦٨ هـ .

وشبيب ، هو ابن يزيد بن نعيم بن قيس ، أبو الضحاك الخارجى . من الثائرين على بنى أميــة . قال الجاحظ فى وصــفه : كان يصيح فى جنبات الجيش إذا أتاه فلا يلوى أحدٌ على أحد . وإليه تنسب الفرقة الشبيبية ، مات غرقا سنة ٧٧ هـ .

يلفت النــاس عن لهوهم ، الذى ساق منه مثلا فى بيته الأوّل ، بهــذا الذى تجرى به الحياة ، لا تخلّف على ظهرها حيّا .

٥ ﴿ شَبَّ فِكْرُ الحَصِيفِ نارًا فَمَا يَحْـ ـسُنُ يَوْمًا بِعَاقِـلٍ تَشْبِيبُ ﴾

شب : اتقد واشتعل . لازم ومتعد ؛ شبّت النار ، وشبها هو .

جعــل الفكر فى يقظته لا يهدأ ، يؤرّق صاحبه ولا يدعه يقر ، كوقدة النــار لا يستقرّ على مسها مجاور ، ولا يطمئن إلى جوارها مقيم .

أو كأنه يشــبه الفكر فى هديه بنور النــار ينبعث منها . وجعله نارا ، لدوام اشتعاله ، ولولاه لا تكون نارا .

والحصيف : الجيّد الرأى المُحكم الفعــل . والفعل : حَصُف حصــافة .

والتشبيب : النّسيب بالنساء فى الشعر ، وذلك أن ترّقق أوله بذكر النساء .

لا يرى العاقل ، الذى هذه حاله من حصافة وثقوب فكر ، ينسى جد الحيــاة بلهوها ، وينسى ما فى الحياة من بلاء ، بلغو يشغله بالنساء .

٦ (أَيْنَ بُقْرَاطُ والمُقَلَّدُ جالِينُـو   سَ هَيْهاتَ أن يَعِيشَ طَبِيبُ)

بقراط : طبيب فيلسوف ، وقد مرّ التعريف به [1] .

وجالينوس : حكيم فيلسوف ، كان إمام الأطباء فى عصره .

قال المسعودىّ : كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتى سنة .

أى لن يغنى أمام نوب الحيـاة طب الأطباء ، ولا رأى الحكماء .

٧ (سُبِّبَ الرِّزْقُ لِلأَنَامِ فَمَا يَقْـ   ـطَعُ بالعَجْزِ ذَلِكَ التَّسْبِيبُ)

يقال : هو يقطع بهـذا الأمر ، أى قـد انتهى إلى صوابه فهو يجـزم به .

و « مايقطع بالعجز ذلك التسبيب » : أى لا يصح أن يكون هذا التسبيب ممـا يجعلنا نستكين ونرضى بالحياة عجزا وخُنوعا .

يريد أن يستحث للسعى هؤلاء الذين رُدوا إلى جمود ، وقعدوا عن سـعى ، جاعلين قدوتهم : ما كان لك سوف يأتيك .

٨ (وَجَرَى الحَتْفُ بِالقَضَاءِ فَمَا يَسْـ   ـلَمُ لَيْثٌ ولَا غَزَالٌ رَبِيبُ)

الحتف : الموت . وجمعه : حُتوف . ولا يُبنى منـه فِعل . وقول العرب : مات فلان حتف أنفه . أى بلا ضرب ولا قتل . وقيل : إذا مات بغتة . نُصب على المصدر ، كأنهم توهموا « حَتَف » وإن لم يكن له فِعل .

و « بالقضاء » أى بمـا قدّر .

والرَّبيب : المَربوب المُربَّى . يريد وصفه باللِّين والضعف ، فهو فى كَنَف من يُربيه .

جَعـل الليث للقوىّ العاتى ، والغزال للضعيف الواهى . أى إن الناس بين يدى الموت سواء ، لا فرق بين قويهم وضعيفهم .

(١) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٥٥ ص ٣٢٤ من هذا الجزء .

٩ ﴿ يَطَّلِعُ الْوَافِدُ الْمُبَغَّضُ والعَيْـ ـشُ إلى هَذِهِ النُّفُوسِ حَبِيبُ ﴾

يريد بـ « الوافد » اليوم، وجعله مُبَغَّضا لما يحمل من أرزاء ومتاعب .

١٠ ﴿ خَبَّبَتْهَا عَلَيْـهِ نُكْدُ الرَّزَايَا فَنَبَا عَنْ قُلُوبِهَا التَّخْبِيبُ ﴾

خبَّب : أفسد . يقال : خبب فلان على فلان صديقه تخبيبا : إذا أفسده عليه وخدعه .

والضمير فى « خبَّبتها » للحياة ، أو للأيام والليالى ، الملحوظة من السياق . و « عليه » أى على الإنسان ، وهو كذلك ملحوظ .

والضمير فى « قلوبها » للنفوس ، أى الأشخاص .

والتخبيب : الخداع والغش . يصف الناس بأنهم أغرار مخدوعون .

يصف فى هذا البيت والذى قبله إقبال الناس على الحياة، على ما فيها من بلايا وأرزاء، فتتابعت عليهم لا تفتر، ولكن قلوبهم عن هذا فى غفلة، يحيون مخدوعين لاهين .



الباء المفتوحة

اللزومية السادسة والسبعون

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان فى الباء المفتوحة مع اللام :

١ ﴿أَطَلَّ صَلِيبُ الدَّلْوِ بينَ نُجُومِهِ ... يَكُفُّ رِجَالًا عَنْ عِبَادَتِها الصُّلْبَا﴾[1]

٢ ﴿فَرَبُّكُمُ اللهُ الَّذى خَلَقَ السُّهَا ... وأَبْدَى الثُّرَيَّا والسِّمَاكَيْنِ والقَلْبَا﴾[2]

أطل : أشرف . ومنه قول جرير :

أنا البازى المُطِل على نُمير ... أُتيح من السَّماء لها آنصبابَا

ومثل « أطل » : تطالّ ، وآستطل . وقيل : « التطالّ » من فوق المكان ، أو من السِّتر .

والدّلو : بُرج من بُروج السماء . قال القَزوينى : ويُسمى : ساكبُ الماء : ثم قال : وكواكبه آثنان وأربعون ؛ وله فرغان : — الفرغ : حزق الدّلو الذى يأخذ الماء — فرغ الدلو المقدّم ، وفرغ الدلو المؤخر .

قال المرزوقى فى كتابه ؛ الأزمنة والأمكنة : «وقال بعضهم : إنما سمى بالعرقوة والفرغ تشبّها بعراق الدلو ، لأنها على هيئة الصليب .

ولدلو الماء صليبان ، وهما الخشبتان اللتان تُعرّضان عليه ، وبهما شُبه الفرغان لدلو السماء . وإلى هذا يشير أبو العلاء .

---

(١) يلاحظ أن هذه القصيدة تصوّر حفظ أبى العلاء لما تداول القدماء من علم النجوم ، ولما روى عن العرب حولها من أساطير . وهو فى الوقت نفسه يعبث بالألفاظ عبثا فيه الحكمة والموعظة ، إلى جانب الإحاطة اللغوية النادرة .

(٢) ب : « فربكم » .

ونجومه ، يريد : نجوم الدّلو الأربعة ، وهما ناهزا الدلو المقدّمان فى الفرغ الأوّل ، وهما كوكبان أزهران متفرّعان على متن الفرس الأعظم ومنكبه ، وناهزا الدلو المؤخران ، وهما على هيئته العُليـا . والدلو عند العرب هو هـذه والكواكب الأربعـــة .

ولعل أبا العلاء يُشير إلى ما يقال عن عِيد الصليب فى السابع من أيّار .

قال البيرونى : « ومن غير المحصِّلين من أشار إلى الصليب الذى فى صـورة الدُّلْفين الذى يسـميه العرب القَعود . وهو أربعـة كواكب عنـد النسر الواقع ، وقوعها شـبيه بزوايا المُعيَّن . وذُكر أنه ظهر فى ذلك الوقت قُبالة الموضـع الذى صُلِب فيه المسيح » .

وأورد فى موضع آخر عند الكلام على هذا العيد أيضا : « وقد ذكر محصِّلوهم أنه ظهر فى زمان قسطنطين المظفَّر شِبه صليب من نار ونور على السماء » .

وقال القزوينى : « كوكبة الدُّلفين : كواكبه عشرة مجتمعة تتبع النسر الطائر . والنير الذى على ذنبـه يسمى ذنب الدُّلفين . والعرب تسمى الأربعة التى فى وسط العُنق الصليب ، والذى على الذنب عِمود الصليب » .

ويكف : يمنع ويدفع . يريد أن ظهور الكواكب على هـذا الشكل ، وهو أمر معروف عند الفلكيين من قديم ، فيه ما يصرف هؤلاء عما هم عليـه من عبادة الصليب .

والصلُب ، بضمتين وسُكن للشعر : جمع صليب . ويجمع أيضا على : صُلبان .

والرب : الذى له الرُّبوبيـة على جميع الخلق لا شريك له . وقد مرّ فى معنى الكلمة مزيد .

وأما على رواية : « فربكم » ، بمعنى أصلحكم وردّكم عن ضلالكم . وهى على معنى الدعاء .

والسها : كوكب صغير خفىّ الضوء فى بنات نَعش الكبرَى يُمتحن الناس به أبصارهم ، وقد سبق عنه مزيد إيضاح[١] .

والثريا : من الكواكب ، سُميت لغزارة نوئها ، وقد مرّت[٢] .

والسماكان : نجمان نيران ، أحدهما الأعزل والآخر الرامح . وانظر ما سبق[٢] .

والقلب : قلب العقرب . وهو منزل من منازل القمر ، وهو كوكب منير وبجانبه كوكبان .

قال المرزوقى : « والقلوب أربعة : قلب العقرب ، وقلب الأسد ، وقلب الثور — وهو الدبران — وقلب الحوت .

ومراد أبى العلاء بذكر هذه : — السها ، والثريا ، والسماكين ، والقلب — التمثيل . وعدّد لتوكيد المعنى وتقريره والإبانة عن صورٍ مختلفة من النجوم ، ذاتِ عِلل قديمة مختلفة فى التسمية ، أشبه بما قيل عن صورة الدلو وصَليبه . واستطرد يذكر من ذلك أنواعا فى سائر الأبيات .

٣(وَأَنحَلَ بَدْرَ التِّمِّ بَعدَ كَمالِهِ   كأَنَّ بِهِ الظَّلْماءَ قاصِمَةٌ قُلْبا)

أنحله : هزله ونَقَصه . والفِعل لله عزّ وجل .

والبدر : القمر إذا امتلأ .

والتّم : التام . وبدر التم أكمل ما يكون .

والباء فى « به » للظرفية .

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية السادسة عشرة ص ١٢٨ من هذا الجزء .
(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية الخامسة والعشرين ص ١٨١ من هذا الجزء .

والقصم : الكسر . والإذهاب أيضا . ومنه : قَصم الله عمره ، أى أذهبه . وقيل للدينة : قاصمة ، لأنها فيما يقولون : قَصمت الكفر ، أى أذهبته .

والقُلب : السوار إذا كان قلْدا واحدا .

شبَّه البدر به فى كمال آستدارته ، وهو مفعول لـ «قاصمة» . يشير إلى تحيّف الظلماء للبدر شيئا فشيئا ، فكأنَّها تهشمه وتكسره ، أو إلى ذهابها به جملة ، وذلك فى المحاق حيث تمحو الظلمة صفحته محوا .

٤ (وأَدْنَى رِشَاءً لِلْعَرَاقِى وَلَمْ يَكُنْ شَرِيعًا إذا نُصَّ البَيَانُ ولا خُلْبَا)

الرِّشاء : من منازل القمر ، وهو على التّشبيه بالحَبْل .

قال الجوهرىّ : الرشاء : كواكب كثيرة صِغار على صُورة السمكة ، يقال لها : بَطن الحُوت ، وفى سُرتها كوكب نيِّر ينزله القمر .

وقال المَرزوقى : الرشاء ، وهو السمكة . ويقال : بطن السمكة ، وقلب الحوت .

والرشاء ، أيضا : حبل الدلو .

والعَراقى : جمع عُرقوة . ولكل دَلو عُرقوتان ، وهما الخشبتان المعترضتان كالصليب . وقد مَرّ أنّ[1] لبرج الدلو عُرقوتين تشبيها لهما بهذين . وقد ذكر أبو العلاء العرقوتين وهو يريد برجهما «الدلو» . فأطلق الجزء على الكل . وأرادهما بالذِّكر لأنّ الرشاء بهما مَشدود . يُشير إلى قرب المنزلين فى السماء : الرشاء ، والدلو .

والشّريع : الكتّان . ومنه تُصنع الحِبال .

---

(١) انظر البيت الأول من هذه القصيدة .

والنّص . الإظهار .

والبيان : إيضاح المقصود بأبلغ لفظ . والمُراد به أصل معناه ، وهو الكشف . و « نص البيان » أى ظهور المقصود ، وأريد الكشف عن الحقيقة وإيضاح المراد .

والخُلب : حبل اللّيف والقُطن إذا رقّ وصَلُب .

وقال الليث . الخُلب : حبل دقيق صُلب الفتْل من لِيف أو قِنّب أو شيء صُلب .

وكأن أبا العلاء أراد دفع ما قد يتوهم من إرادة : الرشاء ، بمعناه الأصلى ، فنفى أن يكون من شريج أو خلب . ومنهما تُتخذ الحبال . وقوله « إذا نص البيان » توكيد لمراده .

(وَصَوَّرَ لَيْثَ الشُّهْبِ فِى مُسْتَقَرِّهِ ... وَلَوْ شَاءَ أَمْسَى فَوْقَ غَبْرَائِهِ كَلْبَا)

الشُّهب : النجوم السبعة المعروفة بالدّرارى . وهو كذلك وصف عام للنجوم لبياضها وَصفائها . الواحد: أشهب . وظاهر أنّ هذا هو المراد هنا ، إذ « الليث » ليس من الدرارى السبعة .

ويريد بـ « ليث الشهب » : الأسد . فسمّاه بمُرادفه .

قال القَزوينى : « وكواكبه سبعة وعشرون فى الصورة ، وثمانية خارجها . والعرب تُسمى الكوكب الذى على وجهه مع الخارج من الصورة : شرطان الطرف ؛ وتسمى الأربعة التى فى الرقبة والقلب : الجبهة ؛ وتسمى التى على البطن وعلى الحَرقفة : الزّبرة ؛ والذى على مؤخر الذنب : قلب الأسد ؛ وتسميه أيضا : « الصرفة » لانصراف البرد عند سقوطها » .

والغبراء : الأرض ، لغُبرة لونها ، أو لما فيها من الغُبار .

٦ (وَأَلْقَ عَلَى الْأَرْضِ الْفَرَاقِدَ فَأرْتَعتْ مَعَ الفَرْقَدِ الوَحْشِيِّ تَرْتَقِبُ الأَلْبَا)

ألق : أى لو شاء الله ألق وطَرح .

والفراقد : الفرقدان ؛ تقولها العرب بصيغة الجمع ، كأنهم جعلوا كل جزء منهما فرقدا . قال الشاعر :

لقد طال يا سَوداء منك المواعدُ ودونَ الجَدَا المأمول منكِ الفراقدُ

وربما قالوهما بصيغة المفرد . ومنه قول لَبيد :

حالف الفرقدُ شَربا فى الهُدى خُلَّةً باقيةً دون الخُلَلْ

وهما نجمان فى السماء لا يَغرُبان . ولكنهما يطوفان بالجَدى . وقيل : كوكبان قريبان من القُطب . وقيل فى بنات نعش الصغرى . يقال : لأبكينّك الفرقدين ، أى طول طلوعهما .

قال اللحيانى : وكذلك النجوم كلها تَنتصب على الظرف . كقولك : لأبكينك الشمس والقمر . يُقيمون منه الأسماء مقام الظروف .

وأرتعت الماشية ، ورعت ، وترعت ، بمعنى .

والفرقد : ولد البقرة ؛ والأنثى . فَرقدة : والوصف مميِّز له عن سميّه فى السماء .

وترتقب : تنتظر .

والألب : الجمع والسوق الشديد . يقال : ألب الإبل ونحوها ، إذا جمعها وساقها سوقا شديدا . وألبت هى ، إذا آنساقت وآنضم بعضها إلى بعض .

يشير إلى ورود الراعى بها المرعى مع الصبلح ، وصدوره بها عنه مع المساء .

٧ (وَأَهْبَطَ مِنْهَا الثَّوْرَ يَكْرُبُ جَاهِدًا فَتَعْلَقَ ظِلْفَيْهِ الشَّوابِكُ والهُلْبَا)

منها ، أى من السماء التى هى مُستقر تلك النجوم . لحَظَها فأعاد الضمير عليها وإن لم يسبق لهـا ذكر . أى ولو شاء لأهبط .

والثور : بُرج من بروج السماء على التشبيه . وصورته صورة ثور، مؤخره إلى المَغرب ومقـدمه إلى المشرق ، وليس له كَفَـل ولا رِجلان ، يلتفت رأسه إلى جنبه وقَدماه إلى ناحية المشرق . وكواكبه آثنان وثلاثون ، سوى النّـيِّر الذى على طَـرف قَرنه الشمال؛ فإنه على الرِّجل اليُمـنى من مُمْسك الأعنـة مُشترك بينهمـا . والخارج عن الصورة أحد عشر كوكبا . وعلى موضع القَطع منه أربعـة مصطفّة . والنيِّر الأحمـر العظيم الذى على عينه الجنوبية يسـمى الدَّبران ، وعين الثور أيضا ، وتالى النجم ، وحادِى النجم ، والفَنيق ، وهو الجمـل الضخم . والتى حواليـه من الكواكب القِلاص، وهى صغار النوق . والعرب تسمى الكواكب التى على كاهل الثـور : الثريا — وهما كوكبان نيران فى خلالهـا ثلاثة كواكب صارت مجتمعـة متقاربة كعنقـود العِنب ، ولذلك جعـلوها بمنزلة كوكب واحد وسمـوها النجم، وزعمـوا أن فى ذلك المطر عنـد نوئها الثروة — ويسمى الاثنـان المتقاربان على الأذنين الكَلْبين . ويزعمون أنهما كلبا الدبران . والعرب تتشاءم بالدبران وتقول : أشأم من حادى النجم . ويزعمون أنهم لا يُمْطرون بنوء الدبران إلا وسنتهم مُجدبة .

وكَرب الأرض يكرُبها كَرْبا وكِرابا : قلبها للحرث وأثارها للزرع . وفى المثل : الكِراب على البقر . لأنها تكرب الأرض ، أى لا تكرب الأرض إلا بالبقر .

وعلِق الشىء وبه ، يَعلق عَلَقا : لَزمه ونَشَب فيه .

والظِّلف : ظُفر كل ما آجترّ، وهو ظِلف البقرة والشاة والظبى، وما أشبهها، والجمع : أظلاف . وآستعاره للإنسان . قال عُقفان بن قيس بن عاصم :

سأمنعها أو سوف أجعل أمرها إلى مَلِكٍ أظلافُه لم تُشـــقَّقِ

وعن ابن السكيت : يقال : رِجل الإنسان وقَدمه ، وحافِر الفرس ، وخُف البَعير والنَّعامة ، وظِلف البقرة والشاة .

والشوابك : ما يَنشب من الأقذاء .

والمُلب : الشَّـعر كله . وقيـل : هو فى الذنب وحده . يريد : ما يصيب جسمه من مُثار الأرض ، أو ذَنبه حين يمسها .

٨ (وأَضْحَتْ نَعَامُ الجَوِّ بَعْدَ سُمُوِّهَا سُدًى فِى نَعَامِ الدَّوِّ لَا تَأْمَنُ الغُلْبَا)

أضحت : أى لو شاء أضحت .

ونعام الجو ونعائمه ، بمعنى : منزلة من منازل القمر يقال لها : النعام ، والنعائم . وهى ثمـان كواكب على أثر الشَّولة : أربعـة فى المجرة ، وهى النعـائم الواردة ، سُميت واردة لأنها شَرعت فى المجرة كأنها تشرب : وأربعـة خارجة عن المجرة ، وهى النعـائم الصادرة ، سُميت صادرة لأنهـا خارجة عن المجرة ، كأنهـا شربت ثم صدرت عن المـاء ، وكل أربعة منها على تربيع ، وطلوعها لاثنين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول ، وسقوطها لاثنين وعشرين ليـلة تخلو من حزيران . والعرب تقول : إذا طلعت النعائم توسعت البهائم . ورقيب النعائم الهَنْعة .

قال المرزوقى : وإنمـا سميت « نعـائم » تشبها بالخشبات التى تكون على البئر أو تحت مظلة الربيّة ، فكأنها أربع كذا وأربع كذا ، كما قال :

لا ظِلّ فى يدها إلا نعامتُها منهـا هَزيم ومنهـا قائمٌ باقِى

غير أن تعليل المرزوقى لا يقوم عليه بيت أبى العلاء .

وسُدى ، بالضم والفتح : مُهمَل . الواحد والجمع منه سواء .

والدو : الفلاة الواسعة . وقيل . الدوّ : المستوية من الأرض .

والغُلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة . يريد : أُسـدًا ، و بغلظ الرقبـة يوصف .

٩ (وأَنْزَلَ حُوتًا فى السَّمَاءِ فَضَمَّهُ إلَى النُّونِ فى خَضْراءَ فَاعْتَرَفَ السَّلْبَا(١))

الحـوت : السَّمك . وبه سُمّى برج فى السّماء . وكواكبـه أحد عشر كوكبًا فى الصورة على جنوب كواكب الدالى ، رأسه إلى المشرق وذنبـه إلى المغرب . ويسمى النير الذى على فمه : فم الحوت .

و « فى السماء » : فى موضع النصب ، وصف لقوله « حوتا » .

والنون : السمكة .

والخضراء : الميـاه أو البحار ، ووصف لهـا . يقال : ماء أخضر ، أى إنه يضرب إلى الخضرة من صفائه . وسمّوا البحر : خضارة ، لخضرة مائه .

واعترف : غرف .

والسلب : الاختلاس . جعل اختطاف الأسماك من البحار من ذلك .

١٠ (وأَسْكَنَ فى سُكٍّ من التُّرْبِ ضَيِّقٍ نُجُومَ دُجًى مِنْ شَبْوَةٍ أَبَتِ اللَّسْبَا)

السُّك : البئر الضيقة من أعلاها إلى أسفلها ، وهو أيضا جحر العقرب .

والدُّجى : سواد الليل مع غَيم ، وألّا ترى نجما ولا قمرا . وقيل : هو إذا ألبس كل شىء ، وليس هو من الظُّلمة . ويقولون : ليـلة دُجى وليالى دُجى ، لا يجمع لأنه مصدر وُصف به .

(١) ب : « الثلبا » .

وشَبوة : هى العقرب ما كانت ، غير مُجراة ولا تدخلها الألف واللام .

يريد كوكبة العقرب ، وهى أحد وعشرون كوكبا من الصورة ، أو ثلاثة خارجها ، وهى صورة مشهورة . والعرب تسمى الثلاثة التى على الجبهة : الإكليل . وتسمى النير الأحمر الذى على البدن : قلب العقرب . وتسمى الذى قُدام القلب والذى خلفه : النِّياط . وتسمى الأثنين اللذين على طرف الذنب : الشَّولة .

و « من » فى « من شولة » لبيان الجنس ، أو للتبعيض ، أو للبدل .

وأبت : كرهت ، أو امتنعت وأمنت . وعلى هذا المعنى الثانى فالجار والمجرور « من شولة » متعلق بالفعل « أبت » ، والتقدير : من نجوم أبت اللسب من شبوة وأمنته .

واللسب : اللدغ ، وأكثر ما يستعمل فى العقرب . وعلى رواية « الثلب » فالثلب : وهو العيب والنقص .

اللزومية السابعة والسبعون

وقال أيضا فى الباء المفتوحة مع اللام :

١ (رأيتُ قضاءَ اللهِ أوجَبَ خلْقَهُ وَعَادَ عَلَيْهِمْ فِى تَصَرُّفِهِ سَلْبَا)

٢ (وقد غلبَ الأحْياءَ فى كُلِّ وِجْهَةٍ هَوَاهُمْ وإنْ كَانُوا غَطَارِفَةً غُلْبَا)

٣ (كِلَابٌ تَغَاوتْ أو تَعَاوتْ لِجِيفَةٍ وأَحْسِبُنِى أَصْبَحْتُ أَلأَمَها كَلْبَا)

قضاء الله : حكمه وقدره . وقيل : القضاء فى اللغة على وجوه ، مرجعها إلى انقطاع الشىء وتمامه ، وكل ما أُحكم عمله . وأُتِمّ ، أو خُتم ، أو أُدى أداء ، أو أُوجِب ، أو أُعلِم ، أو أُنفذ ، أو أُمضِى ، فقد قُضِى .

والقضاء مقرون بالقدر . والمراد بالقدر : التقدير . وبالقَضاء : الخلق . كقوله تعالى : (فقضاهن سبع سموات)[1] أى خَلقهن . فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر ؛ لأنّ أحدهما بمنزلة الأساس ، وهو القدر ؛ والآخر بمنزلة البِناء ، وهو القَضاء ، فمن رام الفَصل بينهما فقد رام هَدْم البناء ونقضه .

وأوجب الشىء : جعله واجبًا ولازما .

والخلق : الناس ، كالخليقة . وقيل : الخلق : الناس . والخليقة : البهائم .

وعاد . بمعنى صار . وهو أحد أفعال عشرة تجىء بمعناها ، وهى : تحوّل ، آض ، عاد ، رجع ، راح ، غدا ، استحال ، ارتدّ ، قعد ، صار .

---

(١) الآية ١٢ من سورة فصلت .

وآسم « عاد » مستكنّ ، يعود على القضاء ، وخبره « سلبا » .

والسلب : ضد المَنح والإعطاء ، ويريد بتصرفه : أحداثه وما ينوب به ، فهى تأتى على الخلق . يشير إلى الإيجاد والإفناء .

والوجهة ، بكسر الواو وضمها : حيث تتوجه وتقصد . ومنه : ضل وِجهة أمره ، أى قَصده .

والغطارفة : جمع غِطراف ، وهو السيد الشريف السخىّ الكثير الخير ؛ والمراد : الممتنع بجاهه وماله . ومثل الغِطراف : الغِطريف ، والغطارف .

والغُلْب : الغلاظ الأعناق الطوالها . وهم يصفون أبدا السادة بذلك . ومنه :

* بيض مرازبة غلب جَحاجحة *

والتغاوى : التجمع والتعاون على الشر . وهو من الغواية أو الغىّ . قالت أخت المنذر بن عمرو الانصارىّ ترثى أخاها :

تغاوت عليه ذِئاب الحجاز   بنو بُهثة وبنُو جَعفر

ومثل « تغاوى » فى ذلك : تغايا .

وتعاوت : تنابحت وتصايحت . وقيل : التعاوى والتغاوى ، بمعنى .

والجيفة : جثةُ الميت . وقيل : جثة الميت إذا أنتنت . وفى حديث آبن مسعود : لا أعرفنّ أحدكم جيفة ليل، قُطرب نهار . أى يسعى طول نهاره لدنياه وينام طول ليله كالجيفة .

٤ (أَبِيْنَا سِوَى غِشِّ الصُّدُورِ وإِنَّمَا ... يَنَالُ ثَوَابَ اللهِ أَسْلَمُنَا قَلْبَا)

٥ (وَأَيَّ بَنِي الأَيَّامِ يَحْمَدُ قَائِلٌ ... وَمَنْ جَرَّبَ الأَقْوَامَ أَوْسَعَهُمْ ثَلْبَا)

أسلمنا قلبا ، أى أبرؤنا قلبًا من الغش ، وأنقاه من الخداع ، وأصفاه من المكر .

و « أى » مفعول مقدّم ، فعله : « يحمد » ، وفاعله « قائل » .

وبنو الأيام : الناس . جعل الإيجاد إلى الأيام تجوزا . وكثيرا ما يسند أبو العلاء الفعل إلى الأيام .

ومجىء « قائل » عاملا لفعل « الحمد » دون « حامد » أولى بالسياق ، فالقائل صالح لأن يجرى على لسانه الحمد والذمّ ، والحامد على الحمد مقصور لا ينطق بغيره .

و « أوسع » من ذوات المفعولين . يقال : أوسعه الشىء : إذا جعله يسعه ؛ قال آمرؤ القيس :

فَتُوسِعُ أَهْلَهَا أَقِطًا وسَمْنًا ... وحَسبكَ من غِنًى شِبعٌ ورِىُّ

والثلب : التصريح بالعيب . ثلبه يثلبه : قال فيه وتنقّصه . وإذا أوسعهم الثلب فقد عمّهم به فلم يبق فيهم موضع لمحمدة .

اللزومية الثـامنة والسبعون

وقال فى الباء المفتوحة مع الراء :

١ «(إذَا كُفَّ صِلٌّ أُفْعُوَانٌ فَمَالَهُ ... سِوَى بَيْتِه يَقْتَاتُ مَا عَمَرَ التُّرْبَا)»

٢ «(وَلَوْ ذَهَبَتْ عَيْنَا هِزَبْرٍ مُسَاوِرٍ ... لَمَا رَاعَ ضَأْنًا فى المَرَاتِعِ أَوْ سِرْبَا)»

٣ «(أَوِ انْتُمِعَتْ أَنْوَارُ عَمْرٍو وَعَامِرٍ ... لَمَا حَمَلَا رُمْحًا وَلَا شَهِدَا حَرْبَا)»

الكَف ، هنا : ذهاب البصر . كَف البصرُ وكُف ، بمعنى . يَدْعم هذا بيتاه التاليـان .

وقـد يكون « الكف » بمعنى المنع والردّ . كما قـد يكون بمعنى « الإغناء » من الكفاف ، وهو القُوت الذى يكف ، أى يُغنى . فكأنه سـيغنى بالترب عن أن يصول على أبدان العباد .

والصِل : الحية التى تقتل من ساعتها إذا نَهشت . وقيل : الذى لا تنفع فيها الرقية . والجمع : أصلال . ويقال : إنه لصل أصلال ، أى حية من الحيات . ومعناه : أنه داهٍ مُنكر فى الخصومة .

والأفعوان : الذكر من الأفاعى . ويقـال إنه أشرس وأصرم . وفى حديث ابن الزبير لمعاوية : «لا تُطرِق إطراق الأُفعوان» .

وبيته ، أى جُحره ومُستكنه .

واقتات الشىء وبه : جعله قُوته .

و «ما» فى «ما عَمر» مصـدرية زمانية . أى مدة بقائه وتعميره . وعمـر الرجلَ يعمر، عَمَرا، وعَمارة، وعَمْرا؛ وكذلك عَمَر يعمُر ويعْمر : عاش وبقى زمانا طويلا؛ وعَمره الله وعَمّره : أبقاه . وعَمّر نفسه : قدّر لها قَدرا محدودا .

والترب ، والتراب ، والتّرْباء ، والتّرَباء ، والتّورَب، والتّيْرَب ،والتّوراب ، والتّيراب ، والتّرْيب ، والتّرِيب . كله واحد . وقال الليث : التّرب والـتراب ، واحد ؛ إلا أنهم إذا أنثوا قالوا : التربة .

والهِزَبر : من أسماء الأسد .

ومُساور : مُواثب مقاتل .

وراع : أفزع . راعه الأمرُ يروعه رَوْعا ، ورُووعا ، بالتسهيل والهمز .

والضأْن والضأَن ، جمـع ضائن ، وهو ذو الصُّوف من الغنم ، ويوصف به فيقال : كبش ضائن . والأنثى : ضائنة . والضائن : خلاف الماعز .

والسرب : قطيع البقر والظباء والقطا والحمر والشاء .

والمراتع : حيث ترتع فى كل مخصب .

و «أو» هنا لمطلق الجمع ، مثل الواو ، عَطفتْ عاماً على خاص .

والتُمع : اختلس . وفى حديث ابن مسـعود : إنه رأى رجلا شاخصا بصره إلى السماء فى الصلاة . فقال : ما يدرى هـذا ، لعلّ بصره سيُلتمع قبل أن يَرجع إليـه .

وفى الحـديث : إذا كان أحدكم فى الصلاة فـلا يرفع بصره إلى السماء يُلتمع بصرُه .

والأنوار : أنوار العيون التى تُبين الأشياء وتُرى الأبصار حقيقتها .

وعمرو ، هو آبن معدى كرب بن عبد الله الزّبيدى . فارس اليمن . وفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم فى عشرة من بنى زَبيد ، فأسلم وأسلموا وعادوا . ولما تُوفى النبىّ صلى الله عليه وسلم آرتد عمرو، ثم رجع إلى الإسلام وهاجر إلى العراق، وشهد القادسية وسائر الفتوح . وأخباره فى فتوّته وشجاعته مأثورة . وكانت وفاته سنة ٢١ ﻫ .

وعامر، هوآبن الطفيل بن مالك بن جعفر العامرى، من بنى عامر بن صعصعة . فارسهم ، ومن فُتّاك العرب وشعرائهم . ولد ونشأ بنجد . خاض معارك كثيرة . وأدرك الإسلام وهو شيخ ، فوفد على النبىّ صلى الله عليه وسلم يريد الغدر به . فدعاه إلى الإسلام . فاشترط أن يجعل له نِصف ثمار المدينة ، وأن يجعله ولىّ الأمر من بعده . فردّه ، فعاد حَنقا وقال : لأملأنها خيلا جردا ، ورجالا مردا . فمات فى طريقه قبل أن يبلغ قومه . وكان ذلك سنة ١١ من الهجرة .

وآختار أبو العلاء من كل جنس، زاحفه، ودابّه، وماشيه : أعرمه وأشرسه وأشده ، ليبلغ بالتشبيه مبلغه .

٤ (يَقُولُونَ هَلّا تَشْهَدِ الجُمَعَ الّتِي ... رَجَوْنَا بِهَا عَفْوًا مِنَ اللهِ أَوْ قُرْبَا)
٥ (وَهَلْ لِيَ خَيْرٌ فِى الحُضُورِ وإِنَّمَا ... أُزَاحِمُ مِنْ أَخْيَارِهِمْ إِبِلًا جُرْبَا)
٦ (لَعَمْرِى لَقَدْ شَاهَدْتُ عُجْمًا كَثِيرَةً ... وعُرْبًا فَلَا عُجْمًا حُمِدْتُ وَلَا عُرْبَا)

هلّا . للتحضيض، وهو الحثّ على الفعل . وخص الأزهرىّ به الخير . والكلام هنا عليه .

والشُّهود : الحُضور . ومنه قوله تعالى : (وذلك يوم مَشهود)[1] أى مَحضور يحضُره أهل السماء والأرض . وأنشد ثعلب :

كأنّى و إن كانت شُهودا عَشيرتى إذا غِبتَ عنّى ياعُثَيمُ غريبُ[2]

والجمع : جمع « جُمعة » بالضم وبضمتين . والتخفيف فيها الأصل . والقرّاء قرأوها بالتثقيل : فأتبعوا الضمة الضمة . يريد صلاة الجمعة لاجتماع الناس إليها .

وفى فضل صلاة الجمعة ما رُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : « مثل المهجر إلى الجمعة كمثل من يُهدِى بَدَنة » وكأن أبا العلاء حين يذكر حضَّ الناس له على حضور الجمعة مُشير إلى تخلفه عنها .

وهل : حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابى . دون التصوّرى ، ودون التصديق السلبى .

والإبل ، بكسرتين ، وروى كُراع إسكان الباء . ولا واحد له من لفظه .

والجُرب : جمع أجرب . وهو ذو الداء المعروف . جعل خِيارهم كالإبل الجُرب يُفر عنهم ، فما بال سَفِلتهم .

والعَمر ، والعُمر ، والعُمُر : الحياة . فإذا أقسموا فقالوا : لَعمرك ، فتحوا لا غير . وهو مرفوع بالابتداء ، والخبر مضمر . تقديره : قَسمِى ، أو يمينى أو ما أحلف به .

وقيل : هو هنا بمعنى الدِّين . ومعنى « لعمرك » : لدينك الذى تَعمر . وفسروا به بيت عمر بن أبى ربيعة :

أيها المُنكِح الثريّا سُهيلًا عَمرك الله كيف يجتمعان

(١) الآية ١٠٣ من سورة هود .

(٢) أى إذا غبت عنى فإنى لا أكلم عشيرتى ولا آنس بهم حتى كأنى غريب .

قالوا : « عمرك الله » ، أى عبادتك الله . فأوقع الفعل على الله عز وجل . والعُجْم والعَجَم : خلاف العُـرْب والعَرَب . ورجل أعجم ، وقـوم أعجم . قال الراجز :

* سَلُوم لو أصبحتِ وَسْط الأعجـمِ *

٦ ﴿ ولِلْمَوْتِ كأْسٌ تَكْرَهُ النَّفْسُ شُرْبَهَا ولَا بُدَّ يَومًا أَنْ نَكُونَ لَهَا شَرْبَا ﴾

لا بد : لا محالة ولا فِراق .

والشَّرب ، بالفتـح : القـوم يَشربون ويَجتمعون على الشَّراب ، الواحد : شارب ، ونحوه : رَكْب ، وراكب .

٧ ﴿ مِنَ السَّعْدِ فى دُنْيَاكَ أَنْ يَهْلِكَ الفَتَى بِهَيْجَاءَ يَغْشَى أَهْلُهَا الطَّعْنَ والضَّرْبَا ﴾

٨ ﴿ فإنْ قَبِيحًا بالمُسَوَّدِ ضِجْعَةٌ عَلَى فَرْشِهِ يَشْكُو إلَى النَّفَرِ الكَرْبَا ﴾

الهيجاء ، بالمـد والقصر : الحَرْب . لأنهـا موطن غَضب . فشاهِد المـد قول الشاعر :

إذا كانت الهيجاء وٱنشقّت العَصا فحسبُك والضحّاك سيفٌ مُهنّـدُ (١)

وشاهد القصر قولُ لَبيد :

وأربـد فارسُ الهَيْـجا إذا مَا تقعّـرت المَشـاجرُ بالفِئـامِ (٢)

والباء فى « بهيجاء » إمّا للسببية ، أى بسبب هيجاء . وإما للظرفية المكانية ، أى فى هيجاء . وهو حين يذكر الهيجاء مشير إلى الدوافع إليها من حفاظ للحق والجوار .

(١) العصا : الاجتماع والائتلاف . وانشقاق العصا : الفُرقة والخلاف .

(٢) تقعرت : انقلبت . والمشاجر : مراكب النساء ، لتشابك عيدان الهـودج بعضها فى بعض . والفئام : وطاء يكون للشاجر .

وغَشِى فلانٌ الأمر : باشره ، ولابَسه ، وجاءه . وبكلها يستقيم المعنى .

والطعن ، بالرمح ؛ والضرب ، بالسيف . وليس المراد الحصر ، بل الإشارة إلى تنوع آلة الحرب .

والمسوَّد : السيد . وفى حديث قَيس بن عاصم : « اتقوا الله وسوِّدوا كبيركم » .

والضِّجعة ، بالكسر ، من الاضطجاع ، وهو النوم ، كالجِلسة من الجلوس . وبفتحها ، المرة الواحدة . والأُولى أَولى .

والنفر ، بالتحريك : ما دون العشرة من الرجال . وقال الفرّاء : نَفَر الرجل : رهطه . وقيل : أُسرته وفصيلته . ومثله : النُّفرة ، والنافرة ، يقال : جاءنا فى نَفَره ونُفْرته ونافرته ، أى فى فصيلته ومن يغضب لغضبه .

والكرب : الحزن والغم الذى يأخذ بالنفس . والجمع : كُرُوب .

٩ (ولِىَ شَرَقٌ بالحَتْفِ ماهُوَ مُغْرَبٌ   أيَمَّمْتُ شَرْقًا فى المَسالِكِ أم غَرْبَا)

اللام الجارة فى « لى » للاستحقاق ، ولا تكون كذلك إلا إذا وقعت بين معنى وذات ، كما هنا . أى حُق عليه الشرق بالحتف ، وكان مقدورا عليه ومن نصيبه .

والشرق بالماء والريق ونحوهما ، كالغصص بالطعام . وفى الحديث : « الحَرَق والشرق شهادة » .

والحتف : الموت . والجمع : حُتوف . ولا يُبنى منه فِعل . وتقول العرب : مات فلان حَتف أنفه ، أى بلا ضَرب ولا قَتل . وقيل : إذا مات بغتة ، نُصب على المصدر . كأنهم توهموا « حتف » وإن لم يكن له فِعل .

لما جعل للموت كأسا جعل الحتف ماءها . ولمّا لم يكن الشرق إلا عن شُرب ، وليس لازما عنه ، فقد يُسيغ الشارب ما يشرب ولا يشرق به ، لذلك عبر به ولم يعبِّر بالشرب .

وهو ملتفت لما ذكر قبل من كراهية النفس للموت ، فهى شَرِقة بالكأس ماهمّت أن تشربها . وكذلك شأن المُكره لا يُسيغ مايَجرع ، ويشرق به لأول هَم . وليس كذلك التعبير بالشرب ، فهو يدل على الموت ، ولكنه لا يحمل هذه الدلالة على الكراهية .

و « ما » نافية ، تميمية غير حجازية ، أى إنها غير عاملة عمل « ليس » . و « مغرب » خبرها .

والمُغرب ، على صيغة اسم المفعول : البعيد المنحّى . من اغربه ، إذا أبعده ونحّاه . يريد : شَرَقا واقعا لا منأى عنه ولا مُنصرف .

وعلى صيغة اسم الفاعل : عجيب غريب ، من أغرب ، إذا أتى بعجيب .

يريد : ليس هذا الشرق بعجيب ولا غريب فهو شيء متوقع .

وقد تكون « ما » هنا ، استفهامية ، نكرة مضمنة معنى الحرف . و « ما هو » أى : أى شيء هو . والمراد المبالغة فى شدة تأذى النفس به . وعلى هذا الوجه « فمغرب » هنا بمعناها الثانى ، أى غريب عجيب ، وصف لـ « شرق » .

ويمّ : قصد ، على البدل ، والأصل : أمّ .

والشّرْق : ما تطالعه الشمس بضوئها ، والغرب خلافه . يريد الدنيا جمعاء . قال الحسن فى قوله تعالى : (لا شَرْقية ولا غربية)[1] أى إنها ليست من شجر الدنيا .

ويقولون : شرق وغرب ، أى ذهب جهتيهما من الشمال إلى الجنوب .

(١) الآية ٣٥ من سورة النور .

١٠ (تَقَنَّصَ فِي الإِيوانِ أَمْلاكَ فَارِسٍ وكَمْ جَازَ بَحْرًا دُونَ قَيْصَرَ أَوْ دَرْبَا)

تقنص : تصيد واختطف . ومثلها : قنص ، واقتنص . والفاعل يعود إلى « الحتف » فى البيت السابق .

والإيوان : الصُّفة العظيمة .

وقال ابن سيده : هو شِبه أزج — الأزج : بيت يُبنى طولا — غير مسدود الوجه . وهو أعجمىّ .

ومثل « الإيوان » إوان . وجماعة « الإيوان » : أواوين ، وإيوانات ؛ لأن أصله « إوّان » . فأبدل من إحدى الواوين ياء . وجماعة « الإوان » أُون .

وأملاك : جمع مَلِك ، بفتح فكسر . ويخفّف على « ملْك » ويجمع على « مُلوك » . ويقال : رَجل ملِك ، وثلاثة أملاك ، إلى العشرة ، والكثير : مُلوك . والاسم المُلك . والموضع : مملكة .

وجاز الموضعَ ، جَوْزا ، وجوازا ، ومَجازا ، وجُؤوزا ؛ وجاز به ، وجاوزه جِوازا ، وأجازه : سار فيه وسلكه وقطعه .

و « دون » تكون لتسعة معانٍ : تكون بمعنى : قَبل ، وبمعنى : وراء ، وبمعنى : تحت ، وبمعنى : فوق ، وبمعنى : الساقط من الناس وغيرهم ، وبمعنى : الشريف ، وبمعنى : الأمر ، وبمعنى : الوعيد ، وبمعنى : الإغراء .

فأما التى بمعنى « قبل » مثل : دون النهر قِتال . وأما التى بمعنى « وراء » كقولك : هذا أمير على ما دون سيحون . أى على ما وراءه . والوعيد ، كقولك : دونك صِراعى . والأمر ، نحو : دونك الدرهم . والإغراء ، نحو : دونك زيدا ،

أى إزمه . وأما التى بمعنى « تحت » كقولك : دون قدمك خَدُّ عدوّك . أى تحت قدمك . وبمعنى «فوق» . كقولك : إن فلانا شريف . فيجيب آخَر فيقول : دون ذلك ، أى فوق ذلك .

وقال الفرّاء : دون تكون بمعنى : على ، وتكون بمعنى : عَلّ . وتكون بمعنى : بعد . وتكون بمعنى : عند . وتكون إغراء . وتكون بمعنى : أقل من ذا ، وأنقص من ذا .

وقال ابن سيده : دون : بمعنى خلف وقُدّام . وبهما يستقيم الكلام هنا . فالآتى بين مستقبل أو مستدبر .

والدّرب : باب السكة الواسع . والجمع : دِراب . وقيل : هو كل مدخل إلى الروم . وهذا بالسياق أخص .

وقيل : الدرب ، بفتح الراء : للنافذ منه . وبالسكون : لغير النافذ . ومراد أبى العلاء على النافذ منه ، ولكن الوزن يأبى « الدربا » بفتح الراء .

وأقام أكاسرة فارس وقياصرة الروم مثلين للنّعمة ، فمن حول الأوّل فى إيوانه الحرّاس والحجاب ، ومن دون الثانى البحار والدّراب .

اللزومية التاسعة والسبعون

وقال فى الباء المفتوحة مع العين :

١ (إِذَا كَانَ رُعْبِي يُورِثُ الأَمْنَ فَهْوَ لِي   أَسَرُّ مِنَ الأَمْنِ الَّذِي يُورِثُ الرُّعْبَا)

الرعب ، بالضم وبضمتين : الفــزع والخوف . رَعبه يَرعبــه ، ورعّبه ترعيبا وترعابا ، فهو مرتعب . ولا تقل : أرعبه . وفى الحديث : « نُصرت بالرُّعب مسيرة شهر » . وذلك أن أعداء النبي صلى الله عليــه وسلم كان قد أوقع الله فى قلوبهــم الخوف منه ، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابُوه وفزعوا منه .

وأورثه الشيء وورّثه ، بمعنى ، والأصل فيه للــمال والمجد ، يتركهما السالف للخالف ، وهو فى غيره على الاستعارة والتشبيه . وحُذف ثانى المفعولين هنا للعلم به .

٢ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الهَاشِمِيِّينَ بُلِّغُــوا   عِظَامَ المَسَاعِي بَعْدَمَا سَكَنُوا الشِّعْبَا)

« رأى » هنا بمعنى علِم : تتعدّى إلى مفعولين ، خلاف « رأى » البصرية ، فإنهــا من ذوات المفعول الواحد . وكل ما كان أوّله زائدة من الزوائد الأربع ، نحو : أَرى ، ويُرى ، ونَرى ، وتَرى ، فإن العرب لا تقول ذلك بالهمز ، أى إنها لا تقول : أرأى ، ولا يرأى ، ولا نرأى ، ولا ترأى ، وذلك لأنهم جعــلوا همزة المتكلم فى « أرى » تعــاقب الهمزة التى هى عين الفعل ، وهى همزة « أرأى » حيث كانتا همزتين ، وإن كانت الأولى زائدة والثانيــة أصلية . وكأنهم إنمــا فروا من التقاء همــزتين ، وإن كان بينهما حرف ساكن ، وهى الراء ، ثم أتبعوها سائر حروف المضارعة ، فقالوا : يرى ، ونرى ، وترى ، كما قالوا : أرى .

والهاشميون : هم ولد هاشم بن عبــد مناف ، أبو عبد المطلب . وكان يسمى عمــرا ، وهو أوّل من ثَرد الثريد وهشمه ، فسُمى هاشما . وفيــه يقول عبد الله ابن الزِّبعرى :

عمرو العُلا هشم الثرِيد لقومه ورجال مكةَ مُسنتون عِجافُ(١)

وبَلغوا : وصلوا . بلّغه الشيء، وأبلغه إياه ، بمعنى .

والمساعى : جمع مسعاة ، وهى : المكُرمة ، والمعلاة فى أنواع المجد والجود .

والشِّعب ، بالكسر : ما آنفرج بين جبلين . وقيل : الطريق فى الجبــل . وقيــل : هو مسيل المــاء فى بطن من الأرض له جرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل . ويريد به هنــا شِعبا بعينــه . وهو الذى بين أخشبى مكة . وكان الذين ينزلونه من قريش يُسمون قريش البِطاح . ومن نزلوا خارج الشعب كانوا يسمون قريش : الظواهر . وأكرمهما قريش البِطاح . قال الشاعر :

فلو شهدتْنى من قريش عِصابة قُريشِ البِطاح لا قُريشِ الظواهرِ

ويريد به هنا شعب أبى طالب بن عبد المطلب .

ويشــير أبو العــلاء إلى ما كان من قريش حين كتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ، على ألا يُنكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهــم . فانحازت بنــو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب فدخلوا فى شعبه واجتمعوا إليه . فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرا ، مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش .

كما يريد بعظام المساعى ما تم لهــم من ظهور الإســلام على أيديهــم وانتشار الحق بفضلهم .

(١) مسنتون : قد أصابتهم السنة . وعجــاف : من العجف ، وهو الهزال والضعف .

٣(وَكانَ الفَتَى كَعْبٌ تَخيَّرَ للسُّرَى   أَخَا النَّمْرِ فَاسْتَدْنَى إلى أَجَلٍ كَعْبَا)

كعب، هو ابن مامة الإيادى. وقد مر حديث إيثاره صديقه النمرى بالماء فى سفره[1].

والسُّرى : سَيرُ الليل كله ، تذكره العرب وتؤنثه . قال ابن سيده : ولم يعرف اللحيانى إلا التأنيث . فشاهد التذكير قول لَبِيد :

قلتُ هَجِّدنا لقــــد طال السُّرى   وقدَّرنا أن خَنَى الدَّهرِ غَفَــــل[2]

وشاهد التأنيث قول جرير :

هُم رجعوها بعد ما طالت السُّرى   عوانًا وردُّوا حمرة الكَين أسودا[3]

وفى قــوله تعالى : (سُــبحان الذى أسرى بِعبدِه ليــلا[4]) . قال المفسرون : ذِكْر الليل للتوكيد .

والنمــر : هو ابن قاسط . قبيلة ، وسكنت الميم للشعر . وأخوهم ، هو شِمر ابن مالك . وقيل : حُنيف . كما قيل : هِنب بن قاسط .

واستدناه : طلب منه الدنو ، هذا أصله . والفاعل فيه للنَّمرى . جعل إدناءه الموت من كعب ، أو كعبا من الموت ، بشُربه المـاء دونه ، من ذلك .

٤(وإنّى رأيْتُ الصَّعْبَ يَرْكَبُ دائِمًـا   مِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ الغَرَضَ الصَّعْبَا)

الصعب : خلاف السهل : صَعُب الأمر وأُصعب . وقيل : أصعب الأمرَ : وافقه صَعبا . ومنه قولُ الأعشى :

---

(١) انظر شرح البيت العشرين من اللزومية السادسة عشر (ص ١٣٦) من هذا الجزء .
(٢) خنى الدهر : آفاته .
(٣) العوان : التى كان لهـا زوج . والكين : بظارة المرأة .
(٤) الآية الأولى من سورة الإسراء .

لا يُصعِب الأمرَ إلّا ريثَ يركبُه ... وكُل أمرٍ سـوَى الفَحشاء يأتمرُ

وآستصعب عليه الأمرُ ، وآستصعبه هو .

وكل شيء علا شيئا ، فقد ركبه .

وركوب الصعب للنــاس كناية عن بهظه لهم وإعنافه بهم ، وإثقاله عليهم ، وركوب الناس للصعب ، دليل إذلاله وإسلاسه وقهره ، ثم الفوز والغلبة .

اللزومية المتمة الثمانين

وقال فى الباء المفتوحة مع الضاد :

١ (إِذَا شِئْتَ أَنْ يَرْضَى سَجَايَاكَ رَبُّهَا ... فَلَا تُمْسِ مِنْ فِعْلِ المَقَادِيرِ مُغْضَبَا)

رِضى الشىء وآرتضاه ، قَبِله .

والسجايا : جمع سجيّة ، وهى الطبيعة والخلق . وفى الحديث : « كان خلقه سجية » أى طبيعة من غير تكلف .

وربّها : خالقها ومُوجدها . وهو الله سبحانه وتعالى . وقد مر عن ذلك مزيد .

وأمسى : صار فى وقت المساء . وقد تُبدل ياؤها جيما . قال الراجز :

* حتى إذا ما أمسجت وأمسجا *

أبدل مكان الياء حرفا جلدا شبيها بها لِتصح له القافية .

قال آبن جنى : وهذا أحد ما يدل على أن ما يُدّعى من أن أصل : «رمت» و « غزت » : « رميت » . و « غزوت » ؛ و « أعطت » : « أعطيت » ؛ و « آستقصت » : « آستقصيت » ؛ و « أمست » : « أمسيت » . ألا ترى أنه إنما أبدل الياء من « أمسيت » جيما ، والجيم حرف صحيح يحتمل الحركات ، ولا يلحقه الآنقلاب الذى يلحق الياء والواو ، وصححها كما يجب فى الجيم ، ولذلك قال : « أمسجا » .

و « أمسى » من الأفعال الناسخة ، تنسخ ضمة الخبر بنصبة .

و « لا » هنا ، ناهية جازمة .

وخص أبو العلاء هذا الوقت لأن به انتهاء عمل اليوم ، وعود الإنسان إلى نفسه يذكر ما ناله فيه من خير أو شر .

والمقادير : جمع مقدار ، وهو بمعنى القدر ، وهو القضاء والحكم . والمِقدار : الموت أيضا . ومنه : إذا بلغ العبد المِقدار مات . قال الشاعر :

لو كان خلفك أو أمامك هائبًا بشرًا سواك لها بك المِقدارُ

والمعنى مستقيم به أيضا : إذ صُروف الدهر مُنتهية بالإنسان إليه .

٢ ﴿فإنَّ قُرُونَ الخَيْلِ أَوْلَتْكَ نَاطِحًا وإنَّ الحُسَامَ العَضْبَ لقَّاكَ أعْضَبا﴾

القرون : جمع قرن ، وهو للثّور وغيره ، معروف . ويريد بـ « قرون الخيل » : الرماح ، لأنها حين تُشرع فتطُل من فوق رءوس الخيل تكون أشبه بالقرون .

والناطح : الأمر الشديد ذو المشقة . قال الراعى :

* وقد مَسّه منّا ومنهنّ ناطحُ *

وأولتك ناطحا ، أى أسلمتك إليه وجَرّتك به .

والحُسام : السيف الباتر .

والعَضب : القاطع ، وصف مؤكد . والأعضب : تفضيل منه .

ولقّاك أعضبا : جرّك إليه وواجهك به .

يريد أن كَرّك وصِيالك ينتهيان بك فى الحياة إلى مالا تقوى له وهنًا وضعفًا .

وأقام الرمح والسيف للكر والصيال ، إذ هما عُدة الإنسان فى البأس .

والناطح ، كذلك : ما يستقبلك ويأتيك من أمامك من الطير والظباء والوحش وغيرها ، خلاف القعيد ، وهو مما يُتشاءم به .

والأعضب ، كذلك : المكسور القرن ، وهو مما يتشاءم به أيضا . والمعنى بهما يستقيم . وكأنه يريد أن قوته وحيله يصيران به إلى ما يُرى فيه الشؤم والنحس ، ويحس فيه نُذر الفناء .

وما أشبهه فى هذا بقوله :

أهلُ الحياة كإخوان الممات فاهـ ونْ بالكُماة أطالُوا السُّمر والعَذَبا[1]

٣ ﴿خَضَبْتَ بَيَاضًا بِالصَّبِيبِ صَبَابَةً بِبَيْضَاءَ عَدَّتْكَ الْبَنَانَ الْمُخَضَّبَا﴾

البياض : بياض الشيب .

والصبيب : شجر يُشبه السَّذاب يُختضب به . وقيل : هو السَّناء الذى تُخضب به اللحى كالحنّاء . وقيل : هو عُصارة العَندم . وفى حديث عُقبة بن عامر أنه كان يختضب بالصَّبيب .

قال أبو عُبيدة : يقال إنه ماء ورق السمسم أو غيره من نبات الأرض . قال : وقد وُصف لى بمصر، ولونُ مائه أحمر يعلوه سواد .

وقال غيره : هو عصارة ورق الحنّاء والعُصفر .

والصَّبابة : الشوق ، وقيل : رقّته وحرارته . صَبِبْتَ اليه فأنا صَبّ ، أى عاشق مُشتاق ؛ والأنثى : صَبة .

---

(١) انظر البيت الثانى من اللزومية ٨٣ ص ٤٢٥ من هذا الجزء .

والبيضاء : الحسناء .

والبنان : الأصابع . وقيل : أطرافها ؛ واحدتهـا : بنانة . وبجمع القِلة : بنانات . وربما آستعاروا بناء أكثر العدد لأقله . ومنه قول الشاعر :

* خمس بنان قانئ الأظفـار *

ويقال : بنـان مُخضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحده الهـاء فإنه يوحّد ويذكر .

وعدّتك : أي جعلتك مثله في عِداد من هُم على شيء مَصنوع غير مَطبوع .

أو توهّمتك وحسبتك بُجمرة رأسك طرفا قد صُبغ حمرة . وكأنه يُشير إلى سخريتها به ورغبتها عنه .

٤ ﴿وَمَا كَانَ حَبْلُ العَيْشِ إلَّا مُعَلَّقًا بِعُرْوَةِ أَيَّامِ الصِّـبَا فَتَقَضَّبَا﴾

حبل العيش : سَببه .

والعروة : من الدّلو والكُوز ونحـوه : مَقبضه ؛ ومن المزادة : أذنها ؛ ومن القميص : مدخل زره ؛ ومن الرحل والحِمل : حيث يشد ويربط .

جعـل للأيام شيئا من ذلك على التشبيه . إذ بهـا الاستمساك والتمكن .

وتقضّب : آنقطع .

اللزومية الواحدة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع الضاد :

١ (لَعَمْرُكَ ماغادَرْتُ مَطْلَعَ هَضْبَةٍ مِنَ الفِكْرِ إلّا وارْتَقَيْتُ هِضابَهَا)

لعمرك : قسم بحياته . وقد مرّ كلام عنه (١) .

و « ما » نافية . وغادر الشىء مُغادرة وغِدارا ، وأغدره : تركه . وفى حديث للنبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليتنى غُودرت مع أصحاب نُحص الجبل » (٢) .

وفى حديث بدر : « فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى بلغ قرقرة الكدر (٣) فأغدروه » . أي تركوه وخلّفوه .

والمطلع ، بكسر اللام وفتحها : موضع الطلوع . وفرّق بعضهم ، بجعل المكسور للوضع ، والمفتوح المصدر .

وقال الفرّاء : إذا كان الحرف من باب فَعل يفعُل ، مثل دخل يدخل ، وخرج يخرج ، وما أشبهها ، آثرتِ العرب فى الأسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفًا من الأسماء ألزموها كسر العين فى « مفعِل » ، من ذلك : المسجِد ، والمطلِع ، والمغرِب ، والمشرِق ، والمسقِط ، والمرفِق ، والمجزِر ، والمسكِن ، والمنسِك ، والمنبِت ، فجعلوا الكسر علامة للاسم والفتح علامة للمصدر .

---

(١) انظر شرح البيت السادس من اللزومية الثامنة والسبعين ص ٤٠٢ من هذا الجزء .

(٢) النحص : أصل الجبل . وأراد بأصحاب النحص : قتلى أحد وغيرهم من الشهداء .

(٣) قرقرة الكدر : موضع بناحية المعدن قريب من الأرحضيا بينه وبين المدينة ثمانية برد . وقيل : ماء لبنى سليم .

والهضبة : كل جبل خُلق من صخرة واحدة . وقيل : هى الجبل المنبسط ينبسط على الأرض . وقيل : هى الجبل الطويل الممتنع المنفرد . ولا يكون إلا فى حمر الجبال . والجمع : هِضاب ، وهُضُب ، وهِضَب .

جعل ٱرتقاءه فى التفكير كالمُصعد فى الهضاب يترك واحدة إلى أخرى . وجعل مراقى الفِكر هِضابا ، بجامع الوُعورة فى كل .

وٱرتقى إلى الشىء ، ورَقى ، وترقّى : صَعِد . ورَقى فى السُّلم وٱرتقى ، بمعنى . وحَذْف الحرف هنا لتضمين الفعل معنى مرادفه .

٢ ﴿ أَقَلُّ الَّذِى تَجْنِى الغَوَانِى تَبَرُّجٌ يُرِى العَيْنَ مِنْها حَلْيَهَا وخِضَابَهَا ﴾

تجنّى ، من الجناية ، وهى الذنب والجرم . يريد : أقل ما تجر عليها من ذنوب وآثام .

والغوانى : الشواب اللواتى يعجبن الرجال و يعجبهن الشبان . وقيل : الغوانى : ذوات الأزواج .

ومنه قول الشاعر :

* أزمان ليلى كَعاب غير غانية *

الواحدة : غانية . وقال ٱبن شُميل : كل امرأة غانية . وقد تحذف ياؤها فى الجمع مع « ال » قال ٱبن قيس الرقيّات :

وأخو الغوانِ متى يشأْ يَصْرِمْنه ويَعُدْن أعداءً بُعَيد وِدَادِ

أراد « الغوانى » فحذفت الياء لأجل اللام ، كما تُحذف لأجل التنوين .

والتبرج : إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال . وقيل : هو أن تتكسر فى مِشيتها وتتبختر . و بيت أبى العلاء على المعنى الأول .

وفى الحديث : كان يكره عشر خلال، منها التبرج بالزينة لغير مَحلها .

والحلى : ما تُزِيِّن به من مَصوغ المعدنيات أو الحجارة . قال الراجز :

كأنها من حُسْن وشارهْ والحلي حَلْى التِّبر والحجاره

* مَدفع ميثاء إلى قـــراره [(١)] *

وقال الليث : الحلى : كل حلية حليت بها آمرأة .

والجمـــع : حلى ، بالضم ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء . قال الفارسى : وقد يجوز أن يكون « الحَلْى » جمعا ، وتكون الواحدة : حَلْية ، كشَرية ، وشَرى .

والخضاب ، الآسم من « خَضب » . والمراد بالحلى والخضاب : موضعهما لا حيث يلابسان من العضو ، بل العضو كله ، على قول بعض الفقهاء ، ليستقيم ماذهب إليه أبو العلاء من عدّ الزينة جملة — ماظهر منها وما خفى — والخضاب، تبرجا، إذ أكثر الفقهاء على أنّ ماتزينت به المرأة من حلى أو كحل أوخضاب، فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بإبدائه للأجانب . وما خفى منها كالسوار والخلخال والدُّملج والقِلادة والإكليل والوشاح والقُرط فلا تُبديه إلا لمن جاءوا فى قوله تعـالى : ﴿ ولا يُبدِين زِينتهنّ إلا لِبعولتهنّ أوآبائهنّ أوآباءِ بعـولتهنّ أو أبنائهنّ أو أبنـاءِ بعولتهنّ أو إخوانهنّ أو بنى إخوانهنّ أو بنى أخواتهنّ أو نِسائهن أو ما ملكت أيمـانهنّ أو التابعين غيرِ أولِي الإربة مِن الرجال أو الطِّفلِ الذين لم يَظهروا على عَوراتِ النِّساء [(٢)] ﴾ .

(١) مدفع الوادى : حيث يدفع السـيل ، وهو أسـفله حيث يتفرق ماؤه . والميثاء : الأرض السهلة . والقرارة من الأرض : المستقر المطمئن . وقيل هو القاع المستدير .

(٢) الآية ٣١ من سورة النور .

٣ (فإن أنتَ عاشَرْتَ الكَعَابَ فصَادِهَا وحَاوِلْ رِضَاهَا واْحذَرَنْ غِضَابَهَا)

عاشر : خالط ، فهو مُعاشر وعَشير . واْعتشر القومُ وتعاشروا : تخالطوا .

والكعاب ، بالفتح : المرأة حين يبدو ثديها للنُّهود . ومثلها كاعِب ومُكعب .

وصادى فلان فلانا : داجاه وداراه وساتره . وفى حديث اْبن عباس يذكر أبا بكر رضى الله عنهما : كان والله برًّا تقيا يُصادَى غَرْبه . أى تُدارى حِدته وتُسكَّن ويحتملها له أصدقاؤه ، وذلك لأنه رضى الله عنه كانت فيه حدة يسيرة . ولكُثيِّر :

أياعزَّ صادِى القَلبَ حتى يَودَّنى فُؤادكِ أو رُدِّى علىَّ فُؤادىَ

وغاضبه غِضابا ومُغاضبة : راغمه وهجره ونَبذه وعاداه .

٤ (فكمْ بكَرَتْ تَسْقِى الأَمرَّ حَلِيلَها مِنَ الغَارِ إذْ تَسقِى الحَلِيلَ رُضَابَها)

بَكِر : عَجِل . وبكَر : بكّر ، من التبكير . وبهما يستقيم المعنى .

والأمرّ : البالغ فى المرارة . والأنثى : المُرّى .

والحليل : الزوج . وهى حليلة . وحكى عن أبى زيد أن « الحليل » يكون للمؤنث بغير هاء . وكل مَن نازلك أو جاورك فهوَ حليلك أيضا . يقال : هذا حليله ، وهذه حليلته ، لمن تحالّه فى دار واحدة . وليس مرادًا هنا .

والغار : الغيرة . غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بعلها : غَيرة ، وغيرا ، وغارا ، وغِيارا .

و « من » هنا : للتعليل . ومنه قول امرئ القيس — وقيل هو لعمرو بن معد يكرب :

تَطاول ليـــلك بالإثمـــدِ ونام الخـــلىُّ ولم ترقُـــدِ
ونام ونامتْ له ليـــلةٌ كليلةِ ذى العائر الأَرمد
وذلك من نبـأ جاءنى وخُبِّرته عن أبى الأسود

والخليل : الحبيب والصديق والرفيق ، فعيل بمعنى مُفاعل . والأنثى خليلة .

ومن معـانى الخليل أيضا ، وليس مُرادًا هنا ، و إنمـا هو من قَبيل الاستطراد : الأنف ، والسيف ، والرمح ، والفقير ، والضعيف الجسم ، والكبد ، والقلب .

والرضاب : ما يَرضــبه الإنسان من رِيقــه كأنه يمتصّه . وهــو أيضا لُعاب العسل ، ورغوته . وفُتات المســك . و به يُشــبه ريق الجارية المرشوف حلاوةً وطيبا . و يكنون به عن طيب المتحدّث وحُلو الإقبال ، و بضدّه عن لاذع القول ومُمضه . فيقولون : تسقينى الرّضاب وتسقيه الذُّعاف .

• ﴿ و إنّ حِبَالَ العَيْشِ ما عَلِقتْ بِهَـا يَدُ الحَىِّ إِلَّا وَهِىَ تَخْشَى انْقِضَابَهَا ﴾

حِبالِ العيش : أسبابه . وعلِقت : اتصلت . وهى ، أى اليد .

والانقضاب الانقطاع . قضبه فانقضب . قال ذو الرمة يصف ثورا وحشياً :

كأنه كوكب فى إثـــر عِفريةٍ[1] مُسوّم فى سواد الليل منقضبُ

أى قد انقطع من مكانه .

(١) العفرية : الشيطان .

اللزومية الثانية والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع الصاد :

١ ﴿إذا ما عَرَاكُمْ حادِثٌ فتَحَدَّثُوا　　فإنّ حَدِيثَ القَوْمِ يُنْسِى المَصَائبَا﴾

عراه الأمر يَعروه : غشِيه وأصابه وانتابه، كاعتراه . قال الراعى :

قالت خُليدة ما عَراكَ ولم تكُن　　بعد الرُّقاد عن الشُّؤون سَؤُولَا

ومن الثانى قولُه تعالى على لسان قوم « هود » : (إنْ نقول إلا اعْتراك بعضُ آلهتنا بسُوء)[1] فادعوا على «هود» عليه السلام أن آلهتهم هى التى خَبلته لعَيبه إياها .

والحادث : واحد حِدثان الدهر وحوادثه ، وهى نُوبه وما يحدث منه . وأما الأحداث ، وهى النوازل ، فواحدها : حَدث .

وتحدثوا ، من التحديث . ومثل « تحدَّث » تحادث . ومن عباراتهم : تركت البلاد تَحَدَّثُ . أى تَسمع فيها دويًا . والحَديث : ما يُحدَّث به المحدِّث تحديثا ، ليس بمصدر . وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم : يبعث الله السحاب فيضحك أحسن الضحك ويتحدَّث أحسن الحديث . يريد بالضحك : البرق . وبالحديث : الرعد ؛ لأنه يخبر عن المطر وقرب مجيئه ، فصار كالمحدِّث به .

ومصائب : جمع مصيبة . قال الزَّجاج : أجمع النحويون على أن حكوا « مصائب » فى جمع مصيبة، بالهمز . وأجمعوا أن الاختيار « مصاوب »، وإنما مصائب عندهم بالهمز، من الشاذ . قال : وهذا عندى إنما هو من بدل الواو المكسورة ، كما قالوا : وسادة ، وإسادة .

---

(١) الآية ٥٤ من سورة هود .

ثم قال : وزعم الأخفش أن « مصائب » إنما وقعت الهمزة فيها بدلا من الواو، لأنها أعلّت فى « مصيبة » . وهذا ردىء لأنه يلزم أن يقال فى « مقام » : مقائم ، وفى « معونة » : معائن .

٢ (وَحِيدُوا عَنِ الأَشْيَاءِ خِيفَةَ غَيِّهَا فَلَمْ تُجعَلِ اللّذَّاتُ إِلَّا نَصَائِبَا)

حاد عن الشىء يَحيد ، حَيْدا ، وحَيَدانا ، ومَحيدا ، وحَيدودة : مال عنه وعدل .

وقال الأزهرىّ : حاد الرجل عن الشىء ، إذا صدّ عنه خوفا وأنفة . ومصدره : حُيودة ، وحَيَدان ، وحَيْد . قال الشاعر :

يَحيد حِذار الموت من كُل رَوعةٍ ولا بُد من موتٍ إذا كان أو قَتْلِ

والغىّ : الضلال والخَيبة والفساد . غَوَى ، بالفتح : غيًّا . وغَوِى غَواية ، فهو غاوٍ ، وغوٍ ، وغَوِىّ ، وغيّان . قال المُرقش :

فمن يلق خيرًا يَحمد الناسُ أمره ومَن يَغْو لا يَعدم على الغىّ لائمَا

والنصائب : شرك الصائد وحبائله ومصايده ، الواحدة : نصيب .

٣ (وَمَا زَالَت الأَيَّامُ وَهْى غَوافِلٌ تُسَدِّدَ سَهْمًا للنيّة صَائبَا)

غوافل : ساهية . الواحدة : غافلة . وكأنه يُشير إلى موادعة الأيام حينا ثم مُواثبتها .

وتسديد السهم إصابة القصد به . وصاب السهم يَصيب ويَصوب : أصاب . فهو صائب .

اللزومية الثالثة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع الذال :

١ (اللهُ لَا رَيْبَ فِيهِ وَهْوَ مُحْتَجِبٌ بَادٍ وَكُلٌّ إلَى طَبْعٍ لَهُ جُذِبَا)

الريب : الشك والظنة والتهمة . والجمع : رِيَب .

و « لا » هنا : نافية للجنس على سبيل التنصيص . وتسمى : لام التبرئة . تعمل عمل « إن » . وتخالف « إن » من سبعة أوجه : أحدها أنها ، لا تعمل إلا فى النكرات . والثانى : أن آسمها إذا لم يكن عاملا فإنه يبنى . والثالث : أن ارتفاع خبرها عن إفراد آسمها — ورأى البصريين على أن ارتفاعه بها ، إذا كان اسما عاملا — والرابع : أن خبرها لا يتقدم على آسمها ولو كان ظرفا أو مجرورا . والخامس : أنه يجوز مراعاة محلها مع آسمها قبل مضىّ الخبر وبعده ، فيجوز رفع النعت والمعطوف عليه . والسادس : أنه يجوز إلغاؤها إذا تكررت . والسابع : أنه يكثر حذف خبرها إذا عُلم .

ومُحتجب ، أى لا تدركه الحواس . والأصل فى « الاحتجاب » أن يكتن المرء من وراء حجاب . أراد لازم المعنى دون أداته .

وبادٍ : مدرك بآثاره . والأصل فى « البُدوّ » ظهور الشىء بالفعل أو بالقوة ؛ خبر بعد خبر .

و « الكل » : آسم يجمع الأجزاء ، الذكر والأنثى فيه سواء . وحكى سيبويه : « كلتهن » .

وقال الجوهرىّ : كل : لفظُه واحد ومعناه جمع . فعلى هذا تقول : كل حضر ، وكل حضروا ، على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى . وكل وبعض :

معرفتان، ولم يجيء عن العرب بالألف واللام . وهو جائز، لأن فيهما معنى الإضافة، أضفت أو لم تضف .

وقال أبو بكر السِّيرافى : قولهم : أخذت كل المال ، وضربت كل القوم . فليس « الكل » هو ما أضيف إليه ، إنما « الكل » عبارة عن أجزاء الشيء ، فكما جاز أن يضاف الجزء إلى الجملة ، جاز أن تضاف الأجزاء كلها إليها .

و « كل » فى بيت أبى العلاء هنا محمول على اللفظ دون المعنى ، فأفرد الضمير لذلك .

والطبع : الخليقة والسجية التى جُبل عليها الإنسان .

وقال الأزهرىّ : ويُجمع طبع الإنسان : طِباعا ، وهو ما طبع عليه فى مأكله ومشربه ، وسهولة أخلاقه وحزونتها ، وعُسرها ويسرها ، وشدّته ورخاوته وبخله وسخائه .

وجُذب : على ما لم يُسم فاعله : مال وانحاز وانصرف .

٢ (أَهْلُ الحياة كإخوانِ المماتِ فأَهْـ ـونْ بِالكُماةِ أَطَالُوا السُّمْرَ والعَذَبَا)

الأصل فى معنى « الأهل » : التعمير، وليس كذلك فى « الأخوة » فحسن إضافة أولهما للحياة وثانيهما للمات . والتشبيه هنا إما على ظاهره ، أى هؤلاء لا يملكون حولا . وإما على إرادة بيان مصيرهم ، فشبههم بالأموات . وإن لم يكونوا هم ، لتحقق فنائهم وانتهائهم إليه .

و « أهون » من « هان » بمعنى : ذلّ وضعف وحقر . إحدى صيغتى التعجب . فعل ماض جيء به على صيغة الأمر لهذا .

والكماة : الشجعان المتكّون فى السلاح ؛ كأنهم جمعوا «كاميا» مثل «قاضيا» وقُضاة . وقيل : واحده : كمِىّ . كما قيل : إن جمع «كمِىّ» أكماء . والباء فى «بالكماة» مزيدة على الفاعل .

وأطال الشيء وطوّله : جعله طويلا . ويقال : أطلت الشيء وأطولته ، على النقصان والتمام بمعنى . أرادوا أن ينبّهوا على أصل الباب ، وهو لا ينقاس . وأنشد سيبويه :

صددتَ فأطولْت الصُّدود وقلّما وصالٌ على طُول الصُّدود يَدُومُ

والسُّمر : الرِماح ، الواحد : أسمر ، للونه ، إذ السمرة : لون بين البياض والسواد .

والعَذب : جمع عَذبة ، وهى هنا : طرف السيف .

وذِكر الرماح والسيوف ، للتمثيل لا للشمول .

٣ ﴿ لا يَعْلَمَ الشَّرْىَ ما أَلْقَى مَرارَتَه إِلَيْهِ والأَرْىُ لم يَشْعُرْ وقَدْ عَذُبَا ﴾

الشرى ، بالتسكين : الحَنظل . وقيل : شجر الحَنظل . كما قيل إنه ورقُه . واحدته : شَرية .

وألقى إليه : طرح .

والأرى : عَسل النحل . ويقال : فى فلان طعمان : أرى وشَرى .

٤ ﴿ سَأَلتُمُونِى فَأَعْيَتْنِى إجابتُكُمْ مَنِ ادَّعَى أنّه دَارٍ فقَـدْ كَذَبَا ﴾

أعياه الأمر : أعجزه فلم يَقْوله .

و«دارٍ» من «دَرى» يدرِى ، إذا علِم وعَرف .

اللزومية الرابعة والثمانون

وقال فى البـاء المفتوحة مع الجيم :

١ (إنْ يَصْحَبِ الرُّوحَ عَقْلِى بعد مَظْعنِها ... لِلْموتِ عَنِّى فأَجْدِرْ أن تَرَى عَجَبَا)

٢ (و إنْ مَضَتْ فِى الهَواءِ الرَّحْبِ هالِكَةً ... هَلَاكَ جِسْمِى فِى تُرْبِى فواشَجَبَا)

والمظعن : الذهاب والسير . ظَعن يظعن ظَعْنا ، وظَعَنا بالتحريك ، وظعونا . والعقل : الملجأ والحصن . يريد الجسم إذ هو كالحصن والملجأ للروح تستكن فيـه وتستجن به . يدعم ذلك بيتـه الآتى . وكأنه يشير إلى القول بعودة الأرواح إلى الأجسام حين تبعث .

وأجدر : أخلق ، جَدُر جدارة ، فهو جدير به وله ، أى خليق . والصـيغة للتعجب ، ماضٍ جىء به على صورة الأمر لهذا الغرض . وقد مر شىء عن ذلك .

والعجب : إنكار مايرد عليك لقلة اعتباره . وقيـل : هو النظر إلى شىء غير مألوف ولا معتاد . والجمع : أعجاب . ومثـل « العجب » : العُجب ، بالضم . و « العَجب » إذا أسند إلى الله تعالى : فليس معناه منه تعالى كمعناه من العبـاد ، ويكون المراد به أنه عَظُم عنده وكَبُر لديه .

والضمير فى « مضت » للروح .

والرَّحب : ذو السعة . رَحُب الشىء ، فهو رَحْب ورَحيب ورُحاب .

والترب والتراب ، واحد . وقد مرّ مفصلا .

والشجب : الحُزن والهلاك . فعله : شَجِب يشجَب ، فهو شَجِب . ومثله : شَجَب يشجُب شُجوبا ، فهو شاجب . والأولى أجود ، إلا أن ثانية الصيغتين كما تكون غير متعدية قد تُستعمل متعدية ، فتقول : شجبه الله ، أى أهلكه . ومن عباراتهم : ما لَه شَجَبه الله !

والتركيب على النُّدبة ، وهى نداء المُتفَجَّع عليه أو المتوجع منه . ويكون بـ « وا » وكذلك بـ « يا » عند أمن اللبس . ولك فى المندوب ثلاثة أوجه :

الأول : أن تُبقيه على حاله . نحو : واشجبى !

الثانى : أن تختمه بألف ، كما هنا .

الثالث : أن تختمه بألف وهاء السكت فى الوقف . نحو : واشجباه .

٣ ﴿ الدِّينُ إنْصَافُكَ الأَقوامَ كُلَّهُمُ وأَىُّ دِينٍ لآبِى الحَقِّ إنْ وَجَبَا ﴾

الدين ما يتدَيّن به الرجلُ . وخَصّوا به الشرائع السماوية .

والإنصاف : إعطاء الحق . وقال ابن الأعرابىّ : أنصف . إذا أخذ الحق ، وأعطى الحق .

و « أى » : استفهامية . وهى لطلب تمييز أحد المتشاركين فى أمر يعمّهما . ويُسأل بها عن الزمان ، والمكان ، والحال ، والعدد ، والعامل ، وغيره ، حسب ما تضاف إليه .

والاستفهام هنا ليس على وجهه ، بل هو للإنكار .

و « الآبى » من أبى الشىء يأباه ، إذا كرهه .

والحق : نقيض الباطل ، وواحد الحقوق . فهو للرأى وغيره .

ووجب : ثبت ولزم .

٤ ﴿ والمَرْءُ يُعْيِيه قَوْدُ النَّفْسِ مُصْحِبَةً لِلْخَيْرِ وهْوَ يَقُودُ العَسْكَرَ اللَّجِبَا ﴾

المرء : الإنسان . تقول : هذا مرء ، وكذلك فى النصب والخفض ، تفتح الميم ، هـذا هو القياس . ومنهم من يضم المـيم فى الرفع ، أو يفتحها فى النصب ، أو يكسرها فى الخفض ، يُتبعها الهمز ، على حد ما يُتبعون الراء إياها ، إذا أدخلوا ألف الوصل .

وهذا الاسم لا يكسر ، ولا يجمع على لفظه ، ولا يجمع جمع سلامة ، فلا يقال : أمْراء ، ولا أمْرُؤ ، ولا أمارئ ، ولا مَرْؤون . وقـد ورد فى حديث الحسن : أحْسنوا مَلأَكم أيها المَـرْؤون .

وقد أنثوا فقالوا : مَرْأة ، وخففوا التخفيف القياسىّ ، فقالوا : مَرَه .

ويُعييه : يُعجزه . وقد مرّت .

والقود : نقيض السوق . يقود الدابة من أمامها ، ويسوقها من خلفها .

ومُصحِبة على صيغة اسم الفاعل . مُنقادة مسترسلة قد تبعت صاحبها .

وقال أبو عبيد : المصحب : المستقيم الذاهب لا يتلبّث .

وعلى صيغة اسم المفعول : مصاحَبة . تقول : أصحبته الشىء ، جعلته له صاحبا .

وعلى الأول فالجار والمجرور « للخير » متعلق بالقود . وعلى الثانى فالجار والمجرور متعلق بـ « مُصحبة » .

واللَّجب ، بوزن فرح : العرمرم الكثير ذو اللَّجب ، وهو الصوت والصياح والجَلَبـــة .

٥ ﴿ وَصَوْمُهُ الشَّهرَ مَالَمْ يَجْنِ مَعْصِيَةً يُغْنِيهِ عَن صَوْمِهِ شَعْبَانَ أَوْ رَجَبَا ﴾

الشهر، شهر رمضان .

وجنى المعصية ونحوها : جرّها على نفسه فعلا أو قولا

والمعصية، لغة : خلاف الطاعة . وشرعا : كل ما خالفت به عن أمر ربك .

ويغنيه : يَكفيه ويجزيه . وصوم رجب وشعبان من الصوم المندوب . وإفراد رجب بالصوم مكروه عند الحنابلة، إلا إذا أفطر فى أثنائه فلا يُكره .

ولعل أبا العلاء يريد الصوم المندوب جملة ، وأقام هذين الشهرين مثلا . ومن الصوم المندوب : المحرّم ، وأفضله يوما التاسع والعاشر منه . وصيام ثلاثة أيام من كل شهر .

ويندب أن تكون هى الأيام البيض . أعنى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر العربىّ . ومنه صوم تسع ذى الحجة السابق على يوم النحر . ومنه صوم الأثنين والخميس من كل أسبوع . ومنه صوم ست من شوال، والأفضل أن تكون متتابعة وأن تكون متصلة بيوم الفطر . ومنه صوم يوم وإفطار يوم ، وهو صيام داود عليه السلام . ومنه صوم الأشهر الحرم، وهى ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجة، والمحرم . وواحد منفرد، وهو رجب .

٦ ﴿ وما اتّبعْتُ نَجِيباً فِى شَمَائِلِهِ وفِى الحِمَامِ تَبِعْتُ السَّادَةَ النُّجُبَا ﴾

النَّجيب : الكريم الفاضل النفيس فى نوعه ؛ ويجمع على : أنجاب ، ونُجباء ، ونُجُب . وفى الحديث : إنّ كل نبى أُعطى سبعة نجباء رُفقاء . وفيه أيضا : إن الله يحب التاجر النجيب . أى الفاضل الكريم السخىّ .

والشمائل : جمع شِمالٍ، وهى خليقة الرجل . و يقولون : رجل كريم الشمائل، أى فى أخلاقه ومخالطته . وقال لَبيد :

هُمُ قومى وهم أنكرن منى شمائل بدّلوها مِن شمالِى

ينكر أبو العلاء أن يكون بين الناسِ الكريم الخلق يتخذه قُدوة .

والحِمام : قضاء الموت وقَدره . ونزل به حِمامُه ، أى قَدره وموته .

وقيل : الحِمام كالحُمَم : المنايا . وكلاهما جمع حُمّة ، بالضم .

والسادة : جمع سيد . وقال ابن سيده : وعندى أن سادة جمع سائدة، على ما يكثُر فى هذا النحو .

٧ (وٱحْذَرْ دُعَاءَ ظَلِيمٍ فِى نَعامَتِهِ فَرُبَّ دَعْوَةِ دَاعٍ تَخْرِقُ الحُجُبَا)

الظليم : المظلوم ، فعيل بمعنى مفعول . وهو ينقاس فيما ليس له « فعيل » بمعنى « فاعل » نحو قدير، ورحيم ، بمعنى قادر، وراحم .

والظليم . أيضا : ذكر النعام . وليس مرادا هنا . ولكنه قَصد إلى التورية بذكره « النعامة » بعده .

والنعامة : كل بناء كالظُّلة ، والظُّلمة أيضا : وثانيتهما أولى . فمع الليل يفزع المظلومون و يجأر الداعون . إذ هم فى سكونهم وعلى جنوبهم منقطعون عن شغل الحياة متجهون إلى الله .

و « رب » حرف جر، خلافا للكوفيين فى دعوى اسميته، وأنه مُخبر عنه ، كما فى قول القائل :

إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن عار عليك ورب قتلٍ عار

ورُد عليهم بأن « عار » خبر لمحذوف ، والجملة صفة للمجرور .

وليس معناه التقليل دائمـا ، ولا التكثير دائمـا . بل يَرد للتكثير كثيرا ، وللتقليل قليـلا . فمن الأول يوم قوله تعالى (ربمـا يود الذين كفروا لو كانوا مُسلمين)(١) . وفى الحديث : « يا رب كاسيةٍ فى الدنيا عارية يوم القيامة » . وقال الشاعر :

فيارُبَّ يوم قد لهوتُ وليَـلةٍ بآنسةٍ كأنهـا خـطُّ تِمثـالِ

ووجه الدليل أن الآية والحديث مسوقان للتخويف ، والبيت مسبوق للافتخار ، ولا يُناسب واحدا منهما التقليلُ .

ومن التقليل قول الشاعر :

ألا رُب مَولود وليس له أبٌ وذى ولد لم يَلِده أبوانِ

وفى « رب » ست عشرة لغـة : ضمّ الراء وفتحها ، وكلاهما مع التشـديد والتخفيف ، والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو محركة ، ومع التجرد منها . فهذه اثنتـا عشرة . والضم والفتح مع إسكان البـاء ، وضم الحرفين مع التشديد ومع التخفيف .

والدعوة : الأسم من : دعا . والدعاء ، المصدر .

والحُجُب : جمع حجاب ، وهو الستر ، لا يُجمع على غيره .

ولعـل أبا العلاء يشـير إلى الحديث : اتقوا دعوة المظـلوم فإنه ليس بينهـا وبين الله حجاب .

---

(١) الآية الثانية من سورة الحجر .

اللزومية الخامسة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع العين :

١ ﴿لَا تَفْرَحَنَّ بِفَأْلٍ[1] إِنْ سَمِعْتَ بِهِ ... وَلَا تَطَيَّرْ إِذَا مَا نَاعِبٌ نَعَبَا﴾

الفأل : ضدّ الطّيرة ، وأصل الفال : الكلمة الحسنة يَسمعها عليل فيتأوّل منها ما يُدل على بُرئه . وفى الحديث : إنه صلى الله عليه وسلّم كان يُحب الفال ويكره الطّيرة . وقيل : الطيرة : لا تكون إلا فيما يسوء ، والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء . وفى نوادر الأعراب : يقال : لا فأل عليك ، بمعنى : لا ضير عليك ، ولا شر عليك . والجمع : فؤول . وذكر الجوهرىّ فى جمعه : أفؤل . وأنشد للكُميت :

ولا أسأل الطيرَ عمّا تقو ... ل ولا تتخالجنى الأفؤلُ

والتطيُّر : التشاؤم . وكانت العرب إذا أرادت أمرا أثارت الطّير ، فتشاءمت ببارحها ، وهو الآخذ ذات اليسار ، وكان مذهبها فى الفأل والطيرة واحدا ، فأثبت النبى صلى الله عليه وسلم الفأل واستحسنه ، وأبطل الطيرة ونهى عنها .

والناعب : الغراب وغيره ، يَنعب ، أى يصيح ويصوّت . والمراد هنا الغراب ، لأن بنَعيبه ونعيقه تشاءم العرب ، إذ أكثر ما كان يُرى على الأطلال والدِّمن .

٢ ﴿فَالخَطْبُ أَفْظَعُ مِنْ سَرَّاءَ تَأْمُلُهَا ... وَالأَمْرُ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تُضْمِرَ الرُّعُبَا﴾

الخطب : الأمر الذى تقع فيــه المخاطبة والشأن والحــال . ويقولون : جَل الخطب : أى عظم الأمر والشأن . وفى حديث عمر ، وقد أفطر فى يوم غيم من رمضان ، فقال : الخطب يسير .

(١) هـ : « بفال » .

والجمع خُطوب ، وأما قول الأخطل :

كَلمِع أيدى مَثاكِيل مُسَلِّبة يندُبن ضَرْس بناتِ الدّهر والخُطُب (١)

والسراء : النعمة والرخاء ، نقيض الضراء .

والإضمار : الإخفاء . ومنه هوى مضمر ، وضمر أيضا ، كأنه اعتقد مصدرا على حذف الزيادة .

والرعب ، بالضم وبضمتين : الفزع والخوف . رعَبه ورعبه ، ولا تقل : أرعبه .

٣ ﴿ إذَا تَفَكَّرْتَ فِكْرًا لا يُمَازِجُهُ فَسَادُ عَقْلٍ صَحِيحٍ هَانَ مَا صَعُبَا ﴾

تفكر فى الشيء ، وأفكر ، وفكّر ، بمعنى . والفِكر ، بالكسر ، إعمال الخاطر فى الشيء ، اسم ، وهو منصوب على نزع الخافض ، وبالفتح ، المصدر . وعلى هذه الرواية فهو مفعول مطلق ، حُذِف فيه الفعل المجرد .

ويقولون : ليس لى فى هذا الأمر فكر ، أى ليس لى فيه حاجة . قال سيبويه : ولا يجمع الفِكر ، ولا العِلم ، ولا النظر . وحكى ابن دُريد فى جمعه « أفكار » .

٤ ﴿ فاللُّبُّ إنْ صَحَّ أَعْطَى النَّفْسَ فَتْرَتَهَا حَتَّى تَمُوتَ وَسَمَّى جِدَّهَا لَعِبَا ﴾

اللُّب : العقل . ويُجمع على ألباب ، وألبب ، وألُبّ . قال الكُميت :

إليكم بنى آل النبيّ تطلّعت نوازعُ من قلبي ظِماء وألبُبُ

ولأبى طالب :

* قلبي إليه مُشرف الألُبّ *

(١) المثاكيل : النسوة فقدن أولادهنّ . ومسلبة : قد لبست الثياب السود للحداد . وبنات الدهر : الدواهى . وضرسها : عضها . والخطب : الخطوب ، حذف تخفيفا . وقد يكون من باب : رهن ، ورهن .

وصح : أى سَلِم من النزعات والأهواء .

والفترة : الأنكسار والضعف . ومنـه حديث ابن مسعود رضى الله عنه ، إنه مرض فبكى فقال : إنمـا أبكى لأنه أصابنى على حالِ فـترة ولم يُصبنى على حال آجتهاد . أى فى حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات .

و إعطاء النفس فترتهـا : ألا تكلّف ما يكدها ولا تُؤخذ بمـا يُرهقها . وكأنه فى هذا مُلتفِتٌ الى قوله :

وصومه الشهر ما لم يَجْن معصـية يُغنيه عن صَومه شَعبان أَو رجبا (١)

والفترة ، كذلك : الزمن . وهى فى الأصل : ما بين كل رسولين من رسل الله عزّ وجل من الزمان الذى انقطعت فيه الرسالة . وفى الحديث : فترة ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

والمعنى أنه تارك نفسه لوقتها المقدور حتى تستوفيه ، مُسلم أمره لمـا تجيء به المقادير ، غير مُعنيها بشيء . إذ لا ثمرة فيما يأخذها به .

٥ ((وما الغَوانِى الغَوادِى فِى مَلاعِبِها إلّا خَيالاتُ وقتٍ أَشْبهتْ لَعِبَا))

الغوانى : جمع غانية ، وهى الجارية الحسناء ذات زوج كانت أو غير ذات زوج . سميت غانية ، لأنها غنيت بحسنها عن الزينة .

وقال ابن شميل : كل آمرأة غانية .

والغوادى : المبكرات . جمع غادية . لم يخصّ وقتا و إنمـا أراد كثرة اختلافهن وترددهنّ . وملاعب الصبيان والجوارى فى الدار من ديارات العرب : حيث يدرجون و يلعبون . جعل حياة الغوانى كلها شيئا من هـذا لاتعدوه ، و إن علت الأسنان واستوت الأعمار .

(١) البيت الخامس من اللزومية الرابعة والثمانين ص ٤٣٠ من هذا الجزء .

والخيالة والخيال : ما تشبّه لك فى اليقظة والحلم من صُورة ، والشخص والطيف . قال الشاعر :

فلستُ بنازلٍ إلا ألمّت   برحْلى أو خَيالَتُها الكذوبُ

واللُّعب : جمع لعبة ، بالضم ، وهى جِرم ما يُلعب به .

٦ ﴿زِيَادَةُ الجِسْمِ عَنَّتْ جِسْمَ حامِلِهِ   إلَى التُّرابِ وزَادَتْ حافِرًا تَعَبَا﴾

الجسم : جماعة البدن . و يريد بزيادته : تكاثره واطراد أعداده وآحاده .

وعنّت : أرهقت وأضنّت .

و «جسم حامله» أى من يحملون الموتى إلى القبور ، فهم لا يفرغون من واحدة إلا إلى أخرى . جرّها عليهم هذا التناسل الذى لا ينقطع .

وقد تكون الزيادة بمعنى النماء والنقل . وجسم حامله : أى الشخص نفسه . فكل نماء مؤذن بوَهن ثم فناء .

والحافر : الذى يحفر القبر ويُهيّئه .

اللزومية السادسة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع اللام :

١ (لوكُنْتُمُ أهْلَ صَفْوٍ قالَ ناسِبُكُم   صَفْوِيَّةٌ فأَتَى باللَّفظِ مَا قَلَبَا)

الصفو : الصفاء . وكأنه يشير إلى قول الصوفية : إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو التصفية والتجرُّد من العلائق البدنية .

وناسبكم : من يُنسبكم ويُلقبكم .

وصفوية : من الصفو، الذى هو الصفاء .

و « ما قلبا » : أى ما غاير بين حروف الكلمة، فقال : صوفية .

وقد عرض الرازى للصوفية فقال : وهم فرق :

الأولى : أصحاب العادات . وهم قوم مُنتهى أمرهم وغايته تزيين الظاهر، كلِبس الخِرقة وتسوية السجادة .

الثانيــة : أصحاب العبادات . وهم قوم يشتغلون بالزهد والعبادة مع ترك سائر الأشــغال .

الثالثــة : أصحاب الحقيقة . وهم قوم إذا فرغوا من أداء الفرائض لم يشتغلوا بنوافل العبادات، بل بالفكر وبتجريد النفس عن العلائق الجسمانية . وهم يجتهدون ألا يخلوا سِرهم وبالهم عن ذكر الله تعالى .

الرابعــة : النُّورية . وهم طائفة يقولون إن الحجاب حجابان : نورى ونارى : أما النورى فالاشتغال باكتساب الصفات المحمودة، كالتوكل والشوق والتسليم والمراقبة والأنس والوحدة .

وأما النارى، فالاشتغال بالشهوة والغضب والحرص والأمل؛ لأن هذه الصفات صفات نارية، كما أن إبليس لما كان ناريا فلا جرم وقع فى الحسد .

الخامسة : الحلولية . وهم طائفة يرون فى أنفسهم أحوالا عجيبة وليس لهم من العلوم العقلية نصيب وافر، فيتوهمون أنه قد حصل لهم الحلول أو الاتحاد، فيدعون دعاوى عظيمة . وأول من أظهر هذه المقالة فى الإسلام الروافض، فإنهم ادّعوا الحلول فى حق أئمتهم .

السادسة : وهم قوم يحفظون أشياء لا أصل لها . وهم يدعون محبة الله تعالى، وليس لهم نصيب من الحقائق، بل يخالفون الشريعة ويقولون : إنّ الحبيب رُفع عنه التكليف . وهم على الحقيقة على دين : مزدك .

ينعى أبو العلاء على من تنكبوا منهم السّبيل، وعلى غلاتهم ما غلوا فيه . وسيشير إلى هذا فى بيته الرابع .

٢ ﴿جُنْدٌ لإبْلِيسَ فى بَدْلِيسَ آوِنَةً   وتارةً يَحْلِبُونَ العَيْشَ فِى حَلَبَا﴾

بَدليس، بالفتح ثم السكون وكسر اللام : بلدة من نواحى أرمينية . ذات بساتين كثيرة . قد عرفنا بها الفضل بن منصور الظريف حيث يقول :

بدليس قد جدّدت لى صَبوة   بعد التُّقى والنُّسك والسَّمْتِ

وكأن اختيار أبى العلاء لها لهذا وللجناس الذى قصد إليه .

وآونة : جمع أوان، مثل : زمان وأزمنة . وأما سيبويه فقال : أوان، وأوانات؛ جمعوه بالتاء حين لم يكسَّر، هذا على شُهرة : «آونة» .

والتارة : الحين والمرة . ألفها واو . وجمعها : تارات، وتِيَر . قال الراجز :

* يقوم تاراتٍ ويَمشى تِيَرا *

وقال ٱبن الأعرابى : تارة ، مهموز ، فلما كثر ٱستعمالهم لها تركوا همزها .
ومنه : أتأرت النظر إليه ، أى أدمته تارة بعد تارة .

ويحلُبون ، هنا بمعنى يجبون ، حلب ، يحلُب ويحلِب ، حلَبا ، وحلْبا .

قال ابن منظور : والحلَب ، من الجباية : مثل الصدقة ونحوها مما لا يكون وظيفة معلومة . وهى الأحلاب فى ديوان الصدقات .

يشير إلى حصولهم على المال والعيش على هذا النحو .

وحلب : بلد بالشام معروف كثير الخيرات ، جانس به أبو العلاء موفّقا ، وكأنه أقام « بدليس » و « حلب » ليشير : إلى أنهم حيث اللهو والرزق يكونون ، لا هم لهم فى غيرهما .

٣ ﴿طَلَبْتُمُ الزَّادَ فِى الآفَاقِ مِنْ طَمَعٍ   واللهُ يُوجَدُ حَقًّا أَيْنَمَا طُلِبَا﴾

الزاد : طعام السفر والحضر جميعا . والجمع : أزودة ، على غير قياس . والزاد ، أيضا : كل عمل ٱنقلب به الإنسان من خير أو شر ، على المثل . وكأن أبا العلاء يورّى باللفظ على معنَييْه . وقد قرن كل واحد من المعنيين بملائم ، بجعل « الطمع » للأول ، وجعل عجز البيت للثانى . فهى على هذا تورية مجرّدة . وقد يصح أن يُحمل الطمع ، على الاستزادة من الثواب ، فيكون من ملائمات المعنى البعيد ، وتكون التورية مُبيِّنة .

يَنعى عليهم أبو العلاء اختلافهم إلى البلاد بدعوى العبادة وليست إلا للرزق ، فحيث كنت أخلصتَ وجهك لله .

٤ ﴿وَلَسْتُ أَعْنِي بِهَذَا غَيْرَ فَاجِرِكُمْ إِنَّ التَّقِيَّ إِذَا زَاحَمْتَهُ[١] غَلَبَا﴾

الفاجر : الذى يميل عن الحق . فالكاذب فاجر ، والكافر فاجر ، لميلهما عن الصدق والقصد .

والتّقى : المتّقى ، وهو المُتصوِّن المُتحرِّز عن مَعصية الله . التاء فيه بدل من الواو .

وزاحم الرجلُ الرجلَ ، وزَحمه : ضايقه فى زحمة .

وعلى رواية : « ذامته » فالمعنى : أردت عيبه .

وعلى الرواية الأولى ، فالمزاحمة ، من هـذا . والمراد بهـا ما يضجره ويقلقه على تقاه . والبيت التالى بَسْطٌ لهذا .

أو المزاحمة من المغالبـة ، والمراد أنه يفوتك تقى ويربحك صـلاحا ، إلا أن ربط البيت بمـا بعده على التشبيه ، لا يستقيم إلا بتأول .

٥ ﴿كَالشَّمْسِ لَمْ يَدْنُ مِنْ أَضْوَائِهَا دَنَسٌ وَالْبَدْرُ قَدْ جَلَّ عَنْ ذَمٍّ وَإِنْ ثُلِبَا﴾

الدّنس : القَذر والوَسخ . والثلب : العيب . ذكره مع « البدر » ، لمـا يبدو على وجهـه من كلف ملحوظ ، ولم يحترس مع الشمس إذ ضـوؤها غالب يلفت الأبصار عنه . ولا ندرى هل فطِن أبو العلاء إلى قضاء الشمس على الأوباء .

٦ ﴿وَمَا أَرَى كُلَّ قَوْمٍ ضَلَّ رُشْدُهُمُ إِلَّا نَظِيرَ النَّصَارَى أَعْظَمُوا الصُّلُبَا﴾

كل : اسم يجمع الأجزاء . وقد مر .

والرُّشـد ، بالضم : نقيض الغىّ والضلال . ومثله : الرَّشـد ، بالتحريك ، والرّشاد . وضَل رُشدهم : أى غووا وضلوا وأخطئوا سبيل الحق . جملة دعائية ،

(١) ب : « ذامته » .

وهي إنشــاء غير طلبي . كأنه يدعو عليهم بخيبة المسعى، لمجانبتهم القصــد وميلهم إلى الباطل .

والنظير : المِثل، والندّ، والشّبيه في الشكل والخلق والفعل والقول، كالنِّظْر .

قال عبد يَغوث :

ألا هــل أتى نِظْرى مُلَيكَةَ[1] أنّنى   أنا الليثُ مَعدياً عليــه وعادِيا

والجمــع : نظراء . والأنثى : نَظيرة، وجمعها : نظائر . ويقــال : لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله . أي لا تجعل لِكتاب الله ولا لكلام رســول الله شيئا نظيرا فتدعهما وتأخذ به .

والنصارى : أتباع عيسى عليه السلام .

قال الجوهرى : نسبة إلى نَصران : قرية بالشام . وقيل : هي نَصُورية، والنّصارى منسو بون إليها .

قال ابن سِيده : هذا قول أهل اللغة . ثم قال : وهو ضعيف، إلا أن نادر النسب يسعه .

وقال سِــيبويه : أما النصارى، فذهب الخليــل إلى أنه جمــع « نصرى » و « نصران » كما قالوا : ندمان، وندامى، ولكنهم حذفوا إحدى اليــاءين . ثم قال : وأما الذى نُوجهه نحن عليــه فإنه جاء على « نصران » لأنه قــد تكلم به فكأنك جمعت « نصرا » وقلت : « نصارى »، كما قلت . « ندامى » . فهــذا أقيس، والأول مذهب .

وقال أبو إسحــاق : واحد النصارى في أحد القولين : نصرانــ، والأنثى نصرانة . وأنشد :

(١) ويروى : « عرس مليكة » .

فكلتاهما خَرّت وأَسجد رأسُها كما أسجدت نَصرانةٌ لم تَحنَّفِ

وقال ٱبن بَرّى : قوله : إن النصارى : جمع نَصران، ونَصرانة، إنما يريد بذلك الأصل دون الاستعمال، وإنما المستعمل فى الكلام : نصرانىّ، ونصرانية، بياءى النسب .

والصُّلب : بضمتين وسُكّن للشعر : جمع صَليب ، للنّصارى . ويجمع أيضا على « صُلبان » . وقد مر شىء عن ذلك .

٧ ﴿ يا آلَ إسرَالَ هَل يُرْجَى مَسِيحُكُمُ هَيْهاتَ قَدْ مَيَّزَ الأشْياءَ مَنْ خَلَبا ﴾

الآل : الأولياء . أصلها « أهل » ثم أبدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير « أأل » ، فلما توالت همزتان أبدلوا الثانية ألفا .

قال ٱبن منظور : فإن قيل : ولم زعمت أنهم قلبوا الهاء همزة ثم قلبوها فيما بعد ، وما أنكرتَ من أن يكونوا قلبوا الهاء ألفا فى أوّل الحال .

فالجواب أن الهاء لم تقلب ألفا فى غير هذا الموضع فيقاس هذا عليه .

وأيضا فإن الألف لو كانت مُنقلبة عن غير الهمزة المنقلبة عن الهاء ، لجاز أن يستعمل « آل » فى كل موضع يستعمل فيه « أهل » ، لأنهم يخصّون بالآل : الأشرف الأخص، دون الشائع الأعم . وقول الفرزدق :

نجوتَ ولم يمنُن عليك طلاقةً سوى رَبّة التّقريب من آل أعوَجا

فذلك لأن « أعوج » فرس مشهور عند العرب .

و « إسرال » لغة فى « آسرائيل » . وزاد الزبيدى « آسرائين » وقال : آسم مَلَك . وهو عِبرى . معناه فى العبرية : جُندى الله . سمى به يعقوب، ثم الأسباط الاثنى عشر . ثم صار آسما للعوام، تمييزا لهم عن الكهنة واللاويين .

والمسيح : عيسى بن مريم عليه السلام .

قال آبن سيده : سمى به ، لأنه كان يمسح بيده على العليل والأكمه والأبرص فيبرئه بإذن الله .

ويُذكر موصوفا فيقال : المسيح الصديق . لأن هناك المسيح الكذاب الدجال . وحوله خرافة بأنه سيأتى ويفتن الناس عن دينهم ويدخل كل بلد ، إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، ويفعل خوارق العادات وتتم له ، ويحارب المهدى المنتظر، ثم ينزل عيسى من السماء ويقتل الدجال .

وأبو العلاء يشير إلى معتقد اليهود، فإنهم ينتظرون مسيحا، أى ملكا، يأتى إلى أورشليم على حمار ويعيد لهم ملك داود وسليمان ، تبتهج به أورشليم وصهيون .

وهيهات : كلمة تَبعيد . قال جرير :

فهيهات هيهات العقيق وأهله   وهيهات خِل بالعقيق نُحاوله

والتاء مفتوحة ، وناسٌ يكسرونها على كل حال بمنزلة نون التثنية . وقد تبدل الهاء همزة فيقال : أيهات .

وأهل اللغة متفقون على أن التاء ليست أصلية، أصلها هاء .

قال أبو عمرو بن العلاء : إذا وصلت « هيهات » فدع التاء على حالها، وإذا واقفت فقل : هيهات هيهاه . قال ذلك فى قوله تعالى : (هيهات هيهات لما توعدون)[1] .

(١) الآية ٣٦ من سورة « المؤمنون » .

وقال سيبويه : من كسر التاء جعلها جمعا ، واحده : هيهة . ومن فتح التاء جعلها كلمة واحدة .

وقال ابن الأنباري : « هيهات » سبع لغات : فمن قال « هيهات » بفتح التاء بغير تنوين ، شبّه التاء بالهاء ونصبها على مذهب الأداة . ومن قال « هيهاتًا » بالتنوين ، شبهه بقوله تعالى (فقليلا ما يومنون)[1] أى فقليلا إيمانهم . ومن قال « هيهاتِ » شبهه بحذامِ وقطامِ . ومن قال «هيهاتٍ» بالتنوين شبهه بالأصوات ، كقولهم : غاقٍ . وطاقٍ . ومن قال « هيهاتُ » بالرفع ذهب بها إلى الوصف . فقال : هى أداة والأدوات معرفة . ومن رفعها ونون ، أشبه التاء بتاء الجمع .

والمستعمل منها استعمالا غالبا : الفتح بلا تنوين .

وخُلب : خُدِع وضُلِّل به . أى إن تغريركم بالناس وغشكم لهم قد جعلهم يميزون الحق من الباطل ، ولا يؤمنون بما تقولون .

٨ ﴿قُلْنَا أَتَانَا وَلَمْ يُصْلَبْ وَقَوْلُكُمُ مَاجَاءَ بَعْـدُ وَقَالَتْ أُمَّةٌ صُلِبَا﴾

قول أبى العلاء : « قلنا أتانا ولم يصلب » إشارة إلى معتقد المُسلمين فى المسيح عليه السلام . وفى ذلك يقول تعالى : (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم)[2] .

ومن المسيحيين أيضا طوائف تنفى صَلْب المسيح وقتله .

ومنهم طوائف تقول بأن المصلوب غير عيسى وأن اليهود لم يقعوا عليه .

وقول أبى العلاء « ما جاء بعد » إشارة إلى ما سبق من معتقد اليهود فى مسيح يأتى بعد . وإلى إنكارهم أن رجلا جاء باسم « المسيح » وصُلب وقتل . وليس فى تاريخهم الدينى شىء من ذلك . وهذا ما حدا المنكرين إلى اعتبار المسيح شيئا

(١) الآية ٨٨ من سورة البقرة . (٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء .

فرضيًّا لا وجود له . وقد ألف يوسف « يوسيفوس » القائد اليهودى حوالى سنة سبعين من الميلاد تاريخا عن اليهود ، ولم يشر منه إلى شيء عن المسيح .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن مسألة قتل المسيح كانت فى « التلمود » ، ولكن اليهود ٱقتطعوها منه حتى لا تقع عليها أمة من الأمم التى يقيم بينها اليهود .

وقول أبى العلاء « وقالت أمة صلبا » إشارة إلى معتقد طوائف من النصارى بصلب المسيح وقتله . وقد نفى القرآن عليهم ذلك . قال تعالى : (وإنّ الذين ٱختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا ٱتباع الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما[1]) .

٩ ﴿جَلَبْتُمْ باطِلَ التَّوْرَاةِ عَنْ شَحَطٍ وَرُبَّ شَرٍّ بَعِيدٍ لِلْفَتَى جُلِبَا﴾

« الشحط » بالفتح ، بالتحريك : البعد فى كُل الحالات . حسًّا ومَعنى .

و « عن » حرف جر ، وهى هنا إمّا مرادفة « من » ويكون « الشحط » معها بمعناها الحسى . والمعنى أنهم جاءوا الى التوراة بالباطل الذى هى بعيدة عنه ، وتأولوا عليها غير الحق . وإما للتعليل . ويكون « الشحط » بمعناه المعنوى ، وهو البعد عن الحق ومجاوزة القصد . والمعنى أنهم مجانبون للحقيقة فيما أدخلوه على التوراة من باطل .

و « رب » حرف جر ، للتكثير والتقليل . وقد مر . والمعنى هنا يحتمل الاثنين ، بل هو على التكثير أحرى .

والجار والمجرور « للفتى » متعلق بالفعل بعده « جلب » .

(١) الآية ١٥٨ من سورة النساء .

والجَلْب : سَوق الشيء من موضع إلى موضع . جَلبه يَجلِبه ويجلُبه ، جَلْبا وجَلَبا .

١٠ ﴿كَمْ يُقْتَلُ النّاسُ ماهَمَّ الّذِى عَمَدتْ يَدَاهُ لِلقَتْلِ إلاّ أَخْذُهُ السَّلَبَا﴾

« كم » : اسم ، وهو سؤال عن عدد ، وهى تعمل فى الخبر عمل « رب » ، إلا أن معنى « كم » التكثير ، ومعنى « رب » التقليل والتكثير ، وهى مغنيـة عن الكلام الكثير المتناهى فى البعد والطول .

والهم : الإرادة والعزم .

وعمدت : قصدت ، ليخرج القتل الخطأ .

والسَّلب : ما يسلب . والجمع : أسلاب . وكل شيء على الإنسان فهو سَلَب ؛ سَلَبه يسلُبه سَلْبا .

١١ ﴿بالخُلْفِ قَامَ عُمُودُ الدِّينِ طَائفَةٌ تَبْنِى الصُّرُوحَ وأُخْرَى تَحْفِرُ القُلُبَا﴾

الباء فى « بالخلف » للصاحبة . والخلف : الخلاف .

والعمود : الخشبة القائمة فى وسط الخباء وبها يَنهض . جعل قوام كل أمر على هذا ، على التشبيه .

والصُّروح : جمع صرح ، وهو كل بناء عالٍ مرتفع .

والقُلُب : جمع قليب . وهى البئر العاديّة القديمة التى لا يُعلم لها ربٌّ ولا حافر ، تكون بالبرارى . تذكّر وتؤنث . والمراد هنا البئر عامة .

وأقام الصروح والقُلُب مَثلين لبيان شُقة الخلاف ، فكم بين المُصعد والمسفل . ولا أمَلَ فى التقائهما .

اللزومية السابعة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع العين :

١ «الأَمْرُ أَيْسَرُ مِمَّا أَنْتَ مُضْمِرُهُ   فَاطْرَحْ أَذَاكَ وَيَسِّرْ كُلَّ مَا صَعُبَا»

مُضمره : مُخفيه ومُغيِّبه من رغبات وأطماع .

واطرح أذاك : خلِّ بينك وبينه ولا تأته . والأصل فى «الطرح» : الرمى .

و « لا يهمك » : لا يقلقك ولا يحزنك ولا يغمّك .

٢ «وَلَا يَسُرَّكَ إِنْ بُلِّغْتَهُ أَمَلٌ   وَلَا يُهِمَّكَ غِرْبِيبٌ إِذَا نَعَبَا»

الغربيب : الشديد السواد ، يريد غُرابا .

ونعب : صاح وصوت . وقيل : مدّ عنقه وحرّك رأسه فى صياحه . وكانوا يتشاءمون بنعيبه ، لأنه أكثر ما يقع على الدمن والآثار .

٣ «إِنْ جَدَّ عَالَمُكَ الْأَرْضِيُّ فِي نَبَإٍ   يَغْشَاهُمُ فَتَصَوَّرْ جِدَّهُمْ لَعِبَا»

الجدّ : ضد الهزل ، ومُواجهة الأمور بالحزم والكدّ .

والنبأ : الخبر يبدو ويطلع .

ويغشاهم : ينتابهم وينزل بهم . والأصل فى « التغشية » : التغطية . كأن النبأ لخطره ، لفّهم وعمّهم .

٤ «مَا الرَّأْيُ عِنْدَكَ فِي مَلْكٍ تَدِينُ لَهُ(1)   مِصْرُ أَيَخْتَارُ دُونَ الرَّاحَةِ التَّعَبَا»

الملك ، بالفتح : المليك ، بفتح فكسر ، كأنه مخفف منه . وجمعه : مُلوك .

ودان له يدين : أطاعه عن قهر وخضع له .

ومصر : هـذا البلد المعروف ، يذكر ويؤنث ، يُصرف ولا يصرف . وكانت مصر فى تلك الحقبة التاريخية ، نعنى حياة أبى العلاء — فى حكم الفاطميين . عاصر أبو العلاء (٣٦٣هـ — ٤٤٩هـ) من ملوكهم «الحاكم» ، وكان مولده سنة ٣٣٥ هـ ، وولى ملك مصر سنة ٣٨٦ هـ . وقتل سنة ٤١٠ هـ ، بعـد سيرة مضطربة وقسوة على النـاس وبلبلة فى الآراء الدينية . ثم « الظاهر » الذى حكم من سـنة ٤١١ هـ إلى سنة ٤٢٧ هـ . وكان لينا عادلا . ثم « المستنصر بالله » الذى ملك سنة ٤٢٧ هـ وبقى ملكا إلى أن مات سنة ٤٨٧ هـ .

وكأن أبا العلاء قد خص مصر ، لأنهـا كانت قاعدة الملك ، وكانت البلاد العربية حواليها ولايات يولَّى عليها صاحب مصر .

وقد يكون أبو العلاء أراد من بين هؤلاء الملوك « الحاكم » . ينعى عليه تعنيته نفسه والناس بباطل لا جد وراءه ، وانصرافه بذلك عن الراحة والنعيم إلى التعب والعنـاء .

وتكون الهمزة هنـا فى الفعل «أيختار» للإنكار التوبيخى ، وهـذا يقتضى أن ما بعدها واقع وأن فاعله مَلوم .

وقد يكون أبو العلاء أبعد ، وأراد إلى انصراف فرعون بنعيمه عن دعوة موسى بجدّها . وفى ذلك يقول تعالى : (ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لِى ملك مِصر وهذه الأنهار تجرى مِن تحتِى أفلا تُبصِرونَ (١)) .

وقد تكون الهمزة للإنكار الإبطالى ، وهذا يقتضى أن ما بعدها غير واقع وأنّ مدعيه كاذب . وكأن أبا العلاء يَنْعَى ساخرا على مثل فِرعون أن يَبيع لهـواً بجد ، وراحة بتعب .

(١) الآية ٥١ من سورة الزخرف .

وعلى الرواية الثانية : « يدين له مصر » ، فالمِصر هنا الكورة . ويكون المعنى على العموم ، لا يخص به أبو العلاء قُطرا بذاته ولا عَصرا بعينه .

ودون : على معان . وقد مرّت .

٥ (أَنْ تَسْتَقِيمَ أُمُورُ النَّاسِ فِي عُصُرٍ وَلَا ٱسْتَقَامَتْ فَذَا أَمْنًا وذَا رُعُبَا)

العُصر ، بضمتين : الدهر . ومثله : العَصر ، والعِصْر ، والعُصْر .

و « أمنا » و « رعبا » حالان . وتقدير الكلام : فذا أمر من أمور الناس أمنا وذا أمر من أمور الناس رُعبا .

والرعب ، بضمتين وبالضم : الفزع والخوف . رَعَبه يرعَبه رُعْبا ورُعُبا .

٦ (وَلَا يَقُومُ عَلَى حَقٍّ بَنُو زَمَنٍ مِنْ عَهْدِ آدَمَ كَانُوا فِي الْهَوَى شُعَبَا)

على ، للاستعلاء المعنوى . وهى بالاستعلاء تفيد التمكن من الأمر والقوة عليه .

وشُعبا ، أى فِرقا . وطوائف ، الواحدة : شعبة .

اللزومية الثامنة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع الحاء :

١ (قَدْ يَسَّرُوا لِدَفِينٍ حَانَ مَصْرَعُهُ   بَيْتًا مِنَ الْخُشْبِ لَمْ يُرْفَعْ وَلَا رَحُبَا)

يسروا : أعدوا وهيئوا .

والدَّفين : المَدفون . مجاز مُرسل، علاقته ما سيكون و يصير إليه . والجمع : أَدفان ، ودُفناء . والمرأة دَفين، ودَفينة ؛ من نسوة دَفْنى ودفائن .

وحان مَصرعه ، أى مات وهلك . والأصل فى «الصَّرع» الطرح بالأرض . وخصه الأزهرى بالإنسان . ومصارع القوم ، حيث قتلوا .

ومراد أبى العلاء هُلْك الإنسان على أية حال ، فالموت غالبه وصارعه .

والخَشْب : جمع خَشبة ؛ ومثله : خُشُب ، وخُشْبان ، وخَشَب .

والبيت . معروف . و يطلق على القبر، على التشبيه . ومنه قول لبيد :

وصاحبُ ملحوب بُجِعنا بيومه   وعنــد الرِّداع بيتُ آخرَ كَوْثَرِ[(١)]

وفى حديث أبى ذر : كيف نصنع إذا مات النـاس حتى يكون البيت بالوَصيف . قال ابن الأثير : أراد بالبيت هاهنا : القبر . والوصيف : الغلام . أراد أن مواضع القبور تضيق فيبتاعون كل قبر بوَصيف .

(١) ملحوب والرداع : موضعان . وصاحب ملحوب ، هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، مات بملحوب . والذى قبره عند الرداع ، هو شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب . والكوثر : السيد الكثير الخير .

ويريد بالبيت من الخشب : ما يتخذ من توابيت ونواويس تُوضع فيها الموتى .

ولم يرفع : أى لم يرتفع ، أو لم يَبن . ومنه قوله تعالى : (فى بيُوتٍ أَذِنَ الله أن تُرْفَع[1]) أى تبنى فيصعد بها .

ورحُب الشيء يرحُب رُحبا ورحابة : اتسع .

٢ (يَا هَؤُلَاءِ ٱتْرُكُوهُ وَالثَّرى فَلَهُ أُنْسٌ بِهِ وَهُوَ أَوْلَى صَاحِبٍ صَحِبَا)

٣ (وَإِنَّمَا الْجِسْمُ تُرْبٌ خَيْرُ حَالَتِهِ سُقْيَا الْغَمَائِمِ فَٱسْتَسْقُوا لَهُ السُّحُبَا)

الواو فى « والثرى » للمعية والمصاحبة .

والأُنس : ضد الوَحشة . وقد جاء فيه الكسر قليلا . ورواه بعضهم بفتح الهمزة والنون ، وليس بشيء .

والتُّرب ، والتراب ، واحد . وقد مر .

والحالة : واحدة حال الإنسان . وقيل : الحال : كِينة الإنسان ، وهو ما كان عليه من خير وشر ، يذكّر ويؤنث ، فيقال : حال فلان حسنة وحسن . فمن ذكر جمعه أحوالا ، ومن أنث جمعه حالات .

والسُّقيا ، بالضم : الاسم من السقى . والغمائم : السحب ، الواحدة : غمامة ، وتجمع على : غمام ، أيضا . قال الحُطيئة يمدح سعيد بن العاصى :

إذا غِبت عنّا غاب عنّا ربيعُنا ونُسقَى الغَمَام الغرَّ حين تؤوبُ

(١) الآية ٣٦ من سورة النور .

والاستسقاء : استفعال من طلب السقيا، أى إنزال الغيث . وكثيرا ما تستسق العرب للقبور، إذ مع الجَوْد يُنْع ورَوْح، وبهما الأنس؛ ومع إمساك السماء الجدبُ والنفرة ، وبهما الوَحشة .

وكأن أبا العلاء مُشير إلى عودة الأجسام إلى سيرتها بتحللها إلى عناصرَ يُذيبها الماء فذاءً ينمو عليه النبات ، الذى يعيش عليه الإنسان والحيوان ، وهكذا دواليك .

٤ (صَارَ البَهِيجُ مِنَ الأَقْوَامِ خَطَّ سَفًا وَقَدْ يُرَاعُ إِذَا مَا وَجْهُهُ شَحَبَا)

البهجة فى النبات : النّضارة . وفى الإنسان : ضحك أسارير الوجه، أو ظهور الفرح البتة . بَهِج بَهَجًا ، فهو بَهِج ، وبَهُج فهو بَهِيج .

والأقوام : جمع قوم ، ومثله : أقاوم وأقاويم . والقوم : الجماعة من الرجال والنساء .

وقيل : هو للرجال خاصة دون النساء .

وروى عن أبى العبّاس : النفر والقوم والرهط ، هؤلاء معناهم الجمع ، لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء .

وقال الجوهرى : القوم : الرجال دون النساء، لا واحد له من لفظه . وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع . يذكّر ويؤنث ، لأن أسماء الجموع، التى لا واحد لها من لفظها، إذا كانت للآدميين تذكّر وتؤنث .

والسفا : التراب . يشير إلى ما تقرر وثبت من استحالة الجسم المقدود بعد نضرة وغضارة : إلى خط من تراب .

وراعه يروعه : أفزعه . فريع هو يُراع . وفى الحديث : إن النبى صلى الله عليه وسلم ركب فرسا لأبى طلحة ليلا لفزع ناب أهل المدينة فلما رجع قال : لن تُراعوا ، لن تُراعوا ، إنى وجدته بحرًا .

وناشب الفاصل، للبهيج الذى لم يعتبر بمصير مثله .

وشحب وجهه ، يشحَب ويشحُب : تغيّر .

٥ (سِيَّانِ مَنْ لَمْ يَضِقْ ذَرْعًا بُعَيْدَ رَدًى   وَذَارِعٌ فِي مَغَانِي فِتْيَةٍ سُحُبَا)

سيان : سواء . يقال : هما سيان، وهم أسواء . وقد يقال : هم سى .

والذرع : الطاقة . وضاق بالأمر ذرعا ، أى ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا ، ولم يُطقه ولم يقو عليه .

وأصل الذرع ، إنما هو بسط اليد . فكأنه يريد : مدّ إليه يديه فلم ينله . ونصب « ذرعا » لأنه خرج مفسّرا محوّلا ، لأنه كان فى الأصل : ضاق ذرعه به ، فلما حُول الفعل خرج قوله « ذرعا » مفسّرا .

وبُعيد : تصغير « بعد » . وهى ضد « قبل » يُبْنى مفردا ويُعرب مضافا . وقال الليث : «بعد» ، كلمة دالة على الشىء الأخير .

وحكى سيبويه أنهم يقولون : من بعدٍ ، فينكّرونه ، وافعل هذا بعدا .

والرّدى : الهلاك . ردِى هو ، وأرديته أنا . فهو ردٍ ، وهى رديَة .

والذراع : الزق : الكثير الأخذ من الماء ونحوه . قال ثعلبة بن صُعير المازنى :

باكرتُهم بسباءِ جَونٍ ذَراعٍ   قبل الصباحِ وقبل لغو الطائرِ

وقيل : هو الزق الصغيرُ يسلخ من قِبل الذراع ، والجمع : ذوارع ، وهي للشراب .

والمغانى : المنازل التى كان بها أهلها ثم ظعنوا . الواحد : مَغنى .

٦ (فَافْرَقْ مِنَ الضِّحْكِ وَٱحْذَرْ أَنْ تُحَالِفَهُ أَمَا تَرَى الغَيْمَ لَمَّا ٱسْتَضْحَكَ ٱنْتَحَبَا)

فَـرِق يفرَق فَـرَقًا : جَزِع وخاف . ومن جزع من الشيء وخافه لم يَقْـرِبه وبعُد عنه .

والضِّـحْك ، بالكسر والفتح ، والضَّـحِك بفتـح وكسر ، و بكسرتين ، أربع لغات : كلها بمعنى .

والمحالفة : المؤاخاة . وفى حديث أنس : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا مرّتين . أى آخى بينهم . ومن تآخيا فقد تلازما فلا فكاك بينهما .

وٱستضحك وتضحّك وتَضاحك ، بمعنى . وضَحِك السحاب والغَـيم : إرساله بالـبرق .

وٱنتحابه : تدفّق مائه .

اللزومية التاسعة والثمانون

وقال فى الباء المفتوحة مع التاء :

١ «مِنْ قِلّةِ اللُّبِّ عِنْدَ النُّصْحِ أَنْ تَابَا وَأَنْ تَرُومَ مِنَ الأَيَّامِ إِعْتَابَا»

لُب الرجل : ما جُعل فى قلبه من العقل . والجمع : ألباب، وألبُب، وألُبّ : وقد لُبُبْتُ ألَب ، وَلبِبت تلب ، صرتَ ذا لُب .

وتابى ، أصله : تأبى ، بالهمز فسهل . أى أن تمتنع ولا تقبل .

وتروم : تطلب . رام الشيء يرومه رَوْما ، ومَراما .

والإعتاب : إعطاء العُتبى ، وهى الرضا . تقـول : أعتبنى فلان ، أى ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع إلى ما أرضانى بعد إسخاطه إياى عليه .

٢ «خَلِّ الزَّمَانَ وأَهْلِيهِ لِشَأْنِهِمُ وعِشْ بِدَهْرِكَ والأَقْوامِ مُرْتَابَا»

خل : أمر من « خلى » الشيء ، إذا تركه . ومثله : خالى .

والزمان : العَصر من العصور . قال شَمِر : ويكون شهرين إلى ستة أشهر . وقال أبو منصور : الزمان يقع على الفصـل من فصول السـنة . وعلى مُدة ولاية الرجل وما أشبهه .

وأهليـه : أى ومن يُظلك وإياهم عصرٌ وزمان . وكما يجمع « الأهل » جمع مذكر ، فقد جمع أيضا على : آهال ، وأهالَ ، وأَهْلات ، وأَهَلات .

والشأن : الخطب والأمر والحال . وجمعه : شئون ، وشِئان .

وارتاب بفلان ، وفلانا : اتهمه .

٣ (سَارَ الشَّبَابُ فَلَمْ نَعْرِفْ لَهُ خَبَرًا ولَا رَأَيْنَا خَيَالًا مِنهُ مُنْتَابَا)

الخيال : ما يتشبه فى اليقظة والحلم من صُورة .

ومُنتاب : يَقصد ويجيء مرة بعد مرة .

٤ (وحُقَّ لِلْعِيسِ لَوْ نَالَتْ بِنَا بَلَدًا فِيهِ الصِّبَا كَوْنُ عُودِ الهِنْدِ أَقْتَابَا)

حُقَّ لك وحَقّ : وَجب ولزِم .

والعيس : الإبل تَضرب إلى الصُّفرة . وقيل : هى البيض مع شُقرة . جمع أعيس ، وعيساء : وهى كرائم الإبل .

ونالت بنا بلدا : أدركته وبلّغتنا إياه .

والباء فى « بنا » إمّا للسببية ، أى بتحريكنا لها وإزعاجها للسير والنقلة ؛ وإما للتعدية ، والتقدير : أنالتنا .

وهذه الباء تسمى باء النقل أيضا : وهى تعاقب الهمزة فى تصيير الفاعل مفعولا : وأكثر ما تُعدّى الفعل القاصر ، كما فى : ذهبت بزيد ، بمعنى : أذهبته .

والصّبا : الصِّغر ، المصدر من : صَبا صَبْوا .

والعُود : الذى يُتطيَّب به . والإضافة مخصِّصة . وفى الحديث : عليكم بالعُود الهندىّ . وهو مقوّم مقدور ، إذ غيره نوعٌ من الحطب مُبتذل .

والأقتاب : جمع قَتَب ، وهو إكاف البعير . وقيل : رَحْل صغير على قدر السنام .

٥ ﴿ أَلْقَى الكَبِيرُ قَمِيصَ الشَّرْخِ رَهْنَ بِلًى   ثُمَّ ٱسْتَجَدَّ قَمِيصَ الشَّيْبِ مُجْتَابَا ﴾

الكبير، فى السنّ .

والشرخ ، الشباب ، وقيل : أوّله وقُوته . مصدر يقع على الواحد والاثنين والجميع .

وقيل : جمع شارخ، مثل : شَرب وشارب . وقيل : الشَّرخ : الشباب . والشارخ : الشابّ .

وقميص الشرخ، ما يكسو به الجسم من عُنفوان ونَضارة .

والرّهن، فى كلام العرب : حَبس الشىء مع دوام وثُبوت . ورَهْن بِلًى ، أى قد أسلمه للبلى فلا مَرجع له .

وٱستجدّ : ٱتخذ ثوبًا جديدا . والمراد بالجدّة هنا : المغايرة .

ومجتابا : ملبوسا ، أو لابسا ، تستوى فيه المفعولية والفاعلية . حال من « قميص الشيب » فى الأولى، ومن فاعل « استجدّ » فى الثانية .

٦ ﴿ مَا زَالَ يَمْطُلُ دُنْيَاهُ بِتَوْبَتِهِ   حَتَّى أَتَتْهُ مَنَايَاهَا وَمَا تَابَا ﴾

المَطل : التسويف والمدافعة بالعِدة والدَّين . مَطله حقّه وبه، يَمطله مطلا .

والدنيا : نقيض الآخرة . ٱنقلبت الواو فيها ياء لأن « فعلى » إذا كانت اسما من ذوات الواو أبدلت واوها ياء، كما أبدلت الواو فى « فَعلى » ليتكافآ فى التغيير . وسُميت « الدنيا » لدنوها، لأنها دَنت، وتأخرت الآخرة .

والتَّوبة : الرجوع عن الذنب والمَعصية إلى الطاعة . تاب إلى الله تَوبا وتَوبة ومَتابا . وقد تُبدل واو « توبة » ألفا لضرب من الخفّة . قال الشاعر :

تُبتُ إليك فتقبّـل تابتى وصُمتُ ربّى فتقبّل صامتى

والمنايا : الأحداث الواحدة : منية . وقال ابنَ برى : المنية : قدر الموت . ومنه قول أبى ذُؤيب :

مَنـايا يُقرّبن الحُتوف لأهلهـا جهارًا ويَستمتعن بالأَنَس الجَبِل(١)

وقيل : المنية : الموت .

٧ (خَطٌّ ٱستِواءٍ بَدَا عن نُقطَةٍ عَجَبٍ أَفنَتْ خُطُوطًا وأَقلامًا وكُتّابَا)

الخط : الطريقة المستطيلة فى الشىء .

والاستواء ، هنا : من استوى الرجل ، إذا انتهى شبابُه وقُوته . يريد : فشو الشيب فى رأسه ، وبُلوغه السن .

وبدا : ظهر وبان . وجائز أن يكون مُسهّلا عن « بدأ » بمعنى ابتدأ .

وعجب : تثير الإعجاب والإنكار ، لدقتها وخفائها .

وكأن أبا العـلاء مُلتفِت إلى حدوث الحياة عن شِبه نقطة ، وكيف قد انتهت إلى استواء وكمال وذرارىّ كثيرة لم تستوعبهم الخطوط ، وحَفِيت دون إحصائهم الأقلام وكلّ الكتّاب .

ولا يخفى ما فى البيت من مُراعاة النظير .

(١) الأنس : أهل المحل . والجبل : الكثير .

اللزومية المتمة للتسعين

وقال أيضا فى الباء المفتوحة مع الذال :

١ (لَوْ كُنْتَ رَائِدَ قَوْمٍ ظَاعِنِينَ إِلَى   دُنْيَاكَ هَذِى لَمَا أُلْفِيتَ كَذَّابَا)

٢ (لَقُلْتَ تِلْكَ بِلَادٌ نَبْتُهَا سَقَمٌ   وَمَاؤُهَا الْعَذْبُ سَمٌّ لِلْفَتَى ذَابَا)

لو، شرطية للمضى . وبهذا تخالف « إن » ، إذ هى للستقبل . ويقولون : الشرط بـ « إن » سابق على الشرط بـ « لو » . لأنك تقول : إن جئتنى غدا أكرمتك . فإذا انقضى الغد ولم تجىء، قلت : لو جئتنى أمس أكرمتك .

ثم هى تفيد امتناع الشرط خاصة، ولا دلالة لها على امتناع الجواب، ولا على ثبوته . ولكنه ، إن كان مساويا للشرط فى العموم ، مثل : لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا ، لزم انتفاؤه ، لأنه يلزم من انتفاء السبب المُساوى انتفاء مسبّبه ؛ وإن كان أعمّ، كما فى قولك : لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجودا . فلا يلزم انتفاؤه، إنما يلزم انتفاء القدر المساوى منه للشرط .

والرائد : الذى يتقدّم القوم يُبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث . والجمع : رادة .

ومن أمثالهم : الرائد لا يكذب أهله . يُضرب مثلا للذى لا يكذب إذا حدّث . وإنما قيل له ذلك، لأنه إن لم يصدقهم فقد غرّر بهم .

والظاعن : المتحول من بلد إلى بلد، وهو ضد الخافض . وهذى، وهذه، وذى ، وذه ، كلها للمؤنث .

وألفى الشىء : وجده وصادفه ولقيه .

والسّقم : المرض . ومثلها : السُّقم والسّقام، والكلام على المجاز المرسل والعلاقة المُسببية .

٣ ﴿ هِيَ العَذَابُ فَجِدُّوا في تَرَحُّلِكُمْ إلى سِوَاهَا وَخَلُّوا الدَّارَ إعْذَابَا ﴾

٤ ﴿ وَمَا تَهَذَّبَ يَوْمٌ مِن مَكَارِهِهَا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ فَحُثُّوا السَّيْرَ إهْذَابَا ﴾

أعذب عن الشيء إعذابا : امتنع وكفّ وأضرب . وأعذب غيره : كفّه ومنعه . لازم ومتعد .

وكأنّ أبا العلاء يريد حين يأمر الناس بالجدّ فى الترحل حَمْلهم على ما أخذ نفسه به ، فلا يصلون حبالهم بحبال النساء ، فيقفر العالم من النسل وتخلو الحياة كما يظن .

وهو رأى دعا إليه « مانى » من قبل أبى العلاء .

وتهذّب : تنقّى وخلص وصفا .

والحث : الإعجال فى اتصال . وقيل : الاستعجال ما كان .

وأهذب الإنسان فى مشيه ، والفرس فى عدوه ، والطائر فى طيرانه : أسرع .

والإعذاب والإهذاب : مصدران نابا مناب المفعول المطلق فنُصبا عليه .

وقد جانس أبو العلاء فى البيتين نوعَ جناس .

٥ ﴿ خَبَرْتُكُمْ بِيَقِينٍ غَيْرِ مُؤْتَشِبٍ وَلَمْ أَكُنْ فِي حِبَالِ المَيْنِ جَذَّابَا ﴾

خبر الأمر يخبره : عرفه على حقيقته ، خُبرا ، وخبرة ، بالضم والكسر فيهما .

واليقين : العلم ، وإزاحة الشك ، وتحقيق الأمر . وقيل : اليقين : نقيض الشك . والعلم : نقيض الجهل .

وغير مؤتشب : خالص لا يشوبه ما ينقصه .

والمين : الكذب .

والجذب : المد . والجذب فى حبال المَين : كناية عن الاسترسال فى الكذب ، وعدم الوقوف منه عند غايته .

اللزومية الواحدة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع الكاف وواو الردف :

١ (أَثْرَى أَخُوكَ فَلَمْ يَسْكُبْ نَوافِلَهُ وَحَلَّ رُزْءٌ فَظَلَّ الدَّمْعُ مَسْكُوبَا)

٢ (أَمَا تُبَالِى إِذَا عَلَّتْكَ غَانِيَةٌ مِنْ كُوبِهَا الرَّاحَ أَنْ أَصْبَحْتَ مَنْكُوبَا)

أثرى : كثُر ماله ، فهو مُثرٍ ، وهو فوق الاستغناء . وفى حديث إسماعيل لأخيه إسحاق عليهما السلام : إنك أثريتَ وأمشيت . أى كثُر ثراؤك ، وكثُرت ما شيتك .

والنوافل : جمع نوفل : وهى العطية العظيمة ، تُشبه بالبحر ، إذ الأصل فى معنى ، « النوفل » البحر . وبه سمى أيضا الرجل الكثير النوافل والعطايا : نوفل . وينقاس أيضا «نوافل» : جمعا لنافلة ، وهى العطية عن يدٍ يُعطيها صاحبها من حيث لا تجب .

ولكن أبا العلاء قصد إلى التورية بلفظ « النوافل » وقرنه بما يلائم المعنى البعيد ، فذكر الفعل «يسكب» . فلهذا كان سوق الجمع إلى أوّل المفردين أولى .

والسَّكب : الصب . وهو مع العطايا : الإعطاء الواسع المتُدفق .

والرزء : المُصيبة . والأصل فى معناه الانتقاص فى الأهل والمال .

وبالاه ، وبالى به : اهتم به واكترث له . وفى الحديث : وتبقى حُثالة لايباليهم الله بالة . وفى رواية : لا يبالى بهم بالة . أى لا يرفع لهم قدرا ولا يُقيم لهم وزنا .

والعَلل : السَّقية الثانية : علّه يعُله . والأولى : نَهَل . والمراد هنا : السقى بعد السقى فى اتصال .

والغانية، الحسناء ذات زَوج كانت أو غير ذات زوج . سُميت : غانية، لأنها غَنِيت بحسنها عن الزينة .

والكُوب : الكوز المستدير الرأس الذى لا أذن له . والجمع : أكواب .

والراح : الخمر، آسم لهـا .

جعل قِيام الغوانى بشرابه، مِن إثرائه ونعمته و إترابه

والمنكوب : الذى أصابه الدّهر فبلغ منه .

يذكر حالى الدهر : سلْبًا بعد إعطاءه .

وقد جانس أبو العلاء فى البيتين بين « يسكب » و « مسكوب » و « كوب » و « منكوب » .

٣ ﴿أيْنَ الّذِينَ تَوَلّوْا قَبْلَنَا فَرَطًا أَمَا تُسَائِل عَمّنْ بَانَ أَرْكُوبَا﴾

تولى : أدبر وذهب .

والفَرَط : المتقدم . والأصل فيه المُتقدم إلى المـاء، يتقدم الواردة فيهيئ لهم الأرسان والدّلاء ويملأ الحِياض ويَستقى لهم . رجُل فَرَط، وقوم فرَط .

جعل أبو العلاء السابقين إلى الفناء كالمتقدمين إلى المـاء ، فكما يترك هؤلاء ماء يُروِى ، فقد ترك أولئك عِظة تُروى .

وبان : فارق وآنفصل . والبين من الأضداد . كما يكون فرقة يكون وصلا . فمن الثانى قول الشاعر :

لقـد فَرّق الواشين بينى و بينُهـا فقرّت بذاك الأصلِ عينى وعينُها

وقول قَيس بن ذريح :

لعمرك لولّا البينُ لا يُقْطَع الهَوى ولولا الهَوى ما حَنّ للبين آلِفُ

والأُركوب : أكثر من الرَّكْب — الركب : جمع راكب . وقيل : من أسماء الجمع — والرَّكَبة : أقل منه . فذاك لما يكثُر وتلك لما يقلّ . يريد من مَضوا محمولين . جَعلهم كراكبي الإبل . وكأن أبا العلاء راعَى النّظير بذكره « قَرَطا » مع « أركوبا » .

اللزومية الثانية والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع القاف وواو الرِّدف :

١ ﴿لو كُنتَ يعقوبَ طيرٍ كُنتَ أرشدَ فى ... مَسْعَاكَ مِنْ أمّ تُنْمَى لِيَعْقُوبَا﴾

٢ ﴿ولَنْ يَقُومَ مَسِيحٌ يُجْمَعُونَ لَهُ ... وخِلْتُ واعِدَهم بالخُلْفِ عُرْقُوبَا﴾(١)

اليعقوب : الذكر من الحجل والقطا . يصرف ، لأنه عربى لم يغير ، وإن كان مزيدا فى أوله ، فليس على وزن الفعل . والجمع : اليعاقيب .

وتُنمى : تُعزى وتُنسب . نماه وأنماه ، بمعنى . فانتمى هو .

ويعقوب الثانى : هو إسرائيل أبو يوسف ، عليهما السلام . لا ينصرف للعُجمة والتعريف .

وقد نزل يعقوب إسرائيل مصر بأولاده فى عهد ابنه يوسف عليه السلام . ومن نسل يعقوب كان موسى عليه السلام . وأبوه عمران « عمرام » بن قاهت ابن لاوى بن يعقوب ، تزوج عمته « يوكايد بنت لاوى » فولدت له : هارون ، وموسى . فكان موسى عليه السلام نبىَّ بنى إسرائيل . وبهم خرج من مصر .

٣ ﴿ضَلُّوا بِعِجْلٍ مَصُوغٍ مِنْ شُنُوفِهِمُ ... فاستنكَرُوا مِسْمَعًا للشَّنْفِ مَثْقُوبَا﴾

ضلوا : يعنى بنى إسرائيل قوم موسى . والعِجل : معروف ، وهو ولد البقرة .

ويشير أبو العلاء إلى ما كان من ذهاب موسى لميقات ربّه ، وغيبته عن قومه بنى إسرائيل ، واتخاذهم من حليهم عجلا ، صنعه لهم رجل منهم اسمه السامرى ، وجعله بحيث إذا مرت الريح من فمه كان له صوت أشبه بالخُوار . وقال لهم : هذا إلهكم وإله موسى .

(١) جاء هذا البيت فى ه ثالثا .

والشنوف : جمع شَنف ، بالفتح ، وهو الذى يُلبس فى أعلى الأذن . والذى فى أسفلها : القُرط . وقيل : الشّنف والقرط ، سواء .

وذكر المضاف إليه ، ولم يقل « شنوفهن » ، لأن هــذه و إن كان للزوجات آتخاذها ، فللأزواج الرأى فى التصرف فيها ، ثم هم فى الحق مُلّاكها .

وآستنكر، ونكِر، وأنكر، بمعنى .

والمِسمع : آلة السمع .

يريد أنهــم نزلوا عن كل الشُّنوف لم يبقوا منهــا شيئا ، وأنكروا أن يروا منها شيئا بالآذان ، وأن تثقب أذن لذاك .

ولن يقوم ، أى لن يظهر ولن يتحقق .

والمســيح : هو الذى ينتظره اليهود ليعيد إليهــم الملك والسلطان فى الأرض ويجمع كلمتهم . وقد مر حديث ذلك .

وخال الشيء يخاله خيلا : ظَنّه . وهو من باب « ظن » وأخواتها التى تدخل على الابتــداء والخبر ، فإن ابتدأت بهــا أعملت ، وإن وسطتها أو أخرت فأنت بالخيار بين الإعمال والإلغاء .

و « م » يريد « من » حذفت نونها لالتقاء الساكنين .

قال أبو إسحــاق : ويجوز حذف النون من « من » و « عن » عنــد الألف واللام لآلتقاء الساكنين ، وحذفها من « من » أكثر من حذفها من « عن » لأن دخول « من » فى الكلام أكثر من دخول « عن » قال الشاعر .

أبلــغ أبا دَخْتنــوسَ[١] مألُكةً غير الذى قد يُقال مِ الكذِبِ

ولبعض الشعراء :

ألا أبلــغ بنى عوف رســولًا فمامِ الآنَ فى الطَّير اعتذار

و « من » فى قول أبى العلاء للتعليل . ومنه قوله تعالى : (ومِمّا خَطيئاتهم أُغرِقوا)[٢] .

وعُرقوب ، قيل : رجل من العمالقة ، واسمه عُرقوب بن معبد . كان أكذب أهــل زمانه . ضَربت به العرب المثــل فى الخُلف ، فقالوا : مواعيد عُرقوب . وذلك أنه أتاه أخ له يسأله شــيئا ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت هــذه النخلة فلك طلعها . فلما أطلعت أتاه للعدة ، فقــال له : دعها حتى تصــير بلحا . فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير بسرا . فلما أبسرت قال : دعها حتى تصير رطبا . فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا . فلما أثمرت عمــد إليها عرقوب بجدها ولم يعط أخاه منه شيئا . فصارت مثلا فى إخلاف الوعد . وفيه يقول الأشجعى :

وعدت وكان الخُلف منك سجية مواعيدُ عرقوب أخاه بيــتربِ[٣]

٤(وإنَّ دُنْيَاكَ هَذِى مِثْلُ قَائِبَةٍ وَسَوْفَ يَقْطَعُ مِنْهَا رَبُّهَا القُوبَا)

هذى وهذه ، بمعنى . وقد مرت .

والقائبــة : البَيضة . قال الأزهرى : قيل لهــا : قائبة ، وهى مَقُــوبة ، أراد أنهــا ذات فَرخ ، تقول : قُبْت البَيضة أقوبها قَوبا ، فانقابت هى انقيابا ، أى فلقتُها فانفلقت .

---

(١) أبو دختنوس : لقيط بن زرارة ، ودختنوس : ابنته .

(٢) الآية ٢٢ من سورة نوح .

(٣) يترب : بالتاء المثناة : موضع باليمامة . ويروى يثرب ، بالمثلثة . والأول أصح .

والقُوب : الفرخ . وفى المثـل : تخلّصت قائبة من قُوب . يُضرب للرجل إذا آنفصل من صاحبه . وقال الشاعر :

لهنّ وللشيب ومَن علاه   من الأمثال قائبـةٌ وقُوبُ

شبه هَرب النساء من الشيوخ بهرب القُوب من القائبة .

يريد : لا ترجع الحسناء إلى الشيخ كما لا يرجع الفرخ إلى بيضته .

وفى حديث عمـر رضى الله عنـه أنه نهى عن التمتع بالعُمرة إلى الحج وقال : إنكم إن اعتمرتم فى أشهر الحج رأيتموها مُجزئة من حجكم ففرغ حجكم وكانت قائبـة من قُوب . ضرب هذا مثلا لخلاء مكة من المعتمرين سائر السنة . فكما أن الفرخ إذا فارق بيضته لم يعـد إليها ، فكذلك إذا آعتمروا فى أشهر الحـج لم يعودوا إلى مكة .

٥(يُغنِيكَ مَنْسُوجُ بارِيٍّ تُصانُ بِهِ   عَنْ بَسْطِ مُحْكَمَةٍ مِنْ نَسْجِ فُرْقُوبَا)

٦(فَاحْذَرْ لُصُوصَ الأَمَانِي فَهْيَ سَارِقَةٌ   رَدَّتْ عَنِ الدِّينِ قَلْبَ المَرْءِ مَنْقُوبَا)

يُغنيك : يكفيك ويُجزئك .

والبارى : الحصير المنسوج . ومثله : البارياء ، معرّب . ضربها مثلا لكُل خشن غير وثير .

والبَسـط : النشر والفَرش .

والمُحكمة : المُتقنة الدقيقة الصُنع .

والفرقوب[١]، بالفاء والقاف . والنسبة إليه : فوقبي ، بالفاء والقاف . قيل : هو موضع بمصر، عُرف بثيابه الكتّانية ، وفي حديث إسلام عمر رضي الله عنه : فأقبل شيخ عليه حبرة وثوب فُرقبي . قال الزمخشري : الفرقبية : ثياب مصرية بيض من كتّان .

جعل الأماني فيما تخدع به وتزين وتغـرّر كاللصوص — على سبيل الاستعارة التخييلية — ينقبون عليـك دارك فيسلبونك ما فيها ، وهـذه تنقب على النـاس قلوبهم فتتركها خاوية من رشادٍ مُرشد، وهدى هادٍ، يقطع ما بينها و بين الدين .

(١) معجم البلدان : « فرقب » .

اللزومية الثالثة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع الحاء وواو الردف :

١ «سُرْحُوبُ عَمَّنْ سَرَى لِلّهِ مُبْتَعِثًا   وَجْنَاءَ فِي الكُورِ أَوْ فِي السَّرْجِ سُرْحُوبَا»

سرحوب، الأولى : مركّبة من كلمتين : «سر» و «حوب» . و«سر» : أمر، من سار يسور : وثب وارتفع . وهو إذا وثب وارتفع فقد أبعد عن مكانه وانفصل عنه . و «حوب» أى : ياحوب ، منادى منكر مقصود ، بنى على ما يرفع به . والحوب : الإثم . وقيل : العظيم منه . حُبت بكذا، أى أثمت، تحوب حُوبا . وتحوّب : ترك الحوب والإثم، من السلب . يريد صدّ عن الإثم والعيب وابتعد . أمر يراد به التمنى أو الدّعاء .

والسُّرى : سير الليل عامة . سرَى يسرى، وأسرى، والثانية لغة أهل الحجاز . والليلُ للسير أطيب وأروح، وهو للعبادة أهدأ وأبعد عن أن يقطعها على العباد بشغل وصخب .

ولله ، أى فى مسعاته وابتغاء مرضاته .

وابتعث الشيء، وبعثه، وبعث به : أرسله . وفى النوادر : يقال : ابتعثنا الشام عيرا ، إذا أرسلوا إليها رُكّابا للميرة . وهو يريد هنا : الحثّ والحفز .

والوجناء : ذات الوجنة الضخمة من النُّوق . وقلّما يقال : جمل أوجن . شُبهت بالوجين العارض من الأرض، وهى الأرض الصلبة أو الحجارة . وقيل : ناقة وجناء : تامة الخلق عظيمة لحم الوَجنة، صُلبة شديدة .

والكُور : رَحل الناقة . وقيل : هو الرحل بأداته . وهو كالسّرج وآلته للفرس . والجمع : أكوار، وأكور . والكثير : كُوران، وكُؤور .

قال ابن سيده : وهـذا الأخير نادر فى المعتل من هـذا البناء ، وإنمـا بابه الصحيح .

و«فى» إما للظرفية المكانية ، أى والكور مُغَشّيها وهى داخلة فيه . أو للصاحبة ، أى مصاحبة للكور مصاحبةَ استعلاء لهـا .

والسرح : المـال السارح الراعى من المـاشية والأنعام . ولا يُسمى من المـال سرحا إلا ما يُغدى به ويُراح .

و « فى السرح » أى بينه ، فهى للظرفية ؛ أو معه ، فهى للصاحبة .

والسرحوب ، الثانية : السريع الطويل الحسن الجسم .

قال الأزهرىّ : وأكثر ماينعت به الخيل . وخص بعضهم به الأنثى .

قال الجوهرىّ : توصف به الإناث دون الذكور .

وقيل : سرحوب ، للذكر ، وسرحوبة ، للأنثى .

جعل هذين مطية العابد ، على التشبيه بإيغاله فيما يأخذ فيه ، وعَدم كلاله وتوانيه .

٢ (فِى لَاحِبٍ لَا يَعُودُ السَّالِكُونَ بِهِ مِثْلَ ٱبْنِ الأَبْرَصِ لَمَّا عَادَ مَلْحُوبَا)

اللاحب : الطريق الواضح البيِّن . وقيل : هو الواسع المُنقاد الذى لا ينقطع . فاعل بمعنى مفعول . تقول منـه : لَحَب الطريقَ يلحبه ؛ إذا وطِئه ومرّ فيـه . ويريد به النهج القويم للغرض المحمود ، والفلاح المنشود .

وسلك الطريق ، وسلكه غَيره ، وأسلكه إياه وفيه وعليه ، كلها بمعنى .

و « به » أى فيه، أو عليه . و « مثل » أى مثل عود، فأناب « مثل » مناب المفعول المطلق مضافة إلى المصدر المحذوف .

وابن الأبرص : هو عبيد بن الأبرص، شاعر جاهلىّ معمَّر . وفى أيامه تملك حجر بن الحارث، أبو امرئ القيس، على بنى أسد، قوم عَبيد، وكان من ندمائه . قتله المنذر بن ماء السماء ، كما قال أبو الفرج .

وقال الميدانى والشريشى : إن قاتله النعمان .

وسبب ذلك أنه كان للمنذر نديمـان من بنى أسد : خالد بن المضلل، وعمرو ابن مسعود، فأغضباه يومًا فى بعض المَنطق . فأمر بقتلهما، ثم حزن عليهما، وأمر بأن يبنى عليهما غَرِيّان ، وجعل لنفسه يومين فى السنة يجلس فيهما عند الغريين : يوم بؤس و يوم نعـيم . فأول من يطلع عليه فى يوم نعيمه يُجيزه بمـائة من الإبل سـود ، ومن يطلع عليه فى يوم بؤسـه يذبحه و يغرّى بدمه الغريين . فغبر بذلك دهرا . ثم إن عبيد بن الأبرص أشرف عليه فى يوم بؤسـه ، فقال له : هلا كان الذبح لغيرك ياعَبيد ! فقال : أتتك بحائنٍ رِجلاه . فقال له المنذر: أو أجلٌ بلغ أناه ! ثم قال له : أنشـدنى . فقال : حال الجريض دون القريض . فقال له المنذر : قد أمللتنى فأرحنى قبـل أن آمر بك . فقال عَبيد : من عزَّ بزَّ . فقال المنـذر : أنشدنى قولك :

أقفر من أهله مَلحوب   فالقُطَبيّـات فالذَّنوبُ (١)

(١) ملحوب : ماء لبنى أسد . والقطبيات : جبل . والذنوب : موضع فى ديارهم . والقصيدة فى الزهد . ومنها :

فذاك عصر وقد أرانى   تحملنى نهـدة سرحوب

فقــال :

أقفــر من أهله عَبيــد فليس يُبــدى ولا يُعيد

فقال له المنذر : ويحك ! أنشدنى قبل أن أذبحك . فقال عَبيد :

والله إن مِتّ لما ضرّنى وإن اعِش ما عشتُ فى واحدَه

فقال له المنذر : إنه لابدّ من الموت ، فآختر إن شئت الأكحل ، وإن شئت الأبجل ، وإن شئت الوريد . فقال عَبيد : ثلاث خِصال كسحابات عَاد ، واردها شر وارد ، وحاديها شر حاد ، ومعادها شر معاد . ثم أمر به المنذر ففصد .

وبيوم « عبيد » يضرب العرب المثل فى الشؤم .

والّحب : الضرب بالسيف ، أو الجرح ، لحبه فهو ملحوب . يُشير إلى فَصد المنذر لعَبيد وذَبحه .

٣ ﴿أَمّا الأَنامُ فَقَدْ صاحَبْتُهُمْ زَمَنًا فَما رَضِيتُ مِنَ الخِلّانِ مَصْحُوبَا﴾

الخِلان : الذين ليس فى محبتهم خَلل ؛ واحده : خليل . ويجمع على أخِلاء ، أيضـا .

ومصحوبا : صاحبًا ومُعاشِرا . صَحِبه يصحبه ، فهــو مَصحوب ، وكلاهما صاحب . والقيد لزيادة وصف . فليس مع كل تخالل صحبة .

٤ ﴿لاتَغْشَهُمْ كَوُلُوجِ الهَمِّ يَطْرُقُهُمْ بِالكُرْهِ بَلْ مِثْلَ وَسْقِ الخَيْرِ مَسْحُوبَا﴾[1]

« لا تغشهم » أى لا تأتهم ولا تُلمِم بهم . يريد الأنام .

والولوج : الدخول . وَلج البيت يلجه .

(١) ب : مصحوبا .

قال سيبويه : إنما جاء مصدره « ولوجا » وهو من مصادر غير المتعدى على معنى : وَلجت فيه .

ويقال : رجل وُلجَةٌ خُرَجة ، أى كثير الدخول والخروج .

والطّروق : الإتيان ليلا ، طَرق يَطرق . وهو بالهمّ أنسب .

والكره ، بالضم والفتح ، لغتان .

وقال الفرّاء : الكره ، بالضم : ما أكرهت نفسك عليه ، والكره ، بالفتح : ما أكرهك غيرك عليه ، تقول : جئتك كَرها ، وأدخلتنى كَرها .

قال ابن برى : ويدل على صحة قول الفرّاء قوله سبحانه وتعالى : (وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكَرها[1]) ولم يقرأ أحدٌ بفتح الكاف ، فيصير الكَره ، بالفتح : فعل المضطر ، والكره ، بالضم : فِعل المُختار .

وقال ابن سيده : الكره ، بالفتح : الإباء والمشقة تُكلّفها فتحتملها ، والكره ، بالضم : المشقة تحتملها من غير أن تُكلفها .

قال الأزهرى : ذكر الله عز وجل الكُره والكَره فى غير موضع من كتابه العزيز ، واختلف القُرّاء فى فتح الكاف وضمها ، فرُوى عن أحمد بن يحيى انه قال : قرأ نافع وأهل المدينة فى سورة البقرة (وهو كُره لكم[2]) بالضم فى هذا الحرف خاصة ، وسائر القرآن بالفتح .

وقال الليث فى الكُره والكَره : إذا ضموا أو خفضوا قالوا : كره . وإذا فتحوا قالوا كَرها .

---

(١) الآية ٨٣ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٢١٦

والوَسق : الحِمل . وكل شيء وسقته ، فقد حملته .

وقال الخليل : الوسق : حِمل البعير . والوِقر : حِمل البغل أو الحمار .

وقيل : الوَسق : العِدل . وقيل : العِدلان . والجمع : أوساق ، ووُسوق .

أراده للخير الجم .

ومَسحوبا : تسحبه ؛ إذ زمام الدواب المُحمّلة فى يدك . والأبيات الأربعة تنتظم جناسا تاما وغير تام .

اللزومية الرابعة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع الحاء وياء الردف :

١ ﴿إنْ كُنْتَ صَاحبَ إخوانٍ[(١)] ومَائِدَةٍ فَاحْبُ الطُّفَيْلِىَّ تأهيلًا وتَرْحِيبَا﴾

الإخوان : لغة فى الخوان : وهو المـائدة ، معرب ، قال الشاعر :

ومَنْحَـرِ مِئْنَاثٍ تُجَـرُّ حُوارها ومَوضِع إخوانٍ إلى جَنب إخوانِ

وجمع الإخوان ، أخاوين ، وفى حديث أبى سعيد : فإذا أنا بأخاوين عليهـا لحوم منتنة ، وجمع الخِوان ، أخونة ، وخُون .

والمـائدة : الطعام نفسه ، وإن لم يكن هنـاك خِوان ، وهو بقول أبى العلاء أوفق ، وقيل : هى نفس الخِوان .

وقال الفارسى : لا تسمى مائدة حتى يكون عليها طعام ، وإلا فهى خوان .

قال أبو عُبيدة : المـائدة مفعولة ، ولفظها فاعلة ، لأنهـا مِيد بها صاحبُها ، أى أعطيها وتُفضـل عليه بهـا ، والعرب تقـول : ما دنى فلان يَميـدنى : إذا أحسن إلىّ .

وقال أبو إسحاق : عندى فى مائدة ، أنهـا فاعلة ، من مادَ يميد ، إذا تحرك ، فكأنمـا تميد بما عليها ، أى تتحرك .

وحباه يحبوه حَبوا : أعطاه بلا مَنٍّ ولا جزاء .

والطفيلىّ : الذى يدخل الوليمـة والمآدب ولم يُدع إليهـا ، نِسبة إلى طُفيل العرائس — وهو طفيل بن زلّال — رجل من أهل الكوفة من بنى عبـد الله بن

(١) ب : « خوان » .

غطفان، كان يأتى الولائم دون أن يدعى إليها . وكان يقول : وددت أنّ الكوفة كلها بِركة مُصَهرَجة فلا يخفى علىّ منها شىء ، ثم سُمِّى كل راشن — الراشن : الواغِل — طُفيليا ، وصرفوا منه فِعلا فقالوا : طَفَّل . وقال الليث : التَّطفِيل من كلام أهل العراق . ويقال : هو يتطفّل فى الأعراس .

وقال الأصمعىّ : الطُّفيلى مأخوذ من الطَّفَل ، وهو إقبال الليل على النهار بظُلمته .

أراد أنه يُظلِم على القوم أمرُه فلا يَدرون مَن دَعاه ولا كيف دخل عليهم .

وأهّل به تأهيلا : قال له : أهلًا . أى أتيت أهلا فلا تستوحش .

ورحّب به ترحيبا : قال له : مرحبا . أى أنزل فى الرحب والسعة ، وأقم فلك عندنا ذلك .

٢ (لَا تَلْقَيَنْهُ بِتَعْبِيسٍ لِتُوحِشَهُ   فَالزَّادُ يَفْنَى وَلَا يَبْقَى الْأَصَاحِيبَا)

التعبيس : أن يقطّب الرجل ما بين عينيه ، فيكون كريه الملْقى ، جَهم المحيّا .

وأوحشه يُوحشه : جعلَه يستوحش منه ولا يأنس به .

والزاد : الطعام عامة . والجمع أزودة . على غير القياس .

والأصاحب : من جموع صاحب ، وهو المُعاشر . ويجمع أيضا على أصحاب ، وصُحبان ، وصِحاب ، وصَحْب ، وصَحابة ، بالفتح والكسر .

أى إنك مهما أوسعت للأصحاب وأفنيت فلست بضامن بقاءهم على وُدّك .

٣ ﴿يَقْفُو اللَّئِيمُ كَرِيمَ الْقَوْمِ مُكْتَسِباً إنَّ السَّرَاحِينَ يَتْبَعْنَ السَّرَاحِيبَا﴾

قفاه يقفوه : تبعه ولزم أثره .

واللئيم : الشحيح النفس .

والسراحين : الذئاب . الواحد : سِرحان . ويجمع أيضا على سراحى ، بغير نون ، كما يقال : ثعالب ، وثعالى .

والسراحيب : الخيل . وقد مرّت .

اللزومية الخامسة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع الذال وياء الردف :

١ (لَمْ يَقْدُرِ اللّٰهُ تَهْذِيبًا لِعَالَمِنَا ... فَلَا تَرُومَنَّ لِلأَقْوَامِ تَهْذِيبَا)

٢ (وَلَا تُصَدِّقْ بِمَا البُرْهَانُ يُبْطِلُهُ ... فَتَسْتَفِيدَ مِنَ التَّصْدِيقِ تَكْذِيبَا)

قدر الله له وعليه ، وقدَّر ، بمعنى قَضى . قال أبو صخر :

* تباركتَ ما تقــدُرْ يَقعْ ولك الشكرُ *

والتهذيب : التنقية من العيوب والإصلاح .

ورام الشيء يَرومه رَوْما ومَراما : طَلبه . وكأن أبا العلاء يشير إلى قوله تعالى فى سورة الرعد : (أن لو يَشاء الله لهَــدى الناس جميعا)(١) وإلى قوله تعالى فى سورة الأنعام : (فلو شَاء لهَــداكم أجمعين)(٢) ، وقد تكرّر هــذا المعنى فى أكثر من آية من الكتاب الكريم .

وأبو العــلاء يُلَمِّح هنا بجَبْريته ، وهو أن العبــد ليس قادرا على فعــله وليس خالقا له .

وقوله : « فتستفيد من التصديق تكذيبا » يريد أنك لو صدّقت بالكذب ، كذبك من سمعك ولم يُصدِّقك .

---

(١) الآية ٣١ .

(٢) الآية ١٤٩ .

٣ (إنْ عَذَّبَ اللهُ قَوْمًا بِاجتِرامِهِمُ ... فَمَا يُرِيدُ لأَهْلِ العَدْلِ تَعْذِيبَا)

٤ (يَغْدُو عَلَى خِلِّهِ الإِنْسَانُ يَظْلِمُهُ ... كَالذِّئْبِ يَأْكُلُ عِنْدَ الغِرَّةِ الذِّيبَا)

اجترم ، وجَرم ، وأجرم ، بمعنى .

وقال ابن الأعرابى . اجترم الذنب ، يتعدّى . وجَرم إليهم وعليهم جريمة ، وأجرم : جنَى جناية ، وجَرُم : إذا عظم جرمه ، أى أذنب .

وغدا عليه يغدو : بكّر . يُريد العجلة .

والخلّ : الصديق المُختص . والأُنثى : خِل ، أيضا . تكسر فيه الخاء وتُضم .

وقال اللّحيانى : كسر الخاء أكثر .

والغِرّة : الغفلة . وفى المثل : الغِرّة تجلب الدرّة ، أى الغفلة تجلب الرزق .

اللزومية السادسة والتسعون

وقال أيضا فى الباء المفتوحة مع الذال وياء الردف :

١ (يَا رَاعِيَ الْمِصْرِ مَا سَوَّمْتَ فِي دَعَةٍ وعِرْسُكَ الشَّاةُ فَاحْذَرْ جَارَكَ الذِّيبَا)

الراعى : الوالى . وكُل من ولى أَمر قومٍ فهو راعيهم ، وهم رَعيّة . والجمع : رُعاة ، مثل : قاضٍ وقُضاة . ورِعاء ، مثل : جائع وجِياع . ورُعيان ، مثل : شاب وشُبان . كسّروه تكسير الأسماء ، كحاجر وحُجران : لأنها صفة غالبة ، وليس فى الكلام آسم على فاعل يعتور عليه ، فُعْلة وفِعال ، إلا هذا .

والأصل فيــه لرعاية المــاشية ، أى صيانتها وحفظها . والمــاشية : الرعية التى ترعى . قال الشاعر :

ثم مُطرنا مَطرة روِيّهْ فنَبت البقلُ ولا رعِيّه

والمِصر : الكورة والبلد . وقيل : كل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيهــا الفىء والصدقات من غير مُؤامرة للخليفة .

والتّسويم : إرسال السائمة وتخليتها تسوم وترعى . هذا أصله .

والدّعة : الراحة والسكون ، والخفض فى العيش .

و « فى دعة » أى وادعا آمنــا مطمئنا .

يريد : إخلاده إلى الدعة ، واطمئنانه إلى ما حوله ، واسترساله فيما أصاب من نعيم ، شأن الإبل المرسلة تنعم بمــا ترعى ، مأخوذة به عما سواه .

وعِرْس الرجل : آمرأته ، وهو أيضا عرسها ، لأنهما آشــتركا فى الآسم ، لمواصلة كل واحد منهما صاحبه وإلفه إياه . والجمع : أعراس ، للرجال والنساء.

وعِرْس الرجل مما يَحمى له ويشتد حِفاظُه . وضربها مثلا لما فى حوزته ، وما تجب عليه رعايته .

وقد يكون المعنى على خاص ظاهره ، وكأن أبا العلاء يشير إلى تطلُّع الناس إلى غير حِل لهم من نِساء غيرهم ، ما وجدوا من ربِّ البيت غفلة عن نساء ، هنّ كالشياة غُرارة وضعفا وقلة حِيلة . فجعل البيت بما يضم مصرا ، وربه راعيا ، ورعيته عِرسه التى هى كالشاة .

وبيته التالى الذى يعرِض فيه لدنس الأخلاق يكاد يُقوى هذا .

هذا كله على أن « المِصر » بالكسر بمعنى الكورة ، أو البيت على التأويل .

وقد يكون بضمتين جمعا لـ«مَصور» بمعنى ماصِر ، وسكن تخفيفا . والمصور : الشاة القليلة اللبن . وهو يريد الشاة عامة . وكأنه يقول : يا راعى الشياة ، ولك بضعفهن خِبرة ، لا تغفل عن رعاية عِرسك ، التى هى كالشاة غفلة ، من سطوة ذئاب الرجال . ضربه مثلا .

وقد راعى فى البيت النظير ، فجمع بين أمور مناسبة لا بالتضاد .

٢ (تَرُومُ تَهْذِيبَ هذا الخَلْقِ مِنْ دَنَسٍ   واللهُ مَا شَاءَ لِلأَقْوامِ تَهْذِيباً)

الدنس فى الأخلاق : كل ما يشين ويَعيب .

وما شاء ، أى لم يشأ . وما أشبه بيته هذا ببيت سابق ، وكأنه هو[1] .

٣ (وَمَا رَوِيتَ بِعَذْبٍ حَلَّ فِى قُلُبٍ   حَتَّى تَكَلَّفْتَ إِعْنَاتاً وَتَعْذِيباً)

٤ (فَاعْرِفْ لِصَادِقِكَ الأَنْبَاءَ مَوْضِعَهُ   وَاجْزِ الكَذُوبَ عَلَى مَا قَالَ تَكْذِيباً)

رَوِى يَروى . من الماء وغيره ، وتروَّى ، وارتوى ، كله بمعنى

والباء فى « بعذب » للسببية . وقد تكون للتبعيض . ومثله :

(١) انظر البيت الأول من اللزومية الخامسة والتسعين ص ٤٧٨ من هذا الجزء .

شربن بمـاءِ البحر ثم ترفّعت   متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهن نَئيجُ

والعذب : الطيب من المـاء الذى لا ملوحة فيـه . عَذُب المـاء يعـذُب . وأعذبه الله : جعله عذبا . وأعذب القوم : عذب ماؤهم . وآستعذبوا : استقوا وشربوا ماء عذبا .

والقُلُب : جمع قليب . وهى البئر قبل أن تُطوى .

وقال آبن الأعرابى : القليب : ما كان فيه عين وإلّا فلا .

وقيـل : هى البـئر العادية القديمة التى لا يُعـلم لهـا ربٌّ ولا حافر ، تكون بالبرارى ، تذكر وتؤنث .

وتكلّفت الشىء : تجشّمته على مشقة وعلى خلاف عادتك .

والإعنات : الوقوع فى الضرر والهلكة . أعنت فلان فلانا : إذا أدخل عليه عنتا ، أى مشقة . ومنـه الحديث : « فيُعنتوا عليكم دينكم » . أى يُدخلوا عليكم الضرر فى دينكم . وفى حديث آخر : حتى تُعنتـه . أى تشق عليـه . وفى حديث ثالث : « أيمـا طَبيب تطبّب ولم يعرف بالطب فأعنتَ فهو ضامن » . أى أضر بالمريض وأفسده .

يُشير إلى ظاهرٍ من النـاس حُلوٍ خادعٍ ، يجر وراءه الهلَـكة والعذاب .

وصادقك الأنباء : من يصدقك الخبر ويطالعك بالحق .

اللزومية السابعة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع الشين وياء الرِّدف :

١ (يَا آلَ غَسَّانَ أَقْوَى منكُمُ وَطَنٌ تَغْشَى العُفَاةُ بِهِ الشُّبَّانَ والشِّيبَا)

آل غسان : هم بنو عمرو بن مازن بن الأزد . وغسان، الذى نسبوا إليه : ماء باليمن وردوه . نزلوا الشام وعليهم ثعلبة بن عمرو بن المجالد بن عمرو بن عدى بن عمرو بن مازن ، وكانت بينهم وبين بنى ضُجْعم بن حُماطة ، من قضاعة ، وقعة كتبت الغلبة فيها للغساسنة ، فملكوا الشام نحو ستمائة سنة وست عشرة ، ولم يزل الملك فيهم إلى أن كان ملك آخرهم جَبلة بن الأيهم ، الذى اتصل بعمر بن الخطاب فأسلم ثم ارتد . وكانت وفاته سنة عشرين من الهجرة . ولا تزال بعض آثارهم فى الشام تدل على ما كان لهم من جاه وعز .

وأقوى : أقفر وخلا .

ويغشى : يُلم وينزل .

والعُفاة : الأضياف وطلّاب المعروف . الواحد : عافٍ .

وبه ، أى بالوطن .

والشيب : جمع أشيب ، وهو من عَلاه الشّيب . ويريد بالشبان والشيب : أحداث غسان وكبارهم . أى إنهم كلهم كانوا كرماء مقصودين ، يستوى فى ذلك صغيرهم وكبيرهم .

٢ (تَسْقُونَهُمْ مِنْ حَلِيبِ الجَفْنِ صَافِيَةً ... بِبَارِدٍ كَحَلِيبِ الجَفْنِ مَاشِيبَا)

الحليب : فى الأصل : اللبن يُحلب . ويستعار للشراب . كما هو هنا .

والجفن الأولى : الكَرْم، بلغة اليمن ، ٱسم مُفرد . وقيل : أصل الكَرْم .

وقال الجوهرى : هو قُضبان الكرم . قال النَّمِر بن تَولب :

سُقِيَّةٌ بينَ أنهارٍ عِذابٍ ... وَزَرعٍ ثابتٍ وكُروم جَفْنِ

أراد : وجفن كروم ، فقلب .

وقال ٱبن الأعرابى : الجفن : قِشر العنب الذى فيه الماء . ويُسمى الخمر : ماء الجفن . قال بعض الشعراء يصف ريق ٱمرأة وشبّهه بالخمر :

تُحسِى الضجيعَ ماءَ جَفنٍ شابَه ... صبيحةَ البارقِ مَثلوجٌ ثَلِجْ

وقيل : هو جمع جفنة ، وهى الكرمة ، أو أصلها ، أو الخمر .

والبارد : الماء ، وبه كانت تُمزج الراح .

والجفن ، الثانية : جفن العين . وحليبه : الدموع .

وما شيب ، أى ما خلط ولا مُزج بغيره فعكر صفاءه . شابه يشوبه .

شبه الراح بماء الدموع فى صفائها ، لا فى برودتها . إلا إذا تأولناها دموع فرح ، فهى توصف بالبرودة ، على حين توصف دموع الترح بالسُّخونة .

اللزومية الثامنة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع السين وياء الردف :

١ ﴿إِنْ كُنْتَ يَعْسُوبَ أَقْوامٍ نخفّف قَدَرًا مَا زَالَ كالطِّفْلِ يَصْطَادُ اليَعَاسِيبَا﴾

اليعسوب : أمير النحل وذكرُها ، ثم كثُر ذلك حتى سمّوا كُل رئيس وسيد ومُقدّم فى القوم : يعسوبا . والجمع : يعاسيب . وفى حديث الدجّال : « فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل » . أى تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعاسيبها .

وفى حديث علىّ رضى الله عنه أنه ذكر فتنة فقال : « إذا كان ذلك ضرب يَعسوب الدّين بذنبه فيجتمعون إليه كما يجتمع قَزَع الخريف » .

قال الأصمعىّ : أراد بقوله « يعسوب الدين » أنه سيد الناس فى الدين يومئذ .

وقيل : ضرب يعسوب الدين بذنبه ، أى فارق الفتنة وأهلها وضرب فى الأرض ذاهبا فى أهل دينه .

وذنبه : أتباعه الذين يتبعونه على رأيه ويجتنبون اجتنابه من اعتزال الفِتَن .

وقال أبو سعيد : أراد بيعسوب الدين : ضَعيفه ومُحتقره وذليله ، فيومئذ يعظم شأنه حتى يصير عين اليعسوب . وضَرْبه بذنبه ، أنّ القائم يومئذٍ يثبتُ حتى يثوب الناسُ إليه ، وحتى يظهر الدين ويفشو .

ومرّ علىّ بن أبى طالب بعبد الرحمن بن عتاب بن أُسيد مقتولا يوم الجمل فقال : لهفى عليك يعسوب قريش ! جدعتُ أنفى ، وشَفيتُ نفسى .

وأنشد المُفضَّل :

وما خيرُ عيشٍ لا يزال كأنّه   مَحَلّةُ يعسوبٍ برأسِ سِنانِ

يريد أن الرئيس إذا قُتل جُعل رأسه على سِنان ، يعنى أن العيش إذا كان هكذا فهو الموت .

واليعاسيب : جمع يعسوب ، ذكر النّحل . ويريد النّحل عامة . واليعسوب أيضا : طائر أصغر من الجرادة ، وقيل : أعظم منها ، طويل الذنب ، لا يضم جناحيه إذا وقع . تُشبه به الخيل فى الضُّمر . قال بِشر :

أبو صِبيةٍ شُعثٍ يُطيف بشخصه   كوالحُ أمثالُ اليَعاسيب ضُمَّرُ

وقال ابن الأثير : هو فَراشة مخضرة تطير فى الربيع .

وبكل يتجه المعنى ، وقد يكون غير النحل آمن للأطفال فى صيده .

٢ (وَإِنْ تَكُنْ بِمَنَاسِيب لِمَهْلَكَةٍ   فَكَمْ طَوَى الدَّهْرُ أَقْيالاً مَنَاسِيبا)

« بمناسيب » كلمتان : أولاهما « بَمنى » أى بإزاء وبحذاء . تقول : دارى بمنى داره ، ومنى داره، أى بحذائها وإزاءها وقبالتها . قال الشاعر :

تَنَصَّيْت القِلاص إلىَ حكيمٍ   خوارجَ من تَبالة أو مَناها

فما رجعتْ بخائبة رِكابٌ   حكيمُ بن المسيَّب مُنتهاها

وفى الحديث : البيت المعمور مَنى مكة . أى بحذائها فى السماء .

وفى حديث مجاهد : إنّ الحرم حرمٌ مَناه من السموات السبع والأرضين السبع . أى حِذاءه .

والسيب ، بالكسر : مجرى الماء . والجمع : سُيوب .

أى بحذاء مجرى ماء .

واللام فى « لمهلكة » للاختصاص . أى سيل جارف يأتى على ما أمامه . ضربه مثلا لكل مُهلك ومُبيد .

وأبو العلاء يملى عن بيئته حيث يجرف السيل ما يعترضه فى بعض نواحيها .

وطَوى يطوى طيّا : نقيض : نَشر . و إذا أضيف إلى الدهر فالمعنى على الإهلاك والإبادة . وهو من سابقه . فمن هلك و باد فقد طُويت صفحته فلم يعد له شىء يُؤثر .

والأقيال : ملوك حِمير . الواحد : قَيل ، لأنه يتقيّل من قبله ، أى يشبهه . وقال ثعلب : الأقيال : الملوك ، من غير أن يُخص بها ملوك حِمير .

ومناسيب : ذوو حسب ونسب . الواحد منسوب . ضربهم مثلا لكل مُمتنع عزيز .

اللزومية التاسعة والتسعون

وقال فى الباء المفتوحة مع العين :

١ ﴿ إِذَا كَانَتْ لَكَ ٱمْرَأَةٌ عَجُوزٌ   فَـلَا تَأْخُذْ بِهَـا أَبَدًا كَعَابَا ﴾

العجوز : الكبيرة المُسِنة ، كما توصف به المرأة يوصف الرجل .

قال ٱبن السِّكيت : لا تقُل : عجوزة ، والعامّة تقوله .

والجمع : عُجُز . وقال ابن الأثير : العُجُز : جمع عجوز ، وعجوزة .

قال الأزهرىّ : والعرب تقول لامرأة الرجل ، وإن كانت شابة : هى عجوزة ؛ وللزوج ، وإن كان حَدثا : هو شيخها .

وقال : قلت لامرأة من العـرب : حالِبِى(١) زوجَك . فتـذمّرت وقالت : هلّا قلت : حالِبِى شيخَك .

ويطـلق لفظ « العجوز » أيضا على : ضرب من النّوى هشّ تأكله العجوز لِلِينه ، وعلى الخمر ، لقِدَمها ، وعلى القُبلة ، وعلى البقرة ، وعلى نَصل السيف . والعلة فى هذه الثلاثة الأخيرة متلمّسة .

والباء فى « بها » للمقابلة ، وهى الداخلة على الأعواض ، نحو : اشتريته بألف ، وكافأت إحسانه بضِعْف .

والكعاب : الجارية تَنهد ثدياها ، ومثله كاعِب ، ومُكعِّب . وجمع « الكاعب » : كواعب . وقيل : التكعيب بعد النُّهود ، وقبل النهود التّفليك .

---

(١) حالِبى : ناصرى وأعينى .

٢ ﴿ فإنْ كَانَتْ أقَلّ بَهَـاءَ وَجْهٍ   فَأَجْدِرْ أنْ تَكُونَ أقَـلّ عَابَا ﴾

أَجدر : أى ما أخلقها وأحقهـا . والفعل منـه : جَدر جدارة . وتقـول : هو جدير أن يفعـل كذا ، ومَجدور أن يفعـل كذا . وحكى أبو جعفر الرؤاسى أنه لا فِعل له .

٣ ﴿ وحُسْنُ الشَّمْسِ فِى الأَيَّامِ بَاقٍ   وإنْ مَجَّتْ مِنَ الكِبَرِ اللُّعَـابَا ﴾

مَجّ الشراب والشىء من فِيـه ، يمُجه مجًّا ، أمَجّ به : رماه ولفظـه . وكذلك اللعاب . وخص بعضهم به المـاء . قال الشاعر :

ويدعو ببَرد المـاء وهو بلاؤه   وإن ماسَقَوْه المـاءَ مَجَّ وغَرْغَرا

يصف رجلا به الكَلَبُ ، والكَلِب إذا نظر إلى المـاء تخيّل له فيـه ما يكرهه فلم يشربه .

وقيل : لا يكون مجا حتى يُباعِد به .

ولعاب الشمس : ما يرى فى الهاجرة حين يشتدّ الحر كأنه خيوط فى الهواء ، ويُسمى : رِيق الشمس . قال الراجز :

* وذاب للشمس لُعـاب فَنَزلْ *

جعـل الشمس ، لقِـدم عهدها ، كعجوز هرِمت فسال لعابهـا لِعجزها عن حبسه .

اللزومية المتمة مائة

وقال أيضا فى الباء المفتوحة مع السين :

١ ﴿لَا تَكْذِبَنَّ فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَا تَقُلْ كَذِبًا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ تَكَسُّبَا﴾

الكذب : نقيض الصدق . كذب يكذب، كَذِبا، وكِذْبا، وكِذْبة، وكَذِبة، وكِذابا ، وكِذّابا . فهو كاذب، وكَذّاب، وتِكذاب، وكَذوب، وكَذوبة، وكُذَبة، وكَذْبان، وكَيذَبان ، وكيذُبان ، ومَكذبان ، ومَكذبانة ، وكُذبذبان ، وكُذُبذب ، وكُذُّبذب . كل قد جاء . وشاهد الأخيرة قول جُريبة بن الأشيم :

فإذا سمعت بأنى قد بعتُكم بوصال غانيةٍ فقل كُذُّبُذُبُ

والتكسب : طلب الرزق : وقيل : هو تكلف الكسب . وجعلوا مثلها : كَسب ، واكتسب .

وقال سيبويه . كسب : أصاب ؛ واكتسب وتكسب : تصرف واجتهد .

٢ ﴿فَاللَّهُ فَرْدٌ قَادِرٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْعَى لِآدَمَ صُورَةٌ أَوْ تُحْسَبَا﴾

الفرد، فى صفات الله تعالى : هو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا مِثل ولا ثانٍ .

قال الأزهرى : ولم أجده فى صفات الله تعالى التى وردت فى السنة . ولا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به النبى صلى الله عليه وسلم . ثم قال : ولا أدرى من أين جاء به الليث .

وتدعى : تُنسب وتعزى .

وتحسب ، أى تقدّر أو تكون . ويريد «بالصورة» الخلق والإيجاد .

٣ (وإذَا انتسَبْتَ فقُلْتَ إنّى وَاحِدٌ   مِنْ خَلْقِهِ فَكَفَى بِذَاكَ تَنَسُّبَا)

الباء، فى « بذاك » للتوكيد، والمعنى : كفى ذاك . وقد دخلت الباء فى الفاعل، لأن معنى الكلام الأمر، والمعنى : اكتف بذاك .

وتنسّب تنسُّبا : ادعى أنه نسيب وقريب . وفى المثل : القريب من تقرب لا من تنسّب .

قال الازهرى : النسب يكون بالآباء، ويكون إلى البلاد، ويكون فى الصناعة .

وهو يريد هنا وصلة الخلق والإيجاد التى تربط بين العبد وخالقه . وجعله « تنسبا » ولم يجعله « نسبا » لما سيذكره فى بيته الثانى من إتيان الخلق أفعالا تريب، تباعد بينهم وبين الخالق .

وانتصاب « تنسبا »، إمّا على الحال، وإما على التمييز .

٤ (أشبَاحُ إنسٍ يَخضِبُونَ صَوَارِمًا   تَحْتَ العَجَاجِ ويَركُضُونَ الشُّسَّبَا)

الأشباح : جمع : شَبْح، وشَبَح، وهو ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق، وقيل : هو كل ما أدركته الرؤية والحس .

والإنس : جماعة الناس . والجمع : أناس . والأَنَس، لغة فى الإنس .

جعلهم أشباح أناس، لما يصدر عنهم من شر . وكأنهم لغيره أولى وأحق، لأنهم إلى الله منسوبون .

والخضب : تغيير اللون بحمرة أو صفرة أو غيرهما .

والصوارم : السيوف القواطع ؛ الواحد : صارم .

والعجاج : الغبار . وقيل : ما ثورته الريح منه .

و « تحت العجاج » يريد الحرب، لأنها تثيره لما فيها من كرّ وفـرّ . والقيد هنـا أبلغ فيما أراد أبو العلاء، إذ ماتذهب به الحروب وفرة، وما يصاب فى غيرها نُـــدرة .

والركض : أن تضرب جَنْبى الدابة برجليـك تستحثّها على السـير . ركض الدابة يركُضها . وركضت الدابةُ فى سيرها، إذا عدت وأحضرت .

والشُّسب : جمع شاسب، لغـة فى الشازب، وهو النحيف الضامر، من الناس وغيرهم . وأكثر ما يستعمل فى الخيـل والناس . وهو هنـا يريد الخيل . وهى إذا وصفت بالضمور كانت أجلد وأخف حركة وأنشط عدوا . وكانوا على هذا يتعهدونها .

وجمـع أبو العـلاء بين السيوف البـواتر، والخيـل الضوامر، إذ كانا خير ما يستعدّ به المحارب، ويتهيأ به المضارب . وعلى ظهور الجياد، يمنف الجهاد؛ وليس مثـله الزحف على الأقـدام، فهو أدنى فى البطش والإقدام . ومراد أبى العلاء أن يُصورها هائجة حاصدة .

٥ ﴿ويُمارِسُونَ مِنَ الظَّلاَمِ غَيَاهِبًا ويُوَاصِلُونَ فيَقْطَعُونَ السَّبْسَبَا﴾

مارس الشىء، مراسا ومُمارسة : عالجه أشد علاج وعاناه وكابده .

والجارّ والمجرور « من الظلام » فى موضع النصب على الحال من « غياهبا » .

والغياهب : جمـع : غيهب، وهو ما آشتدّ سواده . يقال : أسود غيهب، وغيهم . والدَّجوجى دونه . وآغتهب الرجل : سار فى الظلمة .

أقام «الغياهب» مثلا لمدلهات الأمور، وصعاب الخطوب، وغوامض الرأى، وخفىّ الفكر، كل هذا يراد .

وقد راعى النظير بذكره « الممارسة » مع « غياهب » .

والمواصلة : المتابعة وعدم الانقطاع .

يريد : يمضون فيما أخذوا فيه، من ممارسة الغياهب غير منقطعين ، فيقطعون السبسب، وهو من سابقه شدة وصعوبة، وخفاء وعُسرا .

والسبسب : الأرض المقفرة البعيدة ، مستوية وغير مستوية ، غليظة وغير غليظة ، لا ماء بها ولا أنيس . والجمع : سباسب .

وقطع السبسب : السير فيه وسلوكه .

وتكون « المواصلة » بمعنى التواصل فى حب ومودة .

وكأنه يعنى بالشق الأول دنياهم الحسّية، وبالثانى دنياهم المعنوية ، وأنهم على الحالين معنّون أنفسهم ، حاملون كل عسير، مُرهَقون بكل شاق .

وهو هنا يطابق بين « الوصل » و « القطع » .

٦ (ومُرادُهُمْ عَذْبٌ خَسِيسٌ قَدْرُهُ   شَرِبُوا لَهُ مَقِرًا لِكَيْما يُلْسَبَا)

العذب : الطيب المُستساغ . عذُب الماء : طاب . وأعذب القومُ : عذب ماؤهم . واستعذبوا : استقوا وشربوا ماء عذبا .

والخسيس : الدنىء المرذول التافه . خسّ الشىء، يخِسّ ، خِسة وخَساسة ، فهو خَسيس .

وقدر كل شيء : مقداره ومقياسه وتقويمه .

والمَقْر : المُرّ . شبه به ما يُركب للحصول على المراد غضاضة وكراهية .

ويُأسب : يلعق . على ما لم يسم فاعله فيهما . وفعله من باب ضرب .

٧ ﴿وَلَقَدْ علمْتُ فَمَا التَّمَضُّرُ نافِعِي أَنِّي سَأَتْبَعُ نَيْسَبًا لأَبْنَيْ سَـبَا﴾

التمضر : التشبّه بالمُضرية، وقيل : التعصّب لهم ، كما قيل : إنه الانتساب اليهم . وهم أولاد مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإليهم ينتهى قريش .

والنيسب : الطريق المستقيم الواضح؛ وقيل : هو الطريق المستدق، كطريق النمل والحية .

وسبأ : بالهمز وسهل للشعر، هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . يُصرف ولا يصرف ، ويُمد ولا يمد . وإليه جميع قبائل اليمن . وابناه : حمير وكهلان .

٨ ﴿سَبَأَ المُدَامَةَ فاسْتَدَامَ مَسَرَّةً فِيمَا يَظُنُّ ولم يَرِعْ لمـَّا سَبَى﴾

٩ ﴿رُوحٌ إذَا رحَلَتْ عَنِ الجِسْمِ الّذِي سَكَنَتْ به فَمَـآلُه أن يَرْسُبَا﴾

المدامة : الخمـر ، وكذلك المدام، لإدامتها فى الدن ، أو لعتقها، أو لأنه ليس شيء تُستطاع إدامة شربه إلا هى .

وسـبأها : اشتراها ليشربها . وسباها يسبيها : حملها من بلد إلى بلد ، وجاء ا من أرض إلى أرض ، وقد يكون « سبى » بالهمز، وسهل للشعر . وهو أولى

سـبأ » أول من سبى فى العـرب ، وكان اسمه عبد شمس ، فسمى

ولم يرِع، أى لم يرجع عن فِعله، وبَقى فى غوايته . راع الشىء يَريع ريعا .

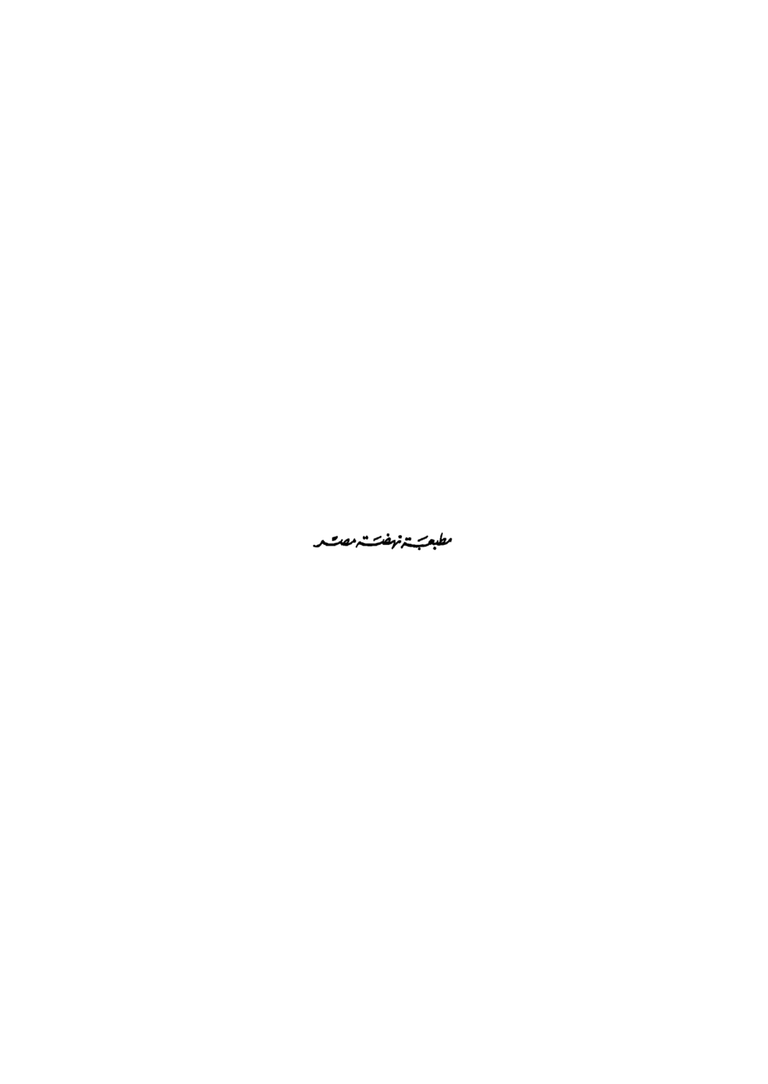
والمآل : المصير والمرجع .

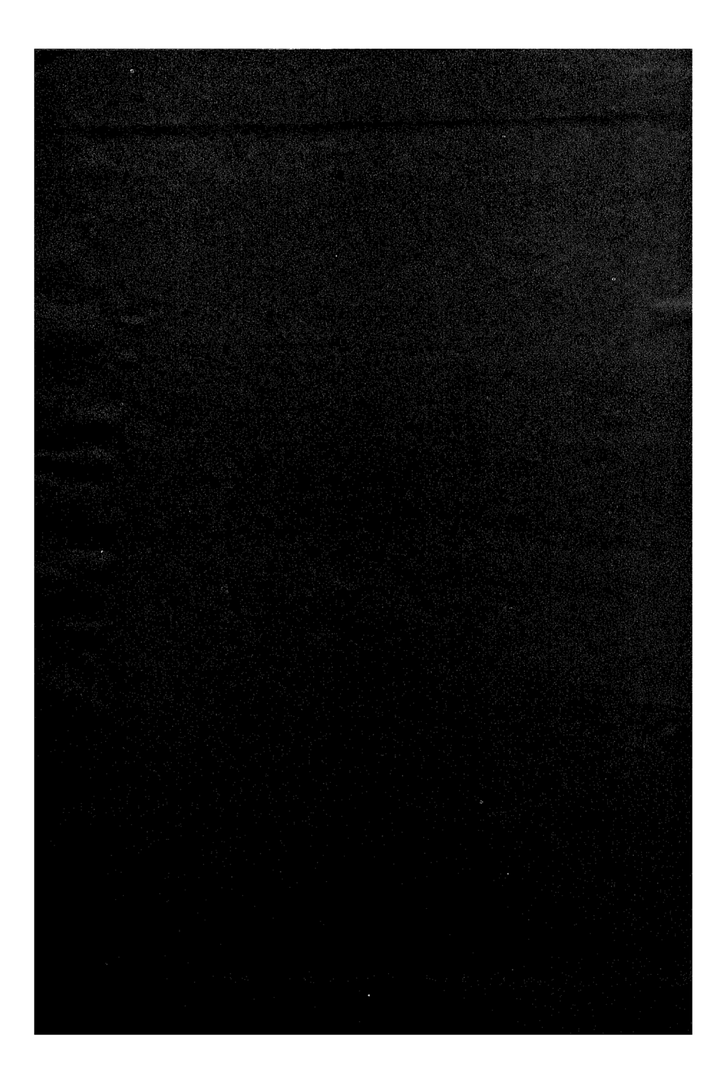
وأن يرسب : أن يذهب سفلا إلى التراب الذى هو منه .

انتهى الجزء الأوّل من « لزوم ما لا يلزم »

يليـه الجزء الثـانى

وأوّله اللزوميــة الواحدة بعد المـائة


مطبعة نهضة مصر

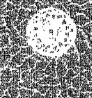


LUZOUM MA LA YALZAM

ABU AL-ALAA
AHMAD IBN SOLYMAN
363h. - 1057b.

EXPLAINED ACCOMPLISHED AND INDIXED

REVISED BY
IBRAHIM AL-ABYARI



PUBLISHERS
DAR AL-KUTOUB AL-ISLAMIYA
DAR AL-KITAB ALLUBNANI
BEIRUT
DAR AL-KITAB AL-MASRI
CAIRO